الرشحات العلوية

محاضرات في السيّر والسلوك على منهج القرآن والعترة

السيد أبو الحسن الموسوي الكاظمي

دار الحوراء


مكتبة غريب طوس

الرَّشَحَاتُ العَلَوِيَّة



محاضرات في السير والسلوك
على منهج القرآن والعترة

ابو الحسن الموسوي الكاظمي



دار الحوراء
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م



يطلب من مكتبة ودار الحوراء للطباعة و النشر و التوزيع

لبنان بيروت تلفاكس : ٢٧٦٩٥٦ /٠١

Dar.Alhawra @ hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلَيْكَ يا أَمِيرَ النفوسِ الناطقةِ ...

وَسَيِّدَ العقولِ الوالهةِ ...

إلَيْكَ يا خَيرَ مُجيرٍ وَجَلِيسٍ ...

يا خَيرَ مُفِيضٍ وَمُفَضِّلٍ ...

إلَيْكَ يا مَنْ وَفَّقَني لِتَسْطِيرِ هذهِ الكَلِماتِ بِرَشْحَةٍ مِنْ جُودِكَ ...

وَحَفِظْتَني مِنْ تَصَرُّفاتِ النَّفْسِ الأمّارَةِ بِحِفْظِكَ ...

إلَيْكَ أَيُّها العَلِّيُ الأَعْلى ...

يا أَمِيرَ المُؤمِنينَ ...

أُهْدِي هذهِ المَرْقومَةَ وَهِيَ مِنْ رَشَحاتِ طَرْفِ أَنامِلِكَ .

اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن

صلواتك عليه وعلى آبائه

في هذه الساعة وفي كل ساعة

وليا وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا

حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أشرق في قلوب محبّيه معرفتَه، وزان وجوههم بضياء سناءه، وصلى الله على السبيل الأقوم والصراط الأعظم محمد وآل محمد الذين جعلهم قبسات في ظلمات هذه الدار، واللعن الدائم على أعدائهم الضالين المضلين الذين انحرفوا عمّا خطّ لهم ربهم.

أمّا بعد:

فهذه كلمات بسيطة سطرتها بعد أنْ وجدتها نافعة، إجابة لكثير أسئلة ترد عليّ وأنا أنهل من ينبوع آل محمد في الحوزة العلمية، وخاصة عند زيارتي للمظهر الأكمل لوجود الحقّ تعالى سيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي عذُب لفظ اسمه في ألسنتنا وأشرق في أنفسنا، فكيف بمعناه الذي لا يعلمه إلا الله ورسوله!.

وقد أسميتها بالرشحات العلوية لأنّها كانت في حرمه وجواره عليه السلام.

اللهم أنفِعْنا به وبجواره وزد علينا من رشحاته ... يا من يعطي الكثير بالقليل.

وقد راجع هذه المسفورة جمعٌ من أعلام الحوزتين (النجف الأشرف وقمّ القدسة). وقد أبدوا آرائهم المباركة فيه من جميع الجهات بعدما أضنوا أنفسهم وشغلوا وقتهم في مراجعته. ونحن نشكر فضلهم في ذلك، ونسأل الله عزَّ وجلّ أنْ يُلحقنا بركبهم في الدنيا والآخرة. وقد رتبتها على مقاصد والمقصد الأول على مراحل، فلا يُصار إلى البعْدَية إلا بعد إكمال القَبْلية علماً وعملاً، والمقاصد الأخرى على فصول، وراعيت فيها سلاسة العبارة لكي يفهمها عوامّ الناس فضلاً عن متعلميهم.

از خـــدا جوييم توفــيق أدب بى أدب محروم گشت از لطف رب

ابو الحسن الموسوي الكاظمي

٢٣ / ربيع الأول / ١٤٢٩ هـ

النجف الأشرف

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين .

أما بعد:

فالطبّ الروحانيّ ينقسم الى الأخلاق والآداب والحكمة العملية والعرفان العمليّ والمواعظ والسير والسلوك، وكلّ منها تعتني بتهذيب النفس ورفع الحجب الظلمانية والنورية من أبصار القلوب، فإنّ بين الإنسان وبين الملكوت سبعين ألف حجاب، وبين الملكوت والجبروت تسعين ألف حجاب، وبين الجبروت وعالم الألوهية ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى.

وعلى كلّ إنسان أن يرتقي ويخرق كلّ يوم - بل في كلّ لحظة — حجاباً من تلك الحجب حتى يحظى للقاء ربه، وإنْ كان الحقّ سبحانه أجلّ شأناً من أن يكون مشرعاً لكلّ وارد، اللهم إلا للمخلَصين الكمّلين الأولياء. ولا يمكن طيّ هذا الطريق إلا بعد الغفلة عن الدنيا وزخارفها والزهد عنها، وبعد اليقظة وعتق النفس عن سجن الدنيا، والشوق والحنين الى الملأ الأعلى.

وقد بذل كثير من الفلاسفة والعرفاء وعلماء الأخلاق جهودهم في تبيين الأخلاق ومناهجها، وكان الغالب على آثارهم ومسفوراتهم العلمية الأخلاق الفلسفيّ. ولكنّ الكتاب الذي بين يديك ((الرشحات العلوية)) الذي ألّفه سماحة العلامة المحقق (ابو الحسن الموسوي الكاظمي) أيده الله تعالى، قد فاق الأقران في هذا المضمار، وأتى بأمر بديع وتنسيق فريد في تبيين الأخلاق والسلوك على ضوء الكتاب والسنة، مع إشرافه على مباني الفلسفة والحكمة المتعالية وإتقانٍ لها.

فشكر الله تعالى سعيه ووفّق الأمة الإسلامية لمطالعة هذا الكتاب، الذي لا مثيل له في موضوعه فيما أعلم، والعمل بما فيه، إنه قريب مجيب.

والسلام على من اتبع الهدى

احمد عابدي[1]

قمّ المقدسة

١٣٩٠/١٢/١٥

---

١ آية الله الدكتور أحمد العابدي أستاذ البحث الخارج في حوزة قمّ المقدسة وأخلاقي معروف.

المقصد الأول

التهيئة للتخلية

وهو على مراحل مرتبة

المرحلة الأولى

الوعاء والأسئلة الأربعة

الوعاء والأسئلة الأربعة

دأب أكثر الأعلام في كتبهم الأخلاقية على أنَّ المرحلة الأولى في طلب الطريق هي التوبة وذكرها وتفاصيلها، ولكنّنا نرى أنّ بعض الناس لا يتوب، وبعضهم قد يتوب ولكنّه يتراجع في توبته.. ويتكرر ذلك لعدة مرات، وهذا الأمر أصعب بالنسبة إلى من لم يتُب، فهو كالذي أشار إليه سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾[1]، ومثل هذا سوف لن ينفعه شيء.

لذا فإننا نرى أنّ المرحلة الأولى هي إثارة أربعة أسئلة يحتاج جوابها إلى معرفة معناها ومحتواها، ويترتب على ذلك العلم والعمل لا العلم فقط، لأنَّه أغلظ الحجب كما عبّر عنه السيد الخميني قدس سره في بعض كلماته[2].

---

١ سورة النساء الآية ١٣٧.

٢ ﴿فسالك طريق الحقيقة ومسافر سبيل العبودية إذا قطع هذا المنزل بالسلوك العلميّ وركب مركب السير الفكريّ يقع في حجاب العلم ويصل إلى المقام الأول للإنسانية، ولكن هذا الحجاب من الحجب الغليظة، وقد قالوا: العلم هو الحجاب الأكبر...﴾. [الآداب المعنوية للصلاة – ص ٣٦].

مفتتح الكلام

ونبدأ بحديث أمير المؤمنين عليه السلام لكميل: ﴿ إنَّ هذهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أوعاها ﴾[١].
حيث شبّه عليه السلام القلب بالوعاء لأنَّه يحتوي على ما نزل وما ينزل من الفيض الإلهيّ من كلّ شيء من النعم الظاهرة والباطنة، والقلب - وإنْ كان معناه الذي يتبادر إلى الذهن هو ذلك التركيب الكمثريّ الذي رأسه إلى الأسفل وقاعدته إلى الأعلى - هو الذي يتمّ به استلام الفيض، ولكن بما أنّ النفس تأنس بالمادّيات والمتبادر إلى الذهن هو هذا القلب الماديّ فنشبهه بهذا القلب الكمثريّ تسهيلاً لتصوّره وفهم المعاني آتية الذكر[٢].
ومعنى(أوعاها)- الواردة في كلمة أمير المؤمنين عليه السلام - أي أحفظها وأشملها لما يقع فيه، فيكون كلّ قلب وعاء، ولكن هنالك قلب أفضل من قلب حسب درجة الإستيعاب، فالحقيقة واحدة وهي وجود القلب ولا يمكن لأحد أنْ يخلو منها، غاية الأمر أنَّها مشككة، أي أنَّها ذات مراتب تختلف حسب قبول الفيض والمحافظة عليه.
ويتجلى ذلك بعرض الأسئلة الأربعة مع أجوبتها، واعلم أنَّها مرتبة طولياً لا يُصار إلى البعديّ قبل القبليّ، بمعنى أنَّه لا يُصار إلى التالي قبل الإجابة بالإيجاب عن القبلي.

---

١ نهج البلاغة/ قصار الحكم/ الحكمة ١٤٧.

٢ وسنطلق على القلب إسم الوعاء أيضاً.

السؤال الأول: هل يوجد قلب أصلاً أو لا؟

بمعنى أنَّه هل يوجد وعاء أو لا؟ فالسؤال عن أصل ثبوت القلب.

لكن هل من الممكن أنْ لا يكون هناك قلب أو وعاء؟... بالتأكيد لا[١]، لكن مرادنا من عدم وجوده هو ما بحكم عدمه، فسؤالنا يمكن صياغته بشكل آخر، وهو: هل أنَّ القلب يستلم الفيض أو لا؟ فإذا لم يكن كذلك فهو بحكم المعدوم، وما فائدة وجوده إذا لم يكن يعمل؟! ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٢].

علامات وجود القلب وعدمه

ومن علامات وجوده أنَّ المرء إذا قام بأيّ عمل عبادي - كأداء الصلاة وزيارة المعصوم عليه السلام - هل يحسّ بتغيّر في الحالة الروحية عند القيام به أو لا[٣]؟..

هل يصلي بحيث يوجد اتصال حقيقيّ مع الله تبارك وتعالى في الصلاة - مثلاً - وهل يشعر باتحاد روحيّ بينه وبين المعصوم الذي يزوره[٤]. فمثلاً عند زيارة أمير المؤمنين عليه السلام هل يلغي ذاته ووجوده أمام الوجود المتعالي لأمير المؤمنين عليه السلام، وينصهر في بودقته؟...

---

١ بمقتضى الفطرة يوجد قلب لكلّ إنسان على السواء بأصل الخلقة ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[سورة الروم الآية ٣٠]

٢ سورة الأعراف الآية ١٧٩.

٣ ينبغي التنبيه على أنَّ التغير والإرتياح المطلوب ليس هو الإرتياح العرفيّ، بحيث يشعر أنَّ الصلاة مثلاً عبارة عن عبئ ثقيل وقد أداه بل تغير وارتياح اتصالي بالمبدأ الأعلى.

٤ ذكر إبن سينا في آداب الزيارة عدّة شروط قبل البدء بالزيارة، منها: ١ . التجرّد من النفس النباتية، بمعنى أنْ لا تطلب أكلاً أو مالاً أو ما إلى ذلك من متعلقات هذه النفس. ٢ . التجرّد من النفس الحيوانية، بمعنى أنْ لا تكون أمامك أيّ حاجة من حاجات الحيوان. ٣ . أنْ تعرف المزور. ٤ . أنْ تتصل روحك بروح المزور. ثمّ بعد ذلك تقول: السلام عليك يا ...

أو عند زيارته لسيد الشهداء عليه السلام هل يذبح(أناه) على مذبح العشق الإلهيّ الذي ذُبح عليه صلوات الله عليه؟..

هل هناك إستفادة حقيقية من العلم الذي يدرسه - فيما إذا كان طالب علم مثلاً - ويحسّ أنَّه يقترب به من الله جلّ وعلا، أو أنَّه ليس إلا مجرّد تضخم في الإصطلاحات من دون تزيين الباطن؟.. فإذا كان كذلك - أي أنَّه يحسّ بالتغيّر والزيادة والتقرّب - فذلك دلالة على وجود القلب.

علاج حالة عدم وجود القلب

لابدّ أولاً وقبل كلّ شيء من ترك المحرمات[١] للدخول في هذا الطريق، بل هو العمدة في المقام... فهل يمكن زرع الورد في أرض مليئة بالأشواك؟!.

والسبيل إلى تركها هو معرفتها **أولاً**، ثمّ العزم على تركها بالإستعانة بالله عزّ وجلّ والتوسل بالمعصومين عليهم السلام، **وثانياً** هو فعل الواجبات[٢].

ولابدّ من تعويد النفس على الإستفادة من جميع العبادات، و إشعار النفس بأنَّها دائماً - حتى في غير حال العبادة - في المحضر الإلهيّ، ولو كان هذا الشعور بأدنى مراتبه من الحضور الوجودي[٣].

---

١ وترك المحرمات يكون دفعياً لا تدريجياً، بمعنى أنْ ينوي تركها جميعاً وبالتتابع فلا يفعل المحرم إذا أراد فعله، وهذا معنى الدفعي الذي يتضمن التدريج.

٢ ليس معنى ذلك أنَّ أحدهما في طول الآخر،بمعنى أنْ أترك المحرمات ومن بعدها أفعل الواجبات،بل هما في عرض واحد.

٣ قالوا: إنَّ للحضور ثلاث مراتب: الأولى: الحضور الحسيّ، وهذا المعنى ذمّته الروايات، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ والجوع، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء، حبذا صوم(نوم)الأكياس وإفطارهم﴾ [وسائل الشيعة(الإسلامية)- الحر العاملي ج ١ ص ٥٣].

والثانية: الحضور العلميّ: وهو أنْ تعي كلمات من تحضر عنده، والثالثة: الحضور الوجوديّ، بمعنى أنْ يكون من حضرت عنده هو الموجود فقط، ولا وجود لغيره. ولا يتحقق الحضور إلا بهذا الأخير.

السؤال الثاني: هل أنّ القلب الموجود مستوٍ أو منكوس؟

أي هل أنَّ القلب الموجود قاعدته إلى أعلى ورأسه إلى أسفل؟ – وهو القلب المستوي – أو أنَّ قاعدته إلى أسفل ورأسه إلى أعلى؟ – وهو القلب المنكوس[١] –.

إنَّ صاحب القلب المنكوس له ميزتان رئيستان:

الأولى: إنَّه فرّط فيما كان موجوداً بأصل الفطرة في وعاءه حيث خلقه الله عزّ وجلّ وهو يحمل مقداراً من المعرفة والسلوك.

الثانية: إنَّه لا يستطيع استلام الفيض والنور الإلهيّ بعد ذلك، لأنَّ قاعدته إلى أسفل، بمعنى أنَّه أغلق على نفسه باب الفيوضات الإلهية.

فعليه أنْ يتدارك نفسه بالتوبة النصوح.

سبب نكس القلب

أمّا سبب نكس القلب فهذا ما توضّحه الرواية الواردة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: ﴿ما شيء أفسد للقلب من الخطيئة، إنَّ القلب ليواقع الخطيئة، فما تزال به حتى تغلب عليه، فيصير أسفله أعلاه، وأعلاه أسفله﴾[٢].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء[٣]، فإنْ تاب انمحت وإنْ زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يُفلح بعدها أبداً﴾[٤].

---

١ والقلب المنكوس أشدّ لعناً من المعدوم، لأنَّه وُجد ثمّ فرّط فيه.

٢ الآمالي – الشيخ الصدوق – ص ٤٨١.

٣ النكتة بمعنى النقطة، وكلّ نقطة في شيء بخلاف لونه فهي نكتة.

٤ شرح أصول الكافي– مولى محمد صالح المازندراني ج ٩ ص ٢٤٧ و ٢٤٨.

من علامات صاحب القلب المنكوس

١ . رؤية الحسن سيئاً والسيئ حسناً، كما ورد في الآية: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[2] فكم من شخص يخطأ لكنّه يرى فعله حسناً، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

٢ . يفعل الأفعال الحسنة ويعتمد عليها، لأنّه يراها كبيرة وكثيرة، ولكن ما عنده قليل إذ بما أنّه فرّط بما لله عنده فيتوهم أنَّ ما هو موجود كلّ شيء!.

ولكن أنظر إلى أئمتنا عليهم السلام كيف كان دأبهم، فلم يعتمدوا على أعمالهم بل كانوا كثيراً ما يستقلونها، وهذا ما إمتاز به زين العابدين عليه السلام في دعائه: ﴿اللّهُمَّ إنّكَ أَمَرْتَنِي فَتَركْتُ وَنَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ وَسَوَّلَ لِيَ الْخَطَأَ خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطْتُ وَلا أَسْتَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي نَهَاراً وَلاَ أَسْتَجِيرُ بتَهَجُّدِي لَيْلاً وَلاَ تُثْنِي عَلَيَّ بإحْيَائِهَا سُنَّةٌ حَاشَا فُرُوضِكَ الَّتِي مَنْ ضَيَّعَها هلَكَ وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ وَتعدَّيْتُ عَنْ مَقَامَاتِ حُدُودِكَ إلـى حُرُمَات انْتَهَكْتُهَا وَكَبَائِرِ ذُنُوب اجْتَرَحْتُهَا كانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِهَا سِتْراً وَهَذَا مَقَامُ مَن اسْتَحْيَى لِنَفْسِهِ مِنْكَ وَسَخِطَ عَلَيْهَا وَرَضِيَ عَنْكَ فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا﴾[4].

---

١ سورة الكهف الآية ١٠٣ و ١٠٤.

٢ سورة غافر الآية ٣٧.

٣ سورة الملك الآية ٢٢.

٤ الصحيفة السجادية الكاملة – الإمام زين العابدين عليه السلام الدعاء ٣٢.

٣ . الإكتفاء بما عنده من المعلومات، والرضا بما عنده من الأفعال، ولابدّ من ملاحظة أنَّ هذه المرحلة من أخطر المشكلات وأصعبها، فكم من نعمة أنعمها الله تبارك وتعالى علينا وكم من آلاء وكم من فيوضات ضيعناها بسبب ذنب صغير!!.

علاج القلب المنكوس

وعلاج القلب المنكوس هو التوبة النصوح، بحيث يندم على كلّ ما مضى.

والتوبة النصوح هي العلاج الرئيسي لكلّ الأسئلة الأربعة، وتفصيل الكلام في التوبة سيأتي في المرحلة الثانية إنْ شاء الله تعالى.

- **فائدة / في معنى التوبة النصوح**:

عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[1] قال: «يتوب العبد من الذنب ثمّ لا يعود فيه»[2].

إنَّ التوبة النصوح هي التوبة القوية الثابتة التي تمنع صاحبها من العود إلى الذنب بعدها وهذا التفسير يؤيده ما قيل من أنَّها توبة تنصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثمّ لا يعود إليها أبداً أو تنصح الناس أي تدعوهم إلى أنْ يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها، **وقيل**: هي توبة خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم عسل ناصح إذا كان خالصاً من الشمع بأنْ لا تكون لرياء ولا نفاق ولا لخوف النار، وقد حكم المحقق في التجريد بأنَّ الندم على الذنوب خوفاً من النار ليس توبة.

---

١ سورة التحريم الآية ٨.

٢ الكافي - الشيخ الكليني ج٢ ص٤٣٢.

وقيل: ﴿إسناد النصوح إلى التوبة من باب الإسناد المجازي ، لأنَّ النصح صفة للتائبين أي توبوا توبة تنصحون بها أنفسكم بأنْ تأتوا بها على أكمل الوجوه وأفضل الشرائط حتى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب الكلية وذلك بإذابة النفس بالحسرات ومحو ظلمة السيئات بنور الحسنات﴾[1].

قال المحقق الأردبيلي: ﴿وجوب التوبة والعذر في الدنيا بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾[2] توبة نصوحاً بالغاً في النصح، وهو صفة للتائب، فإنَّه ينصح نفسه، وصف به التوبة للمبالغة، و تذكيره لكونه فعولاً بمعنى الفاعل عن ابن عباس قال: قال معاذ بن جبل: قلت يا رسول الله ما التوبة النصوح؟ قال: أنْ يتوب التائب ثمّ لا يرجع كما لا يعود اللبن إلى الضرع، قال إبن مسعود: التوبة النصوح هي التي تكفر كلّ سيئة وهو في القرآن ثمّ تلا هذه الآية.

وقيل: إنّ التوبة النصوح هي التي يناصح الإنسان فيها نفسه بإخلاص الندم، مع العزم على أنْ لا يعود إلى مثله في القبح، **وقيل**: هي أنْ يكون العبد نادماً على مامَضى مُجمعاً على أنْ لا يعود فيه، وقيل: هي الصادقة **وقيل**: هي أنْ يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن، **وقيل**: هي المقبولة ولم تقبل ما لم يكن فيها ثلاث: خوف أنْ لا يقبل ورجاء أنْ يقبل وإدمان الطاعة **وقيل**: هي أنْ يكون الذنب نصب عينيه، ولا يزال كأنَّه ينظر إليه، **وقيل**: هي من النصح بمعنى الخياطة لأنَّ العصيان يمزق الدين والتوبة

---

١ شرح أصول الكافي المولى محمد صالح المازندراني ج ١٠ ص ١٦٨ — ١٦٩.

٢ سورة التحريم الآية ٨.

برقعه، **وقيل**: لأنَّها جمعت بينه وبين أولياء الله كما جمع الخياط الثوب وألصق بعضه ببعض، **وقيل**: لأنَّها أحكمت طاعته وأوثقها كما أحكم الخياط الثوب وأوثقه ﴾[١].

السؤال الثالث : هل أنَّ القلب المستوي مجلوٌّ أو صدئ؟

عَرَّفوا النفس – باعتبارٍ – إنَّها: جوهرة علامة درّاكة، وشبَّهوها بالمرآة، فإذا كانت المرآة مستوية(لا مقعرة ولا محدبة)ومجلوة فإنَّ الأشياء تبدو فيها بكاملها وبحجومها وتفاصيلها الحقيقية، وكذلك النفس.. وهذا ما يعبّر عنه بالكشف(معرفة حقائق الأشياء) لأنَّ نفوسنا محل لظهور صور الحقائق، فمتى ما كانت نفوسنا صافية مجلوة مستوية فستبدو الصورة فيها كاملة وحقيقية وبجميع تفاصيلها.

وبالمقابل فإذا كانت النفوس مخدّشة فإنَّ الأشياء لا تبدو على حقيقتها ولا بحجومها ولا بتفاصيلها الحقيقية.

ولابدّ من الإشارة إلى أنَّ الفيض الإلهيّ(المظروف)عبارة عن نور صافٍ رائق شفاف طاهر، إلا أنَّ الكلام في الظرف الذي يحويه، فإذا كان القلب(الظرف)مجلواً بانَ النور على حقيقته، وإذا كان صدئاً بانَ النور متّسخاً مشوّهاً لأجل حلوله في الظرف غير المجلوّ، وليس ذلك إلا لتأثر المظروف بالظرف وإتحادهما.

قال الشاعر[٢]:

رقّت الزجاجة ورقّت الخمر ... وتشابها فتشاكلَ الأمرُ

فكأنّما خمرٌ ولا قدحٌ ... وكأنّما قدحٌ ولا خمرُ

فهنا المظروف الرقيق(الفيض)حلّ في الظرف الرقيق(القلب الصافي).

---

١ زبدة البيان المحقق الأردبيلي ص ٥٧٢.

٢ وهو الصاحب بن عباد.

وبعبارة أخرى: إنَّ الحال عين المحلّ، والمحلّ عين الحال، فلا يتميّز أحدهما من الآخر فيظهر كلّ منهما أنّه الآخر.

ومن هنا صارت الصفة في المعصومين عليهم السلام عين الموصوف، وذلك لصفاء أنفسهم، فصاروا هم الإسلام والإسلام هم.

ومن الشواهد على ذلك قول الله عزّ وجلّ لنبيه الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[1]، فعبّر عنه بالرحمة، ولم يقل رحيم، وكذلك في آية أخرى يقول جلّ وعلا: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، فجاء ذكره بأنَّه(هدى)وليس(هادياً)، و(بشرى)وليس(بشيراً).

ومن هنا نعرف أنَّنا لم نطلع على حقائق الأشياء – ومنها الوجود المقدّس للإمام صاحب الأمر عليه السلام – لا لخفاء فيها، بل لقصور أو تقصير فينا، فالخلل ليس في الفاعل، وإنَّما في القابل، فلو عرفنا حقائق الأشياء لَبانَ شخصه عليه السلام فكيف نرى مع هذه النفس الصدئة والقلب المشوب؟.

فإنْ كنت تريد معرفة الحقائق فقل:

اَول دلـــم را جـــلا داد   آيينـــه اَم را صـــفا داد

يعني:

في البدايـــةِ أُجـــلُ لي قَلبـــي وصَـــفِّ لي مـــرآتي

وبعـــدَ ذلـــك يمكـــن أنْ تتحقـــق الرؤيـــة

---

١ سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

٢ سورة النمل الآية ٢.

ما الذي يخدش الوعاء(القلب)؟

إنَّ الذنب – مهما كان صغيراً – هو ممّا يخدش هذا الوعاء الصافي، فلو اعتبرت قلبك زجاجة في غاية الرقة – وهي كذلك – فإنَّ أيَّ شيء حتى لو كان حبة رمل سوف تخدش هذه الزجاجة!.

علاج خدش القلب وعدم صفاءه

١ . الإستمرار على الأدعية، ومن ضمنها أدعية التوبة، ومنها دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في التوبة، وكذلك المناجاة الأولى للإمام زين العابدين عليه السلام المسمّاة بمناجاة التائبين ضمن المناجاة الخمسة عشر.

٢ . الإستمرار على المناجاة، بمعنى عدم الإقتصار على قرائتها مرة أو مرتين.

٣ . المداومة على صلاة الليل[1].

٤ . الإلتجاء إلى قبور المعصومين عليهم السلام، وكذلك الأولياء ومقامات الإمام صاحب العصر عجّل الله فرجه الشريف ممّا يوجب سكون النفس والتئام الشرخ، خاصة إذا رمقه عليه السلام بنظرة منه.

---

١ جاء في كتاب الفضائل والرذائل: ﴿والإنسان مهما كان مقدار حبه لله وإرتباطه به تعالى – لايْشترط أنْ يكون عاشقاً لله – يجب أنْ تكون أحسن لذة لديه هي الدعاء، ومن هنا فإنَّ من لا يجد لذة في قراءة القرآن والدعاء والصلاة فيجب أنْ يعلم أنَّه في مصيبة كبيرة. نقرأ في الروايات أنَّ موسى عليه السلام ذهب للمناجاة فقال له رجل: قل لربك إنِّي صاحب ذنوب كبيرة فلماذا لا يعذبني؟ وذهب موسى للمناجاة وعندما عزم على الرجوع خوطب: يا موسى لماذا لم توصل رسالة عبدي لي؟ فقال موسى: إلهي إستحييت منك وأنت تعلم ماذا قال عبدك. فخوطب: يا موسى قل لعبدي لقد إبتليته بأعظم شيء ولكنّه لم يلتفت إلى ذلك، قل له: لقد سلبت منه لذّة دعائي ومناجاتي﴾. [الفضائل والرذائل للشيخ حسين المظاهري ص ١٠٩] وتعتبر هذه الرواية عند علماء الأخلاق والعرفان وأهل القلوب الحية رواية أساسية، فالإنسان الذي ليس له مع الله مناجاة ليس شيئاً أصلاً. والإنسان الذي لا يجد لذّة في قراءة القرآن والصلاة فهو مريض وصاحب قلب أسود.

٥ . قراءة – إنْ كان بالإمكان – الأشعار التي توجب صفاء النفس والسفر بالنفس إلى عالم آخر كأبيات بابا طاهر رحمه الله وإلهي نامه للخواجة عبد الله الأنصاري رحمه الله.

تذييل:

سلطة الشيطان على الإنسان

للشيطان على الإنسان[١] نوعان من السلطة:

١ . **سلطة المسّ:** وهي ليست بسلطة حقيقية لأنَّ الممسوسين يتذكرون دائماً ومباشرة، كما قالت الآية الكريمة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٢]، و(إذا)هنا فجائية، ومثل هذه السلطة تكون على المؤمنين وهي سرعان ما تزول بخروجهم من ظلمة سلطته بكونهم مبصرين.

٢ . **سلطة الأزّ:** وهي السلطة الحقيقية للشيطان على الكافرين، بحيث صاروا مظهر للسيطرة والهيمنة الشيطانية، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[٣].

---

١ ليس المراد مطلق الإنسان، لأنَّ هناك أفراداً لا ينالهم الشيطان بسلطانه ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[سورة الحجر الآية ٤٢].

٢ سورة الأعراف الآية ٢٠١.

٣ سورة مريم الآية ٨٣.

السؤال الرابع: هل أنّ القلب المجلو واسع أو ضيّق؟

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه المزبور: ﴿ إنَّ هذهِ القُلُوبَ أَوْعِيَةٌ، فَخَيْرُهَا أوعاها ﴾أي: أشملها وأحفظها وأوسعها أيضاً.

قال تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾[1]، فالماء(الفيض الإلهيّ)لا حدّ له ولا مقدار، وبقدر وسع قلب(وعاء)الإنسان سيأخذ من هذا الماء: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾، أي بقدر الأودية لا بقدر الماء إذ لا حدود للفيض الإلهيّ الذي هو فعل وصفة من صفات المطلق، وصفات المطلق مطلقة أيضاً، ولكن الإنسان هو الذي يحدد مقدار العطاء، بسبب اللباس المادي له[2].

من علامات وسع الوعاء وضيقه:

ومن علامات ضيق الوعاء: الإكتفاء بالقليل، وعدم السعي لتحصيل الكثير من المعارف الحقّة، والأخلاق الحميدة وهذا ما نشاهده من بعض طلبة العلوم اليوم، مع أنَّ الوارد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه: ﴿ مَنْهُومانِ لا يَشْبَعَانِ، طالِبُ عِلْمٍ وَطالِبُ دُنيا ﴾[3].

فالقبول بالعلم القليل، وعدم الإكتفاء بالمال القليل من علامات ضيق الوعاء.

والآثار الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام في سعيهم لتحصيل الكمال – مع عصمتهم وكونهم مظهراً لله تعالى – أوضح من أنْ يخفى.

قال تعالى في رسوله الكريم صلى الله عليه وآله: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[1].

---

١ سورة الرعد الآية ١٧.

٢ ومن هنا يمكن أنْ نفسر مسألة الشرور الموجودة في الكون، لأنَّه ناتج من تحديد ذلك الفيض الإلهيّ اللامحدود.(راجع الحديث التاسع والثلاثين من كتاب(الأربعون حديثاً)للإمام الخمينيّ قدس سره.

٣ نهج البلاغة/ قصار الحكم/ الحكمة ٤٥٧.

علاج ضيق الوعاء

وهو أصعب العلاجات، لأنَّ فرض كلامنا أنَّ الشخص في هذه المرحلة قلبه مستوٍ ومجلوّ، غاية الأمر أنَّه ضيّق.

وعلى كلّ حال فإنَّ العلاج يتمثل في:

١- **الإخلاص**[٢]: والذي هو مفهوم متواطئ وليس مشكك كما يُتوهم، لأنَّ المطلوب هو الوصول إلى مقام المخلَصين بعد مقام المخلِصين فلا تشكيك في البين.

ويساعد الإخلاص في توسعة الوعاء، لأنَّه بالإخلاص سيكون القلب إلهياً، والقلب حرم الله تعالى، قال الصادق عليه السلام: ﴿القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله﴾[٣].

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حاكياً عن الله: ﴿لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحبَبتُه كنتُ سمْعَه الذي يَسمَع به، وبصَرَه الذي يُبصِر به، ولسانه الذي يَنطُق به﴾[٤].

٢- **زيادة التعلم**: حيث أنَّ زيادة العلم ينفع في زيادة الذهن والوعاء.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ كُلُّ وِعَاء يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إلا وِعَاءَ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ ﴾[١].

---

١ سورة طه الآية ١ و ٢.

٢ الإخلاص: للقوم في تعريفه عبارات، **فقيل**: ﴿هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتى عن ملاحظة النفس، فلا يشهد غير الله. **وقيل**: هو تنزيه العمل عن أنْ يكون لغير الله فيه نصيب. **وقيل**: هو إخراج الخلق عن معاملة الحق. **وقيل**: هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته من العلائق. **وقيل**: أنْ لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين، وهذه درجة رفيعة عزيزة المنال. وقد أشار إليها أمير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه، بقوله: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك. ولعزة هذه المرتبة قال بعض أرباب القلوب: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله﴾. (رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام للسيد علي خان المدني الشيرازي ج ٣ ص ٢٨٥ – ٢٨٦).

٣ بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٧ ص ٢٥.

٤ جامع السعادات الشيخ محمد مهدي النراقي ج ٣ ص ١٤٥.

يقول مولوي:

آيينـه دل چـو شـود صـافي و پـاک نقشـها بينـى بـرون از آب وخـاک
هـم بينـى نقـش وهـم نقـاش را فـرش ودولـت را وهـم فـراش را[2]

يعني:

إذا كانـت مـرآة القلـب صـافية ونظيفـة (مجلـوّة)
فإنَّـك تـرى نقـوش الأشـياء ووجوداتهـا مـن المـاء والـتراب
وتـرى الـنقش والنقـاش (أي الصـانع والمصـنوع)
وتـرى الفـرش والحكومـة ومـن يتـولى ذلـك

ويقول:

چـون خليـل آمـد خيـال يـار مـن
صـورتش بـت معنـى ايـن بـت شـكن
آيينـه دل صـاف بايـد تـا درو
واشناسـى صـورت زشـت از نكـو حسـن[3]

يعني:

عنـدما جـاء الخليـل وحضـرت عنـده
صـورة الحبيـب المعنويـة كسـر الأصـنام
يجـب أنْ تصـفي مـرآة القلـب لكـي تعـرف فيهـا
وتميّـز الصـورة القبيحـة مـن الصـورة السـيئة

---

١ نهج البلاغة/ قصار الحكم/ الحكمة ٢٠٥.

٢ مثنوي معنوي دفتر دوم الأبيات ٧٢و٧٤.

٣ المصدر السابق - الأبيات ٢٠٦٣ و ٢٠٦٤.

بعض الملاحظات العامة فيما يتعلق بالأسئلة الأربعة

١ . لابدّ من مراعاة التدريج في الأمور التي ذُكرت.

٢ . التراجع في مجال العبادات أمر غير مقبول أبداً، بل لابدّ من الحفاظ على النتائج التي يصل إليها المرء في طريقه نحو الكمال، وإلا قد يتطلب الأمر الإعادة من جديد.

٣ . لا توجد مرتبة وسطى بين الإيمان والكفر، فإمّا أنْ يكون الشخص مؤمناً أو كافراً، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾[١]، وعليه لا تهاون في أي مبدأ مما ذكر.

٤ . يقسم الجاهل - نظرياً - إلى جاهل قاصر ومقصّر، أمّا عملياً فلا وجود للجاهل القاصر مع كلّ هذا التطوّر العلميّ، وحركة التبليغ الواسعة.

وعندما كنت في خدمة أحد أساتذتنا وكنّا نتكلم في أنّه لا يوجد في عصرنا جاهل قاصر، ذكرت له: هل أنَّ السبب هو التطوّر العلميّ بوجود التلفزيون والإنترنيت والقنوات الفضائية وسعة حركة التبليغ؟ فقال: ليس هذا فقط ولكن عندما قامت الثورة الإسلامية في إيران ذاع صيتها وصيت القائم بها، وشاهد كلّ الناس صورة الإمام الخميني رحمه الله حيث أنَّ شكله بهذه الهيئة والملابس(أي العمامة والرداء)صار سبباً للسؤال: من هذا؟ والى أيّ دين ينتمي؟ وأيّ مذهب؟ وماذا فعل؟ ولماذا العمامة السوداء؟ وأيّ طريقة سلك في فعله هذا؟ فصار حجة على كلّ الناس، ولعمري هكذا يكون نائب الإمام وممثله.

وهذا أشبه بوصية الإمام الباقر عليه السلام لولده الإمام الصادق عليه السلام حيث أعطى له مبلغاً من المال ليستأجر له نوادب يندبنه في منى لعشر سنوات، لما في ذلك من الجنبة الإعلامية

---

١ سورة البقرة الآية ٨٥.

لمعرفة حقّ أهل البيت عليهم السلام ومظلوميتهم واختار موسم الحج لاجتماع الناس، ومنى لأنّ فيها مبيت الحجيج، ممّا يسنح الفرصة للسؤال والإستفسار.. هكذا هو التفكير والسياسة الإسلامية.

٥ . ورد في الأثر ﴿أخوك دينك فاحتط لدينك﴾[١]، فأُخوَّة الدين ثابتة لنا، وقد أعطى دلّ حقوق الأُخوَّة، لكن أُخوَّتنا للدين ليست بثابتة، فلم يرد نصّ بأنَّنا أُخوَة للدين، ولكي نثبت أُخوَّتنا للدين ونعطيه حقوقه فلابدّ من الإحتياط.

٦ . أنَّ المقصود من الكراهة في مجال العبادات ليس هو المبعدية لأنَّه يتنافى مع كونها عبادية يؤتى بها على وجه القربة، وإنَّما المقصود منها هو قلة الثواب.

وعليه فالكراهة في المأمور به تعني قلة الثواب، وفي غير المأمور به(أي غير الأمر العبادي)فالكراهة تعني المبعدية.

ومثال الأول: كراهة الصلاة في الحمام، فإنَّ فيها قلة ثواب ولا تُتَصور المبعدية لأنَّ الصلاة مقربة.

ومثال الثاني: كراهة النوم على الجنابة، حيث أنَّ النوم ليس من الأمور العبادية، فالنوم على الجنابة فيه مبعدية عن ساحة الحق.

١ وسائل الشيعة – الحرّ العامليّ – ج ٢٧، باب وجوب التوقف والإحتياط في القضاء والفتوى.

المرحلة الثانية

التـــــوبة

التوبة

قبل كلّ شيء لابدّ للإنسان أنْ يعترف أمام الله عزّ وجلّ بأنَّه مذنب - ولو بدرجة من الدرجات - لأنَّ هناك الكثير ممَّن يشعر بأنَّه ليس بصاحب ذنب، فهو يأبى أنْ يعترف به، بل يقول: من أين يأتي الذنب وأنا أراقب نفسي في كلّ حركة وسكنة؟!.

ومثل هؤلاء نقول لهم:

انّ الذنوب يمكن أنْ تُذكر لها أنواع، والتوبة تكون من كلّ ذنب بحسبه:

١ . **إرتكاب المعصية:** ولها توبة بحسبها، وهي الإقلاع عن تلك المعاصي وعدم العود اليها مرة ثانية، قال تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

٢. **الهمّ بفعل المعصية والتفكير فيها:** فإنَّها ذنب ولها توبة أعلى رتبة من الأولى[2]، وهي أنْ يترك حتى الهمّ لفعل المعصية والتفكير فيها، بمعرفة أنَّ الله عزّ وجلّ وصاحب العصر عليه السلام مطّلعون حتى على تفكيره فيستحي أنْ يكون في حكومة من يعلم إنَّه مذنب.

---

١ سورة النساء الآية ١٧.

٢ قال تعالى:﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ ﴾[سورة البقرة الآية ٢٨٤]. و قد اختلف المفسرون في تفسير(أو تخفوه)لأنَّها تتعارض مع بعض النصوص التي تذكر بأنَّ العقاب على ما وقع من فعل الإنسان لا على ما يسرّه في نفسه، فالمحاسبة فرع وقوع الذنب وهو مندرج تحت مفهوم(إنْ تبدوا)لا مفهوم(أوتخفوه). وقد ذكرت بعض الإجابات، إلا أنَّ مقتضى التحقيق هو: إنَّ الله سبحانه يُحاسب على الذنب الخفيّ لأنَّ التفكير بالذنب دلالة على خبث السريرة، أمّا كيفية المحاسبة فهو أنْ يجعل بعض الناس - كالعرفاء، بل وحتى بعض المؤمنين من أصحاب النفوس الصافية - يعرفون ذلك في وجوههم فيبدو لهم حقيقة عمله على صورته الحقيقية.

وتوجد قصة لطيفة في هذا الصدد منقولة عن السيدين الجليلين الرضي والمرتضى قدس الله سرهما، وملخصها: أنَّ مكتبة لهما تقاسماها بالإرث، وبقي كتاب واحد وأراده كلّ منهما، فاقترح الشريف الرضيّ أنْ يكون لمن لم يذنب طيلة حياته، لكن الشريف المرتضى إقترح إقتراحاً آخر بأنْ يكون الكتاب لمن لم يذنب ولم يفكر بالذنب أبداً، فصار من حصة الشريف المرتضى قدس سره.

٣ . **القصور في معرفة الله سبحانه وتعالى:** بمعنى أنَّنا هل عرفناه سبحانه وتعالى حق معرفته؟.. وهل عرفنا ما هي صفات الجمال والجلال ومظهريتها؟ أو لسنا بحاجة إلى أنْ نعرفه ببرهان الصدّيقين[1] لا بالبرهان الإنّي الذين يستدلون بالآثار المحتاجة له سبحانه؟..

والإمام الحسين عليه السلام ينتقد هذه الطريقة(البرهان الإني)في المعرفة حيث يقول في دعائه:
﴿كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بما هُوَ في وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إلَيْكَ أيَكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ ما لَيْسَ لَكَ حَتّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهِرَ لَكَ مَتى غِبْتَ حَتّى تَحْتاجَ إلى دَليل يَدُلُّ عَلَيْكَ وَمَتى بَعُدْتَ حَتّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتي تُوصِلُ إلَيْكَ عَمِيَتْ عَيْنٌ لا تَراكَ عَلَيْها رَقيباً وَخَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْد لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصيباً إلهي أمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إلى الآثارِ فَارْجِعْني إلَيْكَ بِكِسْوَةِ الأنْوارِ وَهِدايَةِ الإسْتِبصارِ حَتّى أرْجِعَ إلَيْكَ مِنْها كَما دَخَلْتُ إلَيْكَ مِنْها مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ إلَيْها وَمَرْفُوعَ الْهِمَّةِ عَنِ الإعْتِمادِ عَلَيْها إنَّكَ عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ﴾[2].
أَوَ ليستْ عدمَ المعرفةِ ذنوباً[3] ؟!...

---

١ الذي ذكره الإمام الحسين عليه السلام في نفس دعاء عرفة، حيث يقول:﴿بك عرفتك ...﴾ وأيضاً يذكره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح. حيث يقول: ﴿يا من دلّ على ذاته بذاته .. ﴾ لا بآثاره.

٢ مفاتيح الجنان / دعاء عرفة .

٣ وما أحسن ما جاء في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام :﴿اللَّهُمَّ إنِّي أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِنْ جَهْلِي وأسْتَوْهِبُكَ سُوْءَ فِعْلِي فَاضْمُمْنِي إلَى كَنفِ رحْمَتِكَ تَطَوُّلاً وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تفضُّلاً. اللَّهُمَّ وَإنِّي أتُوبُ إلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إرادَتَكَ أوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي وَلَحَظَاتِ عَيْنِي وَحِكَايَاتِ لِسَانِي تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَة عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تبعاتِكَ وَتَأْمَنُ مِمَّا يخافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أليِمِ سَطَوَاتِكَ﴾ [الصحيفة السجادية ـ الدعاء ٨٠].

وأيّ ذنب أذنبه رسول الله ﷺ حينما قال تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1]؟!.

إنه من مختصات أهل الله الذين يعبدون من يعرفون، وتوبته السعي لبلوغ تلك المرتبة من المعرفة. إذن نحن مذنبون لكن كلّ بحسبه[2].

وإذا كان الذنب موجوداً فيأتي الكلام في التوبة...

وهنا لابدّ من بيانها عن طريق عدّة نقاط:

١ . **تعريفها:** وهي ترْك المعاصي في الحال[3]، والعزم على تركها في المستقبل، وتدارك ما كان قد ارتكبه[4] في المستقبل[5] ونشر بسط الوفاء[6].

---

١ سورة الفتح الآية ٢.

إختلف المفسرون في تفسير الذنب الوارد في الآية، وبعضها – كتفسير الذنب بذنوب أمته، أو ترك الأولى – لا وجه له. وذنب القصور عن معرفة الله سبحانه – الذي هو تفسير الذنب – كان من الأمور التي تقضّ مضاجع المعصومين عليهم السلام، فالنبي الأكرم ﷺ يعتبر نفسه مذنباً لأنه لم يعرف الله عزّ وجلّ حق معرفته، مع أنّه لا يعرفه إلا هو وعلي عليه السلام وكتب أدعيتهم مشحونة بذلك، ولعلّه ذهب لهذا التفسير الشيخ الملكي التبريزي قدس سره.

٢ إنّ العاكف على الذنب ولو كان صغيراً لا استعداد له للسير في هذا السفر الذي يحتاج في أصله أنْ يكون المسافر فيه مقبولاً لدى مولاه.. فإنّ النجاح في هذا الطريق يتوقف على النفحات الإلهية الآخذة بيد العبد، وهي لا تتأتّى لمن يتعرض لسخط مولاه.... ومن المعلوم أنّ الذنب – وإنْ كان صغيراً – إلا أنّ من أذنبنا بحقه كبير، بما يجعل المعصية بين يديه سوء أدبٍ عظيم، يوجب الخجل والوجل بعد الإلتفات إليه.. ومن هنا كان ديدن جميع من سلكوا هذا الطريق هو الإستغفار المتواصل لتجديد العهد بالرب الذي ما عرفناه حق معرفته وماعبدناه حق عبادته.. وأمّا استغفار الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنّما هو لإظهار التذلل والتعظيم.

٣ وإلا لم تكن توبة حقيقية، بل كانت كذباً و خداعاً.

٤ من حقوق لله سبحانه أو للناس، فيجب إرجاع إلى كلّ ذي حقّ حقه. فلو كانت عليه صلوات فائتة قضاها، أو في ذمته أموال للناس أدّاها.. وهكذا.

٥ إنْ كانت الحقوق التي في ذمته لا تقتضي الفورية، وإلا وجب أداؤها فوراً ففوراً مع الإمكان.

٦ بالتوبة لله سبحانه، ومعاهدته بقلب خالص على الإتيان بها.

٢ . **وجوبها**: ولا شكّ في وجوبها، للآية الكريمة: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[١] فَفِعلُ الأمر(توبوا)ظاهر في الوجوب، ولا توجد قرينة تصرفه إلى الإستحباب، وهو مطلب واضح لمن مارس الإستدلال ودرس علم الأصول.

٣ . **فوريتها**: يمكن الإستدلال على فوريتها بالرواية التالية: عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإنْ تاب انمحت وإنْ زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يُفلح بعدها أبداً﴾[٢]. فهو كشارب السمّ إذا لم يبادر مباشرة لعلاجه وإزالة تأثيره فإنّه يموت في الحال، مع ملاحظة أنَّ موت البدن أهون من موت النفس، إذ ميت البدن قد يُحرز الآخرة ونعيمها، أمّا ميت النفس فقد خسر الدنيا والآخرة.

٤ . **حسن الظنّ بالله**: فلا ينبغي أنْ يصيبنا اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه، فإنَّ (كلّ ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون) فلا داعي للحياء من الإعتراف بالخطيئة بعد ما ذكرناه من أنَّ معظم الناس مشترك بالذنب، غاية الأمر أنَّ الذنوب عند الأشخاص كلّ بحسبه.

فها هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وهو المعصوم الأول - يقول: ﴿ إنه لَيُغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرّة﴾[٣].

---

١ سورة النور الآية ٣١.

٢ شرح أصول الكافي المولى محمد صالح المازندراني ج ٩ ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

٣ رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام - السيد علي خان الشيرازيّ ج ٢ ص ٥٧٣.

ومولانا زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام يقول في دعائه: ﴿ هَذا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أيْدِي الذُّنُوبِ وَقَادَتْهُ أزِمَّةُ الْخَطَايَا وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً وتعَاطى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَعْزِيراً ... ﴾[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: ﴿ إذا كان يوم القيامة جيء بعبدٍ فيؤمر به إلى النار فيلتفت، فيقول الله سبحانه وتعالى: ردّوه فلما أُتي به قال له: عبدي لِمَ التفتَّ إليَّ؟ فيقول: يا ربِّ ما كان ظنّي بك هذا! فيقول الله جلّ جلاله: فما كان ظنّك؟ فيقول: يا ربِّ كان ظنّي بك أنْ تغفر لي وتسكنني برحمتك جنتك! قال: فيقول الله جلّ جلاله: يا ملائكتي، وعزتي وجلالي، وآلائي وبلائي، وارتفاعي في مكاني، ما ظنّ بي هذا ساعة من خير قط، ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنة ﴾[٢].

٥ . قلع جذور الذنب: فلا سبيل إلى الوصول إلى التوبة الحقيقية إلا بقلع جذور الذنب، وليس إزالته من على ظاهر القلب فقط، لأنَّ في الجذور إمكانية النمو مرّة ثانية. يروى أنَّ أحد أنبياء بني إسرائيل سأل الله تبارك وتعالى قبول توبة عبد من عباده بعد أنْ أجهد هذا العبد نفسه في العبادة لسنين عديدة، فأتاه الجواب: ﴿وعزّتي لو شفع فيه أهل السماوات والأرض لن أقبل توبته مادامت في قلبه حلاوة الذنب الذي تاب منه ﴾[٣].

---

١ الصحيفة السجادية – الدعاء ٣١.

٢ الجواهر السنية في الأحاديث القدسية للشيخ الحر العاملي – ص٢٧٠.

٣ ثواب الأعمال للشيخ الصدوق / ص١٧٣.

ومن هنا قيل بوجوب إذابة اللحم الذي نبت على الخطيئة، وسنتعرّض لهذا عند ذكر كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الإستغفار. إذن لابدّ أنْ يستقبح الفعل الذي فعله، وأنْ لا يذكره إلا وهو يحسّ بمرارته[1]، ويشجّ رأسه بفأس الندم ليسيل الدم الذي أفسده ارتكاب المعصية على لحيته الإدعائية.

ومن هناك كانت تلك المسألة في الحجّ، وهي أنّه عندما يواقع الرجل زوجته في الحجّ وهما مُحْرمان فإنّ حجهما باطل، ويحجّان من قابل، ولكن عندما يصلان إلى المكان الذي عصيا فيه فإنّهما يفترقان لئلا يتذكرا المعصية في السنة الماضية لاحتمال عودهما لها.

٦. **تبديل أرضية النفس:** بمعنى أنّه في بعض الحالات لا يكفي قلع جذور الذنب فقط لأنّه قد يكون السبب هو إنّ أرض نفسه مهيأة لنمو ونبات مثل هذه الأمراض، خاصة مع إحتمالية بذور وبثور صغيرة غير ملحوظة في أرض النفس مما يجعلها تنمو مرة أخرى فيقع الإنسان في المعاصي، وعلى هذا فمن المهم جداً تبديل تربة النفس بتربة جديدة حرة غير مزروع فيها من قبل وتعني بذلك رجوع الإنسان إلى فطرته السليمة بحيث تتبدل حقيقته وصورته الملكوتية من حالها السابقة إلى حالة جديدة طاهرة نقية.

---

١ ومن هنا نعرف أنّ الذين تابوا وهم يتمنّون الرجوع إلى المعصية أو يتذكرون حلاوتها ويستمتعون بذلك أنّ توبتهم غير خالصة ولا حقيقية فعليهم أنْ يراجعوا أنفسهم.

وهذا أمر ليس بالسهل ويحتاج إلى مقدمات وهي مرتبة:

١- أنْ يعلم ويعتقد بانَّها فاسدة وتحتاج إلى تبديل.

٢- أنْ يجعل له شخصاً كاملاً يبدل له تلك التربة فهو لا يستطيع تبديلها من تلقاء نفسه.

٣- أنْ يوفر البديل ويسميه ويعمل على إيجاده وأنْ لا يخطيء في إختياره.

٤- أنْ يعرف كيفية التبديل باتفاق بينه وبين من سيقوم بتلك العملية(المرشد)وله حق المشورة على ذلك المرشد دون شيء آخر.

وهنا فروع

أ- معرفة قبح المعصية و إدراك أنَّ اللذة التي ذاقها ليست بلذة حقيقية، بل هي من تسويل الشيطان.

ب- أنَّ الدنيا عجوز متزينة، إذ أنَّ واقعها عجوز ولا يرغب أحد الزواج من عجوز، لكنّها أخفت حقيقتها بالزخارف والتزيّن فهي لا تنطلي إلا على الغافلين الذين ذهب عقلهم عندما رأوا ذؤابتها النتنة.

ويتفرع على هذه النقطة: ترك جميع أصحاب السوء الذين كان يرتكب معهم تلك المعاصي لما في ذلك من أثر بليغ.

ولابدّ من التنبيه على أنَّ مسألة قلع الذنب من رأس، لا تلازم رفع القوة الشهوية أو الغضبية وما إليهما أصلاً، بل عليه تهذيب هذه القوى كما أمر الشارع المقدّس، فلا إفراط ولا تفريط.

ذكر المحقق النراقي في كتابه جامع السعادات: ﴿ثمّ المراد من التغيير ليس رفع الغضب والشهوة مثلاً وإماطتهما بالكلية فإنَّ ذلك محال لأنَّهما مخلوقتان لفائدة ضرورية في الجبلة، إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالكلية لم يدفع عن نفسه ما يهلكه ويؤذيه وامتنع جهاد الكفار، ولو انعدم عنه شهوة الطعام لم تبقَ حياته، ولو بطل عنه شهوة الوقاع بالمرة لضاع النسل، بل المراد ردهما من الإفراط والتفريط إلى الوسط فالمطلوب في صفة الغضب خلو النفس عن الجبن والتهور، والإتصاف بحس الحمية، وهو أنْ يحصل إذا استحسن حصوله شرعاً وعقلاً، ولا يحصل إذا استحسن عدمه كذلك. وكذا الحال في صفة الشهوة﴾[1].

٧ . **أنْ يعرف بأنَّ الله تعالى يغفر الذنب:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[2] ما عدا الشرك، وأنَّه تعالى يغطي على العبد وينزع من أذهان الناس أنَّه مذنب، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له كما شهد بذلك النصّ[3]، بل رُوي أنَّه تعالى يستر على العبد ولا يجعل أحد يعلم بأنَّه أذنب.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: ﴿ما من مؤمنٍ إلا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله، فعند ذلك تراه الملائكة فيصلون ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرخى الله على مثاله ستراً لئلا تطلع الملائكة عليها﴾[4].

---

١ جامع السعادات – محمد مهدي النراقي ج ١ ص ٤٨و ٤٩.

٢ سورة الزمر الآية ٥٣.

٣ جاء في الخبر: ﴿التائب من الذنب كمن لا ذنب له﴾ الوسائل ب ٤٨ ح ١ من أبواب جهاد النفس ج١١ ص ٢٦٨.

٤ مفتاح الفلاح للشيخ البهائي ص ١٥٦.

ولابدّ أنْ نعلم أنَّ الله حليم(لا يرتب أثراً)وكريم(لا يدقق في الحساب)، وكما جاء في دعاء الإفتتاح ﴿ الحمد لله على حلمه بعد علمه .. ﴾، وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿ وَيامَنْ عَفْوُهُ أكْثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ وَيامَنْ رِضَاهُ أوْفَرُ مِنْ سَخَطِهِ وَيامَنْ تَحَمَّدَ إلى خَلْقِهِ بحُسْنِ التَّجاوُزِ وَيَامَنْ عَوَّدَ عِبادَهُ قَبُولَ الإنَابَةِ وَيَامَنِ اسْتَصْلَحَ فَاسِدَهُمْ بالتَّوْبَةِ ﴾[1].

٨ . **معرفة من عصى**: وبالمقابل لابدّ أنْ يُدرك من عصى وعلى من إجترأ، نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي: ﴿ أنَا الَّذي عَلى سَيِّدِهِ اجْتَرى، أنَا الَّذي عَصَيْتُ جَبّارَ السَّماءِ ﴾، إنَّ الشخص المذنب يعصي جبار السموات والأرضين، الذي يعلم السرّ وأخفى[2].. إنَّه يعصي على أرضه مع أنَّه يأكل رزقه ويتنفس هوائه؟.

ولا يعتقد المذنب أنَّ عدم تعجيل العقوبة له وإمهاله هو لضعف فيه – حاشاه – وإنَّما هي فرصة يعطيها الربّ لعبده كي يرجع إلى الطريق المستقيم[3].

---

١ الصحيفة السجادية / الدعاء ١٢.

٢ لو يعلم الإنسان علم اليقين بأنَّ الله سبحانه مطّلع على أعماله صغيرها وكبيرها، لاستحى منه أنْ يفعل معصية بحضرته كما يستحي من أنْ يفعل فعلاً قبيحاً بسيطاً أمام أيّ أحد من الناس.

٣ جاء في الدعاء: ﴿ وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ أَناتُكَ عَنّي وَإبْطآؤُكَ عَنْ مُعاجَلَتِي وَلَيْسَ ذلِكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ بَلْ تَأنِّياً مِنْكَ لِي وَتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ لأنْ أرْتَدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسْخِطَةِ وَأُقْلِعَ عَنْ سَيِّئـاتِي الْمُخْلِقَةِ وَلأنَّ عَفْوَكَ عَنّي أحَبُّ إلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي ﴾[الصحيفة السجادية – الدعاء ١٦].

٩ . **وقوع التوبة في محلّها:** قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

فالتوبة لا تُقبل إلا إذا صدرت من قلب خالص غير عازم على العود إلى الذنب مرّة أخرى. فلا يؤخر توبته إلى حين كبر سنه، ونهاية عمره.. فإنَّ التوبة حينئذٍ يمكن أنْ تردَ لأنَّ المقتضي للعصيان في بعض الذنوب مفقود حينها، كما لو كان يُكثر من النظر المحرم إلى النساء الأجنبيات في شبابه، وعند ذهاب نور بصره في كبره فإنَّه يُعلنها توبة ما بعدها توبة!!.

حقيقة التوبة

أمّا حقيقة التوبة فهي بإجماع علمائنا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه الذي يُروى عنه أنَّه عليه السلام قال لمن قال بحضرته أستغفر الله: ﴿ ثكلتك أمك، أتدري ما الإستغفار؟ إنَّ الإستغفار درجة العلّيين، وهو إسم واقع على ستة معانٍ: أولها الندم على ما مضى. والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث أنْ تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله ليس عليك تبعة، والرابع أنْ تعمد إلى كلّ فريضة ضيعتها فتؤدي حقها. والخامس أنْ تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس أنْ تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله ﴾[2].

---

[1] سورة النساء الآية ١٨.

[2] وسائل الشيعة(الإسلامية)ج١١ الباب ٨٧ من أبواب جهاد النفس الحديث ٤ من كتاب الجهاد ص٢٦١.

(بعد تحقق هذه الأمور في كلام أمير المؤمنين عليه السلام يكون التائب تائباً فعلاً وله أنْ يقول: (أستغفر الله)، وتوضيح هذه الأمور ما يلي:

أ - **الندم على ما مضى:** وهذا يتحقق بالولولة واللوم وكثرة الأدعية التي فيها الإعتراف بالذنوب[1] وذكر الذنوب والشعور بالفقر والخجل أمام ساحة الباريّ جلّ وعلا.

ب - **العزم على عدم العوْد إليه أبداً:** وهي قضية صعبة في بداياتها، لأنَّ الأمر الراسخ في النفس يكون من الصعب الإتيان بعزم يخالفه، لكن من الممكن تذليل هذه الصعوبة بأمرين:

١ - الدعاء وطلب العون منه تعالى على ذلك، والتوسل بالمعصومين عليهم السلام.

٢ - توفير مقتضيات عدم العود، أو فقل: رفع أسباب العود، ويوضّح ذلك ما ذُكر من النقاط السابقة.

ج - **أنْ تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم:** والحقوق مطلقاً على قسمين: منها ما يختصّ بالخالق جلّ وعلا كالعبادات. ومنها ما يختصّ بالمخلوقين. والثاني على قسمين أيضاً: حقوق مادية كالأموال والديات، وأخرى معنوية كالسبّ والقذف والتطاول بجرح مشاعرهم.

فترى طبيعة الذنب الذي قمت به وتنظر أي حقّ سلبت فيه، وتُفرغ ذمتك من أيّ شيء للغير تكون مشغولة به، لقاعدة الإشتغال اليقينيّ يستدعي الفراغ اليقينيّ. أي: لابدّ أنْ تراعي الإحتياط هنا وتميل على نفسك فيه لا على غيرك تحصيلاً لفراغ الذمة.

---

[1] كمناجاة التائبين، ودعاء في ذكر التوبة وطلبها الواردين في الصحيفة السجادية.

د – أنْ تعمد إلى كلّ فريضة ضيّعتها فتؤدي حقها: وهنا يجب قضاء ما فات من الواجبات الشرعية من جهة، والإلتفات إلى صورتها الملكوتية المعنوية، وما أكثر الفرائض التي ضيّعناها، وإنْ لم نكن قد ضيّعنا أصل وجودها فجزماً ضيّعنا حقها. عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تكتب الصلاة على أربعة أسهم: سهم منها إسباغ الوضوء، وسهم منها الركوع، وسهم منها السجود، وسهم منها الخشوع. قيل: يا رسول الله، وما الخشوع؟ قال: التواضع في الصلاة، وأنْ يقبل العبد بقلبه كلّه على ربه عزّ وجلّ، فإذا هو أتمّ ركوعها وسجودها وأتمّ سهامها صعدت إلى السماء لها نور يتلألأ، وفتحت لها أبواب السماء تقول: حافظت علي حفظك الله، وتقول الملائكة: صلى الله على صاحب هذه الصلاة. وإذا لم يتمّ سهامها صعدت ولها ظلمة، وغلق أبواب السماء دونها وتقول: ضيعتني ضيعك الله وضرب بها وجهه﴾[1].

هـ – أنْ تعمد إلى اللحم الذي نبت على الخطيئة فتذيبه: لأنَّه من أمر الشيطان وإمتثالاته وطاعاته، لكي لاتتذكر المعاصي والوقوع فيها، وتذيق نفسك مرارة جهد الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، ولا تُنَمِّهِ أكثر لأنَّه لغير الله. وهذا اللحم أمّا الذي ربى وزاد وأنت على المعصية فهو شيطاني، أو ما كان من مال الحرام وهو شيطاني أيضاً. فعدم إذابته يعني توفر أرضية للشيطان وحكومته وبالتالي المعاصي.

---

١ الصلاة في الكتاب والسنة للشيخ محمد الريشهري ص ٤٧.

و - **أنْ تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية:** وهذا يكون بالرياضات وكثرة الدعاء والتهجد في الليل والسهر الطويل وعدم الإستقرار أبداً، والذهاب مشياً إلى كربلاء حيث حرم الإمام الحسين عليه السلام ،وصيام الصيف والجهاد في سبيل الله، وفعل كلّ منافيات النفس الأمّارة ضمن حدود طاعته تعالى.

فعند ذلك تستطيع الإستغفار حقيقة وتُقبل توبتك، و إلا فدون نيلها جراب النورة أو خرط القتاد .

سؤال وجوابه

سؤال/ لو أتقن العبد المراحل السابقة ثمّ أذنب، فهل معنى ذلك أنّه خرج عن طريق السلوك وليست له عودة أبداً؟.

الجواب/ إنَّ الزلل الحاصل من الغفلة أو السهو لا ينبغي أنْ يبعث اليأس في نفس السالك، فإنَّ القلب كثير التقلب بطبيعته، والله تعالى يحب التوّابين كما يحب المطّهرين، وقد شبَّهت بعض الروايات المؤمن بالسنبلة التي تخرّ تارةً وتستقيم أخرى. ومن المعروف عند أهل المعرفة أنَّ حركة العبد التكاملية بعد كلّ إنابةٍ وتوبةٍ، قد تشتدّ لتكون سبباً لتعويض المراحل التي خسر في طيّها عند الغفلة أو الشهوة.

ولكن لابدّ أنْ يُنتبه إلى قضية مهمّة وهي أنّه في رجوعه إلى الذنب قد كسر عدالته - أي ملكته في ترك المخالفات - فإذا تكرر منه ذلك وهذا يعني كسر زجاجة النفس الشفافة لم تبق له صفحة ينقش فيها صور حقائق الأشياء.

تتمة

بعض الأمور المساعدة على التوبة

١ . **الإكثار من قول(يا أرحم الراحمين)**: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿كان أبي إذا لجّت به الحاجة يسجد من غير صلاة ولا ركوع ثمّ يقول: يا أرحم الراحمين، سبع مرات، ثمّ يسأل حاجته. ثمّ قال: ما قالها أحد سبع مرات إلا قال الله تعالى: ها أنا أرحم الراحمين. سل حاجتك﴾[1].

لكن ينبغي التركيز على أنّ الآثار إنّما تابعة للمعاني(الوجود الحقيقيّ)دون اللفظ الذي يعطي البركة فقط. فالتركيز على اللفظ فقط دون المعنى يعطي البركة فقط دون الآثار، فقول يا أرحم الراحمين لابدّ من استحضار معناه ووجود الراحم فيه وإلا فمجرد اللفظ لا أثر له وهذه قضية سيّالة تجري في جميع الأدعية والأذكار.

٢ . **الإكثار من الإستغفار**: والمداومة عليه، من مثل: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه. قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[3].

---

١ وسائل الشيعة(آل البيت)- الحرّ العامليّ ج ٧ ص ٨٨.

٢ سورة الأنفال الآية ٣٣.

٣ سورة نوح الآيات(١٠ ـ ١٢).

٣ . **غسل التوبة وصلاتها**: فيأتي بالوضوء بعد الغسل، ثمّ صلاة أربع ركعات، وفي كلّ ركعة يقرأ الحمد والتوحيد(ثلاث مرات)والمعوذتين(مرة واحدة)، وبعد السلام تقول: أستغفر الله(سبعين مرة)، وليكن خاتمتها(لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم)، ثمّ تقول(ياعزيز ياغفار إغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت). والأفضل أنْ يتصدق قبل هذه الصلاة ولو بشقّ تمرة، والأفضل أيضاً أنْ تكون في مكان خلوة(كالصحراء مثلاً)لكي لا يسمع أحد أنين وبكاء التائب، وأنْ يجلس على التراب، ويتذكر معاصيه واحدة تلو الأخرى.

٤ . **اللوذ بسيد الشهداء** عليه السلام: لكي يشفع له عليه السلام في غفران ذنوبه. والروايات الواردة في فضل زيارته عليه السلام كثيرة جداً، منها: ﴿ إنَّ الله ينظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام نظر الرحمة في يوم عرفة قبل نظره إلى أهل عرفات ﴾[١].

هذا إضافة إلى ما ورد من أنَّ الله عزّ وجلّ قد وكّله عليه السلام لغفران ذنوب شيعته، إذ أنَّ لكلّ إمام وظيفة غير وظيفته الإلهية.

٥. **طلب العون من صاحب العصر** عليه السلام: الذي هو الإمام المباشر لنا، ومع أنّنا لا نراه إلا أنّنا نعيش في كنفه، وما هذا الوجود إلا رشحة من رشحات جوده صلوات الله وسلامه عليه.

---

١ المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة – السيد شرف الدين – ص ٥ .

وما أحسن ما قال الشاعر:

لآل محمـــد وجَّهــت وجهـــي   لأقــرع بــابهم بيــد رجــائي

أيــن يــذهب مــولى القــوم   إلا لســادته عنــد الــبلاء

ولنتوجه له عليه السلام ولنتوسل بالذي ينتظره.. والمنتظر الأول له عليه السلام هي فاطمة عليها السلام.

وليتذكر الشخص العاصي بأنَّ الإمام عليه السلام مطّلع على أفعاله وأفكاره أيضاً، فإذا كان يفكر في المعصية فهو يعلمها.. لذا ينبغي الإستحياء منه ومن وجوده الشريف ولا يعتبره أقلّ من أيّ إنسان آخر عندما يطلع على هذه الأفعال والنيات القبيحة.

المرحلة الثالثة

نفـــي الغفلـــة

نفي الغفلة

والكلام هنا في رفع موانع حاكمية العقل على النفس، ولكي تظهر حكومة العقل لابدّ من رفع جميع ما يغطي العقل، ويكبّل صلاحيته على النفس. والمرض الأبرز الذي يغطي على حاكمية العقل هو الغفلة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]. ويستلزم في البداية معرفة خطورة هذا المرض لكي يكون الإجتناب عنه أسرع وأدوم.

فنقول:

إنَّ الإنسان في بداية تكليفه يحاول الشيطان أنْ يكون له قرين سوء، ويُلبس عليه الأمور باطلها بحقها.. وهذا القرين ملازم له ولا يفارق أحداً إلا المخلَص[2] – بالفتح – لكنّه مع ذلك لا ينقطع طمعه في إغوائهم.

قيل: بأنَّ شخصاً مريضاً حضرته الوفاة، فطلبوا من عالم عارف في بلدته الحضور عند سريره وتلقينه، فعندما كان يشهد بوحدانية الله ويقول: لا إله إلا الله سمع صوتاً من زاوية الغرفة يقول: صدق عبدي، وعندما يقول المحتضر يا الله فإنَّ صوتاً ينبعث من زاوية الغرفة يقول: لبيك عبدي. فقال ذلك العالم الزاهد: من أنت؟ فقال: أنا معبود هذا الشخص، فقد كان يعبدني طول عمره، أنا الشيطان!!.

أجل، فالحقيقة هي أنَّ ربّ هذا الشخص هو الشيطان، لذلك فإنَّه يقول لبيك، فقد كان طيلة عمره من الصباح إلى الليل يتحرك بأمر إبليس.. فلسانه بأمره، وعينه بميله،

---

١ سورة ق الآية ٢٢.

٢ قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة ص الآيات ٨٢ ـ ٨٣].

وقلبه بإرادته، فكان كلّ عمره على هذا الشكل، فالآن عندما يقول: يا ربّ، فهو يقول: يا شيطان، لأنَّه كان معبوده إلى آخر نفس، ولما ينكشف الحجاب يرتفع أنين ونداء: واحسرتاه عند ساعة الموت[١]، ولابدّ من معرفة خطورة وجود جذور الذنب وحلاوته في القلب، كما نبهنا عليه في المرحلة السابقة.

قيل: إنَّ رجلاً عبد الله سبعين سنة كان جزاؤه دخول النار، لأنَّ الظاهر أنَّ عدم فعل الحرام لم يكن لخوف من الله سبحانه بل لوجود مانع من جار، أو سقوط سمعة وما إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٢].

ينقل الشهيد دستغيب في كتابه الإستعاذة: ﴿ إنَّ أحد العلماء أمسك القلم وأخذ يكتب كتاباً في مصائد ووساوس الشيطان، وتخويف الناس من الوقوع في مصائده. ففي ذلك الوقت رأى أحد الأخيار الشيطان في عالم الرؤيا والمكاشفة وقال له: أيها الملعون ها هو الشخص الفلانيّ يفضحك الآن ويكشف خداعك للناس. فضحك الشيطان وقال: إنَّه يكتب هذا الكتاب بأمر مني! فقال: كيف يمكن ذلك؟ فقال الشيطان: لقد وسوست في قلبه بأنَّك إنسان عالم فأظهر علمك، وقد جعل اسم كتابه: ردّ الشيطان، وهو لا يعلم أنَّه إظهار للنفس واستعراض للعلم في الحقيقة ﴾[٣].

---

١ الإستعاذة / الشهيد دستغيب – ص ١١(بتصرّف).

٢ سورة النور الآية ٣٩.

٣ الإستعاذة / الشهيد دستغيب ص ٣٠.

فلابدّ من كشف هذا القرين في الدنيا قبل أنْ تنتهي هذه الحياة، و إلا فلا يفيد عند الموت الحسرة ولا الندامة ﴿ وَإنَّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلاَ عَمَلَ ﴾[1].

مقوّمات رفع الغفلة

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾[2]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِمّا لاَبُدَّ مِنْهُ وَلاَ مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذلِكَ إلى غَيْرِهِ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لنفْسِهِ ﴾[3]. ولا يمكن رفع الغفلة إلا بتصديق - لا تصور - وتعقّل وتطبيق خمس مقدمات، فالعلم بها مجرّداً لا يكفي بل هو مضرّ أكثر ممّا ينفع، لأنَّ العلم وحده أغلظ الحجب ما لم ينضم إليه الإيمان.

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة٤٢.

٢ سورة سبأ – الآية ٤٦.

٣ نهج البلاغة/ الخطبة ١٥٣.

المقدمة الأولى

التصديق بأنّ الإنسان من عالم الأمر والملكوت

كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[١]، وقال أيضاً: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾[٢].

وقبل توضيح المطلب نحتاج إلى تقديم الكلام حول العوالم ونذكرها مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، ولكلّ عالم جنبة خاصة به:

١ - عالم الناسوت(عالم المادة): وهو عالم الدنيا الذي نعيش فيه.

٢ - عالم المثال(عالم الظلال، عالم الأشباح، عالم الأرواح، عالم الملكوت): وهو العالم المعبّر عنه أيضاً بعالم(ألست)إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[٣]، والذي يوجد فيه الناس جميعاً لكن بأرواحهم فقط(بدون مادة).

٣ - عالم العقل(عالم النور، عالم الأنوار، عالم الجبروت، عالم الوجود المطلق): وهو عالم الأنوار الأربعة عشر للأئمة المعصومين عليهم السلام.

---

١ سورة الإسراء الآية ٨٥.

٢ سورة الأعراف الآية ٥٤.

٣ سورة الأعراف الآية ١٧٢.

وهنا نريد أنْ نثبت أنّ الإنسان موجود مجرّد، مع الإقتصار على أقلّ البراهين العقلية.

١ – **دليل التجرّد الملكوتيّ**: عرفنا في المنطق أنَّ الكليّ موطنه الذهن، وينطبق على الأفراد الكثيرة التي تسمّى جزيئات ذلك الكليّ.

إنَّ كل موجود خارجي يُلحظ تارة بلحاظ هويته وأخرى بلحاظ ماهيته، أمّا هويته فهي وجوده الشخصي الخارجي وهو واضح.

وأمّا ماهيته فهي حقيقته الذهنية التي ذاتياتها الجنس والفصل.

وهذه الحقائق سابقة وجوداً على الوجودات الخارجية وهو الظاهر من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[1] حيث لا مادة، بل عالم المجردات.

وهذا ينفي إشكال أنَّ الكلي يجب انْ يكون منتزعاً من مجموع جزيئات، لأنَّ هذا الكلام إنّما يجري في عالم المادة والخارج، أمّا في عالم المجردات فلا، إذن هذه الدنيا عبارة عن محطة لابدّ أنْ نعبرها بسرعة وبسلام لنرجع إلى ما كنا عليه من تجرّد، كما قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء﴾[2].

إذن الإنسان مجرّد وليس بمادي، ولابدّ أنْ ننفي كلّ التشخصات المادية عنه تمهيداً للإنتقال من الجزئي إلى الكلي.

---

١ سورة الأعراف الآية ١٧٢.

٢ بحار الأنوار ج٦ ص٢٤٩.

٢ . **دليل التجرّد العقليّ**: العقل يُدرك الكليات، ولا حدّ لإدراكه(بالنسبة إلى المعلومات التي يمكن أنْ تعلم)والمعلومات التي يُدركها غير متناهية، فالعقل يستطيع أنْ يدركها، فإذا كان الفعل الصادر من الإنسان غير متناهي فيلزم أنْ يكون الإنسان غير متناهي أيضاً لوحدة السنخية، كما أنَّ الفعل الصادر من الله سبحانه غير متناه لأنَّه تعالى غير متناه.

فالإنسان موجود مجرّد لأنَّه يتعقّل المجرّدات، إذ كلّ عالم مجرّد وكلّ مجرّد عالم.

وقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه﴾[١]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿من عرف نفسه قد عرف ربه﴾[٢].

وهاتان الروايتان تدلان على إمكان المعرفة بل وقوعها، لأنَّ النصوص الشرعية قد أثبتتها. هذا وأنَّ معرفة النفس المجردة المستتبعة لمعرفة الباري تعالى أمر مشكك دلَّ

---

١ موسوعة العقائد الإسلامية للشيخ محمد الريشهري ج٣ ص٨٣.

٢ بحار الأنوار ج٢ ص٣٢. ولا بأس بإيراد ما ورد في شرح هذه الكلمات، فقالوا:

أ. نفس الشيء ذاته وهي التي يشير إليها كل أحد بقوله: أنا، يعنى من عرف نفسه بالإمكان والحدوث والعجز والإحتياج فقد عرف ربه بالوجوب والقدم. القدرة الكاملة والإحتياج إليه فمعرفة النفس دليل كاف في معرفة الله تعالى، فمن لم يعرف نفسه ولم يستدل بها على الصانع مع أنَّها أقوى الأدلة وأقربها فيكف يعرف ربه بدليل آخر؟!.

ب. قال بعض العلماء: الروح لطيفة لاهوتية في صفة ناسوتية، دالة من عشرة أوجه على وحدانية ربّانية: ١- لما حركت الهيكل ودبرته علمنا أنَّه للعالم من محرك ومدبر. ٢- دلت وحدتها على وحدته. ٣- دل تحريكها للجسد على قدرته. ٤- دلَّ اطلاعها على ما في الجسد على علمه. ٥- دل استواؤها إلى الأعضاء على استوائه إلى خلقه. ٦- دل تقدمها عليه وبقاؤها بعده على أزله وأبده. ٧- دل عدم العلم بكيفيتها على عدم الإحاطة به. ٨- دل عدم العلم بمحلّها من الجسد على عدم أينيته. ٩- دل عدم مسها على إمتناع مسه. ١٠- دل عدم إبصارها على استحالة رؤيته(بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٥٨ ص ٩٩ — ١٠٠).

ج . قال بعض الأكابر: إنَّ قول أمير المؤمنين عليه السلام ﴿من عرف نفسه فقد عرف ربه﴾ معناه أنَّه كما لا يمكن التوصل إلى معرفة النفس أعني الروح كذلك لا يمكن التوصل إلى معرفة الرب...(شرح أصول الكافي مولى محمد صالح المازندراني ج ٤ ص ١٢٠).

عليه(أفعل)التفضيل في الرواية الأولى، كما تعرف بأنَّ المعلوم مجرد وكذا العالم وهو دليل سوف نتمسك به على ملكوتية وجود الإنسان وتجرده.

وسيأتي إنْ شاء الله تعالى: إنَّ معرفة الله سبحانه تتمّ عن طريق أسمائه وصفاته التي هي ليست عين الذات التي مُنعنا من الكلام فيها.

الإنسان موجود أمريّ لا خلقيّ

أي أنَّه موجود ملكوتي لا ناسوتيّ

ويوضّح هذا الأمر ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه سئل عن الآية ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[1]، فقيل له: أنتم أيضاً واردوها؟ فقال عليه السلام: ﴿جزناها وهي خامدة﴾[2].

وهذه الرواية توضّح الوجود الحقيقي السابق لهذا الوجود بالنسبة لجميع الموجودات وبالأخص الإنسان.

هنالك توضيح لهذه الرواية ذكره الملا هادي السبزواريّ في شرح الأسماء الحسنى: ﴿لكون باطن الدنيا هو جهنم كان المراد بالورود على النار في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[3] هو الورود على الدنيا، ولذا حيث يُسئل عن شموله لهم عليهم السلام قال عليه السلام: ﴿جزناها وهي خامدة﴾ يعني لم ينشب فينا مخالب الدنيا ولم نقع في أشراكها ولم يتعلق بأذيالنا أيدي علايقها.

---

١ سورة مريم الآية ٧١.

٢ (علم اليقين)للفيض الكاشاني ج ٢ ص ٩٧١.

٣ سورة مريم الآية ٧١.

ومرادنا بكون جهنم باطن الدنيا والدنيا صورة جهنم وظاهرها أنَّه إذا فتشنا عن حال الدنيا وما دخل فيها بالذات لم يبق لها من هذا العالم المادي إلا الشرور والآفات والحدود والقصاصات ﴾[١].

وبعبارة أخرى: إنَّ الأئمة عليهم السلام عبروا الدنيا ولم يتعلقوا بها(وهي خامدة)فمن لم يجزها وهي خامدة وقع فيها وهي ملتهبة، لأنَّه تعلق بالدنيا.

روى الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿لولا تكثير في كلامكم وتمريج في قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع﴾[٢]. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت﴾[٣].

وبذا يثبت تجرد الإنسان وإنَّ ما وراء هذه الوجودات الشخصية وجودات تكون هي الوجود الحقيقي وهو محطّ الإهتمام والإعتبار.

---

١ شرح الأسماء الحسنى الملا هادى السبزواري ج ١ ص ٣٠ – ٣١.

٢ تفسير الميزان السيد الطباطبائي ج ٥ ص ٢٧٠.

٣ بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٧ ص ٥٩.

المقدمة الثانية

التصديق بأنّ الإنسان المجرّد باقٍ لا زوال له

قال تعالى: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾[1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴾[3] وغيرها، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ما خلقتم للفناء، بل خلقتم للبقاء﴾.

ولإثبات هذه المقدمة نتمسّك بأسد البراهين، وهو برهان التضايف، بأنْ يقال: إنَّ في البين يوجد معشوق ومعبود ومعروف، فلابدّ من وجود عاشق وعابد وعارف.

لا شكّ ولا شبهة أنَّ الموجود يُقسم إلى موجود واجب وآخر ممكن، والإنسان من سلسلة الإمكان، وأشرف أفراد الإنسان هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين، وقد أثبتنا برهان ذلك في شرحنا لدعاء السمات في مبحث الإسم الأعظم.

وتوجد علاقة بين أشرف الممكنات وواجب الوجود، وهي علاقة المضايفة من عدّة جهات، ويوضّح هذه العلاقة دعاء بعد زيارة الإمام الجواد عليه السلام، ومناجاة أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان وفقرات كثيرة من دعاء عرفة وغيرها.

---

١ سورة الواقعة الآيات ٦و٧.

٢ سورة الفجر الآيات(٢٦ ـ ٣٠).

٣ سورة الصافات الآية ٤٦.

﴿اللهم أنت الرب وأنا المربوب، وأنت الخالق وأنا المخلوق ... ﴾، إنطلاقاً من هذه النقطة، ومن الحديث القدسيّ: ﴿كنت كنزاً مخفياً فأحببت أنْ أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف﴾[١]، فلابدّ أنْ تدوم المعرفة من الممكنات بديمومة الله عزّ وجلّ لتوقف تعقّل أحد المتضايفين على تعقّل الآخر.

فإنْ قلتَ: إنَّ توقف معرفة الله عزّ وجلّ على البشر غير متصوّرة؟.

قلنا: هذا صحيح، ولكن المتوقف ليس ذات الباريّ تعالى - لا حدوثاً ولا بقاءاً - وإنَّما المعروفية والمعرفة، وهي التي شهدت بها للنصوص المتقدمة وبرهان التضايف.

فالصفات الإلهية التي لها تعلق اعتباري كالفعلية منها إنَّما لها ربط بديمومة متعلقها وهو الإنسان من جهة معرفة الصفات لا أصل ثبوتها.

فرحلة العاشق والمعشوق لا تنتهي، والحركة الحبية حركة قهرية عند الجميع، غاية الأمر أنَّ مواردها تختلف باختلاف نفس المحبّ.

فمن يحبّ المال له حركة حبية تجاه المال، ومن يحبّ العلم له حركة حبّية تجاه العلم.. وهكذا.

وتوجد أمثلة كثيرة لأُناس بقوا نتيجة لتجرّدهم ببقاء الله سبحانه، وفي الصدارة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة المعصومون عليهم السلام، ومن الأمثلة أيضاً علمائنا الأعلام الذين لا تزال آثارهم وذكرهم على كل لسان.

---

١ بحار الأنوار ج٨٤ ص١٩.

المقدمة الثالثة

التصديق بأنّ هذا الإنسان المجرّد الباقي يحتاج إلى وسائل وأمور باقية

ولابدّ أنْ تكون هذه الأمور باقية أيضاً لوحدة السنخية، ولمناسبة الحكم للموضوع .

ويعضد ذلك آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[1]، و﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[2]، و﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[3] و﴿ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾[4] و﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ ﴾[5] و﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[6] و﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾[7] وغيرها من النصوص.

وهذه الأمور هي: **الأعمال الحسنة، والكمالات الأخلاقية، والمعارف الحقة**[8].

وعلى قدر تحصيل هذه الثلاثة وتفاصيلها يكون الإنسان مجرّداً وقريباً من الله عزّ وجلّ.

---

١ سورة الإسراء الآية ١٣.

٢ سورة الزلزلة الآيات ٧ و ٨.

٣ سورة الكهف الآية ٤٩.

٤ سورة الواقعة الآيات ٣٢ و ٣٣.

٥ سورة الرعد الآية ٣٥.

٦ سورة النساء الآية ١٢٢.

٧ سورة الحجّ الآية ٢٢.

٨ سيأتي في المقصد التالي توضيح هذه الأمور الثلاثة ودخالتها في السير والسلوك.

أمّا المعارف الحقة: فهي دراسة العلوم الإلهية، وهي أشرف العلوم لأنَّ شرف العلم إنَّما يُعلم من شرف المعلوم، والمعلوم في الإلهيات هو الله سبحانه وتعالى.

وعليه فإنَّ دراسة الحكمة لابدّ أنْ تتوفر على نفس متفاعلة معها، بمعنى أنْ تكون متحلية بشطر من الأخلاق الحسنة، و إلا فإنَّ دارس الفلسفة عبثاً يحاول إنْ لم يدرس الأخلاق. وهذا ما أكده جملة من علمائنا.

ولذا لا مجال للفصل بين دراسة الفلسفة ودراسة الأخلاق، بل أنَّ دراسة الأخلاق متقدمة عليها، بل هي(الفلسفة الأخلاقية)واحدة من أقسام الفلسفة، وأكثر الذمّ الذي حصل لدراسة الفلسفة وتدريسها هو بسبب ذلك الفصل وتلك المعلومات الفلسفية التي لم يعقد عليها قلبه.

و أمّا الكمالات الأخلاقية: فهي الصفات الحميدة المثبتة في القرآن وروايات المعصومين عليهم السلام، وأهمّ شيء يراعى فيه هو التطبيق، و إلا فمجرد التنظير وقراءة الكتب الأخلاقية ودراستها لا لا ينفع ما لم يخرج إلى حيز التطبيق.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

---

١ سورة البقرة الآية ١٧٧.

وأمّا الأعمال الحسنة: الواردة في القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام بما يشمل الواجبات والمستحبات، والأعمال المباحة مع نية قصد القربة.

ويمكن ذكر بعض الأعمال اليومية لطالب العلم وأمّا غيره فيقابل ما يشابه عمله:

١ . الإستيقاظ قبل صلاة الفجر لأداء صلاة الليل.

٢ . صلاة الفجر وتعقيباتها.

٣ . مراجعة بعض الدروس وتحضيرها.

٤ . الذهاب إلى الدرس بوقار وسكينة، مع غضّ البصر(ليس عن النساء فقط، بل عن الألوان الزاهية وزبارج الأشياء وزخارفها فكلّها تشترك في شيء واحد وهو الجذب نحوها)وقصد القربة وإمتثال الأمر الإلهيّ المتوجه إليه بطلب العلم.

٥ . إختيار الأستاذ الصالح، والذي يدمج العلم بالعمل.

عاشر أخاً ثقةً تحظى بصحبتهِ فالطبعُ مكتسبٌ من كلّ مصحوبِ

فالريحُ آخذةٌ ممّا تمّر بهِ نتناً من النتنِ أو طيباً من الطيبِ

٦ . الإنتباه أثناء الدرس واستحضار أنَّ الإمام صاحب العصر عليه السلام مشرف على الدرس.

٧ . الصلاة جماعة مع توفر شرائطها.

٨ . النوم قبل صلاة الظهرين عملاً بالرواية.

٩ . تجنب الخوض في أمور لا ينفع الكلام فيها.

وفي الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿رحم الله مؤمناً تكلم فغنم أو سكت فسلم﴾[١].

ومن هنا يتبيّن اشتباه البعض بالخوض في هكذا أمور بحجة الإهتمام بأمور المسلمين.

لكن غاب عنهم أنَّ الإهتمام ليس مجرّد القول، بل الإهتمام مؤثر لابدّ له من أثر.

نعم، لا بأس بطرح الرؤية الإسلامية السياسية، وجوهرها هو الإرتباط بالله عزّ وجلّ.

---

١ العلم والحكمة في الكتاب والسنة للشيخ محمد الريشهري.

المقدمة الرابعة

التصديق بأنّ ملائمات الباقي لا يمكن تحصيلها إلا في الدنيا

قال تعـالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[١]، وقـد ورد عـنـهم صلوات الله عليهم: ﴿الدنيا مزرعة الآخرة﴾[٢].

إعلم إنَّ تحصيل السعادة الملكوتية والحياة الجبروتية – يعنى الملائمات العقلية والقلبيـة الباقية – لا يمكن إلا في عالم الناسوت والطبيعة حصراً دون سائر العوالم، قـال تعـالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾[٣].

فهنا تسليم بأنَّه بعد عالم الدنيا والناسوت لا يمكن تقديم أيّ شـيء ولا عمـل أيّ شـيء لأنَّ اليوم عمل بلا حساب وغداً حساب بلا عمل وهو يعني أنَّه انتفى جـنس العمـل في الآخرة وبعد عالم الدنيا.

وقـال تعـالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٤]، أي يعمله في الدنيا ويراه في الآخرة.

---

١ سورة النجم الآية ٣٩ .

٢ ﴿النفس هي الأرض، وبذرها حبّ المعارف الإلهية، وسائر أنواع الطاعات جارية مجرى إصلاح هذه الأرض، من تقليبها وتنقيتها وإعدادها للزراعة، وسياقة الماء إليها، والنفس المستغرقة بحبّ الدنيا والميل إليها كالأرض السبخة التي لا تقبل الزرع والإنبات، لمخالطة الأجزاء الملحية، ويوم القيامة يوم الحصاد، فلا حصاد إلا من زرع، ولا زرع إلا من بذر، وكما لا ينفع الزرع في أرض سبخة كذلك لا ينفع عمل مع خبث النفس، وسوء الأخلاق المنافية للإيمان، فينبغي أنْ يقاس عمل العبد ورجاؤه لرضوان الله بأمل صاحب الزرع ورجائه...﴾ (رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام السيد علي خان المدني الشيرازي ج ٥ ص ٣٣ – ٣٦).

٣ سورة المؤمنون الآيات(٩٩ ـ ١٠٠).

٤ سورة الزلزلة الآيات(٧ ـ ٨).

والدليل على هذا:

١ . إنَّ الإنسان في عالم الناسوت عنده استعداد وقوة للسعادة والشقاوة بمراتبهما عملاً وقلباً وجوارحاً، فيجب بحكم العقل على الحكيم جعل كلّ ما يحتاج إليه الإنسان في هذه الحركة الإستكمالية من إرسال الأنبياء والأئمة عليهم السلام جميعاً، وتوضيح الأحكام والشرائع والسنن والوعد والوعيد.

وبنفس الوجوب العقليّ المذكور تجب التبعية والإطاعة لكي يمكنه من تحصيل الجنة الموعود بها، ولكي يحصل اللقاء الموعود مع حضرة الباري تعالى وتقدّس المشار إليه في الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1] فالعمل الصالح يكون في هذه النشأة.

٢ . توجد في فطرة الإنسان قوة واستعداد وعشق للمعرفة والعبودية جعلها الله تعالى فيه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

حيث قضت الفطرة أنَّ الإنسان باقٍ وبقاؤه يُساوق بقاء ما يتحد معه من المعرفة والعبودية، وهذا لا يكون إلا في هذه الدنيا وهذا العالم.

وغير ذلك من الأدلة.

---

١ سورة الكهف الآية ١١٠.

٢ سورة الروم الآية ٣٠.

المقدمة الخامسة

التصديق بأنّ الإنسان الباقي محروم من ملائمات الغير تكويناً ولا يمكن له الإستظلال بظلّ الغير في الآخرة

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾[1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3]، وقال تعالى أيضاً: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا ﴾[4].

وبيان ذلك يتوقف على مقدمات:

١. إنَّ الإستظلال ليس إلا نوع من السعي والإكتساب، والحركة من الفقدان إلى الوجدان ومن الإستعداد والقوة إلى الفعلية والتمامية.

٢. إنَّ عالم الملكوت والقيامة هو عالم الفعلية والتمامية لا عالم السعي والإكتساب.

٣. إنَّ السعي والإكتساب لا يعقل في عالم الفعلية والتمامية.

والنتيجة: إنَّ الإستظلال في ظلّ إنسان آخر سعيد في عالم الملكوت مستحيل فلا يستطيع عمل شيء جديد ولا يفيده غيره.

---

١ سورة الإسراء الآية ١٣.

٢ سورة الكهف الآية ٤٩.

٣ سورة الأعراف الآية ٥٠.

٤ سورة الحجّ الآية ٢٢.

نعم، بقي شيء، وهو أنَّ الغفران والستر والعفو والرحمة من جانبه تعالى لا يتنافى مع استحالة الإستظلال.

فإنْ قلتَ: فماذا تقول في الشفاعة للأنبياء والأئمة والشهداء والعلماء، وماذا تقول في مغفرته تعالى ورحمته التي تسع كلّ شيء؟.

قلتُ: الغفران ليس إلا رفع المانع بعد ثبوت المقتضي، لا إيجاد المقتضي في ظرف عدمه.

وبعبارة أخرى: إنَّ ملاك دخول الجنة موجود وهو الإيمان بالله وتوحيده وغيرها من العقائد، إلا أنَّ هناك مانعاً وحاجباً من ناحية بعض أعماله وذنوبه التي ارتكبها، فالمغفرة لرفع تلك الموانع.

وكذا الكلام في الشفاعة إذا وجد مقتضيها، وهو الإيمان، وإلا ففي بعض الموارد التي تخلو من الإيمان لا توجد شفاعة ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[١].

هذا ما أردت إثباته في توضيح اليقظة من الغفلة، نبّهنا الله وإياكم من نومة الغافلين إنّه أرحم الراحمين.

وللخواجة الشيخ عبد الله محمد الأنصاريّ قدّس سرّه في كتاب منازل السائرين طريق آخر رأينا أنَّ فيما ذكرناه الكفاية، وإنْ شئت فراجع.

---

١ سورة المدثر الآيات(٤٢ ـ ٤٣).

المرحلة الرابعة

النفس ومعرفتها

توطئة[١]

كلّ موجود إمكانيّ لا يخلو من المقولات العشرة، والمعروفة بالبيتين:

زيــد الطويــل الأســمر بــن مالــك　　في دارهِ بــــالأمسِ كـــان متكـــي

بيـــدهِ غصـــنٌ لـــواهُ فـــالتوى　　فهـــذهِ عشـــرُ مقـــولاتٍ ســـوى

باستبدال(أزرق)بـ(أسمر)و(سيف)بـ(غصن)، والإستبدال وجيه، ولا بأس بـه لأنّـه لـيس بنصّ.

والمقولات العشر تسعة أعراض(والعـرض: هـو الموجـود في موضـوع)وواحدة(جوهر: وهـو الموجود لا في موضوع).

والجوهر خمس أقسام: عقل، نفس، صورة جسمية، مادة، جسم.

العقل: هو الجوهر المجرّد عن المادة ذاتاً وفعلاً.

والنفس: هي الجوهر المجرّد عن المادة ذاتاً المتعلق بها فعلاً.

والصورة الجسمية: هي الجوهر المفيد لفعلية المادة من حيث الإمتدادات الثلاث.

والمادة: هي الجوهر الحامل للقوّة.

والجسم: هو الجوهر الممتد في جهاته الثلاث.

وفرق النفس عن الروح أنَّ الروح عبارة عن كائن لطيف أثيريّ شفاف، يحـلّ في الجسـم كماء الورد في الورد، أمّا النفس فهي ليست بكائن، بل هي عبارة عن مجموعة قوى[٢].

---

١ هذا البحث ليس وافياً بمعرفة النفس، ولكنّه – على نحو العجالة – يُذكر هنا كمقدمة أولية، وقد فصّلنا الكلام فيه في كتابنا الفتوحات العلوية.

٢ للنفس عدة تقسيمات: قرآني، وفلسفي، وأخلاقيّ، فالأول: مطمئنة ولوّامة وأمّارة، والثاني: إنسانية ناطقة وحيوانية ونباتية، والثالث: شيطانية و سَبُعية ووَهمية.

والعقل أشرف من النفس من جهة تجرده عن المادة مطلقاً، والنفس أشرف من العقل من جهة إمكان عبور النفس على العقل، وذلك فيما إذا كانت النفس في قوس الصعود ووصلت في صعودها إلى مقام العقل وقد تعبره[١].

فلو كان العقل حاكماً فإنَّ النفس تكون ناطقة(مطمئنة)وتتنعم الروح، لأنَّ الروح تقع تحت تأثير أفعال النفس.

أمّا إذا كانت النفس حاكمة فإنَّ العقل يكون حاكماً وبالتالي فإنَّ الروح تتعذب.

التقسيم الفلسفيّ للنفس

وهي ثلاثة: إنسانية ناطقة وحيوانية ونباتية، كما ورد في رواية أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

أمّا النباتية: فسمّيتْ بذلك لأنَّ لها صفات كصفات النبات، وتتصف بالأكل والشراب والمنام والملبس حصراً.

وهنا لابدّ من ملاحظة بعض الأمور التي تدلل على نباتية النفس:

ففي المأكل:

١. طلب الكماليات(الزائدة عن الحاجة الضرورية).

٢. الإعتناء بنوعية وكمية الطعام.

٣. الإعتناء بحرارة وبرودة الأكل.

٤. الإعتناء بزيادة الأطباق في جلسات الأصدقاء، ممّا قد يسبب التبذير.

---

١ قد أوضحنا ذلك عندما تكلمنا عن الحقيقة الفاطمية في الفتوحات العلوية.

٢ الوارد في الرواية تقسيمها إلى أربعة أقسام بإضافة القدسية وإنّما لم نذكرها لأنّنا لانصِل إليها، فهي مختصة بالمعصومين عليهم السلام.

وفي الملبس: فمن المفروض أنْ يكون اللباس نظيفاً مرتباً، لا أنْ يكون زائداً عن مقدار حاجاته وضرورياته.

وفي المنام: فلا مجال لفرض النوم الزائد، وكحدّ أدنى لطالب العلم فإنَّ النوم لا يزيد عن ست ساعات كحدّ أعلى والأفضل أنْ يكون أربع ساعات.

وأمّا الحيوانية: فسمّيتْ بذلك لأنَّ لها صفات كصفات الحيوانية، وأهمها: الشهوة والسلطة(الدنيوية)والغضب.

والغضب(العصبية)منه محمود ومنه مذموم فمن الأول: الغضب لرؤية معصية، أو لظلم الدين، فعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ﴿ليس الشديد بالصرعة إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب﴾[1].

والغضب واحد من الصفات التي يكون فيها الصورة الملكوتية تظهر للآخرين حتى لأحقر الناس، فالذي يغضب يصبح وجهه أحمر، والروايات تقول إنَّه من نار جهنم.

وأمّا حبّ الرياسة: فهو بما هو حبّ للهيمنة والتسلط على الغير لإبراز شخصيته وإنفاذ أهوائه وجلب المصالح الدنيوية له ولخاصته وتطويع الناس إلى أسياده المتكبرين، وهذا شيء مذموم ويُعَدّ طالبه من حكّام الجور الذين أُمرنا بمحاربتهم.

وقد ورد أنَّه عندما وُلّي عبد الرحمن بن سمرة على إحدى المدن، قال له النبي ﷺ: ﴿لا تسأل الإمارة فإنَّك إنْ أُعطيتها عن مسألة وُكّلت إليها، وإنْ عن غير مسألة أُعنت عليها﴾[2].

---

١ تحف العقول: ص ٣٥.

٢ سنن البيهقيّ ج ١٠ ص ١٠٠.

وأمّا الإنسانية الناطقة: وهي أسمى هدف يصله الإنسان، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها، وهي التي مدحها القرآن وعبّر عنها بأحسن تقويم، وبها صار الإنسان إنساناً، وهي ما يعبّر عنه في علم المنطق بالفصل الذي ميّز الإنسان عن غيره من الحيوانات.

وهذه النفس تتصف بالعلم والمعرفة والحكمة وتفرح بها، وكذلك تتصف بالحكم الإلهيّ، وهذا يفرق عن حبّ الرياسة وطلبها، إذ هنا تكون الحكومة لإنفاذ أمر الله تعالى، وإظهار ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، وتبيين حكومة الإنسان في الأرض.

كيفية التخلص من النباتية والحيوانية وإنماء الناطقية

بعد معرفة صفات كلّ واحدة منها، لابدّ من التعرف على كيفية التخلص من الآثار السيئة لكلّ منها، وذلك عبر عدّة نقاط:

١ - معرفة قبح تلك الأفعال، وإنْ كانت - ظاهراً - حسنة

ولا ينبغي أنْ يمنّي الإنسان نفسه بأنّها مباحات يجوز ارتكابها، فإنّ سالك هذا الطريق لابدّ من الإلتفات إلى نفسه قليلاً، وهذه الأعمال لها آثار وضعية ويشمّ منها رائحة البعد عن الله سبحانه.

٢ - حساب أنّ الفعل الذي أعمله كم نفعه أو ضرّه؟

بمعنى أنّه كم تكون فائدة الأفعال في القرب من الله سبحانه أو ضرّها في البعد عنه.. وعليه فلماذا تتهافت النفوس على شراء بعض الكماليات التي لا فائدة منها؟ بل لماذا هذا التعدد في الزوجات مطلقاً مع الإكتفاء وتبني السير في طريق الحقّ؟.

---

١ سورة البقرة الآية ٣٠.

٣ – مستوى قبول العرف والمجتمع لهذا الفعل

وقصدنا من المجتمع هو مجتمع المتشرّعة.

أمّا كيف يمكن أنْ نقوّي النفس الناطقة فهو بطلب العلم، وخاصة مع القرب من أمير المؤمنين عليه السلام.

<u>في خلق التوازن العام بينها</u>

نحن لا نريد نفي النباتية والحيوانية من رأس، كما ذكرنا سابقاً، بل نريد جعل الحاكمية للعقل عليهما، فلابدّ من أكلٍ وشربٍ ولباسٍ و نكاحٍ وغيرها.. لكن كلّ هذا بشرط أنْ لا يكون هناك تعلّق بها، بمعنى أنْ يكون وجودها وعدمها سواء.

هذا هو المعنى العام للنفس وقواها والمقاصد الآتية موكولة لبحثها بالتفاصيل.

المرحلة الخامسة

تعداد أمور لابُدَّ من توفرها لطالب هذا الطريق

أمور ينبغي للسالك الإلتفات إليها[1]

وهي مطلوبة بنحو العموم المجموعي فلو أتى السالك بجميعها إلا واحداً فهو يُعَدّ عصياناً عند أهل الطريقة، ولا أقلّ فإنَّ مسيرته السلوكية سوف تتلكأ ويواجه بعض الصعوبات.

وهذه الأمور لعلّ بعضها يرجع إلى بعض، ولكن من باب البيان والمنهجية قسمت إلى هذا العدد، وقد وجدنا فيما بعد أنَّ السيد بحر العلوم الكبير قد ذكرها في رسالة السير والسلوك بحاشية العلامة الطهراني وإنْ اختلفت ألفاظها.

وهذه الأمور هي:

١ - ترك العادات والرسوم والمجاملات

أي لابدّ أنْ يتصف طالب الطريق بدرجة من الإعتدال ويعيش مع الناس باعتدال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2].

فيؤدي حق كل شيء من دون أنْ يؤثر عليه شيء، والمهم أنْ يؤدي حق دينه.

وفي هذا المجال ينقل أنَّه كان في زمن الدولة الأيّوبية في مصر، شيخ قد خرج من درسه مع طلبته فرأى موكباً مهيباً فسأل عنه، فقيل له: هذا موكب الملك وهو مسافر للحجّ، فدنى من الملك وقال له: تذهب للحجّ وبلادك غارقة بالفساد؟ أقض على الفساد في بلادك ومن بعدها أذهب للحجّ.. فأخذ الملك يعتذر من هذا الشيخ بأنَّه جديد العهد بالحكم وأنَّه ورث الحكم عن أخيه قريباً ولا يعلم بذلك.

---

١ ذكر هذه الأمور العلامة السيد محمد حسين الطهراني في اغلب كتبه.

٢ سورة الإسراء الآية ٢٩.

والمهم أنَّ طلبة الشيخ لم يحضروا الدرس لمدة شهر خوفاً من إعتقال السلطة لهم، وبعد أنْ أمنوا الطلب ذهبوا للشيخ وقالوا له: كيف تكلمت مع الملك بهذا الكلام؟ ألم تخف على نفسك منه؟ فأجاب عند تلك اللحظة إستحضرت هيبة الله وعندها صارت هيبة السلطان كالقطّ وأنا لا أخاف من القطّ.

هكذا ينبغي أنْ نكون، فلا نجامل فإنَّ نصف الدين قد يذهب بسبب المجاملات.

٢ – العزم

وهو بمعنى التوكل ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[١]، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[٢]، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٣].

قد توجد لدى البعض عادات سيئة وهي تختلف بإختلاف مستوى السالك وهذه العادات مثل: التدخين، الشاي، النوم الزائد، فينبغي لطالب هذا الطريق العزم على ترك هذه الأمور.

وإذا كان لا يستطيع أنْ يترك التدخين – مثلاً – كيف يريد أنْ يصل إلى الله؟. فالعزم قضية مهمَة وكلما فشل الإنسان عليه أنْ يجدد عزمه، وروح العزم هو التوكل، وذلك بأنْ لا يجعل لنفسه أي قدرة.. فيسلب أي اعتداد بنفسه ويجعل كلّ شيء منوطاً بالله تعالى(لا حول ولا قوة إلا بالله)، وهذا ما يسمى بالتوحيد الأفعاليّ، ولعل أفضل ما قيل في التوكل من الشعر:

أنـــتَ وَكـــيلي يـــا وَكيـــلُ عَلـــيهم وَحَســـبي إذا كـــانَ القَـــويُّ مـــوَّكَلا

---

١ سورة الطلاق الآية ٣.

٢ سورة إبراهيم الآية ١٢.

٣ سورة آل عمران الآية ١٢٢.

وينبغي للسالك أنْ يعلم إنَّ العزم لا يأتي بالإرادة فقط بل مع الدعاء ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[١]، والدعاء مهم ونافع في كلّ شيء.

٣ - الرفق والمدارة

كثيراً ما يسير الإنسان ثمّ يسقط وليس ذلك إلا لعدم الرفق والمدارة فعلى الطالب الرفق والمداراة بنفسه، فينبغي أنْ يتعامل معها كما يتعامل مع الطفل الصغير.

ويعني الرفق أنْ لا يحمل نفسه الكثير دفعة واحدة، والمداراة يعني أنَّ عليه الإستمرار بالتدريج.

عن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ يا عبد العزيز إنَّ الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولنّ صاحب الإثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإنَّ من كسر مؤمناً فعليه جبره ﴾[٢].

وقد رأيت البعض لا يلتزمون بالرفق والمداراة مع النفس ويحملونها ما لا تطيق فأدى ذلك إلى إنحرافهم والعياذ بالله.

---

١ سورة القصص الآية ٢٤.

٢ الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٤٥.

فينبغي الرفق والتدريج في كلّ شيء، فمثلاً: مسألة تقليل النوم تكون شيئاً فشيئاً، وإذا أردت أنْ تصلي النوافل فابدأ بالتدريج كما يلي: إبدأ بصلاة الليل وهي أفضل النوافل وابدأ بها بشكل مختصر بأنْ تقتصر على الشفع والوتر، ثمّ نافلة الصبح ثمّ الغفيلة ثمّ نافلة العشاء ثمّ صلاة الليل كاملة ثمّ نوافل الظهرين أيضاً تدرّج فيهما بأنْ يبدأ بها ركعتين للظهر وركعتين للعصر ثمّ يزيد العدد إلى أنْ تكتمل وإلا فلن يستطيع الإستمرار وربما يسقط.

إنَّ التدريج يقي الطالب من السقوط، وقليل دائم خير من كثير منقطع، فالمهم هو التدريج في كلّ الأمور.

٤ – الوفاء

بعدما تبت إلى الله تعالى فعليك بالوفاء بالتوبة، والوفاء بما عاهدت عليه الله تعالى.. ولعل سبب عدم وفاء الناس هو عدم التزامهم بالتدريج، فبالرفق والمداراة يستطيع الإنسان أنْ يفي بما عاهد..

ونؤكد مرة أخرى: إنَّ هذه الأمور ملحوظة مجموعاً لا تنفك بعضها عن بعض، فالمهم على السالك أنْ يفي بكلّ عاهد الله عليه.

ويمكن أنْ يقال: بأن الوفاء يعني بالعهد الذي عاهده الإنسان في عالم(ألست)بأنَّ الله ربه.

٥ - الثبات والمثابرة[١]

وهذه النقطة تعد عضد النقطة الثالثة(وهي الرفق والمداراة)بحيث أنَّ النفس الإنسانية تميل إلى الماديات فترجع بالإنسان بين الحين والآخر إلى الوراء فإذا حصل ذلك وانتكس الطالب في سيره فعليه بالثبات على الطريق والمثابرة.. ولا يقول أنا لا أصلح أنْ أكون من أهل هذا الطريق فكم مرة صادفتك العقبات والعثرات؟.

إنّ هذا التفكير من تسويلات الشيطان الرجيم ومن مزالقه، فعلى الطالب الإستعانة بالله واستجماع القوى لإكمال الطريق إنْ إعترضته مثل هذه الأوهام.

٦ - المراقبة

وهو الأمر الذي يتوسط بين المشارطة والمحاسبة، ففي البداية يشارط الإنسان نفسه، بأنْ يعمل جميع الواجبات ويترك جميع المحرمات ويعمل المستحبات ويترك المكروهات قدر الإمكان، وهذا ما ينبغي أنْ يشارط الطالب عليه نفسه، ثمّ بعد المشارطة تأتي المراقبة، وهي ليست مراقبة عن الذنوب لأنَّ الطالب الآن ينبغي أنْ يكون قد صفّى نفسه عن الذنوب لكن المراقبة هنا بمرحلة أعلى وهي الإلتزام بما أسسه فيما مضى.

في الروايات عن أهل البيت العصمة والطهارة عليهم السلام ثلاث حالات للإنسان:

١- من تساوى يوماه.

٢- من كان أمسه أفضل من يومه.

٣- من كان يومه أفضل من أمسه.

---

١ وهي الرفق والمداراة.

والروايـات تصرّح إنَّ الأول مغبون والثانـي ملعـون والعيـاذ بالله والثالـث مرحوم(مغبوط) والطالـب يجب أنْ يكون لديـه منهج قـد رسمه لنفسه، فيراقب نفسه لكي يلتزم به ولا يقصر فيه فيكون مغبوناً.

ولا يتصور الطالب لهذا الطريق أنَّ المراد بعدم التقصير هنا بلحاظ الكمية، كلا فالمهم هو النوعية، فالمنظور له هو نوعية العمل﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1]، فيراقب نفسه هل يقضي وقته بطاعة الله أو لا؟ وكلّ إنسان له طريقة يشغل وقته بطاعة الله فبعضهم بالعلوم العقلية أو النقلية وبعضهم يتقرب إلى الله بعلوم الرياضيات والطبيعة كأفلاطون وغيره.. والحذر الحذر أنْ يكون الإنسان من القسم الثاني وهو الملعون نعوذ بالله من الطرد.

٧- المحاسبة

ثمّ بعد المراقبة تأتي المحاسبة لأنَّ المراقبة تكون أثناء العمل أمّا المحاسبة فهي بعد العمل.

عن الإمام الكاظم عليه السلام: ﴿ليس منّا من لـم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإنْ عمل حسنـاً إستزاد الله، وإنْ عمل سيئاً إستغفر الله منه وتاب إليه﴾[2] فالمحاسبة اليومية لسالك هذا الطريق ضرورية، فلو كان للإنسان عامل في شركة له هل يحاسبه يومياً أم بعد تراكم العمل؟. من الطبيعي أنْ يكون الحساب يومياً فكذلك النفس عليك بمحاسبتها يومياً لكي تلتزم زمامها وتتعرف على نقاط الضعف عندك لتصلحها فإذا تركت الحساب بعض

---

١ سورة الملك الآية ٢.

٢ الكافي – الشيخ الكليني ج٢ ص ٤٥٢.

الأيام ربما اشتبكت عليك الأمور وتاه عليك الحساب﴿حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تحاسبوا وزنوها قبل أنْ توزنوا ﴾[١].

هذا ويمكن الترقي إلى القول بالمحاسبة الفورية بحيث لا يترك النفس تؤجل المحاسبة إلى الليل، إذ لعلها تنسى فيفوت عليّ ذنب ذلك اليوم.

٨ – المؤاخذة أو المعاقبة

بعد المحاسبة تأتي المؤاخذة وهي متأخرة ومترتبة على المحاسبة فعندما يحاسب الإنسان نفسه فإنْ وجد تقصيراً فيما شارط نفسه عليه فيؤاخذ نفسه على تقصيرها ويلومها، أمّا إذا لم يوجد تقصير فلا مؤاخذة وينبغي الشكر لله.

لكن ينبغي الإلتفات إلى أنّه في هذا الطريق دائماً المؤاخذة موجودة، لا من الذنوب، بل لأنَّ الطالب لم يزدد من الخير كما ونوعاً، ويلوم نفسه على عدم الزيادة في الخيرات وهذه هي النفس اللوامة لكن ليس على الذنوب وإنَّما على عدم الزيادة من الخير.

٩ – المسارعة

وهذا نظير من شرب السمّ فعليه بالإسراع إلى العلاج وإلا هلك وكذلك هنا على الطالب الإسراع في ترك المبعّد وعمل المقرّب. قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[٢]، وإلا مع الإهمال وعدم الإسراع سيستشري المرض في جميع أعضائك.

---

١ وسائل الشيعة ج ١٦.

٢ سورة آل عمران الآية ١٣٣.

١٠ – الحبّ

أي محبة الله وأهل الله وسادتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين.

ورد عنهم عليهم السلام إنَّ عمدة شعب الإيمان الشفقة على خلق الله، وفي الدعاء: ﴿أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ﴾[١].

فالناس طبقات بعضهم من أهل الله وهم من ليس لهم همّ إلا الوصول إليه تعالى وهم حزب الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

فعلى سالك هذا الطريق أنْ يلحظ هؤلاء الناس ويعطف عليهم فهم يتعاملون مع الله فالتعامل معهم تعامل مع الله(من أحب قوماً حشر معهم).

مولوي يقول: حب خاصان خدا حب خداست

يعني: حبّ المخصوصين لله هو حبّ الله

فعندما تحب الشخص أو العالم الكذائي ينبغي أنْ يكون الحبّ لله لا لذات الشخص، بل لأنَّه قريب من الله تعالى ومن أهل البيت عليهم السلام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[٣]، فمعنى الحبّ هو حبّ الله وحبّ أهل الله. وينبغي لمن أحبّ شيئاً أنْ يتفانى في سبيل الوصول إليه مهما تكن المصاعب التي يواجهها في الطريق:

نَشْــــرَبُ التعــذيبَ في حُــبِّ عَــليٍّ   مِـــثلَما نَشْــــرَبُ مـــاءَ الكَـــوثَرِ

---

١ الصحيفة السجادية – مناجاة المتوسلين.

٢ سورة المجادلة الآية ٢٢.

٣ سورة البقرة الآية ١٦٥.

وهذا الحب هو الذي يدفع الشهداء أنْ يضحوا من أجل الله، فهذا سيد الشهداء عليه السلام رغم كلّ ما نزل به يقول: هوّن ما نزل بي أنَّه بعين الله[1].

يقول إبراهيم ابن الأدهم:

هَجـرتُ الخلـقَ طـرّاً في هَواكـا وأَيتمـتُ العِيـالَ لِكَـي أَراكـا

ولـو قَطَّعتنـي في الحُـبِّ إربـاً لَمـا مـالَ الفـؤادُ إلى سـواكا

إنَّ أروع معاني الحبّ سطرها سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء.. قدم كلّ شيء النفس والولد والأخ والطفل والأهل، فالحسين عليه السلام هو ذبيح العشق الإلهي.

إذا كان إسماعيل عليه السلام ذبيح الله وقد فداه الله بكبش عظيم، فالحسين عليه السلام هو ذبيح العشق الإلهي، الحسين عليه السلام هو ذبيح الله بالحمل الشايع وإسماعيل عليه السلام ذبيح الله بالحمل الأولّي، لأنَّ الحسين عليه السلام ذُبح فعلاً ومصداقاً، وإسماعيل عليه السلام سُمِّي بذبيح الله مفهوماً، والحسين عليه السلام هو المصداق الأكمل للحُبِّ الإلهي وهو النفس المطمئنة المُخاطَبة بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾[2].

١١ - حفظ الأدب

يعني تلحظ وتستشعر أنَّك في محضر الله جلّ وعلى فلا تعمل محرماً أو مكروهاً.

ينقل عن المقدّس الأردبيلي قدس سره لم يمد رجليه طول عمره إلا عند الإحتضار قال: ﴿يا إلهي هذا مستحب أنت أمرت به﴾فمددهما.

---

١ حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ باقر شريف القرشي ج١ ص٨.

٢ سورة الفجر الآيات(٢٧ ـ ٢٨).

والسيد الإمام الخميني قدس سره يقول في الأربعون: ﴿كلّ من أحدث بالأكبر أو بالأصغر يخرج من حضره القدس الإلهية حتى يرفع الحدث﴾.

وينقل عن إبراهيم الأدهم وهو من العرفاء أنَّه فارق ولده ١٥ عاماً ثمّ وجده في الحجّ فعانقه بينما هو يعانقه أحسّ أنَّ حبّ ولده دخل في قلبه فدعا الله تعالى وهو في بيت الله وولده يحضنه: إلهي إمّا أنت في قلبي أو ولدي، فمات ولده في حضنه فلم يلتفت.... هكذا كان يلحظ الرقابة الإلهية ويستشعر أنَّه في محضر الله.

وفي حضرة المعصوم عليه السلام عليك بحفظ الأدب فلا ترفع صوتك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾[1]، ومراقد المعصومين عليهم السلام مصداق لهذه الآية فينبغي عدم رفع الصوت ولو بقول(إرفعوا أصواتكم بالصلوات)كما يفعله بعض العامة، لأنَّه لايَنبغي رفع الصوت بمحضر الإمام عليه السلام بأيّ كلمة، فهو عليه السلام حاضر ويسمع ويرى.

أمّا ولي الله الأعظم عجل الله فرجه فهو معنا أين ما كنا فهو وجود مطلق ﴿ بنَفْسي أنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنّا ﴾[2] فيجب دائماً أنْ نراعي محضره فهو مطّلع على جميع أعمالنا وأحوالنا، بل مطّلع على نياتنا فهو يرعى العالم كلّه وشيعته بالخصوص فنحن في منظره عليه السلام لكن لا نراه لأنَّ مرآة قلوبنا غير مجلوة.

---

١ سورة الحجرات الآية ٢.

٢ فقرة من دعاء الندبة المعروف.

يقول الشاعر في رؤية صاحب العصر عليه السلام:

من در پى رويت اى گل	شهر به شهر وكو به كو
ديده را دريا كنم	در پى ات در جستجو
چه ميشه يا بن فاطمه	يه گوشه چشم به ما كنى
قلب منو جلا بده	را هى كربلا كنى
اول دلم را صفا داد	آيينه ام را جلا داد

يعني:

يا مولاي أريد رؤيتك... بحثت عنك في البراري.. في البحار، فتّشت عنك مدينة مدينة لم أجدك.. يابن فاطمة ما الخبر؟ نظرة واحدة أريد منك!.

ثمّ قال: يا ابن فاطمة أنا الآن لا أطلب رؤيتك... لكن أريد منك أنْ تجلو لي مرآتي، وأنْ تصفي لي قلبي، فإذا صفى قلبي وانجلت المرآة فعندئذٍ يُرى الإمام عليه السلام.

البعض يبحث عن الإمام في مسجد السهلة مع أنَّه عليه السلام نور ساطع ورؤيته تحتاج إلى قلب طاهر فهو ناموس الوجود إذ لولا وجوده لساخت الأرض بأهلها، إنَّ هذه العيون العاصية والقلوب المظلمة لن تراه حتى لو ذهبت إلى مسجد السهلة مئة مرة، المهم صفاء القلب، فينبغي أنْ نشتغل بما يريده الإمام عليه السلام لا أنْ نطلب رؤياه بدون عمل، فلو عملت ما يريده سوف يأتيك كما حصل للبعض ويسددك ويرعاك، وهذا هو التسديد الإلهي.

ومن لاحظَ حركة السيد الإمام الخميني قدس سره فإنَّه كان يجزم بأنّ الإمام عليه السلام معه.

نعم، من كان مع الله كان الله معه وإذا كان الله معك فصاحب الزمان عليه السلام جزماً معك فهو حلقة الوصل بين الله تعالى وخلقه.

فعليك بمراعاة محضره واستشعار حضوره فهو يرعاك وإذا كانت لديك حاجة فتوسل إليه.

١٢ – الصمت

وهو السكوت، لكن لا مطلقاً، بل إنّ الكلام في محلِّه أفضل من السكوت.

وهو قسمان: **عام ومضاف، وخاصّ ومطلق.**

العام والمضاف: هما حفظ اللسان من التكلم بالقدر الزائد عن الضرورة مع الناس، فالكلام مفيد للوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعاشرة الناس[١]، لكن يجب أنْ لا يزيد عن المقدار اللازم، فقد ورد عنهم عليهم السلام: ﴿إنَّما شيعتنا الخرس﴾[٢] أي عمّا لا يرضي الله عزّ وجلّ.. فلو كان الإنسان يتكلم طول اليوم فهو ليس بشيعي لأنَّ الشيعي هو الأخرس.

فالصمت شعار المحبّين وفيه رضى الرب وهو من أخلاق الأنبياء وشعار الأوصياء.

عادةً ما يكون للإنسان شعار، وشعار المحبّين هو الصمت، لأنَّ المحبّ لا يحبّ التكلم إلا مع حبيبه وأيّ واحد من الناس ليس بحبيب للمحبّ فلا يتكلم مع أي أحد، لأنَّه قد يندم على الكلام.

---

١ لكن ينبغي في معاشرة الناس عدم إتباع الرسوم والعادات كما ذكرنا سابقاً.

٢ الكافي – الشيخ الكليني ج ٢ باب الصمت وحفظ اللسان ص ١١٣.

عن الإمام الرضا عليه السلام: ﴿من علامات الفقه الحلم والعلم و الصمت، إنَّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنَّ الصمت يكسب المحبة، إنَّه دليل على كلّ خير﴾[١].

الخاصّ والمطلق: وهو حفظ اللسان من التكلم مع الناس مطلقاً في حال الإشتغال بالأذكار الكلامية الحصرية، وفي حالة عدم الإشتغال بها يكون غير مستحسن، أمّا في غير الأذكار الكلامية فلا يلزم حفظ اللسان.

فالأذكار ثلاثة:

١. **الذكر اللفظي:** وفي هذا الذكر يشتغل الذاكر بالألفاظ فقط ويهتمّ بأحكام التلاوة والتلفظ بشكل صحيح وهذا المستوى يستعمله أي شخص حتى العاصي.

٢ . **الذكر القلبي:** وهو أنْ يدرك ويعي ما يقول ويقف على معاني مايَتَلَفَظ وهذا مختص بمن اطلع على حقائق معاني الأذكار.

٣ . **الذكر العملي:** وهو الذكر الحقيقي ولا يكون إلا بترك الذنب وكلّ الآيات التي تكلمت عن الذكر ناظرة إلى الذكر ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[٢].

١٣ – الجوع

وهو قلة الأكل بحيث لا يؤدي إلى الضعف والإضطراب.

والجوع أدام المؤمن، وغذاء الروح، وطعام القلب، فالمؤمن بدون الجوع لا أدام له وهو غذاء الروح لأنَّ التناسب عكسي بين الروح والبدن، وهو طعام القلب أي الفؤاد لأنَّه حين الجوع يفرغ جانب من المادة.

---

١ الكافي – الشيخ الكليني ج ٢ باب الصمت وحفظ اللسان ص ١١٣.

٢ سورة البقرة الآية ١٥٢.

١٤ – العزلة

وهي عامة وخاصة

العزلة العامة: وهي إجتناب غير أهل الله، أي يبقى التعامل مع أهل الله فقط ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبًا وَلَهۡوًا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ ﴾[1]، فالآية تأمر بأنْ تعتزل من اتخذ الدين لهواً ولعباً.

العزلة الخاصة: وهي الإبتعاد عن جميع الناس، لا بمعنى أنْ يكون السالك جليس الدار ولا يخالط أحداً، وإنَّما أنْ يكون معهم جسداً لا روحاً، ولا يتخبط كما يتخبطون، أي(كن فيهم ولا تكن معهم)ففي بعض الأحيان الشيطان يأمر بالعزلة بمعنى تجتنب الناس ولا تسعى لإصلاحهم.. فحذار من عزلة الشيطان.

١٥ – السهر

ويعني قلة النوم، وليس معناه عدم النوم ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾[2] فعلى السالك تقليل نومه، وخصوصاً في الليل، لأنَّ الليل وقت المحبّين.

إلهي حَليفُ الحُبِّ في اللَّيْلِ ساهِرٌ   يُناجي وَيَدْعُو وَالْمُغَفَّلُ يَهْجَعُ[3]

إذا لم يكن عند الطالب سهر فلا يستطيع أنْ يقطع هذا الطريق ففي الليل الإتصال بالحبيب أكثر.

---

١ سورة الأنعام الآية ٧٠.

٢ سورة الذاريات الآية ١٧.

٣ مفاتيح الجنان/ المناجاة الرجبية لأمير المؤمنين عليه السلام.

١٦ - كتمان السرّ

وهو من الشروط المهمّة جداً، وقد اهتمّ به عظماء الطريق كثيراً.

السرّ: في مقابل العلن، والمراد به: كلّ شيء يكون في الباطن ومخفي عن المجرى الطبيعيّ لهذا العالم الماديّ[١].

سنذكر ثلاثة معاني لكتمان السرّ وهذه كلّها واجبة الكتمان محرمة البوح:

١ . عندما تسلك هذا الطريق وتسمع من الشيخ أموراً معينة أو يعطيك تكاليف معينة فلا تنقلها للآخرين حتى زملائك في هذا الطريق.

فإنْ قلتَ: إنَّ هذا علم، وتزكية العلم نشره!.

قلنا: إنَّ هذا لا يجري هنا، لماذا؟ لأنَّ الناس يختلفون بأخذ العلوم وسلوك الطريق وتحمل التكاليف باختلاف مستوياتهم العلمية والأخلاقية وطبيعتهم الإجتماعية.

٢ . لو حصلت لديك أثناء سيرك بهذا الطريق بعض المكاشفات فينبغي كتمان ذلك وعدم التصريح به، وإنَّما ضيع من كان قبلك بسبب عدم الكتمان، فلو سألنا من مضى، ما الذي أذهب عنكم النعم؟ لقالوا: عدم الكتمان.

٣ . إنَّ لكلّ عالم سرّ بينه وبين الله، أي علاقة خاصة بينه وبين الله تعالى، وهذا السرّ هو الذي نعبّر عنه بعد موت العالم عند ذكر اسمه بـ(قُدِّسَ سِرُّه).. فهذا السرّ هو الذي صار به عالماً فهذا أيضاً ينبغي كتمانه.

وعلى هذا فلو ذكرت اسم عالمين اثنين فغير صحيح أنْ نقول(قُدِّسَ سِرَّهما) بل نقول(قُدِّسَ سِرَّيهما)لأنَّ لكل منهما سر، وهكذا لو كانوا أكثر فنقول(قُدِّسَ أسرارهم)وليس(قُدِّسَ سِرُّهم).

---

١ رسالة في السير والسلوك للسيد بحر العلوم ﷺ - ص ١١٧.

١٧ – الدوام على الطهارة

لأنَّ الإنسان ممكن أنْ يكون تحت تصرّف الشيطان في أي وقت: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1] والطهارة تحصن من تصرفات الشيطان وتكون فيها حماية منه.

السيد الخميني قدّس سرّه يقول: ﴿ المحدِث يخرج من ساحة القدس الإلهية ولا يرجع حتى يتطهر ﴾.

فينبغي المداومة على الطهارة ولا يمنعك منها برد، وانظر سيرة الصالحين فقد روي عن السيد الإمام قدّس سرّه أنّه كان يستيقظ في الليل فيجد حوض المدرسة الفيضية متجمداً من البرد فيكسر الثلج ويتوضأ بالماء البارد.

١٨ – المبالغة في التضرّع والمغفرة والبكاء والتذلل

ومعنى(التضرّع)هو إبداء المسكنة والبكاء وافتراش التراب – ولو بتعفير الخدّ بالتربة الحسينية– مع الإعتراف أنّي ممكن لا حظّ لي من الوجود إلا ما وهبه الله لي وحقيقتي هي الإفتقار والنقص، لأنَّه باستحضار إمكانه – وهو لا يمكن الغفلة عنه لأنَّ علم النفس حضوريّ – تستحضر وجود الله عزّ وجلّ واستحضر أنَّك لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فأنا الضعيف في قوتي، فكيف لا أكون ضعيفاً في ضعفي.

أمّا بالنسبة للبكاء: فهو واضح. وأمّا التباكي فلا ينفع إذا كان بحضرة الناس، وأمّا مع عدم وجودهم فقد ينفع، لاحتمال التعوّد على التباكي، والتعوّد على قسوة القلب فيدخل في سلك المخادعين.

---

١ سورة ص الآيات(٨٢ ـ ٨٣).

١٩ – الإحتراز عن اللذائذ

أي اللذائذ الحسية والعقلية

فالحسية: كالأكل والشرب واللذة الجنسية، ...

والعقلية: كلذة القهر والغلبة والإستيلاء، ...

وكل لذة بغير الأُنس بالله تعالى وذكره ليست بلذة، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿وأستغفرك من كل لذة بغير ذكرك﴾[١].

٢٠ – وجود الشيخ

الشيخ شيخان: شيخ يعطي إرشاداً أي بنحو الهداية الإرائية، فهو يريك الطريق ويرشدك إلى كتاب معين.

وشيخ يعطي عمل أي بنحو الهداية الإيصالية فهو يأخذ بيدك إلى أنْ تصل إلى المراد أو يأتي عليك أو عليه الموت.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾[٢]، أي فلينظر إلى علمه من أين يأخذه.. فالعلم غذاء الروح فينبغي إختيار شيخ مدبر عن الدنيا، وهذا شرط جداً مهم في الشيخ، فلا ينبغي إتخاذ شيخ كيفما كان. ويُعرف هذا الشيخ من خلال المعاشرة، مع ضرورة معرفة سيرته العملية بأنْ يكون مبتعداً عن المحرمات الواقعية والظاهرية، وينبغي أنْ يكون ممّن يعمل بالإحتياط دائماً ويتجنب المكروهات ويعمل المستحبات قدر الإمكان، والمباحات إنْ وجد في فعلها ترجيح أتى بها بنية القربة، ويقف عند الشبهات

---

١ الصحيفة السجادية – مناجاة الذاكرين.

٢ سورة عبس الآية ٢٤.

وينبغي أنْ يكون دارساً للعلوم الدينية، أي لديه معرفه بأحكام الدين والعلوم العقلية ليتمكن من التعامل مع الروايات والجمع بين آراء العلماء.

كذلك يجب أنْ يكون قد أخذ هذا الطريق حقاً، ولا يؤمن بالعرفان النظريّ فقط، فالعلم لا يكون تصديقاً إلا بالعرفان العمليّ، فعلم بدون عمل لا ينفع وعمل بدون علم لا ينفع في هذا المجال لأنَّه لابدّ فيه قبل العمل علم بالطريق وأخذ من الشيخ.

وينبغي أنْ لا يكون ممّن يدعي هذه الأمور، أي لابدّ أنْ يكون متكتّماً، ولابدّ أنْ تكون سيرته مع أهله ومن يعاشره سيرة حسنة.

ولو وُجد الشيخ فالإتصال به عن طريق حضور درسه ثمّ هو يتابع السالك أثناء العمل، وإذا حصل لدى السالك أي إشكال ينبغي الرجوع للشيخ وإلا لو إنفرد الطالب بالعمل وحده فإنَّه سيُعمل آراءه وقد يتصرّف به الشيطان لذلك قيل: (من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان).

يقول حافظ:

قطع اين مرحله بى همرهى خضر مكن

ظلمات است بترس از گمراهى

يعني:

لا تقطع هذه المرحلة دون صحبة الخضر

لأنَّ فيها من الظلمات ما قد يعرضك إلى خطر الضياع

٢١ - الذكر

وهو أنْ تبقى دائماً ذاكراً لله بأقسام الذكر الثلاث(اللفظيّ، والقلبيّ، والفعليّ)وأهمها الذكر الفعليّ، ومعناه مراقبة الله عزّ وجلّ وترك جميع المحرمات فإذا عرضت معصية تتذكر الله فلا تواقعها.

ولو تأملت في مناجاة الذاكرين لسيد الساجدين عليه السلام لوجدت أنَّ المراد بالذكر فيها هو الذكر الفعليّ.

فلو ذكرت الله عند المعصية سيذكرك هو أيضاً: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[1]، ومن مصاديق ذكره تعالى لنا هو أنْ يدفع الإنسان عن المعصية.

فلابدّ للسالك أنْ يكون له ذكر لفظيّ وقلبيّ وفعليّ.

٢٢ - الأذكار[2]

وهي مادة الذكر اللفظيّ الذي تقدم، فلابدّ للسالك من أذكار يداوم عليها وهذه الأذكار يحددها الشيخ.

٢٣ - نفي الخواطر

وهو عبارة عن صمت القلب وتسخيره كي لا يتكلم إلا بمشيئة صاحبه، وهو من أعظم مطهرات السرّ ومنتج أكثر المعارف الحقة والتجليات الحقيقية[3].

وهذا ما يعاني منه الجميع، فنجد الإنسان في الصلاة أو الدعاء والقرآن والزيارة يأتيه النعاس أو يشتغل ذهنه ببعض الأمور.

---

١ سورة البقرة الآية ١٥٢.

٢ سنتكلم عن الذكر بصورة أوضح فيما يأتي.

٣ رسالة السير والسلوك/ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

وسبب الخواطر هو الغفلة، وقد تكلمنا عنها سابقاً، ومن مقومات الإنتباه(عدم الغفلة)، ونفي الخواطر يتمّ عبر أمور، منها:

١ . الدوام على الطهارة.

٢ . الإستعاذة: بمعنى أنَّك تستجير بالله العزيز القوي وبعظمته من الشيطان.

٣ . أنْ تكون العبادة في حال الإقبال عليها.

٤ . رفع الموانع: ومنها الموانع التي ذكرت في دعاء أبي حمزة الثمالي: ﴿ سَيِّدي لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَني وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَني أوْ لَعَلَّكَ رَأيْتَني مُسْتَخِفّاً بِحَقِّكَ فَاَقْصَيْتَني أو لَعَلَّكَ رَأيْتَني مُعْرِضاً عَنْكَ فَقَلَيْتَني أو لَعَلَّكَ وَجَدْتَني في مَقامِ الْكاذِبينَ فَرَفَضْتَني أو لَعَلَّك رَأيْتَني غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَني أو لَعَلَّكَ فَقَدْتَني مِنْ مَجالِسِ الْعُلَماءِ فَخَذَلْتَني أو لَعَلَّكَ رَأيْتَني في الْغافِلينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَني أو لَعَلَّكَ رَأيْتَني آلفَ مَجالِسِ الْبَطّالينَ فَبَيْني وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَني أو لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ أنْ تَسْمَعَ دُعائي فَباعَدْتَني أو لَعَلَّكَ بِجُرْمي وَجَريرَتي كافَيْتَني أو لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيائي مِنْكَ جازَيْتَني... ﴾[1]

٢٤ – الفكر

وهو إعطاء الإنسان حقه من الوجود، فوجود الإنسان بوجوده كمفكر، وكلّ إنسان بدون فكر فهو مغبون الإنسانية حيث يطلق عليه إنسان وهو لا يحمل ما عند الإنسان فهو غير موجود: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾[2].

---

١ مقطع من دعاء أبي حمزة الثمالي/ الصحيفة السجادية.

٢ سورة الأعراف الآية ١٧٩.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[١]، ولكن إذا خلى من التفكير صار كالأنعام، بل هو أضلّ.. وأتعس ما يكون الإنسان عندما يكون بلا فكر، فلابدّ لسالك هذا الطريق من الفكر.

٢٥ - النية

وهي أنْ يقصد الطالب لهذا الطريق القربة المطلقة الخالصة من أيّ شوب حتى نية تحصيل رؤيته تعالى التي تعتبر من النوايا الشريفة. لأنَّها ستكون نية التجار، وطالب هذا الطريق لابدّ أنْ تكون نيته كنية الأحرار وعبادتهم لا نية العبيد والتجار، كما أشار إلى ذلك سيد المخلصين وإمام الموحدين أمير المؤمنين علي إبن أبي طالب عليه السلام.

وقد يشتبه البعض في راجحية نيته ويتبناها، والحال أنَّها غير راجحة.

وقد ذكر إمامنا الراحل قدس سره في كتابه(الآداب المعنوية للصلاة)أشكالاً ثمانية للنية لم يرجح أحدها لتكون وجهاً للفعل العباديّ، مع أنَّ القارئ يقول يا ليتني أستطيع إستحضار أحدها.

وهذا من الأمور المهمّة التي ينبغي للطالب الإلتفات إليها، لأنَّ العمل إنَّما يكون بالنية فيُخاف أنْ تكون أعماله بعد التعب المضني بلا نية فلا تكون ذات آثار، فانتبه.

---

١ سورة الإسراء الآية ٧٠.

المقصد الثاني

التخليـة والتحليـة

توطئة

كل ما مر من المراحل الخمس في الفصل الأول والتي كان عنوانها(**التهيئة للتخلية**) لم تكن هي بذاتها(التخلية)وإنَّما كان مقدمة لها.

والكلام يقع في التخلية والتحلية وهنا نسأل، هل أنَّ مراحل(**التخلية، التحلية، التجلية**)طولية ولا يصار إلى الثانية إلا بعد الإنتهاء من الأولى أو لا؟

والجواب: إنَّه من المسلّم أنَّ التجلية هي آخر المراحل ويقع الخلاف في المرحلتين الأولى والثانية حيث توجد نظريتان حول هذا الموضوع قمنا بتحقيقهما وإقامة الأدلة على كل منهما وترجيح أحدهما عن الآخر وهما:

النظرية الأولى

إنَّ معنى التخلية بهذه النظرية أنْ نقوم برفع كل الصفات الذميمة أي تصفيتها كاملة وبعد ذلك نقوم بزرع الصفات الحميدة.

ولكن مثل هذا يلزم منه محذور، وهو أنَّنا قد نقضي زمناً طويلاً في رفع الصفات الذميمة كلّها أو بعضها وقد لا يتسنى لنا أنْ نزرع صفة حميدة واحدة.

النظرية الثانية: وفيها منهجان

الأول: هو رفع أول صفة سيئة من جنود الجهل ووضع صفة أخرى جيدة من جنود العقل أي في نفس الوقت والمكان وهذا بحسب منهج حديث جنود العقل والجهل(ذي الخمسة وسبعين جندي من الصفات).

الثاني: هو زرع وتثبيت فرع من شجرة الأخلاق داخل الصفات الذميمة للنفس وبهذا النوع سوف يتغلغل داخل النفس وكذلك يقوم برفع الجذور والصفات الذميمة السيئة وبالتالي سنكون الصفة الجديدة بديلا للصفة السابقة، ولكن يلاحظ أنَّ هناك خوف أنْ

تخرج جذور بعض الصفات من جنود الجهل وتنبت بدون الشعور بها. إرتأينا أنْ نتناول الجمع بين نظريات ومناهج كتاب العقل والجهل للإمام الخميني قدس سره أولاً وشجرة الأخلاق التي ذكرها السيد الطباطبائي قدس سره في الميزان ثانياً مع متابعة ذلك من جامع السعادات للشيخ النراقي ثالثاً، فنكون بذلك قد اتبعنا منهجية العلماء الثلاث بطريقة تجمع هذه المصادر الثلاث التي عليها المعول في مناهج السلوك والأخلاق مع ما نضيفه من خلال متابعتنا للنفس.

ملاحظة

في منهجية جنود العقل والجهل نطرح سؤالاً وهو: هل يجب اتباع مراحل الجنود بشكل مرتب كما هو الحديث أي الأول ثمّ الثاني ثمّ الثالث، أو يمكن تقديم الجنود بعضها على بعض؟

والجواب: إنَّ جنود العقل والجهل(الأربعة الأولى)لابدّ من العمل بها الواحد تلو الآخر وباقي الجنود لا تحتاج إلى الترتيب بل يقع كل جندي تحت ما يلائمه من فروع شجرة الأخلاق وسنشرع في فرع الحكمة في البداية وعليها سيعقد المقصد الثالث ولكن في البداية نريد التعريف بهذا الفرع وأهميته وإنَّه متعلق بالقوة الوهمية وهو روح العلم وعليه الكلام يقع في العلم الذي هو الحكمة كمقدمة للمقصد الثالث وهو الحكمة.

العلم

إنَّما قدمنا البحث حول العلم لضرورته في جميع المجالات، فالعبادة تحتاج إلى علم والأخلاق تحتاج إلى علم بها قبل تطبيقها وهذا ما ستكون عليه منهجيتنا، أمّا الأعمال التي أبرزها العبادات والتي ستكون المعراج الأول للصعود في عالم الملكوت، لابدّ أنْ تكون عن علم وبعلم وهذا يظهر من أقسام العبادات فهي على نوعين:

١- **العبادة البدنية الجهرية**: هي العبادة الشرعية المتمثلة بما طرحه الفقهاء من الأحكام الشرعية أي الفروع العشرة وهي الصلاة، الصوم، الحج، الخمس..... والكلام في الأحكام الشرعية من الناحية العلمية العملية يقع على ثلاث مستويات:

الأول: هو إيجادها بالتمام بأنّ يُعمل جميع فروع الدين، اللهم إلا ما لم يتوفر شرطه كالزكاة حيث أنَّها مختصة بطبقة من الناس وهم أهل الأرياف مثلاً، والحج حيث هو مشروط بالإستطاعة.

ولكن يجب المراجعة بين الحين والآخر لاحتمال تحقق شرط ما يتوقف على الشرط.

الثاني: القيام بهذا العمل على الوجه الشرعي المطلوب منه في الرسالة العملية مع مراعاة الإحتياطات التي يمكن أنْ تُراعى. كأنْ لا يأخذ أمّارية سوق المسلمين بعرضها العريض مع وجود أغلبية غير متشرعة في السوق أو أنْ يتباطئ في الجهاد بإدخال نفسه في مشاكل جواز التمسك بالعام بالشبهة المفهومية أو المصداقية عندما يشك في مفهوم الجهاد مثلا وأنَّ هذا المورد من موارد الجهاد المأمور به أو لا وهكذا، أو يدعي عدم توفر شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الهروب من الخمس بالطرق المتداولة وغير ذلك.

الثالث: الإتيان بالأعمال وفق الأحكام الشرعية - كما في المستوى الثاني - الذي يتضمن صحة العمل بمعنى الإتيان بالعمل تام الأجزاء والشرائط وهذا يتساوى فيه جميع المكلفين، أمّا طالب الطريق فلابدّ من الإتيان بالعمل بالبعد الآخر المعنوي للأحكام. إذ الصلاة الصورية صحيحة ولكنّها من المستوى الثاني والذي يطلبه المستوى الثالث هو كون الصلاة معراجاً وقرباناً، والحج مقبولاً، والصوم مقبولاً، والجهاد مسجلاً عند الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤثراً في المجتمع بحيث ادى إلى إجراء حكم الله وإعلاء كلمته.

٢- **العبادة القلبية السرية**: وهي التي تكون في داخل الإنسان، وهي العبادة الحقيقية والطاعة الملكوتية لله تعالى ومعرفة الصفات والعدل الإلهيين ومعرفة الهداة وأحوال المعاد وتعلّم العقائد الصحيحة.

وكلا نوعي العبادة يحقق الغرض من العبادة وبمعونتها يتقوم العقل، ومع ارتباط العلم والعبادة تظهر الآثار ويخاف الجبار وتتضح معالم الطريق ويُشرع به.

ويمكن للعبد السالك أنْ يعرف نتائج عبادته التي تكون عن علم إذا كانت له ثلاثة أغراض وهي:

أ- ترك الإلتفات إلى غير الله تعالى والتوجه إليه تعالى بكلّه وهذا سيتضح خلال البحوث الآتية.

ب- إستخدام القوة النفسية والبدنية لما خلقت لأجله، وإعمالها في الأمور المناسبة التي أمر الله بها، وكما جاء في دعاء مكارم الأخلاق للإمام السجاد عليه السلام: ﴿ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِـهِ وَاكْفِنِي مَـا يَشْغَلُنِي الإهْتِمَامُ بِهِ وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَـا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ

ايَامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ ﴾[١]، بمعنى أنَّ أعمالي وقواي الجوارحية والجوانحية(الخارجية والداخلية)أستخدمها كلّها في طاعة الله تبارك وتعالى.

وورد أيضاً في نفس الدعاء ﴿ فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعَاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يسْبقَ مَقْتُكَ إلَيَّ أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ ﴾[٢].

وفي فقرة أخرى ﴿ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِيْ عِبَادَة وَفَراغاً فِي زَهَادَة وعِلْماً فِي اسْتِعمَال وَوَرَعاً فِي إجْمَال ﴾[٣] **وتعني**: ياإلهي إذا عبدتك فامنحني العافية وإذا لم اعبدك فاسلب مني تلك العافية.

وقد رُويَ أنَّ نبي الله موسى عليه السلام قال لربِّه: ﴿ أرني أحبّ خلقك إليك وأكثرهم لك عبادة. فأمره الله تعالى أنْ ينتهي إلى قرية على ساحل البحر وأخبره أنَّه ليجده في مكان فوقع على رجل مجذوم مقعد أبرص يسبح الله تعالى. فقال موسى: يا جبرائيل: أين الرجل الذي سألت ربي أنْ يريني إياه؟ فقال جبرئيل: هو يا كليم الله هذا. فقال: ياجبرئيل إنّي كنت أحب أنْ أراه صوّاماً قوّاماً! فقال جبرئيل: هذا أحب إلى الله تعالى وأعبد له من الصوام والقوام، وقد أُمرتُ بإذهاب كريمتيه، فاسمع مايقول: فأشار جبرئيل إلى عينيه فسالتا على خديه، فقال: متَّعتني بهما حيث شئت. وسلبتني إياهما حيث شئت، وأبقيت لي فيك طول الأمل يا بارُّ يا وَصول. فقال له موسى: يا عبد الله إنِّي رجل مجاب الدعوة فإنْ أحببت أنْ أدعو لك تعالى يرد عليك ما ذهب من جوارحك ويبريك من العلة فعلت؟ فقال: لا أُريد شيئاً من ذلك، إختياره لي أحب إلي من

---

١ الصحيفة السجادية الكاملة – الدعاء العشرون.

٢ المصدر السابق.

٣ المصدر السابق.

إختياري لنفسي - وهذا هو الرضا المحض كما ترى -. فقال له موسى سمعتك تقول: يا بارُّ يا وَصول، ما هذا البرّ والصلة الواصلان إليك من ربك؟ فقال: ما أحد في هذا البلد يعرفه غيري - أو قال: يعبده - فراح متعجباً وقال: هذا أعبد أهل الدنيا ﴾[١].

ج- تلطيف السر: وكلمة تلطيف تعني تقليل السمك وكلمة سر تعني القلب بمعنى جعل غشاء القلب أخف ما يكون وأكثر شفافية حتى يكون مستعداً لتلقّي الفيض ونزوله ولتبين في صفحة النفس حقائق الأشياء.

أي أنّ حقائق الدروس التي تدرسها في جميع العلوم وخاصة الحكمة، والمعلومات التي تتلقاها بمعرفة الله تعالى يجب أنْ تنطبع على مرآة النفس فإنْ لم تكن لطيفة لم تنتقش ولم تظهر على صفحتها.

وبهذا البيان للأغراض الثلاثة عرفنا كيفية العبودية والسلوك العبودي وبه تتضح أهمية العلم في هذا المجال.

والروايات كثيرة في هذا المجال وهي على طائفتين:

الأولى: الذامّة للعمل بدون علم: ومنها:

١. عن الإمام الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ﴾[٢].

٢. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ ما إتخذ الله وليّاً جاهلاً قطّ ﴾[٣].

٣. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك ﴾[٤].

---

١ مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي الشاهرودي ج٤ ص١٥١.

٢ الكافي ج١ ص٤٤.

٣ جامع السعادات للمولى النراقي ج٣ ص١١٢.

٤ بحار الأنوار ج٢ ص١١١.

٤. عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿المتعبد بغير علم كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح من مكانه﴾[١].

الثانية: الذامّة للعلم بدون التقوى والعمل: فإنَّ العلم وحده بلا عبادة لا يكفي، والروايات في هذا المجال كثيرة، منها ما سمعناه من مشايخنا عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿العالم بلا تقوى كأعمى يحمل سراجاً يهدي ولا يهتدي﴾ حيث شبهت العالم بحامل السراج ليضيء للناس بعلمه ولكن الطريق عنده غير واضح لأنَّ علمه بلا عمل ولا تقوى. وهناك قول لبعض المحققين ينقله الشهيد الثاني في كتابه منية المريد فيه فائدة عظيمة يقول إنَّ العلماء ثلاث:

١. عالِم بالله غير عالِم بأمر الله فهو عبد إستولت المعرفة الإلهية على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال والكبرياء فلا يتفرغ ليتعلم علم الأحكام إلا ما لابدّ منه. (تعني أنَّه يدرس علم الفلسفة ويتعلم الأمور العقلية ولكنّه لا يهتمّ بالأحكام الشرعية).

٢. عالِم بأمر الله غير عالِم بالله وهو الذي عرف الحلال والحرام ودقائق الأحكام لكنّه لا يعرف أسرار جلال الله وهو عكس الأول تماماً.

٣. عالِم بالله وعالِم بأمر الله فهو جالس على الحدِّ المشترك بين عالَم المعقولات وعالَم المحسوسات، فهو تارة مع الله بالحبّ لله وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنَّه منهم لا يعرف الله، وإذا خلا بربه منشغلاً بذكره وخدمته وكأنَّه لا يعرف الخلق، وهذا سبيل المرسلين والصدّيقين، وهي

---

١ موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري ج٢ص٤٨.

عبادة بدنية جهرية وقلبية سرية، وهو المراد من قوله ﷺ: ﴿سائِل العلماء، وخالط الحكماء، وجالس الكبراء﴾[1].

فسائِل العلماء تعني أنْ تسأل العلماء عن أحكام الحلال والحرام(وهم الذين يعرفون أمر الله ولا يعرفون الله).

وخالط الحكماء تعني أنْ تعيش مع أهل الحكمة(الفلسفة)وهم(علماء بالله وليس بأمر الله وهذه المخالطة لا تعني العيش معهم بل التردد بالذهاب والإياب عليهم).

وجالس الكبراء وهؤلاء هم الذين أُجالسهم أي الذين أطيل معهم الجلوس لفترات طويلة وهم(علماء بالله وبأمر الله).

والفئة الأخيرة في مجالستهم خير الدنيا والآخرة.

علماً أنَّ لكل واحد من هؤلاء الثلاث علاقة دالّة عليه.

أ- العالم بأمر الله(الفقيه بالأحكام)وعلاماته:

١. الذكر باللسان دون القلب.

٢. الخوف من الخلق دون الرب.

٣. الإستحياء من الناس في الظاهر وعدم الإستحياء من الله في الباطن(السر).

ب- العالم بالله(حكيم)وعلاماته:

١. ذاكر خائف مستحٍ وذكره ذكر القلب دون اللسان.

٢. خوفه خوف رجاء لا خوف معصية، وحياؤه ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر.

---

١ منية المريد للشهيد الثاني ص١٢٥.

ج- العالم بالله وبأمر الله فعنده ستة أمور:

١. ذاكر كما في العالم الأول.

٢. خائف كما في العالم الأول.

٣. مستحٍ كما في العالم الأول.

٤. جالس على الحد المشترك بين عالم الغيب والشهادة(فهو غير منقطع عن الناس وغير متلهف للدنيا).

٥. كونه معلماً للمسلمين.

٦. يحتاج إليه الفريقان وهو مستغنٍ عنهما بقربه إلى الله[1].

والخلاصة مما تقدم:

إنَّ الخلق الأول الذي يجب أنْ نتعلمه أنْ نكون علماء بالله وبأمر الله.

أهمية المعارف الإلهية لهذا الطريق .

لبيان أهمية الحكمة والعلم في هذا الطريق نشير إلى أنَّ جميع الأخلاق والصفات والملكات لا تخلو من ثلاثة أنحاء هي[2]:

١. أعمال(المقصود بها الأعمال الصالحة).

٢. أحوال(الأخلاق الحسنة).

٣. العلوم(المعارف الحقة).

---

١ منية المريد ص١٢٥ بتصرف.

٢ ذكرنا هذا فيما تقدم وإنَّما نذكره الآن لأجل التركيز في البداية على المعارف الإلهية لأنَّها هي التي ستنطبع على صفحة النفس الناتجة من الأعمال والأخلاق وبها سيعرف السالك نتيجة سلوكه وهو معرفة الله عزَّ وجلَّ ومن ثمَّ الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل. فانتظر.

وهذه الأنحاء الثلاثة يكون فيها الإنسان مظهراً لأسماء الله تعالى وهذه الأمور الثلاثة لكي تحقق غرضها لابدّ أنْ تكون بنحو(العموم المجموعي)وليس بنحو(العموم الإستغراقي) وللتوضيح فإنَّ العموم المجموعي يعني إمتثال الجميع وعدم ترك أيٍّ منها، لأنَّ العموم الإستغراقي يجعل لكل واحد منها تكليفاً وأثراً وهو مرفوض هنا. فمثلاً يوجد فيلسوف يحمل علوم كثيرة وهي علوم شريفة ولكنّها بلا فائدة إنْ لم يكن معها أخلاق، وهناك من عنده أخلاق ولكنّه لا يحمل علوماً ومعارف، فمثَلَه كالأول لا فائدة منه، وآخر يحمل علوماً وأخلاقاً ولكن بلا أعمال وهو كسابقيه من حيث عدم الفائدة وإذا سألنا عن مصدر الأخلاق التي سيتمّ بنائها فإنَّ الجواب سيكون: هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال: ﴿ إنَّما بعثت لأتمّ مكارم الأخلاق ﴾[1] وهذه الرواية تشير إلى أنَّ الأخلاق موجودة عند الأنبياء السابقين عليهم السلام ولكنّها لم تكن تامّة الظهور والتمثيل بالحق تعالى والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أتمّها وأكملها، وهذا هو وجه تفضيل نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[2] والملاك في تفضيل كل نبي على آخر هو في تمثيله للأسماء والأخلاق، فقد يمثل نبيٌّ إسماً واحداً وآخر يمثل أسمين وغيره سبعة أسماء مع ملاحظة أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد مثّل جميع الأسماء وهو ظاهر في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ أدّبني ربي فاحسن تأديبي ﴾[3]، فكان هذا التأديب بأنْ ينقل صفاته تبارك وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. وبضم المقدمة الأولى إلى الثانية وهي: ﴿ إنَّ لله تبارك وتعالى تسعةً

---

١ بحار الأنوار ج١١ ص١٠ .

٢ سورة البقرة الآية ٢٥٣ .

٣ البحار ج١٦ ص٢١٠ .

وتسعين إسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة ﴾[١] والإسم هنا هو الخُلُق، والنتيجة أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو المظهر التام للأخلاق والأسماء الإلهية[٢].

وللإتصاف بهذه الأخلاق نحتاج إلى المعارف الحقة والأعمال الصالحة وبدون هذه الأنحاء الثلاث تكون الأعمال غير تامة والمعرفة غير تامة.

وهذا هو طريق العرفان العام المسمى بـ(العرفان الصناعي)في مقابل(العرفان الطبيعي) الذي يهبه الله تعالى في أصل الفطرة بشرط المحافظة عليه.

وأمّا العرفان الصناعي فيعني تطبيع الصفات الجيدة بالتطبع بعد أنْ فقد الطبع، فتثبت الأخلاق الفاضلة شيئاً فشيئاً إلى أنْ تصل النفس إلى مرحلة تكون فيها أرقّ وأصفى وأنظف من ذي قبل وبعدها يأتي دور الإشتغال بالعلوم والمعارف ومع زيادتها والبحث فيها تحصل المعرفة ثمّ شدتها وهو العرفان.

ملاحظات مهمّة:

١. إنَّ الأعمال والأخلاق والعلوم هي لسالك طريق المعرفة، فمن لم يجعل في ذهنه ذلك فلن تبدو آثارها له.

٢. إنَّ العلوم المذكورة ليست هي العلوم العامة والفقهية بل هي العلوم الإلهية.

٣. إنَّ من يريد التطبيق عليه بعرض نفسه على ما جاء في كتاب تحف العقول(لإبن شعبة الحراني)- مثلاً - وينظر بدقة نسبة تطبيق ما في الكتاب على أعماله ليعرف نسبة تشيعه لأهل البيت عليهم السلام.

---

١ التوحيد للشيخ الصدوق ص ١٩٤.

٢ لتوضيح هذا المطلب عقدنا له بحوثاً في الفتوحات العلوية تحت عنوان الحقيقة المحمدية.

٤- يلحق بالعلوم الإلهية علوم المقدمات والتي منها المنطق والفلسفة وعلم الكلام وما يتعلق بها ولكن على أنْ تكون بنحو الطريقية لا الموضوعية، بمعنى أنْ يستعملها كآلة للوصول وليست هي الهدف الحقيقي فيفني عمره في التنظير لها.

٥- الفلسفة تؤخذ من أستاذ له معرفة بالله تعالى وليس معرفة بالمصطلحات فقط.

وبذلك تكون العلوم العقلية(الإلهية)تحت مسمى علم المعاملة لأنَّ لها جانبين وشكلين:

١. بينك وبين الله تعالى.

٢. بينك وبين الخلق.

ولعل الأسفار الأربعة هي بيان لهذه المعاملة.

وأشرف الجانبين أو الشكلين هو ما بينك وبين الحق تعالى الذي يعبّر عنه بالمكاشفة والتي هي العلم الإلهي الذي يتعامل به الشخص مع الله تعالى والذي جاءت محصلته بمقدمة الأعمال والأخلاق.

النتيجة

إنَّ الذي تحصل عنده المكاشفة هو الإنسان العامل الخلوق العالم(المتعامل مع الله تعالى)وعليه تكون العلوم العامة المتعلقة بالعمل على مرتبة متقدمة فهي(طريق)للعلوم النظرية - وهي المعارف الإلهية فقط - وشرف العلوم تعرف من شرف المعلوم إذ أنَّ شرف العلوم النظرية بالمعارف الإلهية وبذلك يثبت أنَّ العلوم النظرية أشرف من العلوم العملية.

ولكن لا يتمّ هذا الشرف لها إلا إذا اقترن العلم بالعمل.

فالدرس المستفاد من هذه المعارف هو لابدّية الإتيان بالأنحاء الثلاثة على نحو العموم المجموعي فإذا تحققت هذه الثلاثة لاحت مراتب العرفان - وهو إنكشاف الحقائق العالية -.

ومن باب الكلام يجرّ الكلام نذكر شيئاً عن:

المكاشفة

بما بيّناه آنفاً تحصل فائدة من العلم الذي جاء بعد الأخلاق والعمل وهذه الفائدة(أنْ تصفي مرآة القلب) وهو الوعاء، فإذا صفا ورقّ سوف تتبيّن له حقائق الأشياء وهي (معرفة الله تعالى)وعلى سالك هذا الطريق أنْ يعرف ويعقد ضميره وأفكاره بأنَّ المكاشفة ليست هي الغاية.

والمكاشفة: هي حصول علم للنفس، إمّا بفكر أو بحدس أو لسانحٍ غيبي متعلق بأمر جزئي واقع في الماضي أو المستقبل، وهذه المكاشفة تحصل دفعة من غير فكر وطلب.

وهي على أقسام، أفضلها شرفاً معرفة الله تعالى إذن غرض المكاشفة هو أنْ يكون الإنسان السالك أعرف الناس بالله تعالى مع العلم أنَّ كلّ أنواع المكاشفة جيدة ما لم تكن من الوهم أو الشيطان أو خيالات الجن.

أقسام المكاشفة

١- كأنْ ينكشف لهذا الإنسان بأنَّ الله تعالى هو خالق كل شيء ولنا أنْ نتسائل ثمّ ماذا بعد ذلك. لأنَّ هذه أمور معرفية تحصل بالكسب والمهم هو ترتيب الأثر من هذه المعرفة.

٢- كأنْ ينكشف لهذا الإنسان مقاليد السماوات والأرض وتساؤلنا أيضاً ماذا بعد؟.

إنَّ المعرفة الربوبية هي المعرفة التي يسمى من يصل إليها بـ(العالِم الربّاني أو الحكيم الإلهي)ويسمى بالمصطلح القرآني الولي أو الصدّيق.

فالمكاشفة هي مقسم وأقسامه علوم أشرفها معرفة الله تعالى، والمعرفة الحقيقية هي عين السعادة الحقيقية كما عبّر عنها النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إنَّ لي مع الله تعالى حالات وأوقات لا يسعني فيها نبي مرسل أو ملك مقرب﴾[1] وهذه السعادة الحقيقية هي التي كانت تغمر سيد الشهداء عليه السلام عندما كان وجهه يتلألأ كلما أُصيب بسيف أو حجر أو ضربة أو شيء آخر فهي ليست سعادة أهل الدنيا في جمع الأموال والحصول على المناصب وغيرها فالنعم التي نحن مغمورون بها لا تجعلنا ننظر إلى المنعم وانغماسنا في الدنيا لا يَجعلنا نعرف حقيقة السعادة وعند الموت سيكشف عنّا الغطاء ويصير بصرنا حديد، وهنالك نعرف مدى غفلتنا من معرفة خالقنا وبُعدنا عنه.

يقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة﴿متى غبت حتى تحتاج إلى دليل ومتى جعلت الآثار هي التي تدل عليك ﴾[2] وهذا يعني: إنَّك غبت عن أهل الدنيا والمنغمسين بها.

---

١ تفسير الآلوسي ج٥ ص١٥٧.

٢ مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

تفاضل الأحوال[1]

الأحوال: هي الأخلاق الحسنة والملكات الفاضلة التي تؤثر وجوداً وإستقراراً على روح الإنسان المسماة(القلب الحقيقي).

وكلمة وجوداً وإستقراراً نعني إبتداءاً وإستدامةً، فليس المطلوب أنْ يتخلق الإنسان بخلق معين وكفى، بل لابدّ من الإستقرار على ذلك الخلق، وقيد(الإستقرار)إشارة إلى أنَّ كثيراً من الملكات لا تستقر بل هو توهم أنَّها ملكة وذلك لأنَّ جذور الملكة لم تكن عميقة في النفس بل كانت سطحية أفقية وليست عمودية ومثال ذلك(الشيخ صنعان[2])إذ كان عشرات السنين يعمل بالعبادات ولكنّها لم تكن أصلاً متجذراً ثمّ أصبح منحرفاً، ويوجد أمثلة أخرى كثيرة ذُكرت في كتب التراجم والرجال حالات متعددة منها.

وقد قلنا أنَّ الأحوال تكون على روح الإنسان المعروفة بالقلب الحقيقي **فما هو القلب؟**.

القلب

إنَّ القلب الذي عُبّر عنه بالقلب الحقيقي هو بيت الله ويُستدل عليه بآية: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[3].

وهنا وعبر الإعتماد على التفسير الباطني وليس الظاهري لكلمة(بيت)الواردة في هذه الآية يكون معنى البيت هو القلب.

قال إبن عربي في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[1]: ﴿قيل: هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض،

---

١ المبحث الثاني من مباحث التوطئة بعد العلم ويأتي بعدها تفاضل الأعمال.

٢ راجع قصته في منطق الطير للشيخ فريد الدين العطار النيشابوري.

٣ سورة الحج الآية ٢٦.

خلقه قبل الأرض بألفي عام، وكان زبدة بيضاء على وجه الماء، فدحيت الأرض تحته، فالبيت إشارة إلى القلب الحقيقي وظهوره على وجه الماء تعلقه بالنطفة عند سماء الروح الحيوانية وأرض البدن، وخلقه قبل الأرض إشارة إلى قِدَمِه[٢]؛ وحدوث البدن وتعيينه بألفي عام إشارة إلى تقدمه على البدن بطورين، طور النفس وطور القلب تقدماً بالرتبة... ودحو الأرض تحته إشارة إلى تكون البدن من تأثير ﴾[٣]

إنَّ السير في ملكوت الأشياء يكون بترك الجزئيات ولحظ الأشياء الكلية الملكوتية الحقيقية، لأنَّ القلب الحقيقي يدرك معاني الحقائق وأنَّ هذا السير يرسّخ الملكات في النفس، والتوجه إلى عالم النفس ونفي الكثرة والإلتفات إلى عالم الوحدة والخروج من عالم الظلمة إلى النور هو عروج من عالم المادة إلى عالم القدس ﴿حتى تخرق أبصارنا حجب النور، وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك﴾[٤] فيكون تطهير القلب بالإنتقال من الجزئي إلى الكلي، وهذه هي الضابطة العامة والملاك الدائم للسير والسلوك.

إذن لابدّ من تطهير القلب الحقيقي وتصفيته من شوائب الدنيا وشواغل الخلق وتأثيراتها ضعيفة كانت أو قوية، حتى إذا طَهُر القلب وصَفى عَرَف الحق بمقدار تلك التصفية. وقد عرفنا أنَّ الأحوال الحسنة تنبعث من الأعمال الصالحة، والأحوال السيئة تنبعث من الأعمال السيئة، ولهذا أشار القرآن بالقول ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾[٥].

---

١ سورة آل عمران الآية ٩٦.

٢ أي سبقه على البدن لا المسبوقية المطلقة وإلا لزم محذور تعدد القديم.

٣ تفسير إبن عربي ج١ ص١٣٧.

٤ المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين علي عليه السلام.

٥ سورة الزلزلة الآيات ٧و٨.

فالفاعل هو الإنسان والرؤية تكون بحسب الفهم مطلقة من ناحية زمان ومكان الرؤية فهي بالتالي غير محصورة، إذ لا يمنع العقل والنقل من الرؤية في الدنيا بمعنى رؤية العمل في الدنيا.

فهذه الأعمال التي نعملها ستولِّد الأحوال الحسنة ومن ثمّ تجعل النفس مهيئة لتلقي المعارف الحقّة.

وبالتالي فإنَّ هذه الملكات والأخلاق الحسنة يعبّر عنها بالصورة الملكوتية للإنسان. وبلحاظ الصور ينقسم الإنسان إلى قسمين، بل صورتين:

١. **الصورة المُلكية (وهي صورته الخارجية الظاهرة للعَيان).**

٢. **الصورة الملكوتية (وهي صورته المعَبِّرة عن أخلاقه الباطنية).**

والصورة الملكوتية هي التي ستحشر معه يوم القيامة وهي مثاله آنذاك فإمّا أنْ تكون قبيحة وإمّا أنْ تكون حسنة تبعاً لحسن وقبح العمل وهي المقصود في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ ﴾[1].

واعلم أنَّ الأخلاق مواريث المعاملات، إذ أنَّ المعاملات إذا تكررت بالنيات الصادقة (والتكرر يعني التطبع)حصلت منها ملكات، فتصبح هيئات راسخة في النفس وهي (الأخلاق)فتتأثر النفس بنورها وتصفو بصفائها.

---

١ سورة الكهف الآية ٤٩.

ثمّ اعلم أنَّ العلوم متمايزة وتمايزها جعلها ذات مراتب، فهي وإنْ كانت كلّها ذات فائدة إلا أنَّ بعضها أفضل من بعض وأفضل العلوم ما عُرف بها الله عزّ وجلّ وقرّب إليه تعالى وهي التي قد تفضل إنساناً على إنسان.

وتقسم الأحوال إلى قسمين:

١. **ما كان عن ملكة راسخة وهو يدعي بالعرفان طبيعي.**

٢. **ما لم يكن عن ملكة راسخة ويقسم إلى قسمين:**

أ- **ما يأتي عن طريق الأعمال:** وهي العبادات وغيرها مما سنذكره في الأعمال التالية.

ب- الذي يتأتى عن طريق التعلم النظري وتذاكره.

فبعضها يأتي نتيجة العمل وهو الصنف الأول، والآخر يأتي نتيجة التعلم وهو الصنف الثاني لعدم وجود عمل يؤدي إليها.

وبالجملة: إنَّ أفضل الأعمال والأحوال وأوّلها الذي يجمع كلا الصنفين هو (**النية الخالصة لله تعالى**)والتي يجب معرفتها كما هي.

تفاضل الأعمال

إنَّ جميع الأعمال الخارجية تكون على شكلين:

١- الأعمال التي يكون فعلها مكدراً للقلب ويزيد في حجابه ويزيد في ظلمانيته وهي المعاصي.

٢- الأعمال التي يكون فعلها منوراً للقلب ويصفي النفس وهي الطاعات.

فالمعاصي تكون على مراتب: (**لَمَم، وصغائر، وكبائر**)، ومن الطاعات ما تكون على مراتب: منها ماهو أقرب من غيرها أي بالقرب إلى الله تعالى وتلفت النظر إلى أنَّه ليس العمل المختص يكون مقرِّباً فقط بل يعتمد على نفس الإنسان في ملاحظة هذا القرب بمعنى أنَّ القرب الإلهي بالأعمال لا نلحظ مستواه ودرجته في الروايات فقط، بل لعل إنساناً يحصل على قرب أكثر من عمل آخر لا يحصل عليه شخص آخر، فمثلاً من ترتبت عليه كفارة الإفطار العمدي في شهر رمضان المرددة بين الخصال الثلاث تختلف درجة عقوبته وثوابه حسب ما لا يلائمه من خصال الكفارة، فالإنسان الغني ينفعه الصوم أكثر مما لو تصدق على ستين مسكيناً والفقير ينفعه التصدق أكثر مما لو صام وهكذا، وهذا ظاهر فيما ورد عن الأئمة عليهم السلام بأنَّ: ﴿ أفضل الأعمال أحمزها ﴾[1].

وفي مثال آخر نجد أنَّ الإنسان إذا صلى الليل أفضل من إعطاءه الصدقة وهو غني كثير الأموال، والسبب هو أنَّ الأموال موجودة بكثرة والإعطاء يكون عليه سهلاً ولكن الإستيقاظ لصلاة الليل يكون صعباً عليه، فالمدار التباين هنا ليس في العمل نفسه ومقدار الطاعة فحسب بل يكون نفس الإنسان ومدى مشقة وصعوبة العمل واختلاف الأنفس والأشخاص، هذا في أمثلة الفعل والطاعة.

أمّا في الترك وفعل المعصية ولا نقصد بالمعصية الفعل المحرم لأنَّنا جزماً لا نعمل الحرام، بل الكلام حول المحرمات الأخلاقية يعني المكروهات لا المحرمات الشرعية كان تكون مخيراص بين ترك الأكل الكثير أو ترك التدخين فما هو الأفضل تركه في الحالتين؟ والجواب هو: ترك التدخين لأنَّ المبتلى به يصعب عليه تركه خاصة بعدما تغلغل

---

١ بحار الأنوار ج٦٧ ص١٩١.

النيكوتين في دمه وأعضاءه ولكن بالمقابل قد يكون الشخص من غير المدخنين لكنّه لا يستطيع تقليل أكله.

وعلى أي حال فإنَّ الأعمال تتفاضل وكذلك العلوم وإذا عرفنا تفاضل العلوم والأعمال والأحوال فلابدّ من وجود رابطة تربط التفاضلات الثلاث وتحقيق الربط هو الذي سيوصلنا إلى درجات المقرّبين التي بدايتها تكون في تصفية القلب التي هي على ثلاث طرق:

١- **إقامة وظائف العبادة:** والعبادة لا تتحق إلا إذا تعلق بها أمر - وهذا واضح من علم الأصول - غايته إنَّ الأوامر قد تكون بنحو الوجوب أو بنحو الإستحباب وهذا سينكشف من القرائن المحفوف بها الكلام.

وهذه العبادات تعتبر تكاليف ووضائف على السالك فيجب عليه إقامتها.

٢- **إدامة مراسم العدالة وإقامتها:** وهذا يمكن أنْ يتجلى خلال الرواية التالية: روى الشيخ محمد باقر الكجوري نقلاً عن إبن الجوزي قوله: ﴿ إعلم لما حضرت الوفاة سيدة العصمة والعفاف دخل عليها أمير المؤمنين فوجد عندها حقة، فسألها عنها فقالت: فيها حرير أخضر، وفي الحرير ورقة بيضاء، وفي الورقة عدة سطور يسطع منها النور. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وماذا كتب فيها يا بنت خديجة الكبرى؟ فقالت: يا سفينة النجاة و يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لمّا زوجني أبي منك وأخبر أنَّ عقدي قرّ نمت شجرة طوبى فنثرت الحلي والحلل كان عندي ثوبان أحدهما قديم والآخر جديد، وكنت جالسة للعبادة ليلة الزفاف فإذا سائل ينادي: يا أهل بيت النبوة ومعدن الخير والفتوة أعطوني ثوباً قديماً فإنّي فقير، فأعطيته الثوب الجديد، فلما أصبح الصباح غداً علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه المنور. فقال: أين ثوبك الجديد ما أراك تلبسينه؟ فقلت:

ألم تقل إنَّ الصدقة باقية فأنِّي تصدقت به. فقال: لو تصدقت بالقديم ولبستِ الجديد فهو أرعى لزوجك وللفقير، وأحفظ لك من حرارة الصيف في أيام الصيام فقلت: لقد اقتديت بك يوم تزوجت بخديجة فبذلت مالها وجاءك سائل فأعطيته ثوبك واشتملت بالحصر. ورأيتك تصنع كثيراً مما لا يفعله غيرك حتى جعلت الجنة لك ونزل فيك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[1] فبكى النبي وضمَّني إلى صدره وقال هبط الأمين جبرئيل وقال: أقريء فاطمة السلام وقل لها فلتطلب ما في الغبراء والخضراء وبشرها أنِّي أحبُّها. فقلت يا رسول الله: شغلني عن مسألته لذة خدمته، ولا حاجة لي غير النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام فقال: إرفعي يدك، فرفعت يدي ورفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده حتى بان بياض أبطيه ثمّ دعا لأمته فقال: ﴿اللهم إغفر لأمتي﴾ فقلت آمين فهبط جبرئيل وقال: قال الله عزّ وجلّ: غفرت لمن أحب فاطمة وأباها وبعلها وبنيها من أمتك، فطلبت كتابا فجاءني جبرائيل الأمين بهذا الحرير الأخضر وفيه هذه الرقعة البيضاء مكتوب فيه بيد القدرة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2] وشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل. فقال أبي: إحفظي ذلك وأوصي أنْ يدفن معك في قبرك فإذا كان يوم القيامة وتصاعد لهيب النيران أرفعه إلى أبي ليأخذ لي بما وعدني ربي﴾[3].

ومحل كلامنا هو قولها عليها السلام: ﴿شغلتني عن مسألته لذة خدمته﴾، وهذا يعني إنغمارها عليها السلام في إقامة المراسم وإدامتها، بل أنَّها عليها السلام ترقت وما طلبته لا يخرجها من

---

١ سورة الإسراء الآية ٢٩.

٢ سورة الأنعام الآية ٥٤.

٣ الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري ج٢ ص٣١٥.

مراسم العدالة بل تجعلها ذاتية فيها وهو طلبها للنظر إلى وجهه تعالى الكريم في دار السلام.

٣- **إزالة وساوس العادة من الطبائع المتداولة:** التي ليس لها أي شرعية من الشارع المقدّس بل هي أعراف بغيضة. وهذه الطرق الثلاثة هي حلقة الوصل والجمع بين الأمور الثلاث السابقة(**تفاضل العلوم – الأحوال – الأعمال**).

وقد تسأل كيف يمكن توفير وإقامة وظائف العبادة وإدامة مراسيم العدالة وإزالة وساوس العادة؟.

والجواب يكون بأنَّ كلَّ واحدة من هذه الطرق تبتنى على شيء خاص بها، بتوفيره تتوفر هذه الطرق.

فإقامة وظائف العبادة : مبنيٌّ على تهذيب الأخلاق وتقويم الملكات.

و إدامة مراسم العدالة: فهو مبنيٌّ على إقامة مراسم العبودية واداء الشكر على النعم الربوبية والعطايا الإلهية. وقد عرفت ذلك من الحديث.

وأمّا إزالة وساوس العادة: فمبنيٌّ على ترك المألوفات ورفض المستلذات.

ولا يمكن إستكمال هذه الطرق الثلاث إلا بسلوك الطريقين الأخيرين اللذين هما أسباب وعلل النتيجة المحددة وهي تهذيب الأخلاق وتقويم الملكات.

إنَّ الأعمال والمقدمات التي تأتي من ادامة مراسم العدالة وازالة وساوس العادة(أي عمل العبادات وبعدها ترك العادات)تستوجب وجود شرط رئيسي لهذه المقدمات والعلل وهو (الشوق في النفس)فإنَّه لا يتمّ شيء إلا بالشوق إلى المعبود الحقيقي وكلامنا أنَّها: أعمال، ثمّ ملكات، ثمّ علوم، وهذه طرق للوصول، ولكن المحرّك للأعمال هو الشوق إلى الوصول وهذا هو المقتضي الأول(الشوق والإرادة)ولا يمكن تحصيل الشوق إلا بالمعرفة والدرس لكي

يكون الطلب عن معرفة وهو قوام تحقق الشوق، وعلامة الشوق هو عدم الإستقرار واحتراق القلب.

وقبل السير في هذا الطريق يجب معرفة نية كل شخص طالب لهذا الطريق لأنَّ سالكيه الطريق كثيرين ونواياهم متعددة فمنهم من يطلب المعرفة لأجل أنْ يكون صاحب معرفة وأخلاق، أو لغرض السمعة أو لأجل أنْ يتكامل، وهذا التكامل لو بحثناه جيداً لوجدناه كمال للنفس وليس لمعرفة الله تعالى، فيصبح هذا التكامل هدفاً والحال على أنَّه طريق للوصول إلى الهدف **فإنتبه**.

نفع العبادات في جلب النفع للروح وإصلاح النفس

إنَّ الله تبارك وتعالى أعطى الوجود للإنسان. و الإنسان – بإعتبار – عبارة عن روح وجسد وظاهر وباطن ونور وظلمة وهذا جاء نتيجة تلبس الوجود والماهية بالمادة.

فأصل وجود الإنسان هو(**روح و نور و باطن**)وعندما تلبس بالمادة اصبح(**جسد و ظاهر و ظلمة**)وطبيعي إنَّ الروح والنور والباطن موجودة بعد التلبس ولكنّها غير ظاهرة بسبب التعلق، والمهم هو الإلتفات إلى أنَّ للإنسان باطن فالمقايسة تكون حول ظاهر الإنسان واتزانه وكيفية الإرتباط بين الظاهر والباطن وعلى أثر ذلك ستنشط الروح ويتنور الوجود. وهذا لا يتحقق إلا إذا ظهرت ثمرة الأعمال الخارجية التي ستنتج الأحوال وهذا يتطلب معرفة مادية البدن وطبيعته[١] فنقول:

عندما خلق الله تعالى البدن تكونت فيه حالة مزاجية مستقرة[١] وقد تتباين حالاته باختلاف المزاج ولكن الوسط والإعتدال في البدن هو مراعاة حالاته العامة من حيث نسبة كل واحد من الأمزجة ويكون عن طريق الإلتزام بالضوابط العامة لجعله مستقيما.

---

١ وإنْ كنّا قد فصّلنا الكلام فيه عند بحثنا عن الجسم ضمن المقولات العشر في الفتوحات العلوية فإنْ رُمْتَ الزيادة فراجع.

فمثلا مخالفة رواية شرعية تجعل البدن سقيما كرواية أمير المؤمنين عليه السلام عن البرد: ﴿ توقوه في أوله وتلقوه في آخره ﴾ وكما في رواية(عنوان البصري)إذ يقسم الإمام الصادق عليه السلام البطن إلى ثلاث أقسام: ﴿ ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ﴾ إذ تستقيم بها الحياة ويدفع بها المرض.

فكما أنَّ البدن يتأثر بهذه الأمور والزيادة والنقصان كذلك الروح تتأثر إذا مالت إلى جهة الإفراط أو التفريط ولنا أنْ نتسائل **ماهي العلاقة بين الروح والجسد؟**.

نعرف الروح بحسب طبيعتها: كائن لطيف شفاف – أو كما يعبّر بالأثيري – وهي ليست النفس إذ أنَّ النفس عبارة عن مجموعة قوى.

وهذه الروح التي هي كائن لطيف شفاف لو تركت وطبعها لصعدت إلى الأعلى.

أمّا الجسد فهو: كائن ثقيل مادي بطبيعته ينزل إلى الأسفل.

وقد جعل التوازن بين الروح التي تريد الصعود إلى الأعلى، وبين الجسد الذي يريد النزول إلى الأسفل بالأحكام الشرعية، إذ أنَّ مشيئة الله وأمره في الروح أنْ تكون أسيرة في هذا الجسد لفترة محدودة(وهي الدنيا)وجعل لهذه الروح أُنساً في هذا الجسد هو (**الصلاة**، **الصوم**، **الدعاء**، **العلم**) وجعل للبدن(**الأكل**، **الشرب**، **المنكح**، **المسكن**)وجعل الله عزّ وجلّ نظام المعادلة والتوازن بينهما بأنَّه ما دام الإنسان يأكل الحلال بالمقدار المحدد لن ينزل الجسم إلى الأرض.

---

١ والمزاج هو عبارة عن حالات أربع تتميّز بها الأجسام : ١- رطوبة. ٢- يبوسة. ٣- حرارة. ٤- برودة.

وما دام الإنسان يصلي ويصوم ويحافظ على العبادات لن تصعد الروح إلى السماء.

وبهذا سيخلق التوازن بين هاتين الطبيعتين، فالإعراض عن الزواج والطعام والإنزواء في الزوايا كلّه مخالف للشرع، ولكن بالمقابل إذا اصبحنا كالدابة التي همها علفها فسنخالف الشرع أيضاً، وما التوازن إلا الإلتزام بالحكم الشرعي.

إذن فالحكم الشرعي هو عنوان التوازن في الحياة.

والروح كذلك تتأثر إذا مالت في طرف الإفراط والتفريط ومن هنا سنطرح موضوع فلسفة الأحكام الشرعية وكيفية أنَّ أقسام الحكم الشرعي الخمسة تكون للأطعمة المادية أيضاً، وهذا كلّه بلحاظ ما يتناوله الإنسان من الأطعمة والأدوية اليومية فلا تخلو من خمسة أقسام:

١. **مُفيدة ومُصلحة**: وهي التي يكون تناولها ضروري وتركها مضر يؤدي إلى الهلاك الذي لا يكون له دواء.

٢. **مُفيدة ومُصلحة**: وهي التي يكون تناولها موافق الطبع وملائم للمزاج ويعطي القوة ولكن تركها لا يؤدي إلى الهلاك.

٣. **مُفسدة ومُضرة**: بحيث تركها يكون ضرورياً، واستعمالها موجباً للهلاك ويؤدي إلى أمراض لا دواء لها.

٤. **مُفسدة ومُضرة**: بحيث يكون تركها غير واجب، وإنْ كان تناولها لا يخلو من مضرة.

٥. **ما تساوت نسبة تناولها وتركها إلى المزاج والطبيعة**: بحيث لا منفعة في فعلها ولا مضرة في تركها.

وكل هذه الأقسام وأحكامها تؤثر على الروح كما لايخفى، فإن كان هناك توازن وفق تلك الأقسام الخمسة عاش الإنسان بسلام، وإنْ حصل أيّ خلل فإمّا أنْ يُجَّن ويسكن الخرابات أو أنْ يتثاقل إلى الأرض.

فيا أيها العزيز لماذا قلت لروحك ليس لك شيءٌ من صلاة وعبادة، أو قلت صلاة وعبادة لكنّها مجرد ألفاظ، حتى وصلت إلى هذه المرحلة؟!.

فإنتبه لنفسك ووازن حياتك تغنم بسعادة الدارين.

وجوه التناسب بين الصحة والسقم والظاهر والباطن والربط بين الأغذية الروحانية والمادية

أسلفنا أنَّ الأغذية لها أحوال خمسة يمكن أنْ تؤثر على الجسد بالسلب أو الإيجاب بميله إلى طرف الإفراط أو التفريط وقلنا أنّه لابدّ للإنسان أنْ يسلك الطريقة الوسطى وتبعاً لذلك فإنَّ النفس تحكم بتلك الأحكام الخمسة وإنَّ للنفس أعمال، وأعمالها هي أفكارها وحركاتها الذهنية التي تمثل جانب العقل وهي بدورها تخضع إلى أمور خمسة، فهذه خمسة على وزن تلك الخمسة.

والأقسام الخمسة للأعمال والأقوال التي على أساسها يضع الإنسان نسبة الإلتزام والطاعة بالأسس الشرعية:

الأول: ما يكون من الأعمال والأقوال الإتيان به نافعاً في السعادة الأخروية ولابدّ للعاقل البالغ أنْ يشتغل به وكلمة العاقل البالغ ليس هو ذلك المكلف الذي يبلغ حد الفقه به بإتيانه التكاليف الشرعية(١٥ سنة قمرية)كلا بل العاقل البالغ هو ذلك الإنسان المستقيم الخلقة الباطنية البالغ حد السلوك الأخلاقي فلابدّ أنَّ يشتغل به ولا يتركه إلا بعذر شرعي وهذا ما يسمى **الواجب أو الفرض.**

الثاني: ما يكون الإشتغال به مستتبعاً إلى التقرب إليه تعالى ورفع المنزلة للعبد من الرب وسبباً لكونه ممدوحا، ولكنّه يجوز تركه من غير ملامة ولا يستتبع مضرة وهو ما يسمى **المندوب.**

الثالث: ما يكون تركه أولى من فعله والإعراض عنه سبباً للمحمدة والثناء ولكن لو أتيت به لا تكون مُلاماً وهو ما يسمى **المكروه.**

الرابع: ما يكون ارتكابه ظلمة لجوهر النفس واقترافه مستلزما لكدورة الباطن ولا سبيل للمكلف للاصرار على مزاولته وهو ما يسمى **الحرام.**

الخامس: ما لا يترتب على فعله وتركه نفعاً ولاضراً ولايتوجه إليه شيء من المدح أو الذم وهو ما يسمى **المباح.**

وهذا التقسيم عقلي وشرعي وسنعرف قصد الشريعة في ذلك من معرفة:

أقسام الشريعة

١- الشريعة الظاهرة: وهي أحكام تهذيب الظاهر عن الأخباث والأنجاس الجسمانية، وإلزام الإنسان بتلك الأحكام والعبادات التي يكون فيها خضوع الجوارح وترك المستلذات وإيتاء الصدقات وتكثير أعداد أهل الإيمان[١] وتقليل أعداد أهل الكفر والنفاق[٢] وإجراء الحدود والتعزيرات وضبط الأمة تحت السياسة المدنية.

---

١ ويكون ذلك بالزواج.

٢ ويكون ذلك بالجهاد.

٢- الشريعة الباطنة: وتقسم إلى:

أ- العملية: وهو تهذيب الباطن عن الفواحش الباطنية وتصفيتها من الصفات الحيوانية والشهوية والغضبية كطلب المشتهيات والترفع على الغير.

ب- العلمية: وهو تهذيب الجنبة العالية من النفس والقوة العقلية عن الإعتقادات الفاسدة الجهلية وتخليتها عن الأحكام الوهمية الكاذبة أي تحليتها بالعقائد الحقة اليقينية.

ويمكن تسمية الشرائع الثلاث كالتالي:

الأولى: وهي الشريعة الظاهرة، وأصحابها هم أهل الشريعة.

الثانية: الشريعة الباطنية العملية وتسمى الطريقة وأصحابها هم أهل الطريقة.

الثالثة: الشريعة الباطنية العلمية وتسمى الحقيقة وأصحابها هم أهل الحقيقة.

والغاية القصوى لهذه الثلاث هي سوقنا لجوار الله سبحانه وتعالى والإتصال به والوصول إلى منزلة المقربين.

ويمكننا تقسيم الأحكام الخمسة من الجهة العلمية والعقلية بالتقسيم التالي:

١- الواجب وتقسيمه هنا(صناعة البرهان).

٢- المستحب وتقسيمه هنا(الخطابة).

٣- المحرم وتقسيمه هنا(السفسطة).

٤- المكروه وتقسيمه هنا(الشعر).

٥- المباح وتقسيمه هنا(الجدل)[1] .

---

١ تفصيل هذه الأمور في المنطق.

فهذه التقسيمات الخمسة جرت على الأحوال والأعمال والعلوم. وهنا يعرف الإنسان المرغوبات والمبغوضات الإلهية في حياته وآخرته على جميع المستويات.

والقرآن المجيد يقول: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾[1]، ففي هذه الآية معنى يرشد إلى الدعوة إلى عدم التفرق ومن المعلوم أنَّه يوجد في الدين أحكام و نواميس إلهية ثابتة (**وهي الأصول**) وأحكام فرعية تتغير وفق المصالح والمفاسد (**تسمى الفروع**) فهل أنَّ هذا المعنى جاء للأحكام الأصلية والفرعية معاً أو أنَّه للأحكام الأصلية فقط كما أشار لذلك بعض المفسرين ؟ .

نقول: إنَّ القدر المتيقن من معنى كلمة(لا تفرقوا)جاء في الأحكام الثابتة الأصلية، أمّا الأحكام الفرعية فحصول الإختلاف فيها لا يعني بث روح الفرقة وهذه من القضايا المهمّة جداً.

ولك أنْ تسأل: عن سر الخلافات الواقعة بين العلماء على ضوء الآية الكريمة، فكيف يكون هناك اختلاف في الفروع وفي بعض الأصول؟.

والجواب: إنَّ منشأها هو قصور سعيهم في طلب الحقائق وعدم دخولهم في جميع أبواب الدين لأنَّ بعضهم خلد إلى الراحة ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾[2].

إنَّ العلماء مأمورون أنْ يتركوا الدنيا وأنْ يكفروا بالطاغوت ولكنّهم لم يسلكوا طريق الحقائق وترسخت أذهانهم في الإشكالات ودفعها على طريقة(إنْ قُلتَ قُلتُ).

---

١ سورة الشورى الآية ١٣.

٢ سورة يونس الآية ٧.

وانصرفت من أذهانهم إرادة الحق تعالى عن ذلك المطلب الأسنى وهذا في الجانب العلمي أو الإنشغال في طلب الجاه والذي حقيقته أفسد من طلب المال إذ أنَّ الجاه المعنوي يعني التسلط على القلوب، ويعني المنزلة والإحترام بين الناس وسلب قلوبهم. أمّا طلب المال فهو تسلط على الأبدان، وقد سمعنا من مشايخنا: ﴿ إذا وقف الحاكم على باب العالِم فنعم الحاكم ونعم العالِم وإذا وقف العالِم على باب الحاكم فبئس العالِم وبئس الحاكم﴾. فالإقبال على الدنيا والمناصب من قبل العالم أو طالب العلم هي أفسد ما يكون للعالم وطالب العلم وهي رأس الفرقة وبالإبتعاد عنها لن يحصل الإختلاف لا في الدين ولا في الدنيا.

الغرض من الأعمال الإنسانية والغاية من العبادات

منطقياً إنَّ كلّ ما عدا الله هو ممكن وكلّ المكنات لها ماهيات، وعليه فكلّ الممكنات محتاجة وأبرز الممكنات وأشرفها هو الإنسان الذي يملك قوة التفكير الخاصة التي فضّله بها الله عزّ وجلّ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1].

وكلما كان الإنسان ذا إنسانية أعلى أي أنَّ ناطقيته أكثر، كان تلقيه للعلوم ومعرفته للحق تعالى أكثر، وكلما كبرت إنسانية الإنسان بالمعارف قلّ فيه التشخص، فإنَّ بين شخص الإنسان الفردي كفرد وبين إنسانيته تناسب عكسي.

ونطرح فيما يأتي مصطلح غير مألوف يقسم طبقات من قويت إنسانيتهم ونطلق عليه (الكلّيون) أي الذين استطاعوا تقوية ناطقيتهم وإضعاف فرديتهم وهم على ثلاثة أنواع:

١- **الطبقة الدنيا**: وهم طائفة يأخذون الفضائل بالتعلم ويستنبطون الصنائع النافعة بدقة أوهامهم ودقة طبائعهم، ومن الملاحظ أنَّ الفضائل تنتج من الأعمال، ولكن هذه

---

١ سورة الإسراء الآية ٧٠.

الطبقة تأخذ الفضائل بالتعلم، أمّا إستنباط[١] الصنائع النافعة فإذا لم يكن عندهم طباع قوية فهم يلجأون إلى(التطبع)والفرق بائن.

أمّا دقة الأوهام فترجع إلى طائر الخيال، وهنا يجب استغلال ذلك بتطويع هذا الطائر وفق قواعد عقلية ومنطقية وشرعية صحيحة وكاملة، وإلا وقع الإنسان في إشراك الشيطان، لأنَّ ذلك الطائر سوف يعمل على استنباط(إختيار)الأعمال المقربة أكثر وبذلك يستطيع الإنتقال من الجزئي إلى الكلي ولو لم تكن إلا الصلاة لكفت لأنَّها معراج المؤمن.

٢- **الطبقة الوسطى:** طائفة يَشرعون في طلب الفضائل العقلية ويخوضون في تحصيل المعارف وذلك بكمال التعقل وقوة التفكر و التأمل.

تتلقى هذه الطائفة المعارف بالتدريج وأقصد بالمعارف أي(المعارف العقائدية)حتى يتغير وعائهم تدريجياً إلى أنْ يتسع لكلِّ المعارف الإلهية، ويجب التنبيه إلى أنَّ معارفهم العقلية ليست مطلوبة هنا على نحو الجدال وطرح الإشكالات، ليتمكنوا بها من ملئ الوعاء بمعارف حقة إلهية تنمو وتتزايد.

ملاحظة

نؤكد على قولنا(فضائل)عقلية وليست معلومات عقلية لأنَّ بالفضائل يسعى الإنسان لأنْ يرقى بالعقل إلى أعلى، فكل من يدرس العقائد نوجّه له سؤالاً مشروعاً ونقول هل ارتفع مستواك العقلي أكثر؟ وهل عرفت ربك وخلفائه أكثر؟.

٣- **الطبقة العليا:** وهم أناس إلهيون ربّانيون يأخذون علومهم الكشفية بالوحي والإلهام من العقل الفعّال والملك الملقي للحقائق، الموحي للأخبار والأحكام من غير وساطة هذه الأجسام العلوية.

---

١ أي إختيار.

وهذه الطبقات الثلاثة كلّها تقع تحت مفردة العلم وذلك لأنَّ الإنسان لا يتكامل إلا بالعلم فأولئك الذين ليس لهم علم ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

قال النبي الأكرم ﷺ ﴿ الكيّس من دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه وهواها وتمنى على الله عزّ وجلّ الأماني ﴾[2].

هذا وقد عرفت مما سبق عرفنا أنَّ الناس تتباين درجاتهم بتباين ناطقيتهم وكل واحد من أفراد البشر يسعى إلى كماله. وإنَّ كل الممكنات لها ماهية فتكون مفتقرة، والإحتياج يلازم الماهية وكل ما عدا الله تعالى من الممكنات محتاج.

في سبب عدم التمييز بين الأخيار والأشرار وبين السفهاء والعقلاء والجهال والعلماء

في بحثنا نستحصل درساً وقائياً أي(وقاية من بعض الأفكار التي تراودنا حول بعض الناس من أهل الظاهر وهذا الدرس درساً عملياً بحتاً).

إنَّ أغلب الناس لقصور درجة كمالهم وضعف إنسانيتهم يقعون في مشكلة هي أنَّهم يرون بعض الأفكار(السفسطائية)ويحسبونها(حكمة)ويرون بعض(التهور)ويحسبونه(شجاعة) ويرون(الإعراض عن بعض نعم الله تعالى)ويحسبونه(زهد)وهكذا، وهذا الدرس دفع لسياسة تغيير المصطلحات التي راجت في الآونة الأخيرة.

---

١ سورة الفرقان الآية ٤٤.

٢ بحار الأنوار ج٧٤ ص٧٩.

ولنا أنْ نفصل قليلا عمّا قدمناه فنأتي بالتقسيم التالي:

١- **أهل السفسطة:** ويُعرفون فيما لو ادَّعيت الحكمة والتي تعني معرفة أمور المعاد والحياة العملية وما هو العون في هذه المسيرة فلو أنِّي تكلمتُ في الآخرة وأنا غير مؤمن بالآخرة عملا لأنَّني لو كنتُ مؤمناً بالآخرة لا أكذب وأدَّعي أنَّني قد وصلتُ إلى العلم الفلاني والمقام الفلاني ودرستُ هذه العلوم تحتَ يد الشيخ الفلاني.

فهذا كلّه هل صحيح أنِّي قد وصلت؟! وهذا الإدعاء إلا يظهر منه عدم إيمان بالآخرة.

ومثال ذلك ما نراه من بعض طلبة العلم من السادة العلويون يتصرفون بالحق الشرعي ويشترون ما يشتهون بهذا الحق، فهم يقيمون الأدلة على وجود عالم الآخرة ولكن عملهم يخالف هذا الإيمان.

وهؤلاء لا يشبهون أنفسهم بالحكماء ويردّدون الألفاظ أو يقلدون العلماء والفضلاء بحركاتهم الصورية وفي طريقة كلامهم وجلوسهم أو في صلاتهم وغيرها وهم فارغون من الفعل الحقيقي بل يقبلون على العمل صورياً فقط.

والقردة تقلد الحركات وهي لاتعي ماتفعل وكذلك الببغاوات تقلد الأصوات وهي لاتعي ما تقول.

والنظرة الخاطئة عند الكثير التي تدعو للإنزواء في المساجد أو البيوت أو التظاهر بالتدين لا صلة لها بحقيقة الدين وكلّنا يعلم أنَّ خير الناس من نفع الناس وهذا دليل على حركية الدين وجاء في الأثر أنَّ(قضاء حوائج الناس خير من عامة الصلاة والصوم)فيجب العمل بين ظهرانيّ الناس وقضاء حوائجهم بل وإدارة أمور البلاد والعباد كذلك.

٢- الإعراض عن النعم الإلهية وإدّعاء الزهد:

والزهد: هو أنْ لا تملكك الدنيا ... لا أنْ تملك الدنيا.

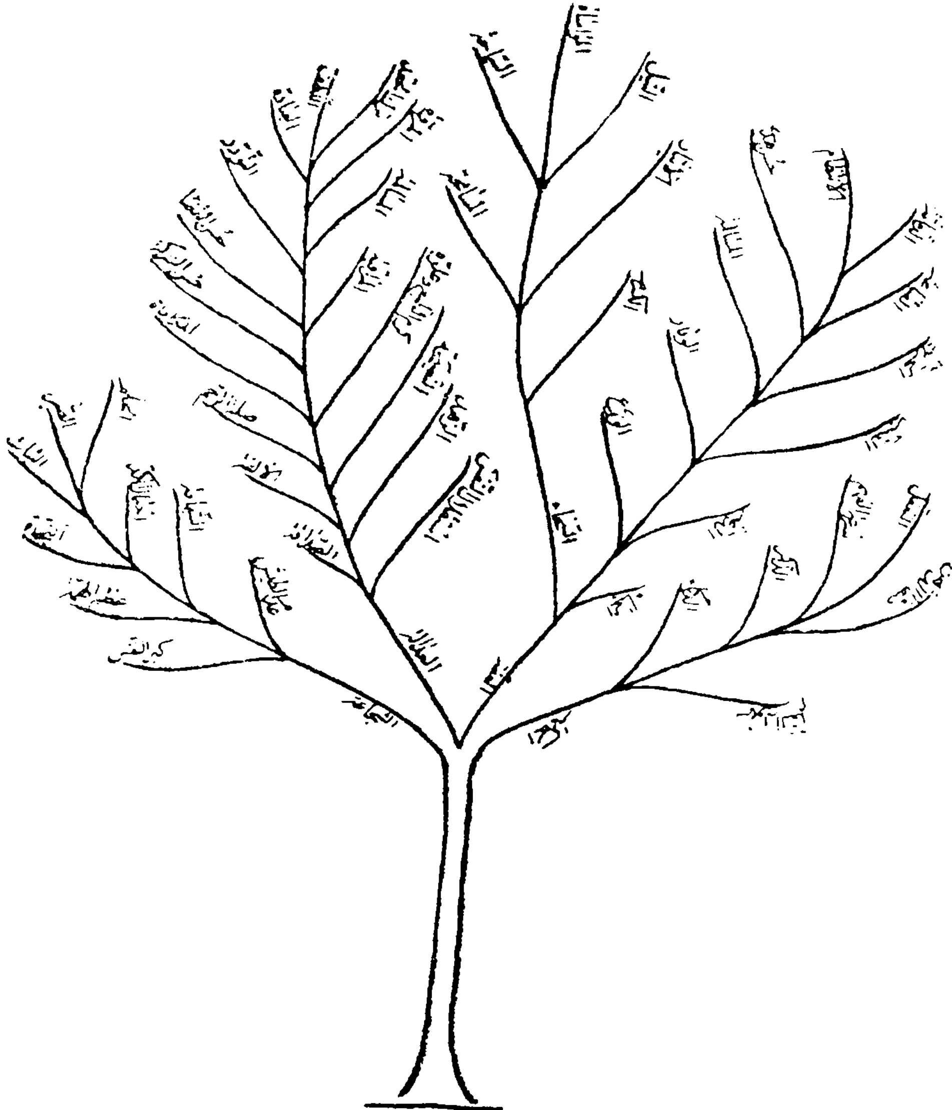
والمعلوم أنَّ أهل الله تعالى هم باطنيون لا ظاهريون أي أنَّ حالاتهم مختفية لا أنَّهم يختفون عن أنظار الناس.

ومن يدّعي السلوكية وطرقهم المعروفة بالدعوى بلا حقائق(أهل الظاهر)فهؤلاء مضللين.

أمّا أهل الله تبارك وتعالى فهم: خزائن الأمناء مكتومة، وكنوز الأولياء مختومة، قدَّس الله أهل عرفانه، وخواص عباده ومحبيه من إطلاع أهل الدنيا وعباد الشهوات على أحوالهم وجلت منزلتهم عن أنْ تصل إليها أفهام الجهال وطبائع الأرذال فهم تحت حجب العزة محتجبون، أي أنَّهم مع الناس وبين الناس ويقودون الناس ويأكلون ويشربون مع الناس أمّا أحوالهم فهي مع الله تعالى فهم خاصته.

منهجة الأبحاث

إنَّ العلامة الطباطبائي في الجزء الأول من الميزان أثبت الشكل المعروف لشجرة الأخلاق المطابقة لنصوص الشرع، وعليها ستقوم مباحثنا الآتية كما سيتضح لك، وهذا هو رسمها:



المقصد الثالث

الحكمة

وفيها فصول

بنام خداوند جان وخرد كزين برتر اندیشه برنگذرد

الحكـــمة

وهي الفرع الأول من شجرة الأخلاق وتقع تحتها كثير من المطالب ستكون كأغصان فرعية لهذا الفرع الرئيسي وقد قدمناها بالبحث على غيرها لأنَّها أظهر مصاديق العقل بل هي هو، هذا من جهة ومن جهة أخرى إنَّ طالب العلم والطريق أول ما يحتاجه هو تقويم عقله وحاكميته وهذا لا يكون إلا عن طريق الأخلاق المرتبطة بهذا الفرع ويقع كلام في فصول، وقبل معرفة فصولها نعطي تعريفاً للحكمة[١].

الحكمة: هي فضيلة القوى النطقية وهي علم الأشياء الكلية بحقائقها وهي التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية ومعنى هذه الحكمة: أنْ يكون الرجل حكيماً في مصنوعاته متحققاً في معلوماته خبيراً في أفعاله[٢].

والحكمة تقسم إلى عملية ونظرية وما سنطرحه هنا هو الحكمة العملية وأمّا الحكمة النظرية فقد عقدنا لها بحوثنا الفلسفية على متن بداية الحكمة للعلامة الطباطبائي التي أسميناها بالفتوحات العلوية. وجعلنا نتيجة العمل بكليهما الوصول إلى نهاية درجات التحلية وبداية مراحل التجلية ولهما تتمة في التجلية إنْ شاء الله تعالى.

---

١ ذكرنا كل مايتعلق بها من مباحث واصول في شرحنا لبداية الحكمة التي شرعنا بها بعد قطع وطر من المباحث الأخلاقية إكمالاً لشخصية الطالب وعلمه وتثبيتا منّا أنَّ سلوك طريق الحق لا يكون إلا بجمع الأخلاق والمباحث الفلسفية من الناحية النظرية.

٢ رسائل أخوان الصفا ج٣ص١٤٣.

والكلام يقع في فروع الحكمة على فصول[١]، وقد رتبناها وفق أهميتها وسنتطرق إلى ذكر كل جندي من جنود العقل وما يقابله من فروع الحكمة.

ملاحظتان:

١- قد لا نوضّح بالدقة تفاصيل كل من الجنديين المتقابلين خوف الإطالة والملل وإنَّما سنركز في أغلب الأحيان على الجندي الأهم ونشير إلى ما يقابله لأنَّنا نتبنى أنَّ الجندي الذي سنفصل الكلام فيه بمجرد فهمه والعمل به سيترتب الأثر العكسي بالقهر على الجندي المقابل فالتفت.

٢- سيأتي في كلام الإمام الخميني رحمه الله ذكر مصطلحين وهما الفطرة المخمرة والفطرة المحجوبة وينتسب كل واحد من جنود العقل إلى الفطرة المخمرة السليمة، وينتسب كل واحد من جنود الجهل إلى الفطرة المحجوبة وهذا ما يلزمه شيء من البيان نحتاجه في جميع الجنود آتية الذكر.

الفطرة المخمرة والفطرة المحجوبة

قد يُتوهم لأول وهلةٍ إنَّ هناك نوعين من الفطرة أحدهما مخمرة والأخرى محجوبة، وهذا باطل لأنَّ الفطرة واحدة وهي: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾[٢] وهي الفطرة المخمرة فحسب، وسبب تسميتها بالمخمرة لأنَّها قد خُمِّرَت بيد قدرة جمال الحقّ ولطفه عندما خَلَقَ الله الإنسان من عالم الطهارة والقدس.

---

١ كل فصل سيشتمل على جندي من جنود العقل والجهل.

٢ سورة الروم الآية ٣٠.

فالإنسان في أول خلقه وفطرته موجود نوراني ومصقول، توجهه فطرته نحو بارئه إلى عالم الغيب ويتحرك قهرا وفق فطرته بالحركة الحبية نحو المحبوب والمعشوق الحقيقي لأنَّه آنذاك قد أدرك جمال الحق ببارقة لحظتْها فطرتُه المخمرة فتَخلَّقَ بالأخلاق الحسنة التي هي أخلاق الله وقد تأدب بأدب العبودية لــه بعد إدراكه أنَّه تعالى خالقه ومصوره وموجده، ولذا تجد إنَّ كلَّ جنود العقل تنسب إلى الفطرة المخمرة لأنَّها(الصفات الحسنة)تسانخ الفطرة، ونفسه آنذاك متصلة ببارئها ووجهتها مصقولة مستوية غير ملونة ولا كدرة ولا صدئة لذا ترى المعارف والأخلاق والأعمال الصالحة كما هي فتتخلق وتتصف بها.

وأمّا الفطرة المحجوبة فهي ليست ثانية للفطرة المخمرة بل هي نفسها ولكنّها احتجبت عن روحانيتها وصارت ظلمانية بسبب الإشتغال بعالم الطبيعة وغلب عليها سلطان الشهوة والجهل والغضب والشيطنة وأنِسَت بملذات الدنيا وكثرات عالم الملك . لذا تراها اتصفت بالصفات الرذيلة وكل جندي من جنود الجهل يرجع إليها، لأنَّ كل واحد من جنود الجهل هو من عالم الظلمات والقذارات، فبعد أنْ تلوثت مرآة النفس صارت الحقائق فيها على غير صورها فتشوهت أو حلّت محلّها دعاوى وسفسطات وأوهام وأكاذيب قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[١].

---

١ سورة الأحقاف الآية ٢٠.

ولعل إحدى الطيبات الطاهرة التي أذهبها الكفار في حياتهم بل عمدتها هي نور فطرة الله عزّ وجلّ التي نزلت من حضرة القدس بالطهارة والنظافة وكان هذا النور من موائد الإنسان السماوية وهذا افتقده بسبب التوجه إلى الدنيا والتمتع بها[١].

وقد أوضحنا ما يتعلق بالطينة والأخلاق في مبحث الطلب والإرادة فراجع.

---

١ جنود العقل والجهل ص٩٩-١٠٠ بتصرف.

الفصل الأول

الإيمان وضده الكفر

فالإيمان هو جندي العقل أي الخلق الذي تريد التحلي به، والكفر هو جندي الجهل الذي نريد التخلي عنه.

والإيمان هو مرتبة أعلى من العلم لأنَّ العلم - كما تعلم - إنطباع صورة الشيء في الذهن وهو عقد المحمول بالموضوع المعبّر عنه بالعقد الأول.

أمّا الإيمان فهو عَقدُ العَقدِ الأول مع النفس وهو العقد الثاني، لذا قيل: إنَّ للعلم عقد والإيمان عقدان فالنسبة إذن بينهما هي العموم والخصوص المطلق لأنَّ كلّ إيمان علم وليس كل علم إيمان، ولذا لا يكون هناك إيمان بلا علم. وعلى هذا يكون **تعريف الإيمان**: هو الإقرار بالعلم بالشيء والتصديق به وهو حالة نفسانية، و منه يظهر الفرق بين العالم والمؤمن فنحن نعلم أنَّه لا إله إلا الله ولكن هل عقدنا علمنا هذا مع نفسنا ليكون إعتقاداً وتصديقاً وحقاً حقيقياً؟ لذلك خاطب القرآن المجيد الأعراب بقوله تعالى:

﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[١].

والإيمان على خمسة أوجه:

١. **إيمان مطبوع**: وهو إيمان الملائكة لأنَّه من حاق وجودهم.

٢. **إيمان معصوم**: وهو إيمان الأنبياء لأنَّه نتيجة وظيفتهم وخلقهم.

٣. **إيمان مقبول**: وهو إيمان المؤمنين لأنَّه نتيجة عملهم.

---

١ سورة الحجرات الآية ١٤.

٤. **إيمان موقوف**: وهو إيمان المبتدعين لأنَّه موقوف على ارتداعهم.

٥. **إيمان مردود**: وهو إيمان المنافقين لأنَّه غير ما يعملون.

وأظن أنَّ إيمان العوام هو من الأخير، وإيماننا نحن الطلبة من الرابع، وتحصيل الإيمان الحقيقي إنَّما يكون باتباع أحكام الشرع المقدّس بصورة عامة التي تنحلّ إلى المطالب الأربعة المتمثلة بالفقهين الأكبر والأصغر والأخلاق والسياسة، وكلٌّ يراجع في فنه.

وأمّا الكفر فهو ما يقابل الإيمان مقابلة الضد لا النقيض لأنَّ نقيض الإيمان أنْ لا يؤمن بشيء، أمّا الكفر فهو ضد الإيمان لأنَّه إيمان بشيء مخالف والكفر بمعنى التغطية وهو على مراتب تكون بازاء مراتب الإيمان.

مراتب الكفر

١- **أدنى درجات الكفر هو كفر القالب**[1]: وهو ظاهر مكشوف لكل أحد وهو إنكار أي شيء من ضروريات الدين أو ردّ علامات الشريعة.

٢- **ثاني المراتب كفر النفس**: لأنَّ النفس في الحقيقة هي الصنم الأكبر والطاغوت الأعظم، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[2]، وقد ورد في الحديث النبوي بطرق أهل العامة: ﴿ أبغض إله عُبِدَ في الأرض عند الله هو الهوى ﴾[3]، وقَلَّ من العباد من اجتنب عن عبادة صنم الهوى وطاعة طاغوت النفس، فحريٌّ أنْ يستعيذ الإنسان

---

١ أي الكفر المتداول عن الكفار والمعاندين.

٢ سورة الفرقان الآية ٤٣.

٣ تفسير الآلوسي للألوسي ج ٢٦ ص٦٠.

منها بالله ويدعوه أنْ يوفقه للإجتناب عنها ولعلَّ دعاء إبراهيم عليه السلام كان لذلك ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1].

٣- **كفر القلب**: وهو أنَّ السالك إذا إنجلت مرآة سره وكشف عن قلبه الغشاوة وارتفع عن الكدورة تقوى حدقته فيقع فيها نور الحقّ وتجلّى لها جمال الأحدية فإذا غامضه التجلي فربما لم يثبت، فاعتقد لذاته أنَّها عين الحقيقة وبادر لبقاء الأنانية فيه، وقال أنَّه فيها وقال: أنا الحق.

٤- **كفر الروح**: هو شرك خفي أخفى من كل شرك، وهو منبع كل شرك وكفر، ومبدأ كل شر وآفة، وهو ليس إلا الإمكان الثابت لجميع الماهيات الفاشي في كل الموجودات المعلولة لأنّ كل ممكن زوج تركيبي[2] من وجود وماهية.

الإيمان الظاهري ليس بإيمان

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[3]، أي يا إيّها الذين آمنوا إيماناً ظاهرياً لفظياً آمِنوا بالله إيماناً حقيقياً باطنياً فيه إقرار وتصديق لكي يوافق ظاهركم باطنكم وإلا لم يُعَدّ ذلك إيماناً ومثل هذا الإيمان لا يُعَدّ إيماناً بل هو لقلقة لسان وإلا لو كان إيماناً فعلاً لترتبت آثاره عليه من إستشعار وجوده تعالى الذي آمنّا به وبوجوده ولتصدعنا و خشعنا كما الجبال عندما يُتلى عليها ذكر الله ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا

---

١ سورة ابراهيم الآية ٣٥.

٢ فرهنگ إصطلاحات فلسفي ملا صدرا ص٤١٣-٤١٤ للسيد جعفر سجادي.

٣ سورة النساء الآية ١٣٦.

﴿ مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[١]، مع إنَّ قلوبنا أرق بكثير من الصم الصلاب وصرّح القرآن الكريم لذلك: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[٢]، فهل يتناسب الإيمان بقوله تعالى: (الذين آمنوا)مع عدم الخشوع؟ وهذا دليل على أنَّ الإيمان الحقيقي هو الذي تترتب عليه الآثار.

إنَّ تحصيل الإيمان الحقيقي يكون بإستشعار المعاني المقدَّسة لتفاصيل الدين وعقدها مع النفس والعمل على أثرها وإلا مجرد كون الإنسان من أتباع أهل البيت عليهم السلام لا يعتبره مؤمناً حقيقياً ما لم يستشعر ذلك بالعمل به.

إنَّ المؤمن الحقيقي ذكره القرآن الكريم بتعريف لا يمكن أنْ يُرد لأنَّه كلام الله من جهة، ومن جهة أخرى عبّر باداة الحصر(إنَّما)بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٣] إلى أنْ يقول تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[٤]. ونحن إنَّما نتطرق لهذا الكلام لكي يتدارك الفرد منَّا نفسه مادام في بداية الطريق وإلا نرى أنَّ بعضهم يتوهم أنَّه قد قطع أشواطاً ولكنّه خال من أي درجة من درجات الإيمان؟.

---

١ سورة الحشر الآية ٢١.

٢ سورة الحديد الآية ١٦.

٣ سورة الأنفال الآية ٢.

٤ سورة الأنفال الآية ٤.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿إعلم أنَّ الإيمان بالمعارف الإلهية وأصول العقائد الحقة لا يتحقق إلا بأنْ يتوجه أولاً إلى تلك الحقائق بقدم التفكر والرياضة العقلية والآيات والبيّنات والبراهين العقلية وهذه المرحلة هي بمنزلة مقدمة للإيمان﴾[١].

وعلى هذا من لم يتفكر ويتعامل مع النصوص لن يحصل له الإيمان لذا حرم العلماء التقليد في العقائد واصبح من الواجب إقامة الأدلة على المعارف الإلهية، كل هذا في عوام الناس وسوادهم، أمّا طلبة العلم وهم أعلى مرتبة علمية وبالتالي إيمانية من سواد الناس لابدّ أنْ يحرصوا على تحصيل ذلك أكثر مع أنَّنا لانجد ذلك بدرجة من الإهتمام وأنَّ بعض طلبة الخارج لم يكلفوا نفسهم لمطالعة أدلَّة موسَّعة حول العقائد الإسلامية ولعلَّ بعض مدّعي سلوك الطريق ليس لهم أدنى معرفة بهذا.

وبالنتيجة من يقول أنا أعتقد كذا وكذا ليقل أنا أعلم بكذا وكذا إلا أنْ يكون ذلك بالإقرار والتصديق وعقده مع النفس.

إنَّ نسبة إيمان كل شخص بمقدار تفكره فكلما تفكر أكثر تجرد أكثر وعرف أكثر فيؤمن أكثر وإنَّما نقصد بالتفكير في هذا المقام هو أنْ ينظر إلى ماورائيات الأشياء والأفعال التي يتعامل معها وينظر إلى كلِّي كلّ جزئي ليعرف أبعاده الحقيقية وبهذا يمكن له أنْ يعرف حقائق الأشياء فيؤمن بها ونتيجة ذلك أنْ يكون مؤمناً حقيقياً.

---

١ جنود العقل والجهل ص٧٣.

أركان الإيمان

ورد عن الإمام أبي جعفرعليه السلام إنَّه قال سُئل أمير المؤمنينعليه السلام عن الإيمان فقال: ﴿إنَّ الله عزّ وجلّ جعل الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد .

فالصبر من ذلك على أربع شعب: على الشوق والإشفاق والزهد والترقب. فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانَت عليه المصيبات ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات.

واليقين على أربع شعب: تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة وسنّة الأولين.

فمن أبصر الفطنة عرف الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكأنَّما كان مع الأولين واهتدى إلى التي هي اقوم ونظر إلى من نجى بما نجى، ومن هلك بما هلك وإنَّما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته.

والعدل على أربع شعب: غامض الفهم وغمر العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم، فمن فهم فسر جميع العلم ومن علم عرف شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً.

والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين.

فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن شنئ الفاسقين غضب الله ومن غضب لله غضب الله له فذلك الإيمان ودعائمه وشعبه﴾[١].

---

١ الكافي ج٢ ص٥٠-٥١.

وفي تقسيم الإسلام إلى أربع دعائم يشكل بناءً هرمياً ثلاثي الأوجه وهذا هو النظام العام في جميع المجالات وفيه إشارة إلى أنَّ قوام كل شيء في دعائمه ودعائمه هذه لابدّ أنْ تشكل بناءً هرمياً في شتّى تفاصيل حياة الفرد.

ولو نظرنا بعين أخرى على هذا الحديث ودعائمه وجدنا أنَّ هذه الدعائم الأربعة أسماء أخرى لفروع شجرة الأخلاق أو لوازمها الخاصة، فالصبر هو العفة، واليقين هو الحكمة والعدل هو العدالة والجهاد هو الشجاعة.

وهذا يعطي أهمية كبيرة بل وجوب لتعلم الأخلاق وضبطها عن طريق هذا الحديث لأنَّ فقْدُ أيّاً من شعب الدعائم أو إحدى الدعائم - لا سمح الله - يعني فقد جزء أو ركن من الإيمان.

ولا يتوهمنَّ أحدٌ أنَّ الإيمانَ لفظٌ مشكك حتّى يكون مؤمناً بدرجة معينة من يفقد إحدى هذه الشعب، لأنَّنا ندَّعي أنَّ الإيمان لفظ متواطئ، فإمّا أنْ يكون الإنسان عالماً وعاملاً بجميع تفاصيل هذا الحديث في الإيمان فيكون مؤمناً، وإلا فلا، لأنَّ كلّ واحد من الدعائم أو شعبه جزء مقوِّم للإيمان فعدم توفر جزء منه يعني سدّ الباب وقطع الكلام.

والشروع في هذا الجندي في البداية وهو الإيمان بما له تلك الشمولية يكون في البداية، لأنَّ الدخول فيه دخول في أمر كلّي شامل فهو قائد لباقي الجنود.

وهذا فيه جنبات متعددة:

أ- السيطرة على القائد يعني السيطرة على الجنود بسرعة.

ب- بذل الجهد في البداية ما دام بقوته في أول الطريق على أمر جامع يقلل من تراجعه وتلكؤاته فيما بعد لأنَّ طاقاته سوف تستنفد لطول فترة المعالجة.

ج- إنَّ الإيمان هوية كل مؤمن فكيف يمكن أنْ يسير في طريق طويل نتيجته أنَّه سيكون مؤمناً قد يصل إليه أو لايصل وبخلافه سوف لن يكون مؤمناً.

نعم إنَّه في هذا الجندي يسيطر سيطرة إجمالية على جميع تفاصيل الإيمان(أي الأخلاق) والسيطرة التفصيلية تأتي تباعاً عن تعلم وتطبيق الجنود الأخرى الواحد تلو الآخر.

وسيأتي الكلام في تفصيل كل واحد من هذه الدعائم والشعب لأنَّ بحوثنا معقودة لأجله.

وكل هذه الأمور المتسلسلة والمتتابعة والمبتني بعضها على بعض تمثل بالنتيجة الإيمان وكل من أكملها فقد كمل إيمانه، ومن تلكأ في أي واحد منها نقص من إيمانه، وهذا إنْ قلنا بوجود أدنى مراتب الإيمان لمثل هذا النوع.

والرواية المزبورة قدمت الصبر واليقين والعدل والجهاد لأنَّها دعائم الإيمان، ولها مدخل عظيم في ثباته وبقاءه ومعاني كل واحدة منها واضح فالصبر هو الثبات على الأحكام وخلع النفس عن الشهوات ومنعها عن الجزع عند المصيبات وهو يبعث القوة للبقاء على الإيمان وباليقين يحصل العلم فيزول الشك بالكلية وذلك بمشاهدة الغيوب بأنوار القلوب وملاحظة الأسرار بمعاونة الأفكار[١]. وبالعدل يقوم ملكة الإعتدال في القوة النظرية والعملية والتوسط في القوة الشهوية والغضبية وهذا ينفع في قوة الإيمان وكماله.

وبالجهاد تتحقق المجاهدة على جميع الأصعدة النفسانية والبدنية والمراقبة الروحية وقد أظهر الله عزّ وجلّ دينه وطلب الإيمان به وجعل عز الإيمان والدين وكمالهما في الجهاد فمن جاهد تحمل إيمانه وثبت وشارك بذلك المجاهدين، ومن تخلف نقص إيمانه ورضي بأنْ يكون مع الخوالف والمنافقين واثّاقل إلى الأرض.

---

١ شرح اصول الكافي للمولى محمد صالح المازندراني ج٨ص١٥٩.

خطوات لتحصيل الإيمان

بعد أنْ عرفنا أنَّ الإيمان مرتبة أعلى من العلم لابدّ أنْ نتوجه بحزم لتحاشي خطورة الإكتفاء بالعلم وتوهم أنَّه كل شيء، فلابدّ من الجدّ والسعي أكثر لتحصيل الإيمان وإنْ كان ذلك بقطع المهج.

والخطوات كما ذكرها الإمام الخميني قدس سره[1] هي:

١- إخلاص النية لتحصيل المعارف والحقائق الإيمانية لأنَّه لو لم يكن في العمل إخلاص فلابدّ أنْ تتدخل يد التصرف الإبليسية، ومعه لا تحصل أي معرفة حتى علم التوحيد، فإبليس كان من أهل العلم ولكن علمه لم ينفعه شيئاً ولم يهده إلى طريق السعادة، كل هذا بسبب عدم إخلاص النية، فالنية أهم بل أول خطوة يمكن أنْ يحققها طالب الطريق لتحصيل الإيمان. فانظر – مثلاً – إلى مثالين، **أحدهما**: صلاة اقيمت بدون إخلاص وإنَّما للمشتهيات الدنيوية أو الأخروية فهل تصلح أنْ تكون معراجا للمؤمن أو قرباناً للمتقين؟ كلا. إنَّها تقربه إلى الحور العين ولكن تبعده عن النظر إلى سبحات وجه رب العالمين. **والآخر**: إنَّ علم التوحيد الذي يكون هدفه حب الظهور في محضر العوام أو العلماء عار من النورانية وبريء منها. ومثل هذا العلم لا يبني النفس الناطقة والعقل بل هو غذاء يشبع النفس الأمّارة بتلبية حاجتها للبروز و الإفتخار وكل ذلك على يد الشيطان الرجيم، وهذا العلم الخالي من الإخلاص لله تعالى سوف يخرج صاحبه من التوحيد لأنَّه تحت طاعة الشيطان فهل أنَّ هذا توحيد أو شرك؟.

إذن مسألة تحصيل الإخلاص في الطريق وعلى طوله مسألة مهمّة جيدة وقد أوضح الإمام الخميني رحمه الله تفاصيل درجات الإخلاص[1].

---

١ جنود العقل والجهل ص٨٩ وما بعدها.

وبعد تحصيل الإخلاص إجمالاً يمكن التطرق إلى الحقيقة ومعرفة الإيمان.[1]

٢- التوبة من الذنوب والمخالفات توبة خالصة بشرائطها[2] لأنَّ المخالفات والذنوب والقذارات تحول بينه وبين تحصيل الإيمان الذي مصدره من القرآن المجيد. قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[3] بناءً على التفسير الدِقِّي من أنَّ المطهرين هم المطهرون من الذنوب، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾[4]، فلا يعرف ولا يؤمن حقائق المخلوقات إلا من أناب رجع إلى الله عزّ وجلّ بالإخلاص وتطهير القلب من شرك الشيطان والذنب.

٣- بعد تهيئة القلب لذكر الله والقرآن الشريف يؤنس قلبه بالتكرار والتذكر للإخلاص والإرادة حتى يتمكن من الإخلاص في القلب، فيلقن القلب آيات التوحيد والأذكار الشريفة في التوحيد والتنزيه مع حضور قلب وحالة طهارة ويكون ذلك باستمرار حتى تنفتح أسماع قلبه ليخترقها صوت الحق.

ويؤكد الإمام الخميني قدس سره بقوله: ﴿لو خصص لهذا الأمر وقتاً من أواخر الليل أو بين الطلوعين بعد فريضة الصبح يكون احسن بكثير ففي ذلك الوقت ومع الطهارة يوجه القلب في وجهة القرآن والذكر ويقرأ عليه، على نحو التلقين والتذكير الآيات الإلهية الشريفة المشتملة على التذكر والتوحيد، فلو قرأ مع حضور قلب الآيات الشريفة في

---

١ في الآداب المعنوية للصلاة ص٢٩٨ فراجع.

٢ قد أوضحنا ما يتعلق بالتوبة في بداية هذه البحوث في مبحث التهيئة للتخلية فراجع.

٣ سورة الواقعة الآية ٧٧ إلى الآية ٧٩.

٤ سورة غافر الآية ١٣.

أواخر سورة الحشر وتفكر فيها من قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، وهذه الآيات مشتملة على التذكر ومحاسبة النفس ومراتب التوحيد وأسماء الله وصفاته، فتكرارها في وقت فراغ النفس من أي شيء وفقا لها عن النوم وتصرف الشيطان والإنشغال بمشاغل الدنيا. وكذلك تكرار ذكر﴿لا إله إلا الله﴾والذكر اليونسي: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] ودعاء يستشير والإستغفار بلفظ﴿أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه﴾والتسبيحات الأربعة وهي: ﴿سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر﴾فمن يأتي بهذه الأعمال يرجى أنْ يأخذ الله بيده ويحصل له إيمان حقيقي)[3].

---

١ سورة الحشر الآية ١٨ إلى الآية ٢٤.

٢ سورة الأنبياء الآية ٨٧.

٣ جنود العقل والجهل ص٩٢ بتصرف.

تنبيه وتحذير

هناك بعض الأمور لابدّ من التنبيه عليها لكي يتحقق تحصيل الإيمان كاملاً ووفق ما هو مخطط، إذ أنَّه قد يعترض الطريق بعض الغفلات وغيرها أشار إليها الإمام الخميني رحمه الله وهي[١]:

١- أنْ لا يغفل الإنسان في كل حال عن نقصه وعجزه، ولا عن رحمة الحق وقدرته ويمد يد الحاجة إلى الذات المقدَّسة ويطلب منها المدد، فإذا اشتغل مدة بهذا العمل تتعود النفس على التوحيد ويتجلى نوره في القلب.

٢- أنْ لا يغفل عن شرائط الذكر العامة[٢] والمهم أنْ تلحظ من الشروط أنَّك تذكر من؟ وتحدث من؟ فاعرف حقيقة كلامك وذكرك.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿ولو حاسب نفسه في الليل والنهار لدقائق حسب إقبال القلب وتوجهه، أي بمقدار ما يكون القلب حاضراً لتحصيل نور الإيمان وطلبه وتحسس فيها آثار الإيمان لكان وصوله إلى النتيجة أسرع إنْ شاء الله﴾[٣].

٣- أنْ لا يستصعب هذا الكلام ويستصعب تصور هذه الحالات الملكوتية ولا يقع تحت تصرف الشيطان الذي سيحشو في أذنه كلام اليأس ويتعاون مع النفس الأمّارة ليصعّبان هذا الطريق في نظره.

---

١ جنود العقل والجهل ص٩٢.

٢ قد أوضحنا ذلك مفصلاً في مباحث التهيئة للتخلية ضمن النقاط الخمس والعشرين فراجع.

٣ جنود العقل والجهل ص٩٢.

٤- أنْ لا يتسرع في تحصيل المقامات والإلتفات إلى أنَّه الآن يسمى مؤمناً أو لا؟ وفي أي مرحلة أو مستوى هو؟ بل يتأنّى ويداوم على الأعمال ولا يتركها على أي حال ويتهم نفسه دائماً بالتقصير.

هذا ما يمكن أنْ يقال في هذا الجندي(الإيمان)أمّا الكفر فهو واضح بالمقابلة واعلم أنَّ التهاون بأي مقدار في الإيمان وما ذكرناه من طرف أو تفاصيل فإنَّه مدعاة لهيمنة جندي الكفر وسيطرته.

إنَّ جندي الإيمان ممن إذا دخل في ساحة معركة النفس سيطر بالكامل وبالمقابل أخرج عدوه(وهو الكفر)بالكامل.

الفصل الثاني

التصديق وضده الجحود

التصديق هو جندي العقل وهو الخلق المراد التحلي به، والجحود هو جندي الجهل الذي نتخلى عنه.

والتصديق له تعاريف كثيرة وكذا الجحود ولكن الذي ينفع في مقامنا هو أنَّ:

التصديق: هو قبول الحق والإعتقاد الجازم.

والجحود: هو إنكار الحق ورده وعدم الخضوع له.

وترسيخ هذا الجندي والتصديق متوقف على معرفة تعريفه وهو قبول الحق والذي يراد الإلتفات إليه بدقة وتوفيره لتحقق التصديق هو الحق فما هو الحق؟ وماهي مصاديقه؟ لأنَّ التصديق لايتمّ إلا بتطبيق الإعتقاد بجميع مصاديق الحق و درجاته، فما هو الحق؟

الحقّ لغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، من حق الشيء يحق إذا وجب وثبت.

وفي الإصطلاح: هو ما وجب على العبد من جانب الله وما أوجبه الحق على نفسه.

والحقّ: إسم من أسماء الله تعالى.

والحقّ الأول: هو ذات الأحدية وحقيقة الحقائق.

والحقّ المخلوق: هو الوجود المنبسط الذي يقال أيضاً عن النفس الرحماني.

وعلى الجملة الحق هو الله تعالى وأهله وتعاليمهم، فيكون تفاصيل الحق حاصل الإيمان بالله وكتبه ورسله وأوليائه وتعاليمه، يعني الإيمان باصول الدين وفروع الدين وسياسة المجتمع الأخلاقية التي تؤمن عيشه بسلام في دار الدنيا والفوز بالجنة في الأخرى.

وعلى هذا فقبول التعاليم الإلهية أجمع هو تصديق، وهو من الفطرة المخمرة.

ورفضها وردّها وإنكارها كلاً أو جزءاً يُعَدّ جحوداً وهو من الفطرة المحجوبة.

تحصيل التصديق

إنَّ تحصيل التصديق يكون بمعرفة الحق، ولازمه التعلم وقد بينّا كل ما يتعلق بالعلم والتعلم ودوره في بناء النفس في المقصد الثاني، والمهم الآن أنْ يلتفت من أين يأخذ هذا العلم لما لذلك من أهمية كبيرة إذ قد يتعلم ما لادخل له بالحق بل قد يتعلم الباطل. فتارة يكون السبب هو نفس المعلومات التي يتلقاها وتارة من المعلم الذي يلقنه العلوم لذا قد ورد في تفسير آية ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾[1]، إنَّها ناظرة إلى علم الإنسان من أين يأخذه، وإلا فالتراجع في مثل هذا المطلب يكون من المهلكات إذ أنَّه سيكون من الجاحدين مع توهم أنَّه من العلماء الذين أقاموا الدليل على معتقداتهم فيصروا على الباطل والعياذ بالله.

فالمحور في هذا المطلب وتحقيقه هو الحق غاية الأمر أنَّه مردد بين القبول والإنكار. فكون الإنسان مصدقاً أو جاحداً يدور على قضيتين مهمّتين مترتّبتين، **الأولى**: معرفة الحق فقد يعرفه وقد لا يعرفه، فإنْ لم يعرفه جحد وإنْ عرفه إنتقل إلى **المرتبة الثانية**: وهي قبول الحق أو إنكاره، فإنْ قبلَه كان تصديقاً حقيقياً وحقّاً واقعاً وإنْ أنكره كان زعماً[2] وباطلاً .

وعلى هذا فدعوى كون المرء هنا من أهل التصديق ليس أمراً سهلاً بل لابدّ أنْ يمرّ بهاتين المرتبتين.

---

١ سورة عبس الآية ٢٤.

٢ الزعم: هو تصديق ويقين جازم ولكنّه على غير الواقع.

والمشكلة العظمى لا تكمن في من تلبس بالجحود وعرف نفسه من الجاحدين بل فيمن يتوهم نفسه من اصحاب التصديق وهو ممن يفر منه أهل الجحود، ومثل هذا لن يكون ضالاً فقط بل قد يضلّ أيضاً، إذ قد يوهم الناس بأنّه على الصراط المستقيم بإقامة بعض الأدلّة، والحال أنَّ أعماله باطلة وإعتقاداته فاسدة وبالتالي أخلاقه سيئة فهو على هذا أضاع الأركان الثلاثة للإرتباط بالله وكونه على الصراط المستقيم وهي الأعمال والأخلاق والعلوم وقد تقدم الكلام فيها. وبالتالي يكون ذلك سبباً في سوء عاقبته - والعياذ بالله - وفي هذا المجال يقول صدر المتألهين قدّس سرّه ﴿ إعلم أنَّ سوء الخاتمة قد يكون من جهة الإعتقادات وقد يكون من جهة الأعمال، ومن يرى الأشياء كما هي عليها من غير جهل وعمى يزجي طول عمره في طاعة الله من غير معصية، فهو أمن من سوء الخاتمة وخسران العاقبة. وهذا أعلى درجات العارفين فإنْ كان ذلك لكل مؤمن مريد للآخرة ومقارنة الحق مستحيلاً أو عسيراً، فلابدّ من الخوف والخشية ما على العارفين، حتى يدوم بكاؤه ويطول حسرته واسفه وحزنه ونياحته - كما يحكى من أحوال الأصفياء - وأمّا من استولى على نفسه حب الرياسة والتعصبات النفسانية، وغلب عليه الجحود والإستكبار وطلب الرياسة والتبسط في الديار والتسلط على الناس بادّعاء الفضيلة والإستظهار، فهو متعرض لسوء العاقبة عند ظهور ناصية ملك الموت.

فإنّ سبب سوء الخاتمة أمران:

أحدهما: وهو الأدهى والأشدّ أنْ يغلب على القلب إعتقادات تعصبية غير حاصلة من طريق الكشف أو البرهان اليقيني الدائم، بل من جهة التقليد وطلب العلو والإستكبار، فإنَّ كل نازل إلى عقيدة تلقفها من المجادلين ببضاعة عقولهم البحثية، دون المتألهين

بصناعتهم الكشفية في تهذيب قلوبهم فهو فاسد الدين فاقد طريق الكشف واليقين؛ ولا محالة يطرأ عليه عند سكرات الموت وظهور أهواله، إمّا الشك وإمّا الجحود.

وكذلك كل من خاض في البحث البحت والفكر المحض من غير أنْ يجاوز من حدود أبحاث العقول إلى حدود أنوار المكاشفة التي تشرق في عالم الولاية والنبوة.

وثانيهما: استيلاء حب الدنيا وطلب الجاه والمنزلة عن الناس. وقلما يخلو عنهما أحد في هذا العالم ﴾[1].

إذن مسألة التصديق والجحود ليست من القضايا التي يمكن التهاون فيها على أي المستويات، وسواء كان ذلك على مستوى الذات بأنْ يراجع نفسه في جميع مــا يعتقده بالجملة، أم على مستوى الآخرين الذين يتعامل معهم أو سائر أفراد مجتمعه وخصوصاً المتصدين لتعليم الدين وقادة المسلمين.

تنبيه

إنَّ التصديق من الجنود التي يدخل بالتدريج وفي مقابله الجحود مما يخرج بالتدريج أيضاً، فمقدار دخول تفاصيل جندي التصديق يخرج الجحود، وإنْ كانت لابدّية من وجود مقدار تصديقي أولي معتد به من الفطرة من الأمور المسلمة، ولكن يمكن قبول إطفاء نور الفطرة عن شخص بالكلية ثمّ إدراج أنوار التصديق فيه تباعاً وبالتدريج كما يحصل لبعض المغرر بهم، أو من أهل العناد ولكن بعد انصدامهم بواقع دورة الحياة التي لا تخلو من آثار قدرة الله تعالى ورحمته.

---

١ كسر أصنام الجاهلية لصدر المتألهين ص٩٨-١٠٠.

فمن بقي على فطرته ولم يلوثها بأدران الجحود أمكن تعليمه وبسهولة، وأمّا من أعمى فطرته وتلبس بالجحود ولو بنسبة لزم في البداية تخليصه من الجحود وبالفجأة والقهر سوف ينمو ويسيطر جندي التصديق الكامن في تربة فطرته وطينة خمرته.

ولكن لابدّ من الإلتفات إلى إنَّ من زرع التصديق في بعض أمور دينه وبقى البعض الآخر للنظر والإستدلال، أو لم يكن مما التفت إليه، فلا يسمى من أهل التصديق بل يتوقف ذلك على إكماله لمعرفة جميع أمور دينه بأنحاءه وتفاصيله.

ولأجل ذلك فالمهم أنْ يتخلص الإنسان من الجحود أولاً حيث قلّما سلم أحد منا من مصيبة إطفاء نور الفطرة.

إصلاح النفس من الجحود

بعد أنْ عرفت ضرورة الإلتفات إلى مستوى نفوسنا من التصديق والجحود وعرفت أنَّه لا يمكن أنْ تكون من أهل التصديق إلا بإخراج الجحود بالكلية من النفس، تطرق الإمام الخميني رحمه الله إلى قضية إصلاح النفس من الجحود، وعزى ذلك إلى وجودنا في عالم المادة والتغير الذي يعود إلى إمكانية تغيير حالة الجحود، وذكر قدس سره إنَّ الإصلاح من الجحود لايتحقق إلا بإرساء وتثبيت وتطبيع ركنين مهمين هما العلم النافع والعمل الصالح[١] والكلام يقع كلٍّ من هذين الركنين.

---

١ ذكرنا فيما تقدم من بحوث الإرتباط بين هذين الركنين بالإضافة إلى الأخلاق الحميدة ونسبة كل واحد منها إلى الأخرى من جهة المقدمية والنتيجة.

ولابدّ من الإشارة إلى أنَّهما يحققان إصلاح النفس من الجحود على نحو المجموع لا على نحو البدل يعني أنَّ كليهما يحققان ذلك وليس أحدهما دون الآخر وهما:

الأول: العلم النافع:

وتعريف العلم واضح لكل أحد ولكن الإمام رحمه الله احترز بكونه(نافعاً)عن العلم الصوري الذي لاينفع اللهم إلا بركة الألفاظ أو بركة الحضور إنْ كان في درس.

وقد عرَّفه قدس سره بأنَّه: التفكر في لطائف المصنوعات ودقائق اسرار الوجود[1]وجعل قدس سره هذه المرحلة من العلم بدرجة التفكر التي تنفع المتوسطين، أي الذين وضعوا أرجلهم على الطريق وقطعوا فيه أول الخطوات ولا يفهم أنَّ قبلهم المبتدئين، بل من أنَّهم خارجون وهذا يعني أنَّ المتوسط هو في بداية الطريق أو قد قطع خطوة وهو الذي عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بالمتعلم على سبيل النجاة وهو أدنى درجات الخواص.

ولعل الوجه في جعل التفكر في لطائف المصنوعات من درجات المتوسطين هو: إنَّ النظر هنا سيكون للمخلوقات دون الخالق، بمعنى أنَّه استخدم البرهان الإنّي في معرفته للحق تعالى، وقد ذكرنا مكرراً أنَّ البرهان الإنّي وإنْ كان أدنى درجات المعرفة وأبسط أنواع الدليل إلا أنَّه ممنوع على أهل الله، لأنَّ التدقيق في المصنوع يوجه النظر إليه بالأصالة ومن ثمّ يتوجه إلى الصانع بالتبع وهذا ما استغرب منه سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: ﴿وكيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك﴾[2].

وعلى أي حال فنحن بصدد إصلاح النفس من الجحود ولو بأدنى الطرق.

وقلنا أنَّه يكون بالعلم النافع وهو التفكر في لطائف المصنوعات ودقائق أسرار الوجود.

---

١ جنود العقل والجهل ص١٠٣.

٢ دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.

وهذا يتجلى في المعرفة الأنفسية والمعرفة الآفاقية في آية ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[١]، وقد عُقدت كتب العقائد لهذا البحث وفي نظري القاصر إنَّ ألطف ما سيق في هذا المجال في محاظرات الشهيد دستغيب رحمه الله في كتاب التوحيد من سلسلة اصول الدين، وليس هذا محل الكلام فيه فراجع والمهم في هذا المطلب بالإضافة إلى كل ما يذكر هو الإعتقاد بأنَّ الله تعالى هو الذي اعطى الوجود والتاثير والفاعلية لكل شيء وهو تعالى الذي نظم كل هذه القوة وهو الذي يهلك كل شيء بعد أنْ يحقق الغرض المنشود من إيجاده وهو الذي سيعيد كل ما يريد إعادته وهو تعالى سيجزي كل عامل بما عمل.

فمداولة عجائب الصنع والخلق ومعرفة اليد الإلهية في كل شيء وإقامة البراهين والأدلة على ذلك يساعد في التخلص من شيطان الجحود. هذا ولا يتوهمنَّ أحد أنَّه بمجرد ما يقيم دليلاً أو يتوجه إلى معرفة أنَّ هذا كافٍ في حصوله على التصديق بل لابدّ له من الإستمرار والإستيناس بهذه الأشياء لكي تجلو صدأ الجحود وزيف العناد من قلبه وعقله لكي يرى الحق في كل موجود وعندئذٍ ينفعه علمه لا أنْ يجمع حزمة من الألفاظ تحترق بمجرد سماع صوت النار!.

---

١ سورة فصلت الآية ٥٣.

الثاني: العمل الصالح:

وهو العمل النافع أيضاً وإنَّما احترزنا بالنافع لكي يتحقق بواسطته التغيير، وكذلك دفعاً للعمل الذي ظاهره الصلاح وباطنه الفساد الذي يدخل فاعله في حومة الشيطان كالعمل المرائى به أو العمل الصوري الذي لا يصعد متراً واحداً وهذا واضح فيما نقل بالمفهوم تذييلاً على آية ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[1]، إنَّه لا خير في صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ونقرأ في الأدعية: ﴿اللهم إنِّي أعوذ بك من ...... وصلاة لا ترفع﴾[2].

إذن إنَّما يكون العمل صالحاً ويدعى إلى فعله لإصلاح النفس من الجحود إذا كان نافعاً لتبديل حال النفس من ظلمتها الجحودية إلى حال جديد منور بضياء التصديق بالحق وقسم الإمام الراحل قدس سره العمل إلى قسمين يمكن أنْ يكون فعل أحدهما نافعاً للتخلص من الجحود ويمكن أنْ يكون كلاهما حسب ترسخ الجحود في النفس فكلما أوغل أكثر احتاج إلى عمل أكثر وأقوى واحتاج أيضاً إلى فعل كلا العملين.

---

١ سورة العنكبوت الآية ٤٥.

٢ المصباح للكفعمي.

وهذه الأعمال هي:

١- الأعمال القلبية: وهي التي ترجع الفطرة إلى حالتها الأولية، وروحانيتها الفطرية، وعمدة تلك الأعمال هي:

أ- التوبة بشرائطها الباطنية والظاهرية[١].

ونريد أنْ نركز في التوبة على قضية مهمّة في الرواية التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام عندما ساق النقاط الست لتحصيل التوبة والإستغفار وقد شرحناها هناك. وكانت إحدى النقاط هي أنْ يذيب اللحم الذي نبت على الخطيئة وهنا نريد أنْ نقول: إنَّ إذابة اللحم ليس تعبيراً مجازياً وكنائياً بل هو تعبير حقيقي فلابدّ فعلاً أنْ يذيب لحم جسمه الذي ربى وزاد عند فعله للمعصية وبعد فعله للمعصية ومن أموال الحرام. بعبارة أخرى أنْ يقلل وزنه الذي يعتقد أنَّه نما على الحرام ولا نقصد بذلك اللحم الذي نما من أموال الحرام كأنْ يكون قد سرق مالاً واشترى به طعاماً فقط بل حتى اللحم الذي نما من أموال الحلال ولكن كان الآكل عاصياً، إذ أنَّ العاصي يكون تحت حكومة وسيطرة الشيطان حال المعصية فلو عصى قبل تناول طعامه فبعد تناوله يكون الطاقة والوزن الزائد ولو بمقدار ١٠ غرام مثلاً لابدّ من ازالته أولاً مع الندم لكي تتحقق التوبة فعلاً.

ب- الإشتغال بالتزكية وتطهير القلب وتخليصه من الحجب الطبيعية وهذا هو المعبّر عنه بالتخلية[٢].

---

١ وقد أوضحنا ما يتعلق بالتوبة من شرط في المباحث الأولى من هذا الكتاب في التهيئة للتخلية.

٢ وقد أوضحنا منهجنا في ذلك.

ماهي الحجب؟

والمقصود بالحجب هي ما يحول بين العبد وربه، فيحتجب العبد عن ربه، لا أنْ يحتجب الرب عن عبده ﴿وَأَنَّكَ لا تَحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إلاّ أنْ تَحْجُبُهُمُ الأعْمالُ دُونَكَ﴾[1].

الحجب على قسمين:

الحجب الظلمانية: وهي ماعَبَّرنا عنها بالحجب الطبيعية أي التي تكون نتيجة التعلق بالطبيعة الكثيفة المظلمة فتكون حجباً تمنع من الإتصال والرؤية، وذكر الإمام الخميني قدس سره أنَّ عمدتها حبّ الدنيا، وحبّ النفس، والإعجاب بها، والإستبداد بالرأي وسنتكلم عن هذه الأربعة كلٌ على حدة.

الحجب النورانية: وهذه الحجب التي لا تتصف بالكثافة لأنَّها مجردة عن الطبيعة المادية؛ وجهة حاجبيتها إنَّما يكون في منع الإتصال دون منع الرؤية فالمحتجب عن الحق بحجاب نوراني يستطيع أنْ يرى، لكنّه لا يستطيع الوصول واللقاء بسبب ما احتجب به، وأهم الحجب النورانية بل رأسها هو العلم حتى قيل بأنَّ أغلظ الحجب حجاب العلم وسنتكلم عنه في الجندي التالي.

إنَّ الحجب الظلمانية الطبيعية هي الأربعة[2] متقدمة الذكر، ورفعها يساعد في رفع الجحود والتخلص منه ولنتكلم عنها كل على انفراد.

وقبل هذا لنعرف كيفية إرجاع الفطرة والتخلص من الحجب.

---

١ مقطع من دعاء أبي حمزة الثمالي/ مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي.

٢ حب الدنيا وحب النفس والإعجاب بها والإستبداد بالرأي.

كيفية حصول الإحتجاب والتخلص منه

وهذا المطلب مهم وسيّال لأنَّ الحجب قد تطرأ بسبب ما ذُكر أو أكثر من ذلك، وكلُّ سبب له إحتجاب، وما سنذكره يتعلق بجميع أنواع الإحتجاب ومعرفة ذلك مهم لأجل إجتناب أسباب الإحتجاب من رأس وفي المقام نقول:

إنَّ صفحة النفس التي هي زجاجة شفافة والتي تمثل الفطرة قد تراكم عليها أشياء، كل واحد من هذه الأشياء يمثل شكلاً من أشكال الإحتجاب وهي أربعة:

١. **صور معلومات جزئية طبعت على باطن الزجاجة بالإضافة إلى متعلقاتها.**
٢. **كدورات الدنيا وهي طبقة خارجية كالصبغ أو البقع وهي المادة.**
٣. **كدمات بحصى ناعم أو خشن تصيب جدار الزجاجة(النفس).**
٤. **غشاوة وبخار تتصاعد على زجاجة النفس وتغوشها، وهي الأبخرة التي تصعد من البطن المتلئة بالطعام.**

فالحجب بهذه الصور كلّها أو بعضها تمثل الحجب، فإذا وجدت حالت دون الرؤية وعميت عن الحق وأُبتليت بجنود الجهل وحرمت من جنود العقل وإليك بعض البيان لمصاديق هذه الأشكال الأربعة وكيفية التخلص منها:

أمّا صور المعلومات الجزئية المطبوعة على باطن الزجاجة(النفس)فهي صور لجزيئات خارجية لكنّها طبعت على النفس من الباطن نتيجة رسوخها وتوهم أنَّها من الدين والإعتقاد ولذا جعلها صاحبها في مخزون علمه ومكنون سره كالإنتماء إلى جهة يزعم أنَّها الحق(وكيف تكون حقاً وهي جهة؟ إذ الحق هو اللاجهة)فتراه لا يتنازل عنها ويلغي أي نوع من أنواع الحوار بصددها فتترتب عليها كثيراً من الآثار والتبعات واللوازم

مثل كره ما سواه وإنْ كان حقاً، وحب من ينتمي له وإنْ كان باطلاً فتتمنهج الموجودات عنده بالقسمة الثنائية إلى الحق(الذي تبناه)وغيره.

وبهذا يكون قد ضيع نفسه وأضلّ غيره وظلم الآخرين فيجحد بالحق وهو يتوهم التصديق وهذا ما يعبّر عنه بالزعم الذي درسناه في الميزان(علم المنطق).

وعلاجه: هو عدم الإلتفات إلى أي جزئي، وأن ينظر إلى جميع الأشياء بعين كلّيها – ولكن عليه أنْ يضبط ذلك – فإذا رجع إلى الكلي عرف ماهية مافي نفسه وحقيقته وهل هو حق وتصديق أو باطل وجحود[١].

فهو بالخيار بين أنْ يزيل هذه المعلومات الجزئية المترسخة على باطن الزجاجة – إذ أنَّها تمثل الحجاب – وهذا يتطلب جهداً خاصة بعد أنْ ضيَّق على نفسه عنق الزجاجة بنظرته الضيقة للحياة الإسلامية، اللهم إلا أنْ تدركه يد الرحمة والقدرة وتعينه على أمره، أو أنْ يزيل تلك المعلومات لكن يحولها إلى كلية وهذا يعني أنَّه سيغير تلك المعلومات من رأس ويجعلها نابعة من حاق أصول دينه واعتقاده.

وأمّا الصبغ الخارجي وكدورات الدنيا والمادة فهي تشبه الطين والوسخ الذي يعلو التحف النفيسة نتيجة تقادم الأيام والغفلة عن الجلي والتنظيف، وهكذا النفس والتعلق بالدنيا والمادة كالعقارات الخارجة عن الحاجة والأموال كذلك[٢] والسيارات الفخمة والعشيرة والسلطان تكون اشبه بطبقة الطين والبقع والصبغ حيث تحجب القلب من الخارج عن رؤية جمال الحق وإدراك الحقائق والتصديق بها، وتقوده إلى الجحود بما جاء من الله تعالى إذ ازداد تعلقه بها وتوهم أنَّها درجة الكمال المنشودة، ولعل بعض

---

١ أوضحنا في المرحلة الثالثة من المقصد الأول كيفية الإنتقال من الجزئي إلى الكلي.

٢ أي الخارجة عن الحاجة التي يكنزها تحججاً بكونها لعوادي الزمن.

معممي السوء ومدّعي السلوك والمتزيين بزيّ الروحانيين الذي جاء في الأخبار أنَّهم سيستقبلون إمام العصر عليه السلام بعبارة: ﴿إرجع لا حاجة لنا بك يابن فاطمة﴾يكونون من هذا القبيل أو كما جاء في بعض الروايات أنَّهم سينكرون وجوده وشخصيته عليه السلام فمثل هؤلاء بسبب تعلقهم بالدنيا وحبهم للمادة وتراكمها على صفحة نفوسهم جعلهم يكونوا كذلك مع إمام زمانهم مع أنَّ المفروض انهم عماله بين الناس.

وعلاجه: هو إدراك إنَّ حب الدنيا هو رأس كل خطيئة وأنَّ رجل الدين بل مطلق المؤمن عدو للدنيا، وأنَّه لا يجتمع حب الدنيا وحب الله في قلب المؤمن إذ أنَّهما ضرَّتان، وقراءة الروايات والآيات والقصص في الزهد والتزهد وذكر الموت والخوف من سوء العاقبة والدعاء بحسن العاقبة وقراءة سورة التوبة(البراءة)في كل شهر مرة على الأقلّ لأنَّها أمان من النفاق كما ورد عن معدن العصمة والطهارة ومتابعة سيرة النبي والأئمة عليهم السلام والعلماء والصالحين ويكثر من الدعاء والمناجاة وصلاة الليل والبكاء في مجالس سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.

وأمّا الكدمات بالحصى الناعمة أو الخشنة التي تضرب تلك الزجاجة الرقيقة وهي أعظم هدية نزلت إلينا من بارئها. كما يقول إبن سينا:

هبطت إليك من المحلِّ الأرفع ورقاء ذات تدللٍ وتمنُّعِ[1]

الحصى، هي مرامي إبليس وهي الذنوب التي نرتكبها سواء كنّا عن قصد أم لا، وسواء كان جاهلاً بالحكم أو بالموضوع أم كليهما فجميعها تؤثر، بل نستطيع أنْ نقول إنَّ ذلك يشمل حتى الشبهات وبعض الأحكام الظاهرية التي لا يراعى فيها الإحتياط بوجه ومقدارها **أكثر من أنْ يحصى**.

---

١ في بعض النسخ وردت ذات تحجب وفي بعضها ذات تعزز والمعنى واحد.

والذي نريد التنبيه عليه في هذا المجال هو:

١- مسألة استصغار الذنوب الذي يؤثر سلبا في التهاون بها فيداوم على فعلها ويتوهم أنَّها لا أثر لها وفجأة يجد نفسه منغمراً في بحر ظلمات الذنوب، بل حتى أنَّه نفسه لا يدري من هو أو ما هو؟ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[1].

٢- مسألة معرفة وإحصاء الذنوب جميعاً لأنَّه قد لا يعرف بعض الذنوب فقد يقول إنَّ الذنوب هي الكذب والسرقة والزنا وغيرها مما هو موجود في بعض الكتب. كلا لابدّ من الإلتفات إلى ذنوب أخرى كحرمة المزاح المؤذي للصاحب وحرمة نشر ثقافة الكفار ولو بالسكوت عنها وحرمة شراء بضائع لا يحتاج إليها إذ أنَّ الخمس يتعلق بها ولا يدري فيأكل خمس ما يملكه وهو لا يملكه وغير ذلك فلا يبقى له صفة للناس يصدّق بها فيجحد.

وعلاجه: هو التوبة إلى الله عزّ وجلّ من جميع الذنوب على ما ذكرناه سابقاً وإدراك أنَّه يعصي جبار السماء العالم بكل شيء والقادر على كل شيء.

وأمّا الغشاوة والبخار الناتج من رطوبة الأطعمة فقد وردت روايات كثيرة في كراهة إدخال الطعام على الطعام[2] أو الأكل الزائد عن الحاجة أو أكل الأطعمة الرطبة، وكذا ورد إستحباب أكل الجاف خصوصاً في العشاء . فالنفس إذا زادت رطوبتها تغوشت فلا تدرك الحقائق كما هي، بل قد تغير صور ما ينتقش عليها إضافة لما ستولّده من ثقلٍ في الرأس وحب النوم مما يؤثر على عمل العقل وإدراك الحقائق والتصديق بها فيجحد وهو

---

١ سورة الأعراف الآية ١٧٩.

٢ البحار ج٥٩ ص٢٦٩.

لا يدري فنراه كثيراً ما ينام ويأكل ويتكلم بالأخيلة وهذه - كما هو واضح للجميع - من أبرز أساسيات موانع الكمال.

وعلاجه: يكون بتقليل الأطعمة بصورة عامة وبعض الأطعمة بصورة خاصة تلك التي تزيد في رطوبة الذهن، وأكل الأطعمة اللطيفة واليابسة، وخاصة في وقت العشاء.

أهم الحجب:

ذكر الإمام الخميني رحمه الله أنَّ عمدة الحجب هي حب الدنيا وحب النفس والإعجاب بها والإستبداد بالرأي.

ويقع الكلام في كل واحد منها والتخلص منه.

حب الدنيا

من أخطر الأمراض وأغلظ الحجب وأسوء الأهوال هو حبُّ الدنيا حتى عدّه أهل البيت عليهم السلام بأنَّه رأس كل خطيئة بقول الصادق عليه السلام ﴿رأس كل خطيئة حب الدنيا﴾[1]. بل يمكن إرجاع حب النفس والإعجاب بها والإستبداد بالرأي إلى حب الدنيا لأنَّ من يحب غير الله عزّ وجلّ ولم يجعله هدفه ونصب عينيه لا فرق عنده بين أنْ يحب نفسه فيتوجه إلى حب الدنيا، أو يحب الدنيا مباشرة إذ كلا الحالين يُعَدّ بعداً عن ساحة الحق تعالى.

ويشهد ذلك قول الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتّتُ عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلتُ قلبه بها ولم أؤته منها إلا ما قدّرتُ له﴾[2]. وهذا الحديث يبرز خطورة مضمونه وحقّانيّة تحققه من خلال القَسَم المتعدد فيه، ويشير هذا الحديث الشريف إلى قضيتين هما:

١ — عدم تحصيله ما يريد من طلب الدنيا.

٢ — إنشغاله بطلب الدنيا يعمي عن الإنشغال بغيرها.

---

١ الكافي ج٢ ص٣١٥.

٢ المصدر السابق ص٣٣٥.

وليس ذلك إلا لتوهمه حب النفس والدنيا. يقول المرحوم آية الله العظمى الشيخ فاضل اللنكراني قدس سره عندما قرأ هذا الحديث في مجلس بحثه الأصولي الرابع والستين ما ترجمته: ﴿بنظري القاصر إنَّ القلب المشغول بالدنيا يكون بإسوء حال لأنَّه قد ضيع المقام الشريف للإنسانية﴾[١]. وهذا بديهي عندما حكم على نفسه بعبودية الدنيا التي تقتل من ينشغل بها والمعروف أنَّ القلب لابدّ أنْ ينشغل بالحي المطلق الذي يهبه الحياة لا ما يميته.

ومن باب المقارنة النظرية لاحظ ما يَطلبه طالِب العلم وفيما يصرف وقته به وعلى ماذا يحصل؟ وقارِنْهُ مع طالِب الدنيا الذي لا يزيده كثرة الطلب إلا عناءً وتعباً فطالِب الدنيا كشارب ماء البحر لا يزيده كثرة الشرب إلا عطشاً. وفي هذا المعنى قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إلاَّ فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ! لَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ ﴾[٢].

والمقصود من حب الدنيا في مقامنا هو التوجه إليها وإلى تفاصيلها وجعلها الشغل الشاغل له، بل حتى انشغاله الجزئي بها إذا كان على نحو الموضوعية لا الطريقية: بأنْ يجعلها غاية يصبو إليها، لا ممراً يعبر فيه ويتزود منه لما يكفيه، وإلا فالدنيا من جهة يمكن أنْ لا تكون مذمومة إذ يمكن جعلها المحطة التي يتزود منها للآخرة ودار العمل للإستعداد إلى دار الجزاء، وكذا يمكن الإعتبار من أحوالها وأحوال من كان فيها بمعرفة

---

١ أخلاق فاضل ص٩٢(فارسي).

٢ نهج البلاغة/ الكتاب ٤٩.

اخبارهم. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ ﴾[1].

هذا وإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي طلق الدنيا ثلاثاً لا رجعة فيها والذي يدعونا دائماً لمجانبة الدنيا والتخلي عنها، ونراه يقرّع شخصاً سمعه يذمّ الدنيا وهي الحكمة ١٣١ من قصار الحكم أولها ﴿ أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها .... ﴾ مما يدل على خطورة الدنيا وكيفية الموقف الإعتقادي والعملي منها فلابدّ من التعامل معها بدقة فهي دار عملنا من جهة ولكن لابدّ أنْ يكرس العمل على ما يريد الله تعالى وبالحدود التي حددها هو تعالى وأهل البيت عليهم السلام، وبما يناسب كل شخص وكل طبقة من طبقات المجتمع فلم يطلب أمير المؤمنين عليه السلام من عامله في البصرة وهو عثمان بن حنيف أنْ يكون مثله ولكن طلب منه أنْ يتورع عن الزائد ويجتهد في طلب الحق حينما قال له عليه السلام: ﴿ أَلا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلا وَإِنَّكُمْ لا تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، ولكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ ﴾[2].

كيف يكون حب الدنيا سبباً للجحود؟

نحن عندما نتكلم عن حب الدنيا فالغرض منه بيان ذلك من جنبة واحدة وهي كونها من أسباب الجحود وإلا فالدنيا هي أم الذنوب بل عينها. حب الدنيا في مقامنا يؤثر سلباً على إعتقادات المرء منّا. من زاوية إنّه أبصر إليها لا أنّه أبصر بها. واستعمال الفعل(أبصر)في جملتين متضادتين مع إختلاف حرف التعدي فيه ضرب من ضروب البلاغة فالإبصار وإنْ كان واحداً في كلا الجملتين إلا أنّه يثبت الأثنينية والتضاد. فالمرء منا إمّا أنْ يبصر بها أو أنْ يبصر إليها. والجانب المذموم المسمى بحب الدنيا الذي هو

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٨٢.

٢ المصدر السابق الكتاب٤٥.

حجاب ويؤثر على الإعتقاد ويفسد التصديق ويوصل إلى الجحود هو الإبصار إليها فينشغل بها ويتعلق قلبه بزخرفها وزبرجها فيبذل الجهد في تنمية مايَملك منها ويصرف جهداً آخر في الحفاظ عليها ويضيع عمره بين الجهدين. أمّا المبصر بها فقد اعتلى عرش اليقين فضلاً عن التصديق وعرف الحق وأهله لأنَّه أبصر عندما نظر إلى ما آلَ إليه مصير فرعون وقارون وغيرهما فآمن بالله وباشر الإيمان بقلبه وعقد عليه نفسه وظهر على أعماله فصار داعياً إليه.

التخلص من حب الدنيا

لا أريد أنْ أكون واعظاً يريد أنْ يعظ الناس، فيجد نفسه أنَّ الآخرين يعظوه ولكن أرجو أنْ أكون ممن تخلص من الدنيا بالكلية والذي حداني إلى أنْ أذكر هذه الكلمة في البداية هو: إنَّ المتكلم الذي تسمع درسه وتقرأ كلامه الآن هل أنَّه تخلص من الدنيا وجعلها لكي يعظك ويعلمك ذلك؟ أدعوا لي الله عزّ وجلّ أنْ أكون ممن خرج حب الدنيا من قلبه. ﴿وَأَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قُلُوبنا كَما فَعَلْتَ بالصَّالِحِينَ مِنْ صَفْوَتِكَ وَالأَبْرارِ مِنْ خاصَّتِكَ﴾[١]. **وهذا أول طرق التخلص من الدنيا** وهو: الإعتراف بالذنب وإدراك الشخص أنَّه قد تعلق بالدنيا ولو بخيط عنكبوت وهذا أهم عمل لتخلص من الدنيا، لأنَّ البعض يدعي الإعراض عن الدنيا وهو مغمور بها بمحض إرادته.

وثاني الطرق هو: الدعاء واللجوء إلى الله عزّ وجلّ في التخلص من هذه الملعونة. وما فيها قال النبي ﷺ: ﴿ الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا من ابتغى به وجه الله عزّ وجلّ ﴾[٢]

---

١ الصحيفة السجادية – المناجاة الخامسة عشر(مناجاة الزاهدين).

٢ ميزان الحكمة ج٢ ص٨٩١.

فتداوم الدعاء وطلب ذلك بإخلاص من الله عزّ وجلّ يوجب التخلص من حب الدنيا وخاصة دعاء أبي حمزة الثمالي الذي أملاه عليه الإمام زين العابدين عليه السلام الوارد في أسحار شهر رمضان وخاصة فقرة: ﴿سيدي أخرِجْ حب الدنيا من قلبي واجمع بيني وبين المصطفى وآله خيرتك من خلقك وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم﴾[1]. وفي هذه الفقرة نكتة لطيفة تشير إلى أنَّ الإجتماع مع محمد وأهل بيته عليهم السلام يساوق ويلازم إخراج حب الدنيا من القلب مما يدلل على ضديتهما. **وهذا ثالث الطرق:** بأنْ يدرك ويعتقد أنَّه لن يجتمع حب الدنيا وحب أهل البيت عليهم السلام في قلب واحد بعد أنْ عزفوا عنها بأفعالهم ومطلق حياتهم وصرّحوا في ذلك في أقوالهم عندما دعوا شيعتهم إلى الفوز بالدارين بترك الدنيا[2].

التقى يوماً أحد الصوفيين الساكنين في مدينة وإسمه محمد بن المنكدر بالإمام الباقر عليه السلام وهو متكٍ على غلامين له أسودين في طريقه إلى بساتين النخيل وكان بديناً، فقال أبن المنكدر في نفسه: الشيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذا الحال في طلب الدنيا، أشهد لاعظنّه فدنى منه فقال: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذا الحال في طلب الدنيا، لو جاءك الموت وأنت على هذا الحال؟ فوقف الإمام عليه السلام إلى ذلك الرجل وقال له: لو جاءني – والله – الموت وأنا على هذا الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى أكفّ بها عن نفسي وعنك وعن الناس وإنَّما

---

١ المصباح للكفعمي ج٢ص٥٩٥.

٢ سنوافيكم ببعض الروايات في ذلك.

كنتُ أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله تعالى. فقال الرجل للإمام يرحمك الله أردت أنْ أعظك فوعظتني[١].

وهذه الرواية ثانية الأسباب التي جعلتني أتخوف من طرح هذا المطلب لأنّي بطرحي هذا أكون واعظاً والحال أنا أحتاج إلى واعظ.

ومن هذه الرواية نعرف **رابع الطرق للتخلص من حب الدنيا** وهو كون الإنسان في جميع أوقاته حتى في نومه يكون على طاعة حيث أنَّ العبد إذا كان قائماً على طاعة الله عزّ وجلّ أرتبط به تعالى وجعله نصب عينيه وكان شغله به تعالى فقط دون غيره فبالتالي لا يكون متوجهاً إلى الدنيا بل يرى خستها وسوء الإرتباط بها بعد أنْ أرتبط بالله عزّ وجلّ.

وخامس الطرق: إستحقار الدنيا ومعرفة حقيقتها فكيف الإنسان العاقل والموجود المصنوع بيد الله عزّ وجلّ أنْ ينجرَّ لأحقر الأشياء.

حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا أَصْغَرَ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ ، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ[٢] ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً ، فَإِنَّهَا قَد رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ ﴾[٣].

---

١ وردت هذه الرواية في كتب كثيرة بصيغ متعددة بل حتى في كتاب الواحد وهو البحار قد ورد بصيغ متعددة والإختلاف ليس في كلام الإمام عليه السلام بل في سرد القصة وحديث بن المنكدر مع نفسه أو مع الإمام عليه السلام وهذا لا يضر فلاحظ البحار ج٤٦ص ٢٨٧ – وج١٠٠ص٩.

٢ قشور الأوراق الصغيرة ومايسقط من المقراض عند جزّ الصوف وفي هذين المثالين، إشارة إلى إستحقار الدنيا وتشبيهها بالأشياء الخسيسة.

٣ نهج البلاغة/ الخطبة ٣٢.

وسادس الطرق: الإلتفات إلى أنَّ طالب الدنيا محسوب عليها فهو يدعى بها يوم القيامة فيقال له في المحشر أمام الخلائق أجمعين من الأنبياء والأئمة والعدو والصديق: أين أبن الدنيا فيحشر معها في صورتها القبيحة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَد سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

وسابع الطرق: معرفة أنَّ الدنيا وإنْ كانت تسمى شيئاً ويخبَر عنها ولكنّها بحسب الحقيقة ليست بشيء وأنَّها لاقَرار لها فهي كالظل ليس بشيء ويزيد وينقص ويكون الحكم عليه متغيراً كل لحظة يقول أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ أَلا وإنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لاَ يُسْلَمُ مِنْهَا إلاَّ فِيهَا وَلاَ يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ بيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ ﴾[2].

وثامن الطرق: إستقصاء وتفصي صفات الدنيا ودراستها بدقة وحساب العلاقة بينك وبين من يحمل تلك الصفات فلو كان شخص كذلك فهل يمكنك إقامة علاقة معه أو الإرتباط به فضلاً عن حبه والتعلق به وصفاتها كثيرة ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من خطبه ورسائله وكتبه ومنها: ﴿ عِبادَ اللهِ... أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهذهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لأجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا ﴾[3].

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٤٢.

٢ المصدر السابق الخطبة ٦٣.

٣ المصدر السابق الخطبة ٩٩.

فلو تجسدت مثل هذه الصفات في شخص فهل يكون جديراً بالمحبة؟ ومن صفاتها أيضاً: ﴿فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيل تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ﴾[١].

وتاسع الطرق: النظر في سنن التاريخ وكيف هو مصير أهل الدنيا من جهة.

وكيف أنَّ العظماء قد تركوها من جهة من خلال ملاحظة سيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء الصالحين. إذ لو كان لها قيمة وكانت مما يطلب لطلبها العظماء وأنت تقر بأنَّهم عظماء.

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يصف الإنسان الكامل والأسوة الحسنة والصادر الأول رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بقوله: ﴿قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ تعالى زَوَاهَا عَنْهُ إخْتِيَاراً، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ إحْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلاَ يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً﴾[٢]. وهذه المرتبة ليس مقصورة على الأنبياء والأئمة عليهم السلام، بل أنَّ بعض الناس يكونوا كذلك كما الأولياء والعلماء والصالحين والزهّاد والإلهيين . ويمكن أنْ نكون نحن أيضاً كذلك ونشمل بقول أمير المؤمنين عليه السلام:﴿كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ﴾[٣].

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ١٠٣.

٢ المصدر السابق الخطبة ١٠٩.

٣ المصدر السابق الخطبة ٢٣٠.

هذا وإنَّ أقبح صورة للدنيا وباعتقادي أنَّ من لا يتعض بها لا يفيده شيئاً بعدها هي إنَّ الدنيا دار معصية والظرف الذي يعصى فيه خالقها وجبار السماء، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّهُ لاَ يُعْصَى إلاَّ فِيهَا، وَلاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إلاَّ بتَرْكِهَا ﴾[1].

روايات نافعة لترك الدنيا

بالإضافة إلى ما قرأنا من الروايات وخطب وحكم وقصص والتي كان جُلّها لأمير المؤمنين عليه السلام لأنَّه الفرد الأوضح في عداوة الدنيا.

نذكر هنا بعض ما ينفع كموعظة في الباب ولا كلام بعد كلام المعصومين عليهم السلام، ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾[2]. ومنها:

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿مَرَّ عيسى أبن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال: إمّا إنَّهم لم يموتوا إلا بسخطه. ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا، فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته، أدع الله أنْ يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها، فدعا عيسى عليه السلام ربهُ فنُوديَ من الجوِّ: أنْ نادِهم، فقام عيسى عليه السلام بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية، فأجابه منهم مجيب: لبَّيك يا روح الله وكلمته فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحُبُّ الدنيا مع خوفٍ قليل وأملٍ بعيد وغفلةٍ في لهوٍ ولعب. فقال: كيف كان حبّكم للدنيا؟ قال: كحُبِّ الصبي لأمّه، إذا أقبلتْ علينا فرحنا وسُررنا وإذا أدبرتْ عنّا بكينا وحزنّا، قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي. قال: كيف كانت عاقبة أمركم؟

---

١ نهج البلاغة/ قصار الحكم/ الحكمة ٣٨٥.

٢ سورة المؤمنون الآية ٧.

قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في الهاوية، فقال وما الهاوية، فقال: سجين، قال: ما سجين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة، قال: فما قلتم وما قيل لكم؟ قال: قلنا ردنّا إلى الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم، قال: ويحكم كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله إنَّهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد وإنِّي كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّني معهم فأنا مُعلَّق بشعرة على شفير جهنم لا أدري أُكَبْكَبُ فيها أم أنجو منها. فالتفت عيسى عليه السلام فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل خيرٌ كثيرٌ مع عافية الدنيا والآخرة ﴾[1].

أُنظُر ما أسوء حال هذا الذي خاطبه النبي عيسى عليه السلام مع أنَّه لم يكن منهم، غاية الأمر أنَّه كان فيهم، فالويل لنا إنْ لم نتخلَّ عن الدنيا وإلا صار حالنا مثل أولئك الملجمين بالنار، والويل لنا إنْ لم نجعل الناس تتخلّ عن الدنيا وإلا صار حال مثل ذلك المعلق بشعرة لا يعرف مصيره أناجٍ من النار هو أم لا؟.

٢ — قال النبي عيسى عليه السلام لبعض أصحابه: ﴿ صُمْ عن الدنيا واجعل فطرك الموت ﴾[2].

ونحن نعلم بأنَّ لكل صوم إفطار، والإفطار من الصوم عن الدنيا لا يكون إلا بإنهاء الحياة الدنيا. وهذا يعني أنَّ مدة العمر كلّها لابدّ أنْ تنقضي وأنت معرض عن الدنيا فلا يتخلل مدة العمر فترة ولو كانت قليلة يكون المرء منا متعلقاً بالدنيا.

---

١ الكافي ج٢ ص٣١٨.

٢ الفتوحات المكية لابن عربي ج٤ ص٥١١.

٣ – قال بعض الأولياء: ﴿مثل العالم الراغب في الدنيا الحريص في طلب شهوتها كمثل الطبيب المداوي غيره المرض نفسه فلا يُرجى منه الصلاح فكيف يشفي غيره﴾[1].

وأهم شريحة لابدّ أنْ تعرض عن الدنيا هم طلبة العلم ورجال الدين لأنَّهم هم الذين يتولون إصلاح المجتمعات بإبعادهم عن الدنيا فكيف لهم أنْ يتعلقوا بها؟ والقضية خطرة لأنَّه إذا فسد العالِم فسد العالَم. ولعمر الشاعر القائل:

يُداوى فسادُ اللَحمِ بالمِلحِ عادةً   بماذا يُداوى المِلحُ إنْ فَسَدَ المِلحُ

والروايات المحذّرة من خطورة ركون العالم إلى الدنيا كثيرة نذكر بعضها إيقاظاً للعلماء وتنبيهاً للناس أنْ يُبتلَوا بمثل هؤلاء العلماء.

منها: ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا. قيل يا رسول الله: وما دخولهم في الدنيا؟ قال: إتباع السلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم﴾[2].

وكثيراً ما نرى ونقرأ هذه الرواية في كثير من المواضع لكنّها تقرأ هكذا(الفقهاء أمناء الرسل)من دون تكملة ولا ندري من إقتطعها لِمَ إقتطعها؟ الله العالم!.

ومن هنا يعرف أنَّه لابدّ أن يضاف شرط آخر في مرجعية التقليد وهو أنْ يكون معرضاً عن الدنيا غير مائل إلى حطامها. وقد ذكر هذا الشرط السيد الإمام الخميني قدس سره في تحرير الوسيلة في مسألة رقم ٣ من باب التقليد.

ومنها: ما أوصى به أمير المؤمنين عليه السلام ولده الحسن عليه السلام: ﴿كيف وأنّي بك يا بني إذا صرت في قوم صبيهم غاوٍ وشابهّم فاتك، وشيخهم لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر،

---

١ الفتوحات المكية ج٤ ص٥١٣.

٢ الكافي ج ١ ص ٤٧.

وعالمهم خَبٌّ موّاه[1] مستحوذ عليه هواه، مستمسك بعاجل دنياه أشدّهم عليك إقبالاً يرصدك بالغوايل ويطلب الحيلة بالتمني ويطلب الدنيا بالإجتهاد ﴾[2].

ومنها ماوَرد عن علي عليه السلام قال:﴿ قال عيسى عليه السلام: الدينار داء الدين، والعالم طبيب الدين، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه، واعلموا أنَّه غير ناصح لغيره ﴾[3].

تحذير

روي أنَّ عيسى عليه السلام كوشف الدنيا فرآها في صورة عجوز هنماء[4] عليها من كل زينة، فقال لها: كم تزوجتِ؟ فقالت لا أحصيهم، قال: كلّهم مات عنكِ أو طلّقكِ؟ قالت: بل كلّهم قتلتُ، فقال عيسى عليه السلام: بؤساً لأزواجكِ الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجِكِ الماضين، كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولم يكونوا منكِ على حذر[5]!.

فإيّاكَ أيها العزيز من الإقتران بصاحبة هذه الشكل، ولا أتصور أنَّ خسيساً وذليلاً يمكن أنْ تنطلي عليه مثل هذه الأشكال حتى وإنْ كانتْ تحت الزينة.

---

١ أي خدّاع و مزورّ.

٢ البحارج٧٤ ص٢٣٤.

٣ الخصال للشيخ الصدوق ص١١٣.

٤ الهنماء: مكسرة الثنايا أي مكسرة الأسنان لأنَّها عجوز قبيحة غايته متزينة.

٥ البحار ج١٤ ص٣٢٨مصححاً عن مصدره تنبيه الخواطر(مجموعة ورام)ج١ ص١٤٦.

حب النفس

ويعني إنَّ الإنسان يتوجه إلى كل ما فيه بناء ذاته ونماءها مطلقاً سواء كان وفق التقنين الإلهي أم لا.

وهذا الإطلاق الذي ذكرناه قد ثبته علماء النفس والأخلاق حيث قالوا بأنَّ الإنسان من البداية مفطور بأصل الخلقة على حبِّ ذاته. وهذا واضح في أبسط الأمور لا أقلّ أنّنا نرى العطشان يتوجه صوب الماء، والجائع صوب الطعام ومن يحسّ بالبرد يسحب غطاءً يتقي به البرد وغير ذلك من الأفعال. وكلّها إنّما تكون بدافع حب النفس والحفاظ عليها وهذا أمر بديهي.

يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره: ﴿وحب الذات هو الغريزة التي لا تعرف غريزة أعم منها وأقدم، فكل الغرائز فروع هذه الغريزة وشعبها بما فيها غريزة المعيشة. فإنَّ حب الإنسان ذاته – الذي يعني حبه للذة والسعادة لنفسه، وبغضه للألم والشقاء لذاته– هو الذي يدفع الإنسان إلى كسب معيشته وتوفير حاجياته الغذائية والمادية﴾[1].

وقال قدس سره: ﴿ولا نعرف إستقراءً في ميدان تجريبي أوضح من إستقراء الإنسانية في تاريخها الطويل، الذي يبرهن على ذاتية حب الذات بل لو لم يكن حب الذات طبيعياً وذاتياً للإنسان لما إندفع الإنسان الأول – قبل كل تكوينية إجتماعية – إلى تحقيق حاجاته ودفع الأخطار عن ذاته، والسعي وراء مشتهياته﴾[2].

---

١ فلسفتنا ص٣٣ ط دار الكتاب المصري.

٢ المصدر السابق ص٤٠.

ومن هذا رأيت أنَّ حب الذات أمر ذاتي، والأمر الذاتي لا يمكن التخلي عنه ونحن لا نريد تشويه صورة الذات والنفس ومن يحب ذاته، كلا وإنَّما نحن نسعى لإيجاد الحل في حال أنَّ حب النفس أودى إلى الوقوع في المهاوي، وسبب إفساد الفرد والمجتمع وإنَّما يكون حب النفس مذموماً في علم الأخلاق، ويسبب الحجب ويجعل الإنسان جاحداً إذا كان من هذا القبيل واتصفت الذات والنفس معه بالخسة والضعة، فجميع الإتجاهات والأديان والمذاهب والتيارات تؤمن بأنَّ سر فساد المجتمعات هو حب النفس والكل يريد أنْ يعالج هذه المعضلة ولكن اختلفوا في كيفية العلاج وهنا يبرز دور التعاليم الإسلامية والفكر الإسلامي في إيجاد الحل الصحيح، لأنَّ الإسلام يهتمّ بهذه القضية التي قد تودي بالفرد إلى أكثر من الجحود بل أنْ يدعي الربوبية والعبادة بالله، كما ادّعى فرعون ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾[1]، أو يجعله كالشيطان الذي رفض الإمتثال لأمر الله عزّ وجلّ في السجود لآدم عليه السلام وقال: ﴿ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[2]. ولم يكن ذلك إلا لإعمال حب النفس البغيض.

---

١ سورة النازعات الآية ٢٤.

٢ سورة الأعراف الآية ١٢.

علاج حب النفس

ذكرنا إنَّ المدارس والإتجاهات إختلفت في كيفية العلاج بعد أنْ اتفقوا في تشخيص المرض. وقد تطرق السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره لذلك بقوله: ﴿إنَّ العالم أمامه سبيلان إلى دفع الخطر وإقامة دعائم المجتمع المستقر[١]. **أحدهما** أنْ يُبدل الإنسان غير الإنسان[٢]، أو تخلق فيه طبيعة جديدة تجعله يضحي بمصلحته الخاصة ومكاسب حياته المحدودة[٣]، **والسبيل الآخر** هو تربية تلك الذات وتقويمها وتعريفها ما يجب أنْ تكون عليه وأنَّها محكومة من قبل نظام علوي متكامل يضمن حقوق الجميع ويحترم الفرد والمجتمع عن طريق أتباع التعاليم الإسلامية التي أثبتنا في أكثر من مورد أنَّها تنفع في كل عصر ومصر، بل إنَّ المجتمعات لابدّ أنْ تقوم على أساس الأخلاق حتى في مجال السياسة وستوافيكم في مباحث الشجاعة، الرسالة السياسية التي أوضحنا فيها معالم الحياة الدينية والأخلاقية والسياسية للمجتمعات﴾.

وهذه السلسلة من المحاضرات والبحوث التي نطرقها وسنكملها بعون الله تعالى ليست إلا برنامجاً لعلاج حب النفس فتابع معنا.

---

١ فلسفتنا ص٣٦.

٢ بأنْ يمحى الجيل الموجود من الوجود ويُبدل بجيل آخر وهنا بنوا على إلغاء الذات من جهة وجوده الخارجي وهذا الرأي قد تبنّاه الشيوعيون حتى أخزاهم الله تعالى بإنحلال الإتحاد السوفيتي فأراقوا كثيراً من الدماء.

٣ فابتدعوا مبدأ الإشتراكية التي سلبت حقوق الناس وميزت كوادر حزبهم عن سواد المجتمع تحت غطاء محاربة البورجوازية، مع أنَّ كوادر الحزب نفسه كانوا من أكابر البورجوازية والمترفين ولم ينجح تنظيرهم الإقتصادي طوال فترة وجود الإتحاد السوفيتي وحلف وارشو، إلى أنْ أضطر آخر رئيس لهم وهو غورباتشوف إلى إختراع مبدأ البيروسترويكا لكي يلملم ما بقي من جراحات الشيوعية، ولكن الله عزّ وجلّ أراد لهم الفشل وقد أنبأ عن فشلهم الإمام الخميني رحمه الله في رسالته المعروفة برسالة التوحيد إلى زعيمهم، فدكّ عروشهم وانتقلوا إلى مزبلة التاريخ.

والمهم في كلِّ شيء أنْ لا يدخر الإنسان وسعاً في التخلي عن المرض العضال، وأنْ يتهم كل شخص نفسه على مبدأ خطبة المتقين ﴿فَهُمْ لأنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ﴾[1].

وإذا شك بأنَّ لديه حب النفس أو لا، فاستصحاب حب النفس جار بعد أنْ أثبتنا أنَّه موجود بالذات.

قال سعدي:

تا يک سر موی اَز تو هستی باقيست

آئين دكان خود پرستی باقيست

گفتی بت پندار شكستم رستم

اين بت كه ز پندار شكستی باقيست[2]

يعني:

مادام فيك رأس شعرة من الأنا

فإنَّ دكان عبادة النفس لا يزال يسوَّد

قُلتَ: لقد حطَّمتُ الصنم الوهمي للتكبر وحب النفس من الذات

وما دمتَ تقول فقولك دليل على بقاء الأنا وحب النفس فيك

إنَّ من يقول إنِّي لا أحب نفسي أو إنِّي تخلصت من حب النفس فهو أكبر دليل على بقاء هذا المرض فيه، فالذي تخلص من حب النفس فعلاً هو من لا يلتفت إلى أنَّه قد تخلص وهذا يعني أنَّه يبقى يتهم نفسه بذلك.

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ١٩٣.

٢ ديوان سعدي الشيرازي/ رباعيات/ مواعظ.

الإعجاب بالنفس

هذا المرض والحجاب قد يُعَدّ من الكبر وقد يُعَدّ من العجب وقد يلحق مـن بحـب النفس وعلى أي تقدير يكون معناه: هو الإعتـداد بـالرأي والفعـل الصـادرين مـن نفـس الشخص مما يجعله يرفض قول وعمل الغير، وقد يوغل أكثر في هذا الإعتقاد حتى أنَّـه لا يقبل ما يصدر عن الله عزّ وجلّ ومعدن العصمة والطهارة عليهم السلام.

فيصل إلى مرحلة الجحود وذلك بسبب اعتداده برأيه فيجحد الحق ولا يصدّق به. وما ذكر من العلاج في أخويه السابقين، وما سيأتي في الرابع يجري فيه بلا فرق وإنَّما يزيد فقط هنا إيراد بعض الروايات مع بعض البيان في قضية لا يلتفت إليها نقدمها أولاً ثمّ نورد الروايات.

وهذه القضية: ذكرها العلامة آية الله العظمى السيد محمد حسين الطهراني[1].

وهي: إنَّ الإنسان في بعض الأحيان التي تعتريه بعض المشاكل ويُبتلى ويصبر على ذلك الإبتلاء بل قد يأنس به لأنَّه من الله عزّ وجلّ، وهذا لحد الآن شيء جيد فإنَّه بعد ذلك يفتخر بنفسه باعتبار أنَّ الله تعالى قد عطف عليه، وجعله مشمولاً بعنايته بهذه الوسيلة، ويفتخر أيضاً بأنَّه لم يتشكَ ولم يتململ مما أصابه.

بل قد يقول بأنَّه لا يريد الخروج من الأزمات التي تعتريه، وهذه الحالة كما نرى من التذاذ النفس ووساوس الشيطان وهي ناشئة من الشعور بالعظمة وإبراز النفس نتيجة الإعجاب بها، لأنه في هذه الحالة لا ينظر إلى إرادة الله عزّ وجلّ ولا مشيئته التي تصاحبه في جميع الحالات، بل يرى نفسه كيف وقفت أمام هذه المشاكل وتحملت

---

١ أسرار الملكوت ج٢ ص٣١٢-٣١٣.

صعابها، وهو يتوهم بقوله هذا وفعله أنَّه مغمور بنفحات الرحمن ولكنَّه ينفث أشدّ من نفثات الشيطان فلابدّ لكل منّا أنْ يعلم بأنْ:

هـر كـه در ايـن راه مقـرب تـر اَسـت جـام بـلا بيشـتر مـى دهنـد

يعني:

كلّما يكون الشخص مقربٌ أكثر في هذا الطريق

كـانَ بـلاؤه أشـدّ وأكثـر

وأمّا الروايات الواردة في الباب - وهي وإنْ كانت تتدخل مع أخوات هذا المرض - فهي أكثر من أنْ تُحصى ونختصر على ذكر بعضها مما فيه الفائدة، وهي:

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: ﴿قال موسى بن عمران عليه السلام لإبليس: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه إبن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه. وقال: قال الله عزّ وجلّ لداود: يا داود بشر المذنبين وأنذر الصدّيقين، قال كيف: أبشر المذنبين وأنذر الصدّيقين؟ قال: ياداود بشر المذنبين أنّي أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأنذِر الصدّيقين أنْ لا يعجبوا بأعمالهم فإنَّه ليس عبد أُنَصبه للحساب إلا هلك﴾[1].

٢- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿إنَّ الله علم أنَّ الذنب خير للمؤمن من العجب ولو لا ذلك ما أُبتلي مؤمن بذنب أبداً﴾[2].

---

١ وسائل الشيعة للحر العاملي طبعة آل البيت ج ١ ص ٩٩.

٢ المصدر السابق ص١٠٠.

٣- عن أبي جعفرعليه السلام قال في حديث: ﴿ثلاث موبقات: شح مطاع، وهوى متبّع، وإعجاب المرء بنفسه﴾[١].

٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله﴾[٢].

٥- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿الملوك حكام على الناس، والعلم حاكم عليهم، وحسبك من العلم أنْ تخشى الله، وحسبك من الجهل أنْ تعجب بعلمك﴾[٣].

---

١ وسائل الشيعة للحر العاملي طبعة آل البيت ج ١ ص ١٠٣.

٢ المصدر السابق ص ١٠٥.

٣ المصدر السابق.

الإستبداد بالرأي

وهو أنْ يعتد الإنسان برأيه فقط من دون أنْ يقبل رأي الآخرين مع علمه بأنَّه ليس بمعصوم ولكنّه غفل عن ذلك، لذا تراه يخطأ كثيراً ويعتقد بأنَّ كل ما يقول به صحيح فيصدّق جهله ويجحد بالحق.

وقد عده الإمام الخميني قدس سره أحد الحجب الطبيعية، وأغلب المبتلين به هم المسلطون من الساسة ورجال الدين. ويظهر ملياً في أبناء جنسنا من طلبة العلم حيث يرون كل ما لديهم حقاً و واقعاً من غير قبول النقاش فيه، مما أدى ذلك إلى كثرة التجاذبات والتناحرات الذي يؤدي بالنتيجة القهرية إلى ضياع التعاليم الدينية حيث صاروا هم حملة الدين فلاحظ الناس غير المتثبتين الإختلاف في الدين وابتعدوا عنه نتيجة تلك الأستبدادات البغيضة.

ويعود هذا الحجاب الخطير إلى الأنا، لأنَّه ليس إلا أثر الإنصياع مع الميول والرغبات النفسية.

وهذا المرض العضال يضيّق فكر المصاب به حتى يتجمد ويتحجر، فتنقلب وظيفته وحقيقته من الهداية والإنارة للطريق، إلى حجر عثرة في طريق الحقيقة فيرفض كل ما سواه وقد يصل إلى مرحلة أنَّه يعرض حتى عن كلام الله عزّ وجلّ والمعصومين عليهم السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿المُستبدُّ متهورٌ في الخَطأ والغَلَطْ﴾[١].

---

١ ميزان الحكمة ج١ ص٨٣.

والغلط: هو وضع الشيء في غير موضعه ويجوز أنْ يكون صواباً في نفسه.

أمّا الخطأ: فلا يكون صواباً وصحيحاً على أي تقدير.

وقال عليه السلام: ﴿الإستبداد برأيك يزلك ويهورك في المهاوي﴾[1]، وعنه عليه السلام: ﴿خاطَرَ بنفسه من استغنى برأيه﴾[2]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ثلاث هن قاصمات الظهر، رجل إستكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه﴾[3].

وقد عُدَّ الإستبداد بالرأي كفراً يُخلِّد صاحبه في النار. ومن أقسام الكفر المُخلِّد في النار هو كفر الإستبداد بالرأي وقد كانوا عليهم السلام يقولون: إذا سأل سائلهم بقوله: ما رأيتَ ما حاصله الإستبعاد من إسناد الرأي عليهم السلام قالوا: ﴿الرأي رأي الله ورسوله﴾[4].

وعُدَّ الإستبداد بالرأي من الكفر أمر طبيعي ولا يقول أحد أنَّها نظرة متشددة، لأنَّ الإستبداد بالرأي يعني إعمال رأيه في قبال كل رأي حتى الله عزّ وجلّ ما يؤدي به إلى كفره وهذا واضح بعد أنْ أرجعناه إلى الأنا وهو من نوع العجب بالعلم.

---

١ ميزان الحكمة ج١ ص٨٣.

٢ البحار ج٧٢ ص ٩٧.

٣ المصدر السابق ص ٩٨.

٤ التعليقات على مفاتيح الغيب ص٧١٤.

علاج الإستبداد بالرأي

وأمّا علاج الإستبداد بالرأي فهو اعتقادي وليس عملياً لأنَّه أمر باطني نشأ من أسباب ذهنية وهي العلوم والسيطرة العلمية. وعلاجه كما ذكره الملا النراقي وهو: ﴿أنْ يعلم أنَّ العالم الحقيقي هو الذي يعرف نفسه وخطر الخاتمة، وأنَّ من تليق به العظمة والعزة والكبرياء هو الله سبحانه، وما عداه هالك الهوية والذات فاقد الكمال والصفات﴾[1]، وكذا لابدّ أنْ يتفكر في قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وكذا يتفكر في حال قارون عندما قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[3]، فكانت نتيجة إستبداده برأيه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ﴾[4].

---

١ جامع السعادات ج١ ص ٢٠٦ ط جامعة النجف الدينية.

٢ سورة يوسف الآية ٧٦.

٣ سورة القصص الآية ٧٨.

٤ سورة القصص الآية ٨١

٢- الأعمال القالبية[١]:

هي عبارة عن الأعمال التي تذكر النفس بأحوالها وتوقظها من النوم الثقيل وسكر الطبيعة وهذه الأعمال هي: الإشتغال بالأذكار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بشرائطها. وعمدة الشرائط هو حضور القلب.

وهذا الإشتغال يكون بقصد تذكير النفس وإيقاظها في أوقات يكون اشتغال النفس فيها بالكثرات والدنيا أقلّ كأواخر الليل وبين الطلوعين.

ومنه يُعرف أنّه يشترط في الذكر: **الوقت والحضور**.

أمّا الوقت: فلتحصيل الأثر وتحقيق الإرتباط ومعرفة موعد الحضور واستشعار الأُنس بالمذكور تعالى **وأمّا الحضور**: فلإتمام عناصر اللقاء[٢].

ومن هذين الشرطين - أعني الوقت والحضور - ندرك أنَّ المهم في الذكر هو دوام أو تداوم الذكر لكي يستمر رفع الغفلة ولا نقع في الجحود مرة أخرى وإلى الأبد، ولنكون في محضر الحق دائماً. والذكر يحقق التذكر(المعبّر عنه بالذُكر)والمهم هو التذكر(الذُكر) ويعني الحضور في ساحة الحق.

---

١ كل ما مضى كان الكلام فيه في الأعمال القلبية في علاج الجحود، والآن يقع الكلام في الأعمال القالبية وهو أيضاً لعلاج الجحود.

٢ وقد ذكرنا ما يتعلق بالذكر في بحوث تقدمت من النقاط الخمس والعشرين في التهيئة للتخلية.

رمز دوام التذكر

لشيخنا بهجت قدس سره كلام في تداوم الذُكر(التذكر)يتمنهج إلى أربعة أمور وهي:

أ- **الإنتباه إلى فقرنا المطلق:** أنْ يدرك الإنسان أنَّه الفقير المطلق في كل شيء وأنَّ الله تعالى هو الغني المطلق؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[1].

يقول الشيخ بهجت رحمه الله ما ترجمته: ﴿ يجب على الإنسان أنْ يعلم من نفسه أنَّه لا يملك شيئاً حتى نية الخير ﴾[2]

وهذا واضح من قوله تعالى على لسان كليمه موسى عليه وعلى نبينا وآله السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[3]، حيث قالها بعد أنْ فعل خيراً عندما سقى لابنتي شعيب عليه السلام.

ويقول الشيخ رحمه الله: ﴿نحن نحتاج إلى هدايته تعالى في كل لحظة، ولابدّ أنْ تمدّنا عنايته تعالى قطرة قطرة لكي نَعلم ونُقدّر ماذا نقول وماذا نعمل ﴾[4].

وعبارته تشتمل على اللف والنشر المرتب كما لا يخفى، ونص عبارته أنقلها للبركة هكذا: ﴿ ما هر لحظه به هدايت او (خداوند متعال) نياز داريم. قطره قطره عنايت او، بايد مدد كند تابدانيم وبتوانيم چه بگوييم وچه بكنيم ﴾.

---

١ سورة فاطر الآية ١٥.

٢ زمزم عرفان للشيخ محمد الريشهري ص١١٩ فارسي.

٣ سورة القصص الآية ٢٤.

٤ زمزم عرفان ص١١٩.

وهذا لا يعني أنَّ الإنسان مجبور في أقواله وأفعاله فالقرآن صرّح بأنَّ الفعل للإنسان بقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[١]، غايته أنَّ الهداية والمقدمات الإعدادية من الله تعالى[٢].

وبناءً على هذا فالإقدام على كل فعل لابدّ أنْ يكون مصحوباً بذكر الله وتذكره لكي يعلم الإنسان بأنَّ هذا الفعل لا يتمّ إلا بتوفيق من الله عزّ وجلّ، وإمداده لحظة بلحظة ﴿إلـهي إنْ لَمْ تَبْتَدِئْنِي الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السّالِكُ بي إلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ﴾[٣].

ب- عدم توهم صعوبة مداومة الذكر: قد يتصور الإنسان بسبب وساوس الشيطان بأنَّه ليس قادراً على أنْ يكون دائم الذكر، وأنَّ هذا الأمر خارج عن عهدته والحال إنَّ الطريق إلى الله عزّ وجلّ سهل وإنَّ الله عزّ وجلّ لا يكلف الإنسان بغير المقدور أو الصعب.

يقول الشيخ بهجت رحمه الله: ﴿وفي أول الأمر يتخيل الإنسان أنَّ في دوام الذُكر أمرٌ مشكل وكأنَّ جبالاً في مقابله، ولكن تدريجياً يفهم أنَّ هذا الأمر لم يكن مشكلاً بحيث أنَّه يتكلم مع الناس ولكن قلبه مع الله عزّ وجلّ﴾.

وبهذا أعطى الشيخ رحمه الله طريقة دوام الذُكر في زحام هذه الدنيا وكثرة مشاغلها، ورفع احتمال صعوبة عدم توافق الإنشغالات الكثيرة مع دوام الذُكر بالإلتفات إلى قضية أنْ يتكلم المرء منّا مع الناس بلسانه ولكن يبقى قلبه في محضر الحق تعالى.

---

١ سورة النساء الآية ٧٩.

٢ وقد أوضحنا هذه المباحث من الجبر ورده في مبحث الطلب والإرادة.

٣ دعاء الصباح لأمير المؤمنين عليه السلام.

ج- السعي لطلب إلهام الذكر: يقول الشيخ رحمه الله: ﴿أُطلبوا منه تعالى الإلهام﴾، ﴿وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ﴾[١]، لأنَّ إلهام الذكر إذا تحقق فإنَّما يتحقق بجميع لوازمه ومنها طلبه ومصاحبته.

هنالك احاديث كثيرة توضّح موضوع إلهام الذكر وأنَّه معدود من أعلى نِعَم الله عزّ وجلّ وهذا واضح في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ما منَّ الله على عباده بمثل أنْ يلهمهم ذكره﴾[٢].

إنَّ الله عزّ وجلّ لم يعط شيئاً لعباده أفضل من إلهام ذكره، لذا لابدّ من معرفة أمرين أساسين يجعلان العبد ملهماً لذكر الله عزّ وجلّ وهما:

١- **الإجتناب عن آفات الذكر:** على أساس السير على هدى القرآن و العترة عليهم السلام فإنَّ الأعمال هي التي تؤدي إلى إضعاف تعقل الإنسان وإبطائه عن أعمال الخير.

وموانع دوام الذكر هي ممارسة الأمور غير المشروعة أو الأمور المبغوضة شرعاً وهي واضحة في ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث المعراج وفق ما أسَّسَه الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في طلب الذكر ودوامه، ﴿قال: ودُمْ على ذكري، فقال: ياربِّ كيف أدوم على ذكرك؟ فقال: بالخلوة عن الناس، وبغضك الحلو والحامض، وفراغ بطنك وبيتك من الدنيا﴾[٣]. وهذه الرواية المباركة إعتَبَرَتْ هذه الأمور من موانع دوام الذكر، وتوجد أمور أخرى قد لا يُلتفت إليها أنَّها تمنع من دوام الذُكر مع أنَّها متداولة في حياتنا بل وقد نسعى إلى تحصيلها، مع أنَّه من المفروض رفعها لكونها مانعة من إلهام الذكر ودوامه ، لذا يتطلب إلهام ودوام الذُكر الإنتباه إلى مثل هذه الأشياء، فقد رُوي في

---

١ دعاء كميل لأمير المؤمنين عليه السلام.

٢ تفسير القرطبي ج٩ ص ٣٤٧.

٣ ميزان الحكمة ج٢ ص ٩٧٢.

سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ﴿ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة – لإحدى زوجاته – غيّبيه عني، فإنّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخرفها، فأعرضَ عن الدنيا بقلبه وأماتَ ذكرها من نفسه، وأحبَّ أنْ تغيب زينتها عن عينه﴾[1].

٢- الطلب من الله عزّ وجلّ: إلى جنب الإجتناب من آفات الذكر والإلتزام ببرنامج الذكر لله. يكون الدعاء من أهم العوامل المؤثرة في إلهام الذكر، ومن الأدعية التي يطلب تكرارها في هذا المجال ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿فَأَلْهِمْنا ذِكْرَكَ فِي الْخَلاءِ وَالْمَلاءِ، وَاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَالإعْلانِ وَالإسْرارِ، وَفِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾[2].

د) المراقبة، من بارقات الذكر: يوضّح الشيخ البهجت رحمه الله أنَّ إحدى الطرق المهمّة لدوام الذكر وإلهامه هي المراقبة التي توجد نورها في قلب الإنسان نتيجة ذكر الله عزّ وجلّ. فلابدّ من السعي للمحافظة عليها من أنْ تنطفيء، إذ أنَّها موجبة لوصول السالك إلى الشهود التام.

قال قدس سره: ﴿طريق الوصول إلى الشهود هو المراقبة على ذكر الله عزّ وجلّ وأنْ يلتفت أنْ لا يصرف قلبه عن الله إختياراً والتي تحصل للإنسان في بعض الأحيان، ولا أهمية للغفلة غير الإختيارية، وعدم الرجوع الإختياري موجب للوصول إلى الشهود التام﴾[3].

---

١ بحار الأنوار ج١٦ ص٢٨٢.

٢ الصحيفة السجادية – مناجاة الذاكرين.

٣ زمزم عرفان ص١٢٣.

المحافظة على الذكر الأكمل

إنَّ أهم وأكمل الأذكار هو الصلاة. قال الله تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾[1]، وهذه الآية تشير إلى أنَّ الصلاة ذكرٌ بل أنَّها أهم أنواع الذكر بل أكملها.

يقول الشيخ البهجت رحمه الله: ﴿ أكبَر ذكر الله، الذكر في الصلاة ﴾، ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ وهذه الآية أولها: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[2].

والشيخ رحمه الله في مقام تبيين هذه الآية الشريفة إنَّ جملة ﴿ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ إشارة إلى التخلية وعبارة ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ إشارة إلى التحلية.

وهذا يعني أنَّ الصلاة في مقام طريق السلوك إلى الله عزّ وجلّ تُعَدُّ تخلية وتحلية ثمّ بالنتيجة تكون تجلية.

وللشيخ عبارة في أنّ دوام ذكر الله في غير الصلاة، إنَّها من بركات المراقبة في الصلاة الواجبة في سؤالٍ عن طريق دوام الذكر قال: التوجه في الصلاة فإذا كانت الصلاة صحيحة فكل شيء يصير صحيحاً ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ ﴾[3].

---

١ سورة طه الآية ١٤.

٢ سورة العنكبوت الآية ٤٥.

٣ نهج البلاغة/ الكتاب ٢٧.

أهم الأذكار في الباب لدفع الجحود

نحن وإنْ لم نكن من أهل الحظ في هذا المجال، لكن ذكر بعض الأعلام بل كلّهم بعض الأذكار المتفق عليها، وهذا لا يعني أنّنا ممن يعطي الأذكار، لأنَّ هذه القضية مهمّة جداً تختلف جنساً وعدداً من شخص لآخر - كما عليه أهله - وإنّما نحن ننقل ما ذكره الأعلام.

فقد ذكر الإمام الخميني رحمه الله في المجال: أنْ يداوم على الذكر اليونسي وهو مذكور في القرآن المجيد: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

وكذلك قول﴿ لا إله إلا الله ﴾والتسبيحات الأربع على ما ورد في الروايات ومَنْ أراد الإستزادة فليراجع كتاب المراقبات للميرزا جواد الملكي التبريزي.

فوائد عامة في الذكر

١- حقيقة الذكر ومراقبة تلك الحقيقة: قال قيصري رومي في حقيقة الذكر (حقيقة الذكر عبارة عن تجلية لذاته بذاته من حيث الإسم المتكلم إظهاراً للصفات الكمالية، ووصفاً بالنعوت الجلالية والجمالية في مقامي جمعه وتفصيله كما شهد لذاته بذاته في قوله ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2]، وهذه الحقيقة لها مراتب:

أعلاها وأولها: مافي مقام الجمع من ذكر الحق نفسه باسم المتكلم بالحمد والثناء على نفسه.

وثانيها: ذكر الملائكة المقربين وهو تحميد الأرواح وتسبيحها لربها.

وثالثها: ذكر الملائكة السماوية والنفوس الناطقة المجردة.

---

١ سورة الأنبياء الآية ٨٧.

٢ سورة آل عمران الآية ١٨.

ورابعها: ذكر الملائكة الأرضية والنفوس المنطبعة مع طبقاتها.

وخامسها: ذكر الأبدان وما فيها من الأعضاء، وكل ذاكر لربه بلسان يختص به، فذكر الله سارٍ في جميع العبد﴾[1].

ويقول الشيخ حسن زاده آملي في الذكر الساري: ﴿وهذا الذكر الساري في جميع العبد سار في جميع الموجودات، لأنَّ بقاء الموجودات بالهوية الإلهية السارية في كل شيء، بل ليست الموجودات سوى الشؤون النورية والآيات الأسمائية لهذه الهوية إذ أنَّه ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾[2]، لذلك حين كانت هذه الهوية كان عين الحياة والعلم والشعور وباقي الأسماء الإلهية والجمالية والجلالية، أجل يطلق على كل موجود أحد هذه الأسماء بسبب ظهور حاكمية هذا الإسم عليه وخضوع باقي الأسماء والصفات لحاكميته هذه - حسب ما ننصوره ونعتبره نحن بالطبع - ومنه يتضح أنَّ هذه الهوية السارية هي عين الذكر وهي نفسها الذاكر والمذكور ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[3]﴾[4].

ومن هنا نعلم أنَّ الذكر ليس إلا استحضار الوجود فلا فرق بين الذاكر والذكر والمذكور.

٢- ضرورة الإلتزام بالعدد في الأذكار: ذكرنا في مباحث تقدمت إنَّ العدد مسألة مهمّة في الذكر وأنَّه لا مانع من أنْ لا يلتزم الذاكر بعدد معين في غير المعدودات أي في الأذكار التي لم يكن لها عدد مقدر في النصوص ولكن إذا كانت بعض الأذكار معدودة ومقدّرة ولم

---

١ شرح فصوص الحكم ص٣٨٣.

٢ سورة الحديد الآية ٣.

٣ سورة الإسراء الآية ٤٤.

٤ رسالة نور على نور للشيخ حسن زاده آملي ص٨١-٨٢.

يلتزم الذاكر بالعدد فإنَّه لن يُغبن بالكامل بل أنَّه أقصى ما سيحصل عليه هو بركة الألفاظ دون آثار الذكر، ومن المعلوم أنَّ الذكر إنَّما يكون عبادة وطاعة ويترتب عليه أثره خاصة إذا كان وفق جدول وبرنامج محدد.

ومن باب الكلام يجر الكلام نريد أنْ نذكر قضية مهمّة جداً قد لا ترضي بعض أهل هذا المسلك ولكننا نذكرها من باب الأمانة العلمية وهي أنَّنا نجد في بعض الكتب – كما أشرنا سابقاً – مثل رسالة السير والسلوك للسيد بحر العلوم أو في لسان الصدق في شرح حال السيد عبد الكريم الكشميري أو في الكتب المعدّة لنقل أحوال السيد القاضي والسيد الحداد قدّس الله أسرارهم جميعاً، نجد في مثل هذه الكتب بعض الأذكار ببعض الأعداد ونرى أنَّ القرّاء الأعزّاء يلتزمون بذلك ومما يقودهم فيما بعد – من حيث يشعرون أو لايشعرون – إلى عدِّ أنفسهم من أهل هذا المسلك بل يتعدون إلى أكثر فيعطون بعض من بحذائهم تلك الأوراد وقد تراهم يغيرون ببعض الأعداد أو الأوراد فيتنسّك بلبس البُرنُس توهماً منه أنَّه لباس أهل الله. لكنّه لا يعلم أنَّه يُحتمل أنْ يكون تحت البُرنُس إبليس بعينه وعيانه.

والذي نريد أنْ نقوله – بعد الإعتذار – إنَّ الأذكار لابدّ أنْ يكون لها شيخ فعليٌّ حيٌّ يُرزق مُعطياً وأنْ يكون الطالب السالك من الملازمين لحلقة ذلك الشيخ ويعرفه بجميع شؤونه لأنّ الأذكار إنَّما تكون لتعديل حالة أو لعبور حالة.

ومن المعلوم إنَّ الإنسان متغير الحالات متنقل الصفات وهذه الأمور تختلف وتتخلف من شخص لآخر، مما قد يقود غير الملتزم بما ذكرنا إلى الوقوع في مهاوي الشيطان فتنقلب أغراض الأذكار من الإيجاب إلى السلب. وهذه قضية مهمّة يجدر الإلتفات إليها[1].

---

١ يمكن للجميع أنْ يلتزموا ببرنامج عام ينفع لكل الناس وهو برنامج عبادي من بركات الإمام الخميني رحمه الله وهو البرنامج المذكور في قبسات من نور العاشقين.

ولنرجع إلى أهمية الأعداد في الأذكار والإلتزام بها، فقد حقق هذه المسألة العلامة الشيخ حسن زاده آملي في رسالته المباركة الموسومة نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور ص٩٠-٩٣ بقوله: ﴿أمر المعصومون عليهم السلام بتلاوة بعض الأدعية والأذكار المكررة بعدد معين أو في عدد معين من الأيام، فلا ينبغي التساهل في الإلتزام بذلك رغم أنَّ هذه الأعمال من المستحبات، بل ينبغي الإهتمام بحفظ الكيفية التي أُمروا بالعمل بهذه المستحبات طبقها سواء في شكلها أو في عددها، أي ينبغي الإلتزام بالعمل بها طبق ما أُمروا به دون أي شكل من أشكال التجاوز والتغيير في الكيفية المأمور بها، والعمل بذلك هو نوع من التهذيب والتأديب للنفس وتعويدها على الإلتزام الدقيق بالأوامر، يضاف إلى ذلك ما ورد عنهم عليهم السلام من الحث على هذا الإلتزام﴾.

يقول العالم الجليل محمود بن محمد دهدار المسمى بالعياني، صاحب كتاب﴿مفاتيح المغاليق﴾في أول رسالته الموسومة بـ﴿خلاصة جواهر الأسرار﴾: ﴿قال الإمام الناطق بالحق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إعلموا أنَّ أسماء الله بمنزلة الكنوز المدفونة، والعدد بمنزلة مقدار المسافة التي ينبغي قياسها بالضبط للوصول إلى تلك الكنوز، فإذا لم تلتزموا به فلن تصلوا إليها زدتم في العدد أو نقصتم﴾[1].

ويقول الفاضل التستري(وهو فتح الله بن محمد رضا الحسيني المرعشي)في أوائل كتابه القيّم﴿وفق المراد في علم الأوفاق والأعداد﴾: ﴿قال أكابر المحققين: إنَّ العدد(في الأذكار) بمنزلة حوض الماء المعدّ للغسل الإرتماسي، فإذا زاد عمقه عن المقدار المطلوب غرق المرتمس فيه، وإذا قلّ عمقه لم يتيسر الإرتماس فيه، كما قالوا: إنَّ دور العدد هو دور أسنان المفتاح، فإذا زاد عددها أو قل لم يفتح المفتاح قفل الباب كما قيل: الأعداد أرواح

---

١ لم نستطع ضبط النص العربي والمصدر لهذه الرواية وإنّما هي مترجمة عن اللغة الفارسية.

والحروف أشباح، والعدد كأسنان المفتاح إذا نقصت أو زادت لا يفتح الباب والزيادة على العدد المطلوب إسراف والنقص منه إخلال.

وكان أحد المشايخ يروي أنَّ في سورة ﴿ يسٓ ﴾[1]، المباركة إسماً يُزال ببركته العمى الموروث، فقيل له: هل ينتفع بهذا الإسم من يقرأ هذه السورة كاملة؟ فأجاب: إذا وصف طبيب دواءً معيناً لمرضٍ معين وكان هذا الدواء موجوداً في دكان العطار، فهل ينفع المصاب بهذا المرض أنْ يذهب إلى دكان العطار ويتناول كل ما فيه من أدوية؟ إنَّ الحال هنا هو نفسه هناك﴾[2].

ونحن نتبرك بنقل حديثين شريفين بهذا الشأن ونكتفي بهما:

الحديث الأول: روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب الدعاء من اصول الكافي﴿الحديث ١٧ من باب القول عند الإصباح والإمساء ج٢ ص٣٨٣﴾بسنده عن العلاء بن كامل قال: ﴿سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾[3] عند المساء: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو على كل شيء قدير، قال العلاء: قلت: بيده الخير، قال عليه السلام: إنَّ بيده الخير، ولكن قل كما أقول لك عشر مرات، واعوذ بالله السميع العليم حتى تطلع الشمس، وحين تغرب عشر مرات﴾.

وتلاحظون أنَّ العلاء أراد إضافة﴿بيده الخير﴾أو استفهم عن إمكان إضافتها فنهاه الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك وأمره بالإلتزام بما علمه.

---

١ سورة يس الآية ١.

٢ إنتهى ما نقله التستري في كتابه.

٣ سورة الأعراف الآية ٢٠٥.

الحديث الثاني: وهو في دعاء الغريق الوارد في حديث رواه الشيخ الأجلّ الصدوق في إكمال الدين﴿كمال الدين وتمام النعمة ج٢ ص٣٥٢ ح٤٩ الباب ٣٣﴾مسنداً عن عبد الله بن سنان قال: ﴿قال أبو عبد الله عليه السلام: ستصيبكم شبهة فتبقون بلا علم يرى ولا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق، قلت: وكيف دعاء الغريق؟ قال: تقول: يالله يارحمن يارحيم يا مقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت: يا مقلِّب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك، فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ مقلب القلوب والأبصار ولكن قل كما أقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك﴾[1].

وتلاحظون في هذا الحديث إنَّ عبد الله بن سنان أراد إضافة كلمة والأبصار فلم يأذن له الإمام عليه السلام بذلك، فتبصر[2].

٣- خاتمة في ذكر روايتين للدعوة إلى الذكر:

أ – روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: ﴿إرتعوا في رياض الجنة فقالوا: وما رياض الجنة؟ فقال: الذكر غدواً ورواحاً، فاذكروا، ومن كان يحب أنْ يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل الله العبد من نفسه. إلا أنَّ خير أعمالكم وأذكاها عند مليككم وأرفعها عند ربكم في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وأي مَنزلة أرفع من منزلة جليس الله تعالى؟﴾[3].

---

١ البحار ج٢ص١٩ ص ٢٧٦.

٢ رسالة نور على نور للشيخ حسن زادة آملي ص٩٠-٩٣.

٣ البحار ج٢٠ ص ١٦٣.

ب - في مناجاة الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام: ﴿يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، واذكرني في ملأك أذكرك في ملأ خيرٌ من ملأ الآدميين. ياعيسى ألِن لي قلبك وأكثِر ذكري في الخلوات، واعلم إنَّ سروري أنْ تبصبص إلي، وكن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً﴾[1].

يا أيها العزيز! إنَّ الميت من يكون على قيد الحياة ولا يذكر الله تعالى، أو أنْ يذكره ولكن بألفاظ دون معانٍ، فاغتنم مدة العمر بالذكر الدال على العشق.

يقول حافظ الشيرازي:

هرگز نميرد آنكه دلش زنده شد به عشق

ثبت است در جريدهء عالم دوام ما[2]

يعني:

لن يموت أبداً من يعيش قلبه على العشق الدائم

وكذلك فدوامنا مثبت في صحيفة العالم

---

١ تحف العقول لابن شعبة الحراني ص٥٠٠.

٢ ديوان حافظ/ غزل ١١ البيت ٣.

الفصل الثالث

العلم وضده الجهل

العلم هو جندي من جنود العقل وقد عرف بتعريفات كثيرة وله معانٍ وأقسام متعددة ليس هذا محلّها، والمهم هنا أنْ نعرف بأنَّه معرفة الأشياء، أو فقل هو إنطباع صورة الشي الحقيقية الكاملة في الذهن ويقابله الجهل الذي هو عدم العلم وهو من جنود الجهل ولعلك لاحظت وجود كلمتين أو بالأحرى قيدين قد أضيف إلى التعريف المدرسي المتعارف وهما﴿الحقيقية والكاملة﴾وهذان القيدان إحترازيان نريد أنْ نخرج بهما الظن والجهل بالبيان التالي.

بعدما عرفنا من دراسة المنطق أنَّ العلم هو إنطباع صورة الشيء في الذهن بمعنى أنَّ الذهن قبل حدوث عملية الإنطباع هذه لم يكن يحتوي على تلك الصورة وبعد التعلم أو اثنائه إنطبعت صورة تلك المعلومة، فلا تحتل تلك الصورة مكانها إلا إذا نزلت فيه كما هي، فلا يمكن أنْ تسمى شيئاً جديداً أُضيف إلى العقل ما لم تكن مفيدة لأمر جديد، وعليه لو كانت تلك الصورة ناقصة - بأي درجة من درجات النقص وهي الوهم والشك والظن - لا يمكن أنْ تعبّر عن الواقع الموضوعي الذي تجردت وانتزعت منه، وإنْ عدَّ المناطقة الظن من العلم ولكن يمكن أنْ يكون ذلك النقص القليل في الصورة منفذاً للشيطان ومدعاة لتحريف الحقائق.

وكذا لو لم تكن الصورة هي الصورة الحقيقية بأنْ كان هنالك صورة وكاملة ولكنّها غير الصورة المنتزعة والمجردة عن الواقع الموضوعي للشيء كتلك الإعتقادات التي يذهب إليها الأديان والمذاهب والتيارات المنحرفة عن صراط الحق المستقيم.

فكل هؤلاء لهم معلومات ونظريات سطروها في كتبهم، وأقاموا عليها أدلة حتى بلغت عندهم درجة اليقين؛ وهذا وإنْ سمي عندهم باليقين ولكنّه على خلاف الواقع، وهذا ما نسميه نحن **بالزعم**: وهو الإعتقاد الجازم ولكن على خلاف الواقع. فالصور المنطقية في أذهان هؤلاء لا يسمى علماً بل جهلاً مركباً لأنَّهم لا يعلمون، فلو كانوا لا يعلمون فقط فهم جاهلون بالجهل البسيط ولكنّهم يعاندون على عدم علمهم ويقولون إنَّهم يعلمون والحال إنَّهم لا يعلمون إنَّهم لا يعلمون.

لذا فإنّا نرى أنْ يُضاف هذان القيدان﴿الحقيقية والكاملة﴾للصورة في تعريف العلم حتى لا يقع -كما وقع البعض- في توهم أنَّ ما لدى هؤلاء هو العلم، لذا جُعل الجهل المركب من العلم وقد أُستغرب لذلك بأنَّه كيف يمكن أنْ يكون الشيء من أقسام مقابله؟!.

ونفس الكلام يجري في الجهل إذ أنَّ خطورة الموقف وحقانية معارف الإسلام لا تقبل أنْ يؤمن بها أو تعرف بصورة ناقصة وغير واقعية. وهذا – أي كون الظن من العلم – وإنْ قبلناه في بعض الموارد، ولكن هنا حيث الكلام حول تثبيت أصول الإعتقاد ومعرفة الدين كما هو لا يمكن قبول إلا الصورة الكاملة للشيء لكي يعرف الدين كما هو، لذا نرى البعض قد اختلف حتى في أصول الإعتقادات لقبوله الصورة الناقصة للعلم مما ضيع كثيرا من معالم الدين ووصلنا إلى هذه الحال التي نحن فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا مضافاً إلى كون العلم والجهل بالصيغة التي ذكرنا أليق بكون العلم من جنود العقل وشؤونه.

وكذلك الجهل أليَقْ بالجهل وشؤونه حيث فرّق الإمام الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره بين العلم والجهل والعقل والجهل بقوله: ﴿ إعلم أنَّ العلم والجهل في هذا الموضع حيث جعلا من جنود العقل والجهل هما غير العقل والجهل نفسيهما لأنَّ العقل كما ذكرنا سابقاً عبارة عن العقل المجرد في الإنسان. وتقابله القوة الواهمة، وأيضاً مجردة بتجرد أقلّ من التجرد العقلي. أو هي عبارة عن العقل الكلي، وهو عقل العالم الكبير. وفي مقابله الجهل وهو عبارة عن الوهم الكلي، ولعله ما عُبِّر عنه في لسان الشريعة المطهرة بالشيطان وتفصيل هذين قد ذكر من قبل.

وأمّا العلم و الجهل في هذا المقام فهما عبارة عن شؤون الحقيقتين المذكورتين فشأن العقل هو العلم، لأنَّ العقل هو حقيقة مجردة غير محجوبة، وقد تحقق بالبرهان أنَّ هذه الحقيقة عاقلة وعالمة، وأمّا الجهل فهو وإنْ كان مجرّداً وعالماً ولكن بسبب غلبة وجهة الملكية الطبيعية عليه فجميع إدراكاته من قبيل الجهالات المركبة وليست مطابقة للنظام الكلي والجمال الإلهي ﴾[1].

واعلم أنَّ هذا الجندي وهو العلم يدخل بالتدريج مع أنَّه لابدّ أنْ يسيطر بالكلية بأصل الخلقة والفطرة ولكن ما دمنا قد آلت أمورنا إلى العلوم الكسبية وهي بطبيعتها تدريجية فهيمنة هذا الجندي يكون بالتدريج، وفي مقابل ذلك فإنَّ خروج جندي الجهل يكون بالتدريج أيضاً ولكن لا يخفى خطورة الموقف إذ قد يتوانى جندي العقل في الهيمنة على مساحته التي حررها وذلك عن طريق قلة التذاكر أو المباحثة أو تنمية العلم وبالتالي نسيانه فيسيطر جندي الجهل لذا قيل:

العلمُ زرعٌ والتذاكرُ ماؤهُ ... والزرعُ لا ينمو بغيرِ المـــــاءِ

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٥١-٢٥٢.

ولكن قد يتعلم الإنسان بعض العلوم في البداية تكون بمثابة الكلي أو الأمّ لباقي العلوم فيسيطر بواسطتها على مساحة كبيرة، أو قد يسيطر كلياً إجمالاً في البداية ثمّ يحاول تمشيط النفس من براثن جندي الجهل تفصيلاً كتعلم مباحث الحكمة وبالأخص مباحث الوجود حيث يعرف فيها أنَّ كل شيء موجود بالله تعالى فيرى الله عزّ وجلّ في كل شيء وهذا غاية المنى.

وعلى أي حال فتعلم العلوم وانحسار الجهل من حاقّ الأخلاق، فالتخلية من الجهل والتحلية بالعلم من أكبر المراحل التي يعرج فيها الإنسان بنفسه إلى معارج الحق، وقد عرفت في محلّه من المنطق ومن الخارج أنَّه بالعلم يكون الإنسان إنساناً فكيف لمن يسير نحو المحبوب الحقيقي والكمال المطلق أنْ يعرف الطريق أو أنْ يواصله بدون معرفة كل ما يحيط بمسيرته؟!.

في بيان أنَّ العلم أفضل الفضائل والكمالات

قال الإمام الخميني قدّس سرّه: ﴿ إعلم إنَّ العلم من أفضل الكمالات وأعظم الفضائل لأنَّه من أشرف الأسماء الإلهية وصفات الموجود بما هو موجود ﴾[1].

وفي كلامه قدّس سرّه إشارة إلى علمه تعالى الذاتي وأنَّه من صفات الذات واسمه تعالى العالم والعليم وهذه أمور متعلقة بمباحث الإلهيات. والذي يهمّنا هو فقرة﴿وصفات الموجود بما هو موجود﴾حيث جعل قدّس سرّه حقيقة وجود الموجود الحقيقي إنَّما تكون بالعلم فمن كان متصفاً بالعلم كان موجودا فصار كيان كل موجود بالعلم ومنه أشار القرآن إلى بعض الطوائف بأنَّهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً وكثير من النصوص الشرعية تعتبر بعض الأحياء موتى وبمنزلة العدم وليس ذلك إلا لعدم العلم.

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٥٣.

ومنه يعرف إنَّ أشرف الموجودات التي تمتلك أكثر وأشرف المعلومات ومنه عرف شرافة أهل البيت عليهم السلام ومن ثمّ نوابهم من العلماء وهكذا – ولا يخفى أنَّ العلم لابدّ أنْ يكون مقروناً بالعمل والتقوى وقد بيّنا مراراً وسيأتي أيضاً أنَّ العلم وحده لا يكفي للرقي بالنفس بل أنّه أغلظ الحجب – في باقي طبقات الناس وأضاف الإمام الراحل قدس سره بقوله: ﴿ وقد انتظم ببركة العلم نظام الوجود وطراز الغيب والشهود ، وكل موجود يكون تحققه بهذه الحقيقة الشريفة أكثر ، فهو في مقام الحق المقدّس ومرتبة القدس والواجبي أقرب ﴾ ثمّ ترقّى قدس سره بالكلام والمعنى أكثر وقال: ﴿ بل العلم والوجود في سياق واحد، وكلما وقع شعاع من الوجود فقد وقع شعاع نور العلم بنفس الدرجة. ولذلك فالخلو من كل حقيقة العلم خلو من كل حقيقة الوجود ، والخالي منه معدوم مطلق ﴾[1].

وهذه العبارة الأخيرة للسيد رحمه الله تقصم ظهر الجهل والجهلاء لأنَّ المعدوم المطلق لا يخبر عنه كما درسنا ذلك في المنطق والفلسفة فالجاهل الذي لم ينل حتى بصيص من العلم لا يحسب له حساب حتى في الأوهام .

ومن المعلوم إنَّ شرف العلوم يعرف من شرف المعلوم فتكون العلوم الإلهية الحكمية من العلم بالله عزّ وجلّ وأسمائه ووصفاته وآيات ذاته المقدّسة بل كل علم مرتبط بالله عز وجلّ هو من أعظم الفضائل .

أمّا باقي العلوم فهي تُطلب بالدرجة الثانية وإنْ كان من حصل على العلم الإلهي فقد حصل على كل شيء وللإمام الراحل رحمه الله بيان لطيف في هذا المجال وضّحه في شرح الحديث الرابع والعشرين من كتابه المتين《الأربعون حديثاً》فراجع.

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٥٣.

العلم والجهل وارتباطهما بالفطرة

بيّنا في صدر هذه المطالب بأنَّ جميع جنود العقل ترجع إلى الفطرة الإلهية المخمرة السليمة. وجميع جنود الجهل ترجع إلى الفطرة المحجوبة.

وكذلك مقامنا فإنَّ العلم من لوازم الفطرة المخمرة في أصل الخلقة التي فطرها الله عزّ وجلّ على معرفته تعالى والعلم به تعالى شأنه حيث خلقها عاشقة له متوجهة نحوه سائرة في طريق الكمال لكي يتسنى لها معرفته ومشاهدة جماله، فإنْ كان كما كان تحقق المطلوب واتصل الحبيب بالمحبوب، وإلا نفرت إلى الجهل بسبب نقصها الذي طرأ عليها بعد أُنسها بالمادة وعدم مراعاة التوازن بين الروح والبدن الذي جعله الله عزّ وجلّ في الموجودات الخارجية.

ومنه نعرف إنَّه بمقدار ما يرجع الفرد منّا إلى فطرته السليمة بإقلال التعلق بالمادة زاد حظّه من العلم وبالتالي قويت درجة وجوده شيئاً فشيئاً حتى يترقّى وجوده ويتدرّج في الاطلاق حتى يبلغ درجة الوجود المطلق.

شيء من فضائل العلم

قال السيد الخميني رحمه الله بعد أنْ ذكر آية ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[١]: ﴿ومِنْ هنا يُعلم أنَّ العلم بالأسماء أفضل من جميع الفضائل وهذا العلم ليس بطرق الإستدلال، ولا العلم بالمفاهيم والكليات والإعتباريات البتة، لأنْ ليس فيه فضل كي يجعله الحق تعالى موجباً لفخر آدم وتشريفه، فالمقصود هو العلم بحقائق الأسماء ورؤية فناء الخلق في الحق الذي تتقوّم به حقيقة الإسمية، في المقابل كان نظر إبليس إلى الطين وآدم، والنار ونفسه نظراً إستقلالياً، وهو عين الجهالة والضلالة، وهذا التمييز لآدم عن إبليس هو

---

١ سورة البقرة الآية ٣١.

دستور كلي لبني آدم، بأنْ يوصلوا أنفسهم إلى مقام الآدمية، وهو تعلم الأسماء، ويكون نظرهم إلى الموجودات نظر الآية والإسم، لا نظر إبليس حيث كان نظراً إستقلالياً ﴾[1].

وشرف العلم وفضله يمكن معرفته من شرف المعلّم أو المتعلم أو نفس العلم فإذا كان المعلّم هو الله عزّ وجلّ والمتعلم هو ولي الله أفلا يكون العلم شريفاً وفاضلاً؟ ومن الواضح إنّ المتعلم قد كسب الفضل والشرف من المعلّم والعلم، فالآية المزبورة وكلام الإمام رحمه الله يدعوان إلى أنْ يتعلم الإنسان علوماً تمكنه من العروج إلى الله عزّ وجلّ واشرفها هي العلوم الحكمية الإلهية وقد ذكرنا ذلك في عدة أبحاث وقد وفقنا الله عزّ وجلّ لتدريس هذه العلوم وقد قُررت تحت عنوان(الفتوحات العلوية تأسيس على متن بداية الحكمة) حيث طرحنا الفلسفة الإلهية وفق الآيات والروايات وهي مدرسة ليست بعيدة عن الحكمة المتعالية ولكنّها على مدرسة الوحي.

وللعلم فضل كبير يُعَدّ حامله من مصافي الملائكة وهذا ظاهراً في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[2]. حيث قرن شهادة أولي العلم بشهادته وشهادة ملائكته، وغير ذلك من النصوص الشريفة ليس هنا محل ذكرها فراجع منية المريد للشهيد السعيد.

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٥٩-٢٦٠.

٢ سورة آل عمران الآية ١٨.

أقسام الناس طبقاً لعلمهم

يمكن أنْ نطرح أكثر من تقسيم في هذا المجال ولكن المجال التربوي الذي يتعلق بحياة الإنسان أو الذي يجعله من جنود العقل ويتخلص من جنود الجهل هو ما رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام ومثله عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿الرجال أربعة: رجلٌ يَعلمْ ويَعلمْ أنَّه يَعلمْ فذاك عالِمٌ فتعلَّموا منه، ورجلٌ يَعلمْ ولا يَعلمْ أنَّه يَعلمْ فذاك نائمٌ فأنبهوه، ورجلٌ لا يَعلمْ ويَعلمْ أنَّه لا يَعلمْ فذاك جاهلٌ فعلِّموه، ورجلٌ لا يَعلمْ ولا يَعلمْ أنَّه لا يَعلمْ فذاك أحمقٌ فاجتنبوه﴾[1].

وهذه الحالات الأربع واحدة منها من جنود العقل، وواحدة منها من جنود الجهل، وإثنان منها معلقة، إنْ بقيت على حالها فهي من جنود الجهل، وإنْ تغيرت حالتها صارت من جنود الجهل والحالات هي:

١- **العلم وهو الصورة الأولى:** وهي من جنود العقل حيث أنَّ صاحبها يعلم ويعلم أنَّه يعلم وهذا الشخص من الجدير أنْ يكون مُعلِّماً لغيره وعلى الآخرين أنْ يتعلَّموا منه ويسألوه، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

٢- **الغفلة وعبّر عنها الإمام عليه السلام في الرواية بالنوم وهي الصورة الثانية:** وهي من الحالتين المعلقتين على التغيير، فهذا لديه أصل العلم ولكنّه لا يعلم بذلك. وهذا يجب على الواعين إيقاظه من نومة الغفلة ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ﴾[3]، فإنْ وعى وانتبه فهو من جنود العقل، وإلا فهو من جنود الجهل.

---

١ العقل والجهل في الكتاب والسنة للشيخ محمدي الريشهري ص١٨٥.

٢ سورة الأنبياء الآية ٧.

٣ سورة الذاريات الآية ٥٥.

٣- الجهل البسيط وهذه هي الصورة الثالثة: وهي ثاني الصورتين المعلقتين على التغيير فهذا لا يعلم ويعلم أنَّه لا يعلم فيجب أنْ يتعلم ويعلِّمه العالِم وتشمله آية: ﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1]، فإنْ تعلَّم صار من جنود العقل، وإنْ لم يتعلم صار من جنود الجهل.

٤- الجهل المركب وهي الصورة الرابعة: فهو جاهل بجهلين، **أحدهما** جهله بالأشياء **والآخر** جهله بأنَّه جاهل إذ أنَّه يتوهم إنَّه عالِم وهذا أشكل الصور والمرض العضال. حيث أنَّ مثل هؤلاء يدّعون العلم ويقيموا الأدلة على ما يذهبون إليه وهذا ما أشرنا إليه في بداية هذا الفصل ولأجله قيّدنا تعريف العلم بأنَّه إنطباع صورة الشيء الحقيقية الكاملة ويسمى أيضاً بالزعم والرواية قالت إنَّ هذا أحمق فاجتنبوه.

وفي هذا المجال توجد رواية للإمام الصادق(عليه السلام) إنَّه قال: ﴿ إنَّ عيسى بن مريم(عليه السلام) قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه، فقيل ياروح الله وما الأحمق؟ قال: المعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كلّه له لا عليه، ويوجب الحق كلّه لنفسه ولا يوجب عليها حقا، فذلك الأحمق الذي لا حيلة من مداواته ﴾[2].

---

١ سورة الأنبياء الآية ٧.

٢ البحار ج١٤ ص ٣٢٣-٣٢٤.

وما أكثر مثل هؤلاء في زماننا وأراهم كثيراً في مجتمعاتنا الدينية أيضاً فضلاً عن اللادينية بعد أنْ بدأ الغزو الثقافي وانتشرت العلمانية في أوساطنا الإسلامية ولا حلَّ لذلك إلا بالرجوع إلى القرآن والعترة والأخذ من منهلهم الصافي وترك العناد.

الفصل الرابع

الفهم وضده الحمق

الفهم له إطلاقان:

الأول: سرعة الإنتقال و التفطن ويقابله البلادة.

الثاني: صفاء الذهن وحدّته الموجبَين لسرعة الإنتقال ويقابله الكدورة النفسانية التي لازمها الغباء والحمق، وعلى أي تقدير فالحمق هو المقابل للفهم على أي معنى من معاني الفهم وهذا المعنى إنّما يكون بحب تلقي العلوم الكسبية.

وقد يقصد به حالة صفاء الباطن لإدراك الروحانيات وفي مقابله سيكون الحمق حالة كدورة الباطن وظلمته التي توجب الغباء والمنع من إدراك الحقائق الروحانية والمطالب العرفانية.

و لعلّ من دخل السلك وخرج منه أو من يقبله من البداية من هذا القبيل ولينظر إلى كدورات نفسه قبل أنْ يذمّ العلم، وهذه قضية جديرة بالإلتفات إذ قد يصادف في بعض الأحيان أنَّ مطلباً معيناً أو علماً معيناً لا يكون مرغوباً لنا فنجد أنفسنا وبسرعة نذم ذلك العلم أو الأستاذ الذي يطرحه ولا ننسب ذلك إلى إستعداداتنا النفسية ونعترف بكدوراتها الباطنية وقد أشرنا إلى مايؤثر على صفحة النفس في تلقّي العلوم في مباحث تقدمت وكيفية علاج كل واحدة منها.

والفهم من جنود العقل والفطرة المخمرة التي فطر الناس عليها وهو من القلب السليم الذي قال فيه تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1].

---

١ سورة الشعراء الآية ٨٩.

وقد فسَّر الإمام الصادق عليه السلام القلب السليم الخالي من كدورات الحمق بتفسيرين يؤولان إلى معنى واحد. قال عليه السلام: ﴿القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه سواه﴾[1]، وقال عليه السلام: ﴿هو القلب الذي سلم من حب الدنيا﴾[2].

والحمق من جنود الجهل والفطرة المحجوبة لأنَّ تلك الكدورات تمنع من إنطباع و ظهور الحقائق الإلهية في صفحة النفس.

وهذا الجندي ﴿الفهم﴾ يدخل بالتدريج ولكن لا نسميه فهما إذا كان كذلك إذ المطلوب هو الفهم الكامل لأنَّ وجود بعض الكدورات بالمقابل يعني الحمق بعينه.

لذا لابدّ من الإسراع في إيغال الفهم و إخراج الحمق من النفس.

موعظة في هذا الباب

ذكر الإمام الخميني رحمه الله موعظة تكون بمثابة نقطة السيطرة والمتابعة بعد قطع هذه المساحة وبعد هذه المعارك في ساحة الحكمة ليرى ما هو مقدار السفر، وكذلك – وهو المهم – إعطاء القدم أكثر لمواصلة الطريق، وفي مثل هذه الطريق فإنَّ المواعظ الجانبية في كل فترة نافعة جداً، وقد عملنا بها فوجدناها مثمرة جداً في هذا المجال وإليكها:

﴿أيها الحبيب: إستيقظ قليلاً من النوم الثقيل وخذ طريق عشّاق الجناب، واغسل اليد والوجه من هذا العالم، عالم الظلمة والكدورة والشيطنة، وضع القدم في حيِّ المحبّين. لابل تحرك إلى حيِّ الحبيب. **أيها العزيز:** ستنتهي هذه الأيام القليلة للمهلة الإلهية، وسيأخذوننا من هذه الدنيا طوعاً أو كرهاً، فإنْ ذهبتَ بإختيار فَرَوحٌ ورَيحان وكرامات الله، وإنْ ذهبتَ كرهاً فنزعٌ وصعقٌ وضغطٌ وظلمةٌ وكدورة.

---

١ الكافي ج٢ ص ١٦.

٢ البحار ج٧ ص ١٥٢.

إنَّ مَثَلَنا في هذه الدنيا كَمَثَل شجر تأصَّل في الأرض، فكلما كان حديث الغرس كان نزعه أسهل. وفي المثال: لو كان للشجر إحساس بالألم والعذاب، فكلَّما كان جذره أصغر وأغضّ كان ألمه وعذابه أقلّ. فالشجرة المغروسة حديثاً تنقلع بضغط قليل وبلا تعب. ولكن إذا مرَّ عليها سنوات ودخلت جذورها في أعماق الأرض، ونشبت مخالبها الأصلية والفرعية في باطنها واستحكمت، فإخراجها يحتاج إلى فأس ليقطع جذورها ويكسرها. إذاً لو كان للشجر إحساس بالألم ففي حال القلع كم يكون الفرق بين هاتين الشجرتين. إنَّ جذر حبّ الدنيا والنفس، وهو بمنزلة الجذر الأصلي، وفروعه من الحرص والطمع وحب الأهل والأولاد والمال والجاه وأمثالها، ما دامت حديثة الغرس في النفس فقلعها سهل، ولا يستلزم الجهد من قبل عمال الموت وملائكة الله، ولا الضغط على الروح الإنسانية. ولكن لا سمح الله لو استحكمت جذورها في عالم الطبيعة والدنيا، وامتدت فيها، فليس هذا كامتداد جذر الشجر إذ تصل جذورها إلى عالم الطبيعة كلّه. فالشجر مهما كبر لا يشغل من الأرض أزيد من أمتار ولا يتجذر، ولكن شجر حب الدنيا يتجذر في عالم الطبيعة كلّه: الظاهر والباطن، ويجعل جميع العالم في حيازته.

ولذلك فإنَّ قلع هذا الشجر من الجذر سالماً غير ممكن، والإنسان مع هذه المحبة للدنيا والنفس في خطر عظيم، ويمكن أنْ يرى وقت معاينته عالم الغيب وقد بقيت بقايا من الحياة الملكية وقد كشف حجاب الملكوت إلى حدٍّ ما، وما أُعدّ له في ذلك العالم، فيفرقونه عن محبوبه وهو الحق تعالى، من المأمورين لله تعالى ويجرونه إلى دركات ذلك العالم وظلماته فيخرج الإنسان من الدنيا مع بغضه وعداوتهِ للحق تعالى، وعماله من الملائكة.

ومن المعلوم كيف يكون حال هذا الشخص. وقد أشار في الرواية الشريفة في الكافي إلى هذا المعنى يقول الراوي: ﴿ سألت أبا عبد الله عليه السلام: من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه ؟ ومن أبغض لقاء الله، أبغض الله لقاءه ؟ قال: نعم. قلت: فوالله إنّا لنكره الموت فقال: ليس ذلك حيث تذهب إنَّما ذلك عند المعاينة، إذا رأى ما يحب فليس شيء أحب إليه من أنْ يتقدم، والله تعالى يحب لقاءه، وهو يحب لقاء الله حينئذٍ. وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله، والله تعالى يبغض لقاءه ﴾[١] إنتهى.

فيعلم إنَّ الإنسان قبل خروجه من هذا العالم يعاين بعض مقاماته ودرجاته ودركاته، فيخرج من الدنيا إمّا بالسعادة التامة، وصورتها الكمالية حبّ الله، أو بالشقاوة الكاملة وباطنها بغض الحق تعالى. وهذا المعنى مذكور كثيراً في الأخبار والآثار ومكاشفات الأكابر.

كذلك لو افترض الإنسان أنَّ حب الدنيا موجب لمفسدة كهذه ونهايته إلى سوء العاقبة، فعليه أنْ لا يسكن لحظة حتى يقلع هذا الحب من قلبه. ويمكن أنْ يتوفق الإنسان إلى هذا المطلب بالرياضات العلمية والعملية .

نعم، إنَّ الدخول في أي مقام من مقامات العارفين، وقطع مرحلة من مراحل السلوك، يظهران في بداية الأمر مشكلين وصعبين. والشيطان والنفس أيضاً يؤيدان هذا المعنى ليمنعا الإنسان من الدخول في السلوك ولكن بعد الدخول يسهل الطريق بالتدريج، فمع كل قدم يضعها الإنسان في طريق الحق والآخرة، يضيء نور الهداية الإلهية للقدم الأخرى و ييسر السلوك ويسهله ﴾[٢].

---

١ فروع الكافي ج٣ ص١٣٤.

٢ جنود العقل والجهل ص٢٦٧-٢٦٩.

الفصل الخامس

التواضع وضده الكبر

التواضع: هو وضع النفس في مقام العبودية مع الحق، وفي مقام الإنعطاف مع الخلق.

أمّا بيان الأول(وضع النفس في مقام العبودية مع الحق): فيكون بالإنقياد إلى الأوامر والنواهي، وقبول تجليات الصفات، وفناء الوجود في تجلي الذات، وهذه مراحل مرتبة للتواضع.

فالتواضع الإبتدائي يكون بإنقياد الأوامر والنواهي، لذلك ترى كثيراً من الناس لا ينصاعون لأوامر الله ويتكبرون على عبادته ﴿كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾[1]، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2].

والتواضع المتوسط: قبول تجليات الصفات في القلب وذلك بالفناء في مشية الحق تعالى، فلا يرى له إرادة في عرض إرادة الله تعالى بل إرادته في طول إرادته تعالى فيكون مظهراً لإسمه تعالى المريد فيريد كل ما يريده الله تعالى.

والتواضع النهائي: هو قبول تجلي الذات في الروح مع فناء وجوده في الوجود المطلق، بأنْ لا يرى له أدنى وجود.

---

١ سورة القلم الآية ٤٣.

٢ سورة غافر الآية ٦٠.

وأمّـــا بيان الثاني(وضع النفس في مقام الإنعطاف مع الخلق): فيكون بالإنصاف مـع الخلق وقبول الحق و رعاية الحقوق وتوقع الحكم، بمعنى أنْ يعطي من نفسه كما يُعطى له، ويقول الحق ولو على نفسه ويقبل الحق لو ترتب عليه، وأنْ لا يسلب الآخرين حقوقهم على إختلاف طبقاتهم ولا يراعي لنفسه نسباً ولا حسباً ولا شرفاً ولا مرتبة ولا مركزاً، ويضع نصب عينيه أنَّه قد يترافع عليه ويجلس في قفص الإتهام ويحكم عليه بحكم الله ولا يدرأ عنه شرفه ولا مركزه شيئاً.

الكبر: هو عبارة عن حالة نفسية تجعل الإنسان يترفع ويتعالى على الآخرين، وإذا أردنا أنْ نقابله مع ما ذكرنا من تعريف التواضع فيكون التكبر بمعنى الإعتداد بالنفس أمام الناس بل حتى أمام ساحة الحق جلّ وعلا.

والكبر هو ما يقابل التواضع وهو غير التكبر لأنَّ التكبر هو إظهار الكبر فالتفت.

تنبيهات

١- إنَّ التواضع من جنود العقل وهو ممّن يحتل مكانه في النفس بالتدريج، وكذلك الكبر فإنَّه يخرج بالتدريج ولكن لاتوجد علاقة التناسب بين دخول الأول وخروج الثاني إذ قد يسيطر الأول بنسبة غير ما يخرج بها الثاني لأنَّهما فعلان متضادان يعتمدان على الجهد المبذول في كل منهما ومنه نعرف أنَّ سلب التكبر لايعني التواضع بل قد لايكون شيئاً.

٢- إنَّ التواضع من الفطرة المخمرة التي خلقها الله بنور رحمته التي تواضعت من ذاتها وشهدت له بالربوبية وقالت(بلى)في عالم(ألست).

والكبر من الفطرة المحجوبة بالدنيا و إغواء إبليس بعدما نفث فيها من سمه ونفخ فيها من روحه الشيطانية التي أبَت السجود لآدم الذي صبغه الله عزّ وجلّ بيده كما أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[1]. وبهذا البيان تعرف إنّ الكبر أوضح مصاديق الفطرة المحجوبة لأنّه صفة إبليس. كما إنّ التواضع أبرز علامات الفطرة المخمرة الإلهية.

درجات التواضع

بالإضافة إلى ما ذكْرنا في تعريف التواضع وشرحاً له يمكننا ذكر درجات التواضع وقد ذكر الأعلام هذه الدرجات من الأعلى إلى الأدنى كما فعل ذلك الإمام الخميني رحمه الله في كتابه جنود العقل والجهل حيث بيّن أعلى مراتب التواضع ثمّ نزل بها تباعاً ولعل ذلك - والله العالم - إنّه قدس سره يرى أنّ السالك لابدّ أنْ يكون بهذه الدرجة العالية وهي الأصل بالأخلاق عنده، فإنْ لم يتمكن من هذه الدرجة تنزل تباعاً.

ونحن وإنْ ارتضينا ذلك أيضاً، ولكن حالنا وحال طلاب الطريق الذين قد أخذت الدنيا منهم مأخذها واستولت نفثات إبليس في صدورهم فعميت على ذلك الفطرة نبدأ من الدرجة الدنيا ونحاول تحصيل تلك الدرجة على الأقلّ ومنها نترقى في تلك الدرجات وهذا أرفق بحالنا وما ذلك إلا لأنّنا دخلنا في سلك طلبة العلم و زاد علمنا أربع كلمات فرأينا أنفسنا قد إرتفعت بهذه الكلمات فوقعت الواقعة ورددنا إلى أسفل سافلين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ سورة ص الآية ٧٥.

والدرجات – من الأدنى إلى الأعلى – هي:

١- تواضع المؤمنين الذين حصلوا العلم بالله بنور الإيمان وعرفوا أنفسهم بقدر نورهم فيتواضعون للحق تعالى ويتواضعون للخلق، وهذا التواضع يسمى بتواضع العلماء، ومنه تعرف أنَّ من لم يتنوَّر بنور العلم الإلهي فهو متكبر أولاً وبالذات وخارج عن دائرة الحق لأنَّه لم يتواضع لكي يتعلم ويحصل على أدنى درجات التواضع.

٢- تواضع الحكماء الذين وصلوا إلى مقام الحكمة الإلهية وتنوَّر قلبهم بنورها يتواضعون للحق والخلق أيضاً.

وفرق العلم عن الحكمة هو أنَّ الحكمة مرتبة أعلى من العلم، فالحكمة تأتي بعد العلم تفصل مـــا عرف العلم وتثبته إيماناً وعملاً وتجسيداً، فالحكيم يتواضع بدرجة أعلى من المؤمن العالم لأنَّه عرف الحق أكثر وفي مقابله صغرت نفسه، وعرف إنَّ الخلق آيات وعلامات لوجود الحق فتصاغر لهم كرامة للحق.

٣- تواضع أهل المعرفة الذين عرفوا الحق تعالى وشاهدوا جمال ذاته في أسمائه وصفاته.

٤- تواضع الأولياء والكمّل والأنبيـاء العظام حيث أنَّهم بواسطة تجليات الذات والأسماء والصفات والأفعال في قلوبهم يتواضعون في حضرة الحق تعالى ومظاهر جمال تلك الذات المقدَّسة وجلالها، وتوجد غاية التواضع والتذلل في قلوبهم مشاهدة كمال الربوبية وذلة العبودية، وكلما تكاملوا في هذين النظرين وهاتين المشاهدتين يتكاملون في حقيقة التواضع أيضاً.

كما أنَّ الذات المقدّسة لأعرفِ خلق الله وأعبدِ عبّاد الله خاتم النبيين ﷺ كانت أكثر تواضعاً من سائر الموجودات في محضر الحق تعالى لأنَّه كان في مشاهدة كمال الربوبية ونقص العبودية أكمل الموجودات.

وهذه الطائفة من المتواضعين كما أنَّهم متواضعون للحق جلّ وعلا كذلك هم متواضعون لمظاهر جماله وجلاله أيضاً، والتواضع عندهم ظلّ التواضع للحق، وهؤلاء بالإضافة إلى التواضع، لهم مقام المحبة أيضاً، وعندهم المحبة لمظاهر الحق تعالى تبعاً لمحبة الحق تعالى وهذا التواضع المشفوع بالمحبة أكمل مراتب التواضع[١].

التحلي بالتواضع

بعد ما عرفت من تعريف التواضع ودرجاته إنَّه من الفطرة المخمرة الإلهية وإنَّه من جنود العقل، فاعلم إنَّه صفة الأنبياء و الأولياء والصالحين.

والتحلي بالتواضع ليس بالأمر الهيّن عند البعض لأنَّه يقول: إنِّي متواضع بالأصل فتحول إنيّته هذه من تحلّيه بالتواضع ولكن إنْ عرف التكبر ودرجاته ومساوئه وأسبابه - كما سيأتي - سيوقن أنَّه من المتكبرين وعلى أي حال خير ما يقال في هذا المقام هو كلام المعصومين وسير الصالحين وأهل الحق الإلهيين وهذا نزر من تلك الأخبار في الدعوة إلى التواضع:

١- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا داود كما إنَّ أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون ﴾[٢]. وهذا الحديث يعطينا الطريق القطعي لقرب الله عزّ وجلّ وهو التواضع، فمن يجهد نفسه في فعل

---

١ جنود العقل والجهل ص٣٣٩-٣٤٠.

٢ الكافي ج٢ ص١٢٤.

الواجبات والمستحبات والأمور المقربة الأخرى لابدّ أنْ يلتفت أولاً وبالذات إلى التواضع ويحاسب نفسه إذا تكبرت نتيجة تلك العبادات أو العلوم التي يتعلمها.

٢- إنَّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: ﴿يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي: قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله. فقام فغسل أقدامهم فقالوا: كنّا نحن أحقّ بهذا ياروح الله. فقال: إنَّ أحقّ الناس بالخدمة العالِم. إنَّما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم. ثمّ قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل﴾[1].

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم ﴾[2]. ونحن إنَّما نذكر احاديث التواضع في مورد العلم والعلماء لأنَّ أكثر طبقة في المجتمعات تبتلي بهذا المرض هم طلاب العلوم لأنَّهم يتوهمون أنَّ ما يحملونه من علم يرفعهم على الناس والمفروض إنَّهم ينزلوا إلى طبقات الناس المحتاجة إليهم لكي يتأثر الناس بهم في خلقهم ومنطقهم ولباسهم بل مطلق حالهم.

٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس و تواضع من غير منقصة وجالس أهل الفقه والرحمة وخالط أهل الذل والمسكنة﴾[3].

٥- قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿من تواضع لغنيّ طلباً لما عنده فقد ذهب ثلثا دينه﴾[4].

---

١ الكافي ج١ ص ٣٧.

٢ المصدر السابق ص ٣٦.

٣ البحار ج١ ص١٩٩.

٤ المصدر السابق ٧٥ ص٥٦.

٦- قالوا: ﴿من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فإنّها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه، لأنَّ النفوس كلّها فقيرة عند هيبته﴾[١].

٧- قالوا: ﴿التواضع تصفية الباطن، تلقي بركاته على الظاهر، والتكبر من كدورة الباطن تظهر كلمته على الظاهر﴾[٢].

٨- عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ﴿أعرف الناس بحقوق إخوانه وأشدّهم قضاءً لهم أعظمهم عند الله شأناً، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصدّيقين ومن شيعة علي بن أبي طالب حقاً﴾[٣].

٩- روي: ﴿إنَّ سليمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف، حتى يجيء إلى المساكين ليقعد معهم، يقول مسكين مع المساكين﴾[٤].

مع أنَّ سليمان عليه السلام كان نبياً وملكاً فلِمَ التكبر؟!.

١٠- قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب، والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه فكبر، ومَنْ تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الأرض من العارفين، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾[٥].

---

١ فرهنگ معارف إسلامي سيد جعفر سجادي ص٥٩٩.

٢ المصدر السابق.

٣ البحار ج٤١ ص ٥٥.

٤ المصدر السابق ج١٤ص٨٣.

٥ سورة الأعراف الآية ٤٦.

وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس له عزّ وجلّ عبادة يقبلها ويرضاها إلا وبابها التواضع ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾[1].

وقد أمر الله عزّ وجلّ أعزّ خلقه وسيد بريته محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتواضع فقال عزّ وجلّ: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء، وإنهنَّ لا يأتين إلا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تعالى ﴾[3]. وهذه الكلمة جامعة مانعة في التواضع فيها قطوف دانية.

١١- روي إنَّه: ﴿ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان له مؤمنان أب وإبن فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين يديهما، ثمّ أمر بطعام فأُحضر فأكلا منه، ثمّ جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل لييبس، وجاء ليصب على يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصب على يد الرجل، فتمرّغ الرجل في التراب، وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي؟ قال عليه السلام: أقعد وإغسل فإنَّ الله عزّ وجلّ يراك وأخوك الذي لا يتميّز منك ولا يتفضل عليك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها أهل الدنيا، فقعد الرجل، فقال له علي عليه السلام: أقسمتُ عليك بعظم حقي الذي عرفته وبجلّته وتواضعك لله حتى جازاك عنه، بأنْ ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت

---

١ سورة الفرقان الآية ٦٣.

٢ سورة الشعراء الآية ٢١٥.

٣ البحار ج٧٢ ص ١٢١.

مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر، ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عزّ وجلّ يأبى أنْ يسوى بين إبن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبّ الأب على الأب فليصبّ الإبن على الإبن، فصبّ محمد بن الحنفية على الإبن ﴾[1].

عندما نذكر الرواية نشعر بالخجل إنَّه كيف لنا أنْ نقبل بأنْ يصبّ سيد الوجود الماء على أيدينا؟ والخجل الأكبر منه أنَّه أنْ نتأسى بأئمتنا عليهم السلام إذ أنَّنا ننتسب إليهم باللفظ دون المعنى.

يقول سعدي الشيرازي:

یکی قطره باران ز ابری چکید   خجل شد چو پنهای دریا بدید
که جائیکه دریاست من کیستم؟   گر او هست حقا که من نیستم
چو خود را به چشم حقارت بدید   صدف در کنارش به جان پرورید
سپهرش به جائی رسانید کار   که شد نامور لؤلؤ شاهوار
بلندی اَز آن یافت کو پست شد   در نیستی کوفت تا هست شد
بزرگان نکردد در خود نگاه   خدا بینی اَز خویشتن بین مخواه
بزرگی به ناموس وکفتار نیست   بلندی به دعوی وبندار نیست
تواضع سر رفعت اَفرازدت   تکبر به خاک اَندر اَندازت
ز مغرور دنیا ره دین بجوی   خدا بینی اَز خویشتن بین مجوی[2]

---

١ البحار ج٧٢ ص١١٨.

٢ ديوان سعدي/ بوستان.

يعني:

هطلت من غيم السماء قطرة

فذابت حياءً إذ رأت سعة البحر الممتد

فقالت: من أنا مقابل هذا البحر الخضم؟

إنَّني لست في الحقيقة أمام وجوده إلا عدماً

ولأنَّها نظرت باستصغار إلى نفسها

تسامت لها الأصداف التي كانت حولها

ففدتها بروحها وهكذا أوصلتها الصَدَفة

إلى أنْ صارت لؤلؤة ملكية نادرة المثال

تواضع تجد السمو والعلو والرفعة

وكن عدماً تُصبح أنت الوجود مدى الدهر

إنَّ الكبار لم ينظروا إلى ذواتهم وأنفسهم

فلا تطلب رؤية الله ممن يتطلع إلى نفسه

وليس الجلال بالشرف والأحوال

ولا السموّ بالإدّعاء والخيال

إنَّ التواضع أساس الرفعة والشموخ

كما أنَّ التكبر هو الذي يهبط بالمرء إلى التراب

فلا تبتغِ سبيل الدين عن المغرور بالدنيا

ولا تبحث عن معرفة الله في الأنانية والتظلم للنفس

كلٌّ هذا بالنسبة للتواضع ،وأمّا الكبر فبعد أنْ عرفت معناه نتكلم عنه في نواحٍ أكثر لأنَّ الإبتلاء يكون بالتكبر وليس بعدم التواضع ، إذ عدم التواضع أمر عدمي ولكن التكبر أمر وجودي فإذا تخلص الإنسان في البداية من الكبر يعمل فيما بعد على زرع التواضع.

أنواع التكبر ودرجاته

الكبر لــه درجات وأنواع وأقسام تعددت بتعدد موضوعاتها ونفسية المتكبر ومنشأ التكبر. **أمّا أنواعه فهي ست متقابلات تعود إلى ثلاث:**

١- **الكبر بسبب الإيمان والعقائد الحقة**، ويقابله الكبر بسبب الكفر والعقائد الباطلة ، **فقد يتكبر الأول:** بأنَّه قد عرف الله وكفى بها منزلة.

ويتكبر الثاني: بسبب عدم اعترافه بوجود خالق له ويأبى الخضوع لرب مدبر.

٢- **الكبر بسبب الملكات الفاضلة والصفات الحميدة**، ويقابله الكبر بسبب الأخلاق الرذيلة والملكات القبيحة.

فالأول: يتكبر بهيمنته على أصول الأخلاق واتصافه بها فيرتفع عن غيره بها.

والثاني: يتكبر بالإعتداد بصفاته وملكاته ولا يسمع من أحد لأجل تغييره.

٣- **الكبر بسبب العبادات والصالحات من الأعمال**، ويقابله الكبر بسبب المعاصي والسيئات من الأعمال.

الأول: يتكبر بالرياء في عمله والإعجاب بها وأنَّه أفضل من غيره في هذا المجال.

والثاني: يتكبر بقناعته بفعل نفسه وحكمه بأنَّها تفعل ما تريد وما تشتهيه ولا يحق لأحد حرمانها منه.

وأمّا درجاته، أو فقل دركاته - لأنَّه يوقع صاحبه في مهاوى الكفر - فهي مرتّبة من الأشدّ إلى الأسهل ولو أنَّ سهلها هذا قبيح أيضاً ولكنّه أهون من غيره وهي:

١- التكبر على الله تعالى: وهو أقبح الدرجات وأشدّها هلكة ويأتي على رأس درجات الكبر، فترى صاحبه في أهل الكفر والجحود ومدّعي الألوهية، ومثاله فرعون الذي قال ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾[١]، وقد تراه أحياناً في بعض أهل الدين، وهذا هو منتهى الجهل وعدم معرفة الممكن حدود نفسه، وعدم معرفة مقام واجب الوجود.

٢- التكبر على الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم: ومثل هذا التكبر كثيراً ما يحصل في زمانهم عليهم السلام قال تعالى على لسان مثل هؤلاء المتكبرين على الأنبياء: ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[٢]، ومن هؤلاء أيضاً من تكبروا على بيعة الغدير وعادوا الأمير عليه السلام وغيرهم ممن خرجوا على الحق.

٣- التكبر على أوامر الله تعالى: وهذا يرجع إلى التكبر على الله عزّ وجلّ، وهو الذي يظهر في بعض العاصين، كأنْ يمتنع أحدهم عن الحج بحجة إنَّه لا يستسيغ مناسكه من إحرام وغيره أو يترك الصلاة لأنَّ السجود لا يليق بمقامه، بل قد يظهر ذلك أحياناً عند أهل النسك والعبادة وأهل العلم والتدين، كأنْ يترك الأذان تكبراً، أو لا يتقبل مقولة الحق إذا جاءت ممن هو قريب له أو دونه منزلة.

٤- التكبر على بهاء الله تعالى: وهذا راجع أيضاً إلى التكبر على الله تعالى وأوضح مصاديقه التكبر على العلماء بالله، ومفاسده أكثر من كل شيء وأعظم، ومن هذا التكبر رفض مجالسة الفقراء، والتقدم في المجالس والمحافل والمشي والسلوك.

---

١ سورة النازعات الآية ٢٤.

٢ سورة المؤمنون الآية ٤٧.

وهذا النوع من التكبر رائج وشائع بين مختلف الطبقات، إبتداءً من الأشراف والأعيان والعلماء والمحدثين والأغنياء حتى الفقراء والمعوزين إلا من حفظه من ذلك[١].

أسباب الكبر الأساسية

للكبر أسباب كثيرة يمكن أنْ ترجع جميعها إلى توهم الإنسان الكمال في نفسه مما يبعث على العجب الممزوج بحب الذات، فيتكبر على من سواه حتى إنَّه يتكبر على الله عزّ وجلّ وقد عرفت ذلك مما تقدم.

وتوهم هذا الكمال له مصاديق كثيرة أوضحها هو بلوغ الإنسان مرتبة علمية أو نفسية وقد فصل الإمام الخميني تلك المصاديق في الأربعون حديثاً الحديث الرابع.

ومن الأسباب الذي يرجع إلى توهم الكمال ما يلي:

أ- أنْ يكون الإنسان ذا حسب ونسب كأنْ يكون سيداً قرشياً أو من سكان المدينة الفلانية.

ب- أنْ يمتلك وجهاً جميلاً أو قامة فارعة وغير ذلك.

ج- أنْ يكون كثير الأتباع والأنصار أو ذا قبيلة كبيرة وقوية.

د- أنْ يكون أستاذاً وله تلامذة كثيرون، أو إمام جماعة ومسجده الذي يصلي فيه يغص بالناس وقت الصلاة.

ومن الأسباب والعوامل الأخرى ما يتعلق بواقع ذات المتكبر إذ أنَّها بحسب الظاهر كثيرة فهي تظهر التكبر ولكن بحسب الواقع تنم عن ضعة وحقارة خفية، ومن مصاديق ذلك الذي يمكن عده من الأسباب أيضاً:

هـ- صغر العقل، وضعف القابلية، والضعة، وقلة الصبر.

---

١ الأربعون حديثاً للإمام الخميني/ الحديث الرابع (بتصرف).

ومن الأسباب المؤدية إلى التكبر هو الحسد وبه يكون مريضاً مركباً من مرضين عضالين، يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿فالإنسان الذي يفتقر إلى كمال موجود في غيره، يندفع إلى أنْ يحسده ثمّ يصير سبباً لكي يتكبر عليه ويسعى جهده لإذلاله وإهانته﴾[١].

واستدل قدس سره على ذلك برواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس... ثمّ قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرَّ في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها: تنحي عن طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: إنَّ الطريق لمعرض. فهمّ بها بعض القوم أنْ يتناولوها. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: دعوها فإنَّها جبارة﴾[٢].

ومن الأسباب المهمّة للتكبر هو ضيق الصدر وفي مقابل ذلك إنَّ من أسباب التواضع والصفات الحسنة هو شرح الصدر.

قال الإمام الخميني رحمه الله: ﴿ إعلم إنَّ للتواضع والتكبر موجبات و أسباباً كثيرة من جملتها شرح الصدر وضيقه. إنَّ إنساناً يكون مشروح الصدر كل ما رأى في نفسه من كمال والجمال والمال والمنال والدولة والحشم، لا يهتمّ به ولا يكون في نظره عظيماً ومهماً ... إلى أنْ يقول قد سره: وفي المقابل حب النفس والإعجاب بها من ضيق الصدر ويوجبان أيضاً ضيقه، وهو مبدأ التكبر، لأنَّه بسبب وجود ضعف القابلية وضيق الصدر عنده، فكل ما رأى في نفسه يكون عظيماً في نظره ويدل به ويفتخر﴾[٣].

---

١ الأربعون حديثاً/ الحديث الرابع.

٢ الكافي ج٢ ص٣٠٩.

٣ جنود العقل والجهل ص٢٤١-٢٤٢.

علاج الكبر

ذكر صاحب البحار قدس سره عدة أسباب منها علمية إعتقادية و منها عملية.

والعلمية: تعتمد في البداية على العلم بها ثمّ الإعتقاد بها وجعلها أساساً في مبتنيات الإنسانية.

وأمّا العملية: فهي التي تظهر على أفعاله باتباع طرق معينة وإجراء تجارب على نفسه وملاحظتها في تلك التجارب وتقود بالأخرة إلى المراقبة والمحاسبة تكون بأنْ يعرف نفسه وربه ويكفيه ذلك في إزالة الكبر، فإنَّه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنَّه أذلّ من كل ذليل، وأقلّ من كل قليل بذاته، وإنَّه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم إنَّه لا يليق العظمة والكبرياء إلا بالله تعالى.

ومعرفة الرب والنفس موكول إلى محلّه من بحوث الحكمة والمهم في المقام لكلا المعرفتين أنْ يدرك قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾[١]. فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان، وإلى آخر أمره، وإلى وسطه.

والعملية منها: هو التواضع بالعقل إلى الله تعالى وسائر الخلق، والمواظبة على أخلاق المتواضعين، وما وصل إليه من أحوال الصالحين والنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أُسُّ الوجود وحبيب المعبود فإنَّه صلى الله عليه وآله وسلم يأكل على الأرض ويقول: ﴿إنَّما أنا عبد آكل كما يأكل العبد﴾.

---

١ سورة عبس الآيات ١٧ – ٢٢.

وقيل لسلمان عليه الرحمة: لم لا تلبس ثوباً جيداً؟ فقال: إنَّما أنا عبد، فإذا أُعتقت يوما لبست. أشار به إلى العتق في الآخرة.

ولا يتمّ التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل، فمن عرف نفسه فلينظر إلى كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال. فليواظب على نقيضها حتى يصير التواضع له خُلقاً، وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنَّ علاج الكبر يكون بالأعمال وبيان أخلاق المتواضعين.

قيل: إعلم أنَّ التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه، ونظره شرزاً وإطراقة رأسه، وجلوسه متربعاً ومتكئاً وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصفته في الإيراد. ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه في حركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله وسائر تقلباته في أقواله وأفعاله وأعماله[١].

ومن طرق العلاج أيضاً أنْ يتجنب الأقران في السبق والمحافل والتصدر في المجالس.

وقد تطرق الإمام الخميني رحمه الله إلى علاج الكبر في كتابه الأربعون حديثاً بشيء من التفصيل عمدته إستحقار ذات الإنسان في قبال ذات الحق تعالى والمعصومين عليهم السلام والأكابر من العلماء العاملين ومن ضمن ما قاله قدس سره: ﴿ بعدما عرفتَ مفاسد الكبر، فحاول أنْ تعالج نفسكَ مشمّراً عن ساعد الجدّ للبحث عن العلاج، واشحَذ همّتك لتطهير القلب من هذا الدرن، وأزِل الغبار والأتربة عن مرآته. فإذا كنتَ ممّن قويَت نفوسهم، واتسعَت صدورهم، ولم يتجذَّر حبُّ الدنيا في قلبك، ولم يبهرك زبرجها وزخرفها، وكانت عين إنصافك مفتوحة، فإنَّ الفصل السابق خير علاج علمي لك.

وإذا لم تكن قد دخلت هذه المرحلة، ففكّر قليلا في حالك فلعل قلبك يصحو.

---

١ البحار ج٧٠ ص٢٠١ وما بعدها بتصرف.

فيا **أيّها الإنسان** الذي لم تكنْ شيئاً في أول أمرك، وكنتَ كامناً في دهور العدم والآباد غير المتناهية، ما هو الأقلّ من العدم واللاشيء على صفحة الوجود؟ ثمّ لما شاءتْ مشيئة الله أنْ يظهرَكَ إلى عالم الوجود فمن جرّاء قلّة قابليتكَ الناقصة وتفاهتكَ وضعَّتكَ وعدم أهليَّتكَ لتقبل الفيض أخرجكَ من هيولى العالم – المادة الأولى– الذي لا يكون سوى القوة المحضة والضعف الصرف، إلى صورة الجسمية والعنصرية، التي هي أخسّ الموجودات وأحطّ الكائنات، ومن هناك أخرجكَ نطفة لو مسَّتها يدكَ لاستقذرَتْها وتطهرتَ منها، ووضعكَ في منزلٍ ضيِّق رجس هو خصيتي الأب، وأخرجكَ من مجرى البول في حالة مزرية قبيحة، وأدخلكَ في رحم الأمّ من مكان تنفر إنْ ذُكر إسمه، وهناك حوَّلكَ إلى علقة ومضغة، وغذّاكَ بغذاء يزعجك سماع إسمه ويخجلك، ولكن بما أنَّ الجميع هذا هو حالهم وتلكَ هي بليَّتهم، زال الخجل(**والبلية إذا عمت طابت).**

في كل هذه التطورات كنتَ أرذل الموجودات وأذلَّها وأحطَّها، عارياً عن إدراك ظاهري وباطني، بريئاً من كل الكمالات. ثمّ شملتكَ رحمته وجعلكَ قابلاً للحياة، ظهرتْ فيكَ الحياة رغم كونكَ في أشدّ حالات النقص، بحيث إنَّكَ كنتَ أحطَّ من الدودة في أمور حياتك، فزادتْ برحمته تدريجياً قابليتكَ على إدارة شؤون حياتكَ، إلى أنْ أصبحتَ جديراً بالظهور في محيط الدنيا، أظهركَ إلى هذه الدنيا من خلال أشدّ المجاري ضعة، وفي أوطأ الحالات، وأنتَ أضعف في الكمالات وشؤون الحياة، وأدنى من جميع مواليد الحيوانات الأخرى.

وبعد أنْ منحكَ بقدرته قواكَ الظاهرية والباطنية، ما زلتَ ضعيفاً وتافهاً بحيث إنَّ أيّاً من قواكَ ليستْ تحت تصرفكَ، فلستَ بقادرٍ على المحافظة على صحتكَ، ولا على قواكَ ولا على حياتكَ. ولست بقادرٍ على الإحتفاظ بشبابكَ وجمالكَ، وإذا ما هاجمتكَ

آفة أو انتابكَ مرض فلستَ بقادر على دفعهما عنكَ، وعلى العموم، ليس تحت تصرفك شيء من ذلك، لو جعت يوماً لتنازلت حتى لأكل الجيفة، ولو غلبكَ العطش لما امتنعت عن شرب أي مـــاء آسن، وهكذا أنت في شؤونك الأخرى عبد ذليل مسكين لا قُدرة لك على شيء.

ولو قارنتَ حظكَ من الوجود ومن الكمالات بما لسائر الموجودات، لوجدت أنَّكَ أنت وكل الكرة الأرضية، بل وكل المنظومة الشمسية لا قيمة لكم مقابل هذا العالم الجسماني الذي هو أدنى العوالم وأصغرها.

أيها العزيز! إنَّك لم ترَ سوى نفسك، والذي رأيتَه لم تضعه موضع الإعتبار والمقارنة، حاول أنْ تنظر إلى نفسكَ وما تملك من شؤون الحياة وزخارف الدنيا وقارنها بمدينتك، وقارن مدينتك بوطنك، ووطنك بسائر الدول في الدنيا التي تسمع بأكثر من واحدة بالمئة منها، وقارن الدول بالكرة الأرضية، والأرض بالمنظومة الشمسية، وبالكرات الواسعة التي تعيش على فتات أشعة الشمس المنيرة، وقارن كل المنظومة الشمسية الخارجة عن محيط فكري وفكرك، بالمنظومات الشمسية الأخرى التي تُعدُّ شمسنا وجميع سيّاراتها، واحة من سيارات إحدى تلك المنظومات التي لا يمكن أنْ تقارن شمسنا معها، والتي يقال إنَّ ما أُكتشف منها حتى الآن يبلغ عدة ملايين من المجرات، وإنَّ في هذه المجرة القريبة الصغيرة عدة ملايين من المنظومات الشمسية التي تكبر أصغر شمسها على شمسنا ملايين المرات وتسطع نوراً أكثر، هذه كلّها من العوالم الجسمانية التي لا يعرفها إلا خالقها، وإنَّ ما أُكتشف منها لا يبلغ الجزء الضئيل منها، وكل عوالم الأجسام هذه لا تكون شيئاً بالقياس إلى عالم ماوراء الطبيعة فهناك عوالم لايمكن للعقل البشري أنْ يتخيلها.

هذه **شؤون حياتكَ وحياتي** وهذه حظوظنا ونصيبنا من عالم الوجود، وعندما تشاء إرادة الله أنْ تتوفاكَ من هذه الدنيا، فإنَّه يأمر جميع قواكَ بالإتجاه نحو الضعف وجميع حواسكَ بالتوقف عن العمل، فتخيل أجهزة وجودكَ، ويذهب سمعك وبصرك وتضمحل قواك وقدرتك، فتصير قطعة جماد تُزكم بعد أيام رائحتك العفنة أنوف الناس وتؤذي مشامهم، ويهربون من صورتك وهيئتك، وما أنْ تمضي عليك أيام أُخر حتى تهترأ أعضاؤك وتتفسخ، هذه هي أحوال جسمك، أمّا أحوال أموالك وثروتك فأمرها معروف.

امّا عالم برزخك: فإنَّك انتقلت من هذه الدنيا - لا سمح الله - قبل أنْ تصلحه، فالله يعلم كيف تكون صورتك، وكيف تكون أحوالك، إذ أنَّ قوى الإدراك في هذا العالم عاجزة على أنْ تسمع أو ترى أو تشم شيئاً من ذلك العالم. إنَّ ما تسمعه عن ظلمة القبر ووحشته وضيقه إنَّما تقيسه على ما في هذا العالم من ظلمة ووحشة وضيق، مع أنَّ هذا القياس وهذه المقارنة باطلة، نسأل الله أنْ ينجينا مما أعددنا لأنفسنا بأنفسنا.

إنّ **عذاب القبر إنموذج من عذاب الآخرة**، والمستفاد من بعض الأحاديث إنَّ أيدينا تقصر عن الوصول إلى شفاعة الشفعاء في القبر[1] فيا له من عذاب! إنَّ نشأة الآخرة أشدّ وأفظع من جميع الحالات السابقة، إنَّه يوم تبرز فيه الحقائق، وتنكشف فيه السرائر، وتتجسد فيه الأعمال والأخلاق.

يوم تصفية الحساب، يوم الذلة في المواقف، تلك هي أحوال يوم القيامة!.

---

١ إشارة للحديث: ﴿قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنِّي سمعتك وأنت تقول كل شيعتنا في الجنة على ما كان فيهم! قال عليه السلام: صدقتك كلّهم والله في الجنة. قال: قلت: جعلت فداك إنَّ الذنوب كثيرة كبار. فقال عليه السلام: أمّا في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ. قلت وما البرزخ؟ قال عليه السلام: القبر منذ حين موته إلى يوم القيامة﴾. [فروع الكافي ج٣ ص٢٤٢].

أمّا حال جهنم التي تكون بعد يوم القيامة فأمرها معلوم أيضاً، إنَّك تسمع أخباراً عن جهنم! إنَّ النار ليست وحدها عذاب جهنم. فلو أنَّ باباً منها انفتحت على عينيك وعلى هذا العالم لهلك أهلها خوفاً، وكذلك لو انفتحت باب أخرى على أذنيك، وأخرى على خياشيمك، لو أنَّ أيّا منها فتح على هذا العالم لهلكوا جميعاً من شدة العذاب.

يقول أحد علماء الآخرة: مثلما إنَّ حرارة جهنم أشدّ ما تكون، كذلك برودتها أشدّ ما تكون. والله تعالى قادر على أنْ يجمع الحرارة والبرودة معاً[1] هكذا هي نهاية حالك.

إذاً: فالذي أوله عدمٌ غير متناهٍ، وهو منذ أنْ يضع قدمه في الوجود تكون جميع تطوراته قبيحة وغير جميلة، وكل حالاته مخجلة، وكل من دنياه وبرزخه وآخرته أفجع من الأخرى، بم يتكبر؟ بأي جَمال أو كَمال يتباهى؟ إنَّ من كان جهله أكبر وعقله أصغر كان تكبره أكثر، ومن كان علمه أكثر وروحه أكبر وصدره أوسع كان تواضعه أكثر.

النبي الكريم ﷺ الذي كان علمه من الوحي الإلهي، وكانت روحه من العظمة بحيث أنَّها بمفردها غلبت نفسيات كل البشر، إنَّ هذا النبي قد وضع جميع العادات الجاهلية والأديان تحت قدميه، ونسخ جميع الكتب، واختتم دائرة النبوة بشخصه الكريم، وكان هو سلطان الدنيا والآخرة والمتصرِّف في جميع أحوال العوالم بإذن الله، و مع ذلك كان تواضعه مع عباد الله أكثر من أي شخص آخر، كان يكره أنْ يقوم له أصحابه إحتراماً، وإذا دخل مجلساً لم يتصدر، ويتناول الطعام جالساً على الأرض قائلاً: إنَّني عبد، آكل مثل العبيد وأجلس مجلس العبيد[2].

---

١ الفتوحات المكية لابن عربي ج١ فصل١ الباب٦١.

٢ في روايات متعددة أشير إلى خلق وسلوك رسول الله ﷺ.

لقد نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحب أنْ يركب الحمار من دون سرج، وأنْ يتناول الطعام مع العبيد على الأرض، وكان يعطي الفقراء بكلتا يديه.

كان ذلك الإنسان العظيم يركب الحمار مع غلامه أو غيره، ويجلس على الأرض مع العبيد وفي سيرته أنَّه كان يشترك في أعمال المنزل، ويحتلب الأغنام، ويرقع ثيابه ويخصف نعله بيده، ويطحن مع خادمه ويعجن ويحمل متاعه بنفسه ويجالس الفقراء والمساكين ويأكل معهم[1]، هذه وأمثالها نماذج من سيرة ذلك الإنسان العظيم وتواضعه، مع أنَّه فضل مقامه المعنوي كان في أكمل حالات الرئاسة الظاهرية. وهكذا اقتدى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ كانت سيرته من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم[2].

فيا أيّها العزيز! إذا كان التكبر بالكمال المعنوي، فقد كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام أرفع شأناً، وإذا كان بالرئاسة والسلطان، فقد كانت لهما الرئاسة الحقَّة، ومع ذلك كانا أشدّ الناس تواضعاً.

فاعلم، إنَّ التواضع وليد العلم والمعرفة، والكبر وليد الجهل وانعدام المعرفة، فامسح عن نفسك عار الجهل والإنحطاط، واتصف بصفات الأنبياء، واترك صفات الشيطان، ولا تنازع الله في ردائه – الكبرياء – فمن ينازع الحق في ردائه فهو مغلوب ومقهور بغضبه، ويكب على وجهه في النار.

وإذا عزمتَ على إصلاح نفسك، فطريقه العملي أمر يسير مع شيء من المثابرة، وإنَّه طريق لو اتصفت بهمّة الرجال وحرية الفكر وعلو النظر، فلن تصادفك أية مخاطر. فإنَّ الأسلوب الوحيد للتغلب على النفس الأمّارة وقهر الشيطان ولاتباع طريق النجاة هو

---

١ بحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٦.

٢ كشف الغمة في معرفة الأئمة ج١ ص١٦٢ – ١٧٢.

العمل بخلاف رغباتهما، إنَّه لا يوجد سبيل أفضل لقمع النفس من الإتصاف بصفة التواضع ومن السير وفق مسيرة المتواضعين فحيثما تكن درجة التكبر عندك، ومهما تكن طريقتك في العلم والعمل اعمل قليلاً بخلاف هو نفسك، فإنَّ مع الإلتفات إلى الملاحظات العلمية تجاه التكبر والإنتباه إلى النتائج المطلوبة، فإذا رغبتْ نفسك بأن تتصدر المجلس متقدماً على أقرانك، فخالفها واعمل عكس ما ترغب فيه، وإذا كانتْ تأنف من مجالسة الفقراء والمساكين، فمرّغ أنفها في التراب وجالسهم و آكلهم ورافقهم في السفر، ومازحهم وقد تجادلك نفسك فتقول لك: إنَّ لك مقاماً ومنزلة، وإنَّ عليك أنْ تحافظ على مقامك من أجل ترويج الشريعة والعمل في سبيلها، فمجالستك الفقراء تذهب بمنزلتك من القلوب، وإنَّ المزاح مع من هو دونك، يقلل من عظمتك، وجلوسك في ذيل المجلس يحط من هيبتك، فلا تقدر أنْ تؤدي واجبك الشرعي على خير وجه!!. **إعلم**، إنَّ هذه كلّها من مكائد الشيطان والنفس الأمّارة.

لقد كان مقام رسول الله ﷺ في الدنيا من حيث الرئاسة والمركز أرفع منك، ومع ذلك كانت سيرته هي التي قرأتَها وسمعتَ بها.

لقد عاصرت شخصياً من العلماء من كانت لهم الرئاسة والمرجعية الدينية كاملة في دولة واحدة، بل ولكل الشيعة في العالم وكانت سيرتهم تلي سيرة رسول الله ﷺ.

منهم، الأستاذ المعظم والفقيه المكرم الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي حيث كانت له رئاسة الشيعة و مرجعيتهم من ١٣٤٠هـ -١٩٢٠م حتى ١٣٥٥هـ- ١٩٣٥م. وكانت سيرته عجيبة، كان يرافق الخدم في السفر ويؤاكلهم ويفترش الأرض ويمازح صغار الطلبة وخلال أيام مرضه في أواخر حياته كان يخرج بعد المغرب يتمشى في الشارع

وقد لفّ رأسه بقطعة قماش بسيطة منتعلاً حذاء بسيطاً من دون أي إهتمام بالمظهر، وكان هذا يزيد من وقعه في القلوب، من دون أنْ تُصاب هيبته بأي إعتراض أو وهن.
وكان هناك آخرون من علماء قمّ ممن لم يلتفتوا أبداً إلى هذه التقيدات التي يحيكها لك الشيطان. كانوا يشترون حاجياتهم من السوق بأنفسهم، ويحملون الماء من مخازن المياه إلى بيوتهم، ويشتغلون في منازلهم وكان صدر المجلس وذيله سواء عندهم وكانوا على درجة من التواضع بحيث تبعث على التعجب ومع ذلك كلّه كان مقامهم محفوظاً بل كانت منزلتهم تسمو في قلوب الناس أكثر فأكثر﴾[1].

مفاسد الكبر

للكبر مفاسد كثيرة تتفرع إلى مفاسد أكثر منها، ولا توجد مفسدة أشدّ وأكبر من إعماء الفطرة والبعد عن ساحة الكبرياء الإلهية ومن تلك المفاسد:

١ - إنَّ الكبر يحول دون وصول الإنسان إلى الكمالات الظاهرية والباطنية، وكذلك الحظوظ الدنيوية و الأخروية.

٢ - إنَّ الكبر يبعث في النفوس الحقد والعداوة .

٣ - إنَّه يحطّ من قدر الإنسان في أعين الخلق ويجعله تافهاً ويحمل الناس على أنْ يعاملوه بالمثل تحقيراً واستهانةً به.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿مامن عبد إلا وفي رأسه حكمة و مَلَكٌ يُمسكها، فإذا تكبر قال له: إتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس،

---

١ الأربعون حديثاً/ ص ١١٦ إلى ١٢١.

وإذا تواضع رفعه الله عزّ وجلّ وقال، إنتعش نعشك الله. فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس ﴾[١].

٤- إنَّ التكبر متى ما استبد بالإنسان احاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجنّ بحب الأنانية والظهور وعندها سوف لا يسعده إلا الملق المزيف والثناء الكاذب فيتعامى - على أثر ذلك - عن عيوبه ونقائصه ولا يهتمّ بتهذيب نفسه وتلافي نقائصه، ما يجعله هدفا لسهام النقاد وعرضة للمقت والإزدراء.

نصوص في التحذير من الكبر

عندما أعلنّا إرتباطنا بالله تعالى وهذا يعني التبعية والإنقياد لأهل البيت عليهم السلام قام أهل البيت عليهم السلام بدورهم في وعظنا وإرشادنا وتنبيهنا على ما لا يجوز فعله والإعتقاد به ومن جملة ذلك الكبر، بقي علينا أنْ نتتبع كلامهم النوري ونستضيء به لتتنور ظلمة النفس وتنكشف الحقائق ونتخلص من الأمراض العضال وهذه جملة من الأخبار في المقام:

١- عن أبان عن حكيم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى الإلحاد فقال: ﴿ الكبر أدناه ﴾[٢]. فالمتكبر مبتدئ الإلحاد وهو على هذا ملحد.

٢- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إنَّ المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب ﴾[٣].

---

١ الكافي ج٢ ص ٣١٢.

٢ المصدر السابق ص ٣٠٩.

٣ المصدر السابق ص٣١١.

وهذا مقتضى عدل الله تعالى فنتيجة تعاليهم على البعض في مدة قصيرة يدوسهم الكل في مدة طويلة فهذا لا يعني إنَّ هذا حسابهم، كلا فهذا حالهم إلى أنْ ينتهي الله عزّ وجلّ من حساب الناس وبعد ذلك يحاسبون وينالون جزاءهم.

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿إنَّ في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر، شكا إلى الله تعالى عزّ وجلّ حره وسأله أنْ يأذن له أنْ يتنفس فتنفس فأحرق جهنم﴾[1].

٤- رُوي أنَّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿أكثر أهل جهنم المتكبرين﴾[2].

قال بابا طاهر:

اگــر شــيرى اگــر ميــرى اگــر مــور
گــذر بايــد كنــى آخــر لــب گــور
دلا رحمــى بجــان خويشــتن كــن
كــه مورانــت نهنــد خــوان وكننــد ســور

يعني:

إذا كُنــتَ أســداً أو أمــيراً أو نملــة
لابــدَّ أنْ تعــبرَ في الأخــير شــفيرَ القــبرِ
إرحــم نفســكَ أيهــا القلــبُ ولا تتكــبّرْ
فــإنَّ النمــلَ ســيجعلكَ ســفرةً للطعــامِ

---

١ الكافي ج٢ ص٣١١.

٢ ثواب الأعمال للشيخ الصدوق ص٢٢٢.

وقال:

بقبرستان گذر کردم کم وبیش بدیدم قبر دولتمند ودرویش
نه درویش بیکفن در خاک رفته نه دولتمند برده یک کفن بیش

يعني:

مررتُ بالمقبرةِ لمراتٍ عديدةٍ
ورأيتُ قبرَ رجلِ دولةٍ وقبرَ درويش(زاهد)
فلا الدرويشَ دخلَ الترابَ بلا كفن
ولا رجلَ الدولةِ أخذَ معه أكثرَ مِنْ كفن

وقال:

اگر زرّین گلاهی عاقبت هیچ
اَگر خود پادشاهی عاقبت هیچ
اگر ملک سلیمانت ببخشند
در آخر خاک راهی عاقبت هیچ[1]

يعني:

إذا كان التاج الذهبي لا عاقبة له
وإذا كنتَ ملك الملوك وعاقبتكَ لا شيء
وإذا أُهدي إليكَ مُلك سليمان
وفي الأخير تراب الطريق لا عاقبة له

---

١ دوبيتهای بابا طاهر.

خاتمة في الحكمة

وفيها أمور

الأول: الحكمة في شجرة الأخلاق[1]

ذكرنا إنَّ من ضمن منهجية الأخلاق عندنا هو فروع شجرة الأخلاق والذي يقع تحت الحكمة منها:

١- **صفاء الذهن**: وهو إستعداد النفس لاستخراج المطالب بلا اضطراب.

٢- **الفهم(سرعة الفهم)**: هو حركة النفس من الملزومات إلى اللوازم بلا توقف، بمعنى حسن الإستعداد النفسي لتصور ما يرد على النفس والتفطن لكيفية لزومه عن المبادئ.

٣- **الذكاء**: هو سرعة إنتاج القضايا وسهولة استخراجها لكثرة مزاولة المقدمات وصيرورة ذلك ملكة مما يؤدي إلى سرعة إنقداح النتائج في النفس.

٤- **الذكر(التذكر)**: هو أنْ تلاحظ النفس صور المحفوظ في أي وقت شاءت بسهولة من جهة الملكة المكتسبة وهو ما يقابل النسيان الذي تزول به صور المعلومات، أمّا التذكر فتثبت به صور المعلومات.

٥- **التعقل(التحفظ)**: هو موافقة بحث النفس عن الأشياء الموضوعة المطلوبة بقدر ما هي عليه، وذلك بأنْ تكون صور الأمور المدركة بالعقل بواسطة قوة التفكر والتخيل مستحصلة بأقلّ نظر.

٦- **سهولة التعلم(التعليم)**: هي أنْ تكون للنفس حدة في اكتساب المطالب بلا ممانعة الخواطر المتفرقة بحيث تكون بكليتها متوجهة إليها.

٧- **جودة الذهن وقوته**: هو تأمل النفس لما قد لزم من المقدم[1].

---

[1] الميزان ج١ ص٣١٠.

الثاني : العقل آلة المؤمن

ونعني به: إنَّ كل حركة وسكنة ولفظ وشعور إنَّما يكون بالعقل فمن كان له عقل عاش به وعرف فعله وقوله به ومن لم يكن له عقل بمعنى لم يستعمله ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾[٢]، تحرك على هواه ودخل في دائرة الأنعام بل أضلّ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٣].

وفي هذا المجال هناك رواية عن النبي الأكرم ﷺ: ﴿لكل شيء آلة وعدّة، وآلة المؤمن وعدّته العقل، ولكل شيء مَطّية، ومَطّيةُ المرء العقل، ولكل شيء غاية وغاية العبادة العقل، ولكل قوم راعٍ وراعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل سفر فسطاط يلجئون إليه وفسطاط المسلمين العقل﴾[٤]. ومن هذا الحديث الشريف نستفيد بأنَّ العقل يمثل جميع شؤون الإنسان التي طلبها منه الشارع الأقدس وما ذكر في الرواية هو أمهات الشؤون.

وما يستفاد من العقل على متن الرواية ما يلي:

١- إنَّه قوة العدة والعدد والشدة والمدد للإنسان المؤمن في مبارزته مع طواغيت الداخل والخارج، فبه ينتصر على نفسه الأمّارة لو حاولت أنْ تحكم فيقلب العقل عليها الأمور ويصير هو الحاكم، أمّا على صعيد طواغيت الخارج فالعقل يخطط الأمور ويحدد إمكانية نشوب معركة أو لا، وفي أي وقت وعلى أي كيفية وغير ذلك.

---

١ هذا الفرع غير موجود في الميزان وإنّما وجدناه عند ابن مسكويه في تهذيبه ص١٠١.

٢ سورة الأعراف الآية ١٧٩.

٣ سورة الفرقان الآية ٤٤.

٤ البحار ج١ ص ٩٥.

٢- إنَّه خير ما يعين على عبور المهمات والمسافات البعيدة معنوية كانت أمْ مادية فيجتاز به مدة العمر وطريق السلوك إلى الله وغير ذلك.

٣- إنَّه الغاية القصوى التي تطلب من إجهاد النفس بالعبادات والإلتزام بها حيث أنَّ العبادة تمثل العُلقة بين العابد والمعبود والتي تنقله تدريجياً من الإحساس والإرتباط المادي إلى الإحساس والإرتباط المجرد حتى يصل إلى التجرد التام وهو مقام العقل.

٤- إنَّه المدير والمدبر والمشرف والمتابع لحال الطالبين تحصيل العبادة التي هي طريق لتحصيل لقاء الحق تعالى، إذ العبادة وطريقها لا يسلم من الوساوس والإغواءات والميل إلى أحد جانبي الطريق، والراعي للسالك في هذه الحال هو العقل بحيث يسلمه من هذا كله ويجعله يسير بإنتظام في وسط الجادة.

٥- إنَّه رأس مال المجتهدين الذي يتحركون به في سوق حياتهم الإجتماعية فيجعلونه نصب أعينهم ويدعون الناس به إلى الإرتباط بمعبودهم ويدعون إلى حكومته، حتى يغلب على منطقهم ويرجع جميع تصرفاتهم وأفعالهم إليه.

٦- إنَّه هيولى الآخرة، ولا هيولى في الآخرة بعد أنْ يطغى التجريد على يوم الوعد والوعيد فالعقل الذي يبنيه الإنسان في دنياه ويجعله الحاكم في تصرفاته وعانى ما عانى في تحصيله سوف يجده ماثلاً أمامه في الآخرة يبني له بيته الأبدي ويصلح له آخرته التي لطالما اجتهد في تحصيلها والوصول إليها لأنَّه من سنخيتها.

٧- إنَّه مأوى كل من لا مأوى له وهنا يقوم العقل بدور عام وشامل لجميع طبقات المسلمين سواءً كانوا عابدين أمْ لا أو مجتهدين أمْ لا. فالعقل حمى الإنسان الكادح إلى ربه يأويه في سفره ويقيه طوارق الحدثين ويسعده في الدارين إلى غير ذلك من الأمور التي

يكون العقل فيها صاحب الدور الأبرز؟ وكل ذلك واضح بعد أنْ عرفت حكومته في نظام السير والسلوك والحياة بصورة عامة.

الثالث: أمور تعين على تحصيل الحكمة

هذه الأمور ليست جميع الأمور وإنَّما رؤوس بعضها ولكن في هذه الكفاية لو تمّ ضبطها وإنَّما ذكرناها لأجل أنْ تفيد في تحصيل الحكمة وهي:

١- **محضية عقلانية النفس**: بمعنى أنْ تكون النفس محكومة بالعقل وصاعدة في قوس الصعود وواصلة إلى مقام العقل فتكون النفس وتصرفاتها عين إرادات العقل من دون أنْ يكون إلتفات إلى جنبة التعلق بالمادة في مقام العقل.

وهذا واضح في نفوس أهل البيت عليهم السلام كذلك من أفنوا نفوسهم في عقولهم بمخالفتها كسلمان عليه الرحمة وغيره من صحابة أمير المؤمنين عليه السلام وأصحاب باقي الأئمة عليهم السلام، و السيد الخميني على ما عرفناه.

ويمكن للمرء منَّا أنْ يعرف ذلك عن طريق فعل جميع إرادات الله عزّ وجلّ، بل وعدم إرادة ما يخالف الشرع والعقل و يمكن تحصيل ذلك بشكل مطلق تباعاً.

٢- **شدة إرتفاع النفس عن هاوية الوهم**: بمعنى السيطرة على طائر الوهم في جولته الخيالية، وكذلك سلامة الذهن وصفحة المعلومات من أدنى شك وتشكيك في الإعتقادات و المستحبات وما علم رجحانه عقلاً وشرعاً. وفي هذه الحالة يحق للشخص أنْ يرجع إلى وجدانه في حالة فقد الدليل إذ لعلَّه برجوعه إلى وجدانه يتضح له الأمر أكثر ممّا يساعد في تثبيت وتعلم المطالب الحكمية.

٣- **صدق مرافضة النفس لضريبة الحسّ**: من المعلوم أنَّ العلوم الحسية هي رأس مال العلوم، وهي العمدة في تعاملاتنا، وهنا نريد أنْ نجعل النفس تأنس بالغيبيات

والمجردات دون الحسيات فقط، وأنْ لا تقبل النفس مايفرضه عليها الحس من معلومات وإلا قد تطلب النفس في بعض الموارد إذا بقيت تأنس بالحسيات كما طلب قوم موسى ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾[1].

٤- **مهاجرة النفس لإقليم الطبيعة:** بمعنى أنْ تترك النفس من حيث لا عودة لإقليم المادة والطبيعة الذي هو من بلاد الكفر والذي يجب الهجرة منه، وإلا صارت متعربة بعد الهجرة حيث أنَّنا قد هاجرنا إلى أرض الإيمان في أصل الخلقة وهي الفطرة السليمة. فلابدّ من رجوع النفس إلى ماخلقها الله عليه من الفطرة المخمرة.

٥- **خفض الجناح للوالدين:** قال تعالى في حكم لقمان: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[2]، وذلك من موجبات التوفيق خاصة إذا صحباك(الوالدان)بدعائهما ورضيا عنك لأنَّ رضا الله تعالى من رضاهما وأغلب الناس قد يبتلون بعدم التزام أهاليهم ممّا يجعلهم ينفرون عنهم بحجة الإلتزام الديني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا خطأ بل أنَّ معاشرتهم بالمعروف وموازنة الأمور من علامات العقل ومقتضيات الحكمة .

٦- **عدم رفع الصوت عند النبي ﷺ:** وهذا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[3]. وقد وضّح القرآن المجيد ذلك في نفس المورد﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[4].

---

١ سورة النساء الآية ١٥٣.

٢ سورة الإسراء الآية ٢٤.

٣ سورة الحجرات الآية ٢.

٤ سورة الحجرات الآية ٤.

فرفع الصوت دلالة على عدم العقل، وخفضه نابع من الحكمة والعقل إذ ما الداعي إلى رفعه؟ وهل يليق بمقام النبيصلى الله عليه وآله وسلم أنْ يُرفع الصوت في حضرته على أي حال من الأحوال، وطبيعي إنَّ المقصود من النبي هنا هو شخصهصلى الله عليه وآله وسلم ومن يمثله من الائمة الطاهرين والعلماء العاملين والأساتذة المربّين.

٧- **الصمت:** قد تعرضنا له في مباحث متقدمة في المرحلة الأولى في التهيئة للتخلية ضمن النقاط الخمسة والعشرين. والروايات المباركة مشحونة بفضل الصمت وأنَّه يدلُّ على رجاحة العقل والحكمة، فكم من موقفٍ حادٍّ وشديد يحلّه الصمت حفاظا على الدين والأخلاق وتجنب المشاكل حتى قيل﴿إنَّ مِنَ الصَمتِ لَحِكْمَةٌ﴾وفي روايةٍ: إنَّ لقمانعليه السلامقال: ﴿ الصمت حكمة، وقليل فاعله ﴾[1].

٨- **التسليم و الرضا:** وهما شيئان وليسا شيئاً واحداً أوضحهما الإمام الخميني رحمه الله في جنود العقل والجهل وفرق بينهما في ص١٤٩ وكان من ضمن ما ذكره: ﴿ إعلم إنَّ الرضا عبارة عن سرور العبد من الحق تعالى شأنه وإرادته ومقدراته وهو فوق مقام التسليم ودون مقام الفناء ﴾[2]. حيث أنَّ هاتين الصفتين بل المقامين ناشئان من كمال العقل ورجحانه وبلوغ الحكمة بعد أنْ عرف بعقله و حكمته أنَّ الله عزّ وجلّ خالق كل شيء والمتصرف فيه فلماذا لا يسلم له ويرضى بفعله ويسر به؟.

---

١ البحار ج١٣ص٤٢٥.

٢ جنود العقل والجهل ص١٤٩.

يقول سعدي الشيرازي:

بـه جهـان خـرّم از آنـم كـه جهـان خـرّم از اوسـت

عاشـقم بـر همـه عـالم كـه همـه عـالم از اوسـت

يعني:

أنـا مسـرور في العـالم ممّـن العـالم مسـرور منـه

وأنـا عاشـق لجميـع العـالم لأنَّ جميـع العـالم منـه

٩- المعاشرة بالمعروف: وهذه عامة وهي غير ما للوالدين وإنْ دخلا فيها فالمعاشرة بالمعروف التي نقصدها هي المعاشرة العامة لجميع الناس ولو بالسلام عليهم أو بالهدية البسيطة لأنَّ ذلك يدل على سعة العقل وحكمته فهو يستطيع التعامل مع جميع الناس على الرغم من إختلاف أقوالهم واتجاهاتهم ونفسياتهم.

١٠- عدم الحرص: حيث يؤدي إلى نقص في العقل ودعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الإستعاذة الذي أوله: ﴿اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرْصِ﴾[١] واضح في ذلك، إذ الحرص يضعف القلب بسبب إستيلاء الوهم عليه، والوهم يعارض اليقين. فالمبتلى بالحرص مضروب العقل عديم الحكمة.

١١- التوكل: بأنْ يَكِل جميع أموره إلى الله عزّ وجلّ سواء بمزاولة الأسباب أو بدونها مما يخفف عليه مؤونة التفكير والتدبير وإعمال النظر في شؤونه الدنياوية، فيخلو له الوقت للحكمة ويبدأ العقل بالتفكير بصورة أوسع وأدقّ.

---

١ الصحيفة السجادية الكاملة/ الدعاء الثامن.

١٢- التفكر: بمعنى أنْ يكون له وقت أو يكرس اغلب الوقت إنْ لم نقل جميع الوقت في إعمال النظر في الأنفس والآفاق حتى يترقّى إلى معرفة الأسماء والصفات ثمّ تمثيلها ثمّ الحيرة في الذات، ولا غرو في كون وقته كلّه تفكيراً، بعدما عرفت من إمكان مزاولة الأعمال والعيش مع الأهل و العيال ولكنّه غارق في عالم الحق ذي الجلال.

١٣- التعلم: بأنْ يستمر في تعلمه و تعليمه بلا توقف ولا تحديد لذلك بحد مما يساعد على تغذية الذهن والعقل وبقاءه يعمل باستمرار و يزيد من رصيده المعلوماتي فيعتاد على العلم ونحقق الحكمة و تكون الطابع الطاغي والعام عليه.

١٤- العِبرة(بكسر العين): بمعنى الإتعاض و التتبع لسير الأولين المعبّر عنها بسنن التاريخ التي ذكر القرآن قسماً كبيراً منها من أحوال الأنبياء و أقوامهم وزيادة على ذلك فإنّا نتمكن أنْ نعتبر أكثر من سيرة الأئمة عليهم السلام والسلف الصالح من العلماء الأعلام. وتتبع حالتهم التي تعاملوا بها بعقولهم وهذا يعني مشاركة الجميع في عقولهم خاصة الطبقة العليا من الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام وهذا يقوي الحكمة وينشط العقل.

١٥- معرفة الأضداد: بمعنى أنَّ يتعرف إلى المتقابلات لكي يتسنى له تمييز ما له وما عليه. وكذلك لكي يتبنى أحد الضدين دون الآخر إذ من غير المعقول أنْ يتبنى كلا الضدين مما يساعده في التصرف بحكمة في جميع الأمور وهذا يدل على سعة عقله وحكمته. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ إعلموا إنَّكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تَركَه، ولم تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نَقَضَه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نَبَذَه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرَّفه، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تعدّى ﴾[١].

---

١ موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري ج٢ ص١٣.

وقد سمعنا من كبرائنا أنْ نتعلّم حسن الخلق يكون من شخص سيّء الخلق: بأنْ نرى ما يفعله ونمقته وبالتالي لا نفعل فعلته.

١٦- **حسن اليقين:** وهو الرضا بقضاء الله، حيث أنَّ للناس يقين بالأشياء حسب درجته ولكن متى ما يكون ذلك اليقين أحسن من غيره؟ إنَّ له حالات عديدة منها: الرضا بقضاء الله عزّ وجلّ، فإنَّ صاحب اليقين الحسن يتمتع بنفس عالية محكومة من قبل العقل فتراه يتصرف بحكمة نتيجة إعتماده على الله عزّ وجلّ واتكاءه عليه.

وقد روي عن النبي ﷺ إنّه قال: ﴿ما أُعطي عبد أفضل من حسن اليقين والعافية، فسلوا الله حسن اليقين والعافية﴾[١]، وقد وصف لقمان الحكيم من قبل النبي ﷺ بقوله: ﴿لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه ومنَّ عليه بالحكمة﴾[٢].

١٧- **الشعور بالفقر:** بمعنى أنْ يلتفت إلى أنَّ الموجود الحقيقي هو الله عزّ وجلّ وإنَّ جميع ما سواه مفتقر إليه خاصة طالب الحكمة فإنَّه نتيجة وصوله إلى بعض المراحل وجمعه لبعض المعلومات قد يتوهم أنَّه حصل على الولاية التكوينية بتحصيله تلك المعارف لذا فالشعور بالفقر يجعله لا يقع في هذه الورطة بل أنَّ الله عزّ وجلّ يفتح عليه باب الحكمة لعدم استكباره وخضوعه لمقام الحق تعالى.

١٨- **العبودية:** بأنْ يستشعر سلب القدرة وسلب الملكية منه فلا يرى لنفسه أي وجود أمام وجود الباري جلّ وعلا وأنْ يستحضر وجوده تعالى دائماً ويحافظ على وجوده في حضرته تعالى كي يفيض الله عزّ وجلّ عليه من حكمته.

---

١ كنز العمال للمتقي الهندي ج٢ ص٦٢٦.

٢ موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري ج٢ ص٤٧٤.

١٩- حب الله عزّ وجلّ: إذ حبّه تعالى موجب للإرتباط بـــه واستشعاره ممّا يدل على تجرده وسعة عقله، وقد حصل لقمان الحكيم رضوان الله عليه على هذه المرتبة من الحكمة نتيجة حب الله ﴿ أحب الله فأحبه ومنَّ عليه بالحكمة ﴾[١].

٢٠- البصيرة: بأنْ يستغل الإنسان جميع ما أعطاه الله عزّ وجلّ من جوارح وجوانح وحواسه الظاهرة والباطنة لكي يستعملها في معرفة ومعرفة الوجود حتى تفتح عليه أبواب الحكمة بفتح عين بصره وبصيرته، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿ ألا إنَّ للعبد أربعة أعين: عينان يبصر بهما أمر آخرته، وعينان يبصر بهما أمر دنياه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما الغيب، وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه ﴾[٢].

وهناك أمور كثيرة تساعد على تحصيل الحكمة نضرب عنها صفحاً خوف الإطالة وفي ما ذكرناه الغنى بعد تثبيت جنود العقل المتعلقة بالحكمة.

كلمة أخيرة:

قال صدر المتألهين رحمه الله: ﴿ فإنّي مدة عمري هذا وقد بلغ الأربعين ما رأيت أحداً من المعرضين عن تعلم الحكمة إلا وقد غلب عليه حب الدنيا والرئاسة فيهـــا. والإخلاد إلى الأرض وقد صار عقله مسخّر الشهوة في استنباط الحيل للوصول إلى المستلذات الجسمانية ﴾[٣].

---

١ موسوعة العقائد الإسلامية للريشهري ج٢ ص ٤٧٤.

٢ الخصال للشيخ الصدوق ص٣٦٧.

٣ المبدأ والمعاد ص ٣٠٠.

اللهم إفتح علينا باب حكمتك برحمتك ونور قلوبنا بمعرفتك وآتنا الحكمة فإنَّك قلت: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[١].

ملاحظة: إلى هنا تمّ ثلث الأخلاق باكمال فرع من الفروع الثلاثة الرئيسية. ولكن يمكن انْ يقال: بأنَّ ما تمّ هو كل الأخلاق لأنّنا أخذنا أمهات مطالب الأخلاق لأنَّ العقل هو الحاكم على النفس بتحقق حكومته يعني تحصيل الأخلاق وحكومة العقل إنَّما تدرك سيطرة جنوده في فروع الحكمة.

إنعطافة من الحكمة النظرية إلى الحكمة العملية

كل ما تقدم ذكره من الأمور التي تتعلق بالحكمة بالإضافة إلى ما درسنا من بحوث الحكمة في الفتوحات العلوية يُعَدّ من الحكمة النظرية ونريد الآن أنْ نفرّق بينها وبين الحكمة العملية التي تترتب عليها بعض المباحث المتقدمة وما يأتي من مباحث بالإضافة إلى ربط الأخلاق الحكمة حيث أنّنا نرى عملهما معاً بدون فصل، وليس غرضنا من هذا البحث التعرض للفروقات بين الحكمة العملية والنظرية والآراء التي فيها لأنَّ هذا ليس محل الكلام فيها وإنَّما يبحث في الفلسفة. هذا مضافاً إلى أنّنا نقول باتحاد الحكمتين بنحو يكون كل منهما جزء العلة لتحقيق الوصول إلى الإنسان الكامل الذي هو نتيجة علم الأخلاق والفلسفة وإلا فالحكمة واحدة وهي الحكمة الحقيقية الموصلة إلى معرفة حقائق الأشياء.

---

١ سورة البقرة الآية ٢٦٩.

والحكمة العملية: هي المقدمة للوصول إلى مقام الإنسان الكامل بمعنى هي المعلومات التي تخلق الإرداة الجدية لكافة الأعمال التي تنمي قابليات الإنسان وتدنيه من غاية خلقه ومن الكمال المطلق.

ومن جهة أخرى تطلق الحكمة العملية على نفس علم الأخلاق.

وما وفقنا الله عزّ وجلّ به من تدريس الفلسفة والحكمة على مدرسة الوحي بعد أنْ قطعنا وطراً من البحوث الأخلاقية، هو عين تطبيق الحكمة العملية.

ونحن نذهب إلى أنَّه عبثاً يحاول كل من يدرس الفلسفة دون بناء النفس بالبداية بناءً أخلاقياً.

وتدريس الأسفار العقلية الأربعة من قبل أي أستاذ لابدّ أنْ يكون الأستاذ قد قطع الأسفار العملية الأربعة. والطالب الذي يدرس الأسفار لابدّ أنْ يُتابَع من قِبَل الأستاذ علماً وعملاً وكيف ينتقل إلى السفر الأول مالم يشعر بالوحدة؟ كيف ينتقل إلى السفر الثاني مالم يكن حقياً! كيف ينتقل إلى السفر الثالث من لم يشرق نور الحق في وجهه بين الناس؟ وكيف يدور في السفر الرابع من لم يهد الناس ويوصلهم إلى خالقهم ويترأسهم في جميع شؤونهم. المهم أنْ يخلق العلقة الزوجية بين العقل والنفس اللذين ارتبطا في عالم الجبروت وحكومة العقل على النفس.

المقصد الرابع

العفـــــة

وفيها فصول

توطئة

بعد أنْ أنهينا فرعاً كاملاً من شجرة الأخلاق وما يتعلق بها وذكرنا إنَّ فرع الحكمة يفيء بظلاله على باقي الفروع لحاكمية العقل على النفس.

وقبل الدخول في فرع آخر نحتاج إلى توطئة للدخول في الفرع الثاني ليس من باب المقدمية، بل من باب المراقبة والمحاسبة ونرى ماهو مقدار ما قطعه السالك من الطريق في فرع الحكمة لكي يحاول مراجعة نفسه في الفرع المنصرم قبل الدخول في فرع جديد ولأمير المؤمنين عليه السلام كلمة مباركة في هذا المجال قال عليه السلام: ﴿فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ راجِعٌ؟!﴾[1] وهذا الحديث الشريف يبيّن أنَّ هناك حركة أصيلة لابدّ من مداومتها ومراجعتها بإستمرار وهذه الحركة تقدم الكلام عنها بأنّها قهرية نتيجة الفطرة التي أودعها الله عزّ وجلّ في الإنسان ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2].

هذا ولكنّ الإنسان بعد نزوله من عالم الأمر والملكوت إلى عالم الخلق والناسوت قد أعمى بعض فطرته أو كلّها وإستبدل الهداية التكوينية بالإنقياد إلى نفسه.

لأجل هذا أطلق أمير المؤمنين عليه السلام هذه الكلمة: ﴿فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ: أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟!﴾ والذي يلوح من الحديث أنَّ المرء لايخلو إمّا أنْ يكون سائراً أو راجعاً.

والسير وإنْ كان أعم من الرجوع والتقدم ولكن المقصود هنا هو التقدم بقرينة المعادلة مع الرجوع.

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ١٥٤.

٢ سورة طه الآية ٥٠.

هذا ولكن حالات المرء ثلاث وهي﴿التقدم(السير)، والرجوع، والتوقف﴾والسير والرجوع كلاهما حركة، والتوقف سكون، والأصل في الإنسان أنْ يكون متحركاً وحركته إيجابية لأنَّ الحركة قد تكون إيجابية وهي التقدم أو سلبية وهي الرجوع قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾[١]. فكون الإنسان راجعاً أو متوقفاً يكون خلاف الأصل وخلاف الآية الكريمة والرجوع إنَّما يكون كما فرضه الله تعالى وإنْ كان ألعنُ من التوقف ولكنّهما بحكم واحد، حيث كُلاً منهما ليس سيراً وكدحاً وتقدماً ولعله لأجل هذا لم يذكر الأمير ﷺ حالة التوقف لأنَّها متحدة الحكم مع الرجوع، والنتيجة لابدّ من أنْ يعرف الإنسان أنَّه يسير في طريق الحصول وممنوع عليه أنْ يتراجع أو يقف، وللسير والحركة هذه آراء ونظريات لاتخلو من الفائدة من معرفتها لكي يعين الإنسان على معرفة منهجه في السير فإنْ كان له منهج فيها،وإلا إختار له منهجاً.

النظريات المطروحة في سلوك الطريق الإلهي (كيفية تدرّج الإنسان)

أولاً: نظرية العرفاء: وهذه النظرية قائمة على قضية أساسية وهي: معرفة النفس والسير في منازلها إلى أنْ تظهر الوحدة المطلقة في مرايا آياته حتى يتوحد بأنواع التوحيد الثلاثة وهي:

التوحيد الأفعالي: بأنْ يشاهد جميع الأفعال الحسنة فانية في فعله تعالى وهو المعبّر عنه بمقام الرضا[٢].

التوحيد الصفاتي: ويكون بمشاهدة جميع الصفات الكمالية فانية في صفاته تعالى.

التوحيد الذاتي: وذلك بأنْ يدرك أنَّ جميع الذوات فانية، وذاته تعالى باقية[١].

---

١ سورة الإنشقاق الآية ٦.

٢ يأتي توضيحه.

ونظرية العرفاء هذه من أدقّ الطرق وأصعبها وهي تجري على نحوين مرتّبين أيضاً نظري وعملي.

أمّا النظري: فهي معرفة إنَّ الوجود حقيقة واحدة ومعرفة إطلاقها وتعين مظاهرها بحيث يمكن أنْ تتبلور وحدة الوجود في موجود واحد يكون بيده زمام إفاضة الوجود على جميع الموجودات.

وأمّا العملي: فهو الشروع في اليقظة[٢] والإنتهاء إلى التوحيد.

وهذا المنهاج واضح لمن تتبع أبحاثنا.

ثانياً: نظرية الحكماء: وهذه النظرية قائمة على أنَّ كمال الإنسان في عقله العلمي والنظري وقد ذكرنا سابقاً في أكثر من موضع أنَّ العقل لايتعدد وإنَّما المتعدد هو المعقول فهو الذي يكون نظرياً أو عملياً وسمي العقل كذلك بإسم لازمه، وكيفية نظرية العرفاء في كمال الإنسان في عقله.

أمّا كمال العقل النظري: فيكون بتأثر علمي بما فوقه بأنْ يصل العقل إلى مرتبة العقل المستفاد بحسب تسلسل العقول[٣].

وأما كمال العقل العملي: فيكون بالتأثير عملاً فما دونه بأنْ يبلغ مقام الفناء بعد التخلية والتحلية والتجلية.

والمتتبع لمنهجنا يلحظ ذلك أيضاً.

---

١ لايخفى أنَّ هذه الأنواع الثلاثة للتوحيد متدرِّجة ومُرتبة فلابدَّ من تحصيل الأفعالي ثمّ الصفاتي ثمّ الذاتي.

٢ بحثنا اليقظة في مقدمة هذا الكتاب وهي الفصل الثالث من التهيئة للتخلية فراجع.

٣ ذكرنا أنواع العقول ورتبناها في مباحث الجوهر من الفتوحات العلوية.

ثالثاً: نظرية علماء الأخلاق من اصحاب الحديث: وهذه النظرية تعتمد على الروايات في تطبيع الأخلاق ومنهجيتها وعمدة تلك الأحاديث هو حديث جنود العقل والجهل، وكمال الإنسان وسير حركته هو اتصاف الإنسان بجنود العقل وعدم اتصافه بجنود الجهل.

واصحاب هذه النظرية يرون إنَّ جنود العقل لاتجتمع إلا لنبي أو وصي أو مؤمن إمتحن الله قلبه للإيمان.

والمتتبع يرى أنَّنا هنا أيضاً إعتمدنا هذه النظرية.

ومن كل ذلك نعرف أنَّ مسيرتنا في هذا الطرح والكتاب جامعة لجميع المناهج وليس هذا إلا بتوفيق الله عزّ وجلّ ومدد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وتأييد الإمام صاحب العصر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

مقومات السير

كل فعل وعملية تحتاج إلى مقومات ومقتضيات لإتمامها كما تحتاج إلى رفع الموانع التي تعتريها، والسائر على الطريق على مفترق توفير المقومات للسير ومعوقاته.

فهو أشبه بشخص موجود في نقطة أمامه خمسة درجات وخلفه خمسة دركات، تمثل الدرجات الأمامية مقومات السير والدركات الخلفية معوقات السير فإنْ تراجعَ أو بقي على مكانه خالف الشرع والعقل بعد أنْ تثبت ضرورية الإنسان إلى ربه وإنْ قدم إرادته وإعتقاداته على درجات الصعود وصل إلى مبتغاه.

ومقومات السير خمسة هي:

١- **معرفة الهدف الحق والطرق إليه وكيفية السير:** وهذه كلّها من لوازم الحركة ونعني بالهدف هو الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل ومظهرية الأسماء الحسنى وتمثيلها الذي هو فرع المعرفة الإلهية ولايتوهمنَّ أحد أنَّ العرفان هو الهدف وإنَّما هو طريق الوصول إلى الهدف وكذلك إنَّ العبادة ليست هي الهدف بل هي طريق لتحصيل القرب من الحق تعالى والهدف الأسمى هو الوصول إلى ساحة قدس الحق.

٢- **الهجرة من الرجس والرجز المعنوي والمادي**[1]: وجّه الله تعالى الأمر إلى حبيبه الإنسان الكامل صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرتين ودعا إليهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[3]، والهجرة مهمّة في المقام لأنَّها تقتضي ترك كل ماسوى الله لكي يسهل طريقه.

٣- **السرعة:** وهي تعني طيّ المراحل، بل أنَّ المقصود منها هو العزم القوي لكي يستطيع السائر تجاوز العقبات التي تكون في الطريق، وإنَّما عبّرنا عنها بالسرعة لأنَّنا نعني بها مراحل السير وعدم الإكتراث إلى ما يعتري السالك لأنَّ المسير الإعتيادي يمكن أنْ يقف ويتلكأ في حالة وجود العقبة فإذا زاد من سرعته عن وجود فإنَّه يتجاوزها

---

١ مر في أكثر من مورد معاني الهجرة وأقسامها ونفصّل الكلام فيها في الرسالة السياسية الملحقة في مبحث الشجاعة.

٢ سورة المدثر الآيات ١ — ٥.

٣ سورة النساء الآية ١٠٠.

ولايقف ولايتلكأ وعليه ستكون السرعة هي نفس السير قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[١]

٤- السبق بعد السرعة: وهي ظاهرة في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[٢]، وفائدتها هو الزيادة في السرعة لأنَّ الطريق طويل قد يشعر السالك فيه بالملل، خاصة إذا لم تتجل أنوار الحق أمامه وتبرق في نفسه فمن دون الإستباق قد يظل السائر في مكانه والإستباق يتحقق بالتفاني في التقرب إلى الله عزّ وجلّ والإزدياد من نثر الروح في طريق المحبوب.

٥- الإمامة: وهي من مختصات السفر الثاني من الأسفار الأربعة وآخر درجات السير والنتيجة الكلية لجميع الأسفار الأربعة قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾[٣]، وهي مرتبة الدوران الحقي في الخلق المتجسد بحركة الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعلماء العاملين والعرفاء الشامخين وتحصيل مقام الإمامة وهذا ممكن لأي إنسان.

والإمامة هنا هي التمثيل الإلهي وهي أعم من إمامة المعصومين عليهم السلام وإلا أُغلق الباب في السير والسلوك عند خاتم الأوصياء بقية الله الأعظم أرواحنا لتراب مقدمه الفداء وقد تجسد لنا الوصول إلى هذا المقام في كثير من الأولياء من غير المعصومين وفي عصرنا صار أوضح مصاديقه الإمام الخميني قدّس الله نفسه الزكيّة وأفاض على تربته شآبيب الرحمة والرضوان وببلوغ هذه المرتبة (الإمامة)يتحقق السير والصعود.

هذه هي درجات الصعود ومقتضياته.

---

١ سورة آل عمران الآية ١٣٣ .

٢ سورة البقرة الآية ١٤٨ .

٣ سورة البقرة الآية ١٢٤ .

أمّا معوقات السير فهي مقابلة لدرجات الصعود وهي:

معوقات السير(دركات الهوى):

١- الجهالة المقابلة للعقل لا المقابلة للعلم[١]: لأنّ العلم قد يكون موجوداً ولكن من دون موازنة العقل قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لايَنْفَعُهُ﴾[٢]، وهذه من آفات الجهل البسيط بعدم التعلم وآفات الجهل المركب بالإبتلاء بما يصيب العلماء من العجب والرياء والإعجاب بالنفس وغيرها مما تقدم ذكره في الحكمة، فمثل هذا لايعرف الطريق أو قد يعرف طريقاً غير الطريق المستقيم.

٢- الهجرة:(أي الهجرة من الحق)وتعني أنْ يهجر الإسلام وتعاليمه كلاً أو بعضاً وهجر القرآن ومعارضة وإنكار جميع الأئمة أو بعضهم أو التشكيك في ولايتهم التكوينية وتمثيلهم لأسماء الله الحسنى وارتكاب المخالفات الشرعية أو التدنيس بالدنيا ومتعلقاتها الرذيلة. ومثل هذه الهجرة هي التي تظهر عند أهل السلوك المنحرف، وبذا ينكشف زيف إدعائهم من أنّهم على الطريق.

٣- السرعة(في الهجرة الكاذبة)وتعني التردّي والإيغال في الإنحراف والإجتهاد في طلب الدنيا والإستعجال في السعي إلى تحصيلها وبدرجة أكبر قال تعالى: ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾[٣].

---

[١] قد أوضحنا الفرق بين الجهل المقابل للعلم والجهل المقابل للعقل في فرع الحكمة عند الكلام حول العلم وهذه وعند الكلام حول أصل البحث في البداية عن جنود العقل والجهل فراجع.

[٢] نهج البلاغة/ قصار الحكم/ الحكمة ١٠٢.

[٣] سورة الفجر الآية ١٩.

٤- السبق الكاذب: وهو توهم إدراك الحق ومتعلقاته وبلوغ المرام قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴾[١].

٥-الإمامة الكاذبة: وهو بلوغ أسفل مراتب الإنحراف والإقتراب من الإبليسية والاتحاد معها والوصول إلى مرتبة الإحراق بكونهم وقود النار ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ ﴾[٢]، وهؤلاء الأئمة قال فيهم القرآن العظيم: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ ﴾[٤].

هذه هي دركات الهوي، والكائن عليها وإنْ كان متحركاً ولكنّه متحرك بالحركة السلبية ولايخفى أنَّ الساكن والمتحرك بالحركة السلبية كلاهما يعاقبان، لأنَّ الساكن مخالف للفطرة وهذا سيكون راجعاً بالقهر، أمّا المتحرك بالحركة السلبية فهو خلاف الشرع وهو راجع إختياراً وما أئمة الكفر والضلال منذ خلق آدم وإلى يومنا هذا إلا مصاديق الرجوع بكلا صورتيه فإنتبه يرحمك الله.

هذا ما أردنا توضيحه، وكمراقبة لما مضى وتوطئة لما يأتي.

---

١ سورة الأنفال الآية ٥٩.

٢ سورة البقرة الآية ٢٤.

٣ سورة التوبة الآية ١٢.

٤ سورة القصص الآية ٤١.

العفة(نظرة عامة)

هذا هو الفرع الثاني من فروع شجرة الأخلاق وهي تعني عدم الميل بالشهوة إلى طرفي الإفراط والتفريط، والكلام فيها تارة يكون حول العفة كفرع من فروع الشجرة، وتارة كأحد جنود العقل بحيث يُبحث ما يقابله وإنْ كانا بحسب الذات واحداً، أمّا العفة كفرع مستقل فموقعها بحسب منهجيتنا بعد الحكمة، والعفة كما هو معلوم هي الكبح للقوة الشهوية، إذ قد عرفت مما تقدم إنَّ الفروع الثلاثة للشجرة إنَّما تكون في مقابل قوى النفس الثلاث لكي يتمّ معادلتها وكبحها، فالحكمة مقابل القوة الوهمية والعفة مقابل القوة الشهوية والشجاعة في مقابل القوة الغضبية.

بالأخرة تكون العفة هي القوة والملكة المعادلة لقوة الشهوة البهيمية ويمتاز هذا الفرع بوجود فروع جانبية وتفاصيل تقع تحته كلّها تتعلق بكبح الشهوة والمعروف أنَّ الشهوة شهوتان وفي مقابلها العفة عفتان فالشهوتان هما الفرج والبطن والعفتان عفة البطن وعفة الفرج.

والكلام يقع في الجنود التي تقع تحت العفة وفق منهجية جنود العقل والجهل وشجرة الأخلاق والبحث سيقع في فصول:

الفصل الأول

العفة وضدها التهتك

العفة: وهي الخُلق الذي يصدر عنه الأفعال المتوسطة بين الفجور والخمود، ومنه يعلم إنَّ طرفي العفة وحدّيها الفجور والخمود، فطرف الإفراط هو التهتك والشره ويسمى التهتك بالفجور أيضاً وطرف التفريط هو الخمود.

أمّا الخمود: فهو التفريط في كسب ضروري القوت والفتور عمّا ينبغي من شهوة النكاح بحيث يؤدي إلى سقوط القوة وتضييع العيال وإنقطاع النسل.

وإنَّما قدمنا الكلام عن الخمود لسببين وهما:

الأول: إنَّه غير واضح لأغلب الناس حيث أنَّ البعض يعتبره خلق جيد وطريق عرفاني للوصول إلى الله عزّ وجلّ والحال إنَّ هذا التوهم باطل بالضرورة لما هو واضح وثابت في العقل والنقل من إحتياج الإنسان في أصل خلقه إلى سكن يأوي إليه ومشاعر يتفاعل معها لضبط توازنه في مرافق حياته قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[1]، وقال ﷺ: ﴿ ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجةً مؤمنةً صالحةً تعينه على أمر الآخرة ﴾[2].

والنبي ﷺ هو الإنسان الكامل والهادي إلى صراط المستقيم يأمر باتخاذ الزوجة، ونحن لانريد في هذا المقام ذكر فوائد الزواج ومذام الخمود خوف الإطالة، ولكن نجمل القول في كلمة واحدة وهي: إنَّ الإنسان محتاج إلى الإستقرار والتوازن في جميع حالاته وطوال

---

١ سورة الروم الآية ٢١.

٢ كنز العمال ج٣ ص٥٧.

عمره وهذا لايتحقق إلا بالزواج ومن اتصف بالخمود حرم هذه النعمة وبدا غير متوازن حتى في علاقاته مع الله وفي عبادته وطلب العلم.

الثاني: إنَّ هذا المرض قليل البلوى فنادراً ماتجد شخصاً يبتلى به لأنَّ المرض العضال هو التهتك والشره والفجور اللهم إلا بعض المشتبهين والمتنسكين الواهمين أنَّ الإبتعاد عن الجنس يقصر الطريق ويوصلهم إلى الله على اعتبار إنَّ فيه مخالفة النفس ومشتهياتها، غافلين عن الفرق بين الإعتدال وإستمرار النوع وبين الشهوة الحيوانية.

علاج الخمود

١- فهم طريق العرفان والسلوك فهماً حقيقياً إسلامياً وعلى يد شيخ عارف معروف.

٢- قراءة ودرك سنن السلف الصالح ومعرفة حالهم فقد نقل عن السيد القاضي رحمه الله إنَّه كان متزوجاً من أربع نساء بالإضافة إلى المنقطع وأنَّ جميع العارفين الشامخين قد تزوجوا ولم ينقل التاريخ وكتب السيرة أنَّ أحداً منهم لم يتزوج ولو كان لبان.

٣- تتبع سير الأنبياء والأئمة عليهم السلام وكيفية إرتباطهم بعوائلهم وأنَّهم كلّهم قد تزوجوا إلا عيسى عليه السلام لسبب تكويني.

٤- معرفة فوائد الزواج ومضار الخمود وتأثير ذلك على الحياة الإجتماعية والعلاقة الإلهية.

٥- تتبع النصوص التي تدعو إلى الزواج.

وأمّا التهتك ويسمى بالفجور وبالشره

فالفجور: إنَّما يكون في مقابل عفة الفرج فقط.

وأمّا التهتك: وإنْ كان منصرفاً إلى مايقابل عفتي البطن والفرج حسب الظاهر، لكن إنصرافه إلى مايقابل عفة الفرج أظهر وبهذا يتقارب معنياً واستعمال الفجور والتهتك.

وأمّا الشره: فهو واضح في مقابلته لعفة البطن والفرج وعليه فمن أراد أنْ يتكلم عن العفة يتكلم في مقابلها عن الشره لأنَّ ذلك أوضح لأذهان العوام بعد أنْ صار طرح مثل هذه المباحث لأكثر الناس إبتلاءً بها وهم العوام.

والشره: هو إطاعة شهوة البطن والفرج وشدة الحرص على الأكل والجماع وربما فُسّر بإتبّاع القوة الشهوية في كل ماندعو إليه من شهوة البطن والفرج وهذا يعني إسترسال القوة الشهوانية وإنبساطها.

وهذه الصفة الذميمة إنَّما تنتج من الطينة المحجوبة التي فقدت نورها الإلهي التي لابدّ أنْ ترجع إليه فلإنَّها مظلمة سعت وراء كل الظلام وأعمت عينها الملكوتية بما ملأت به عينها الملكية لذا تجعله يطلب ما تدعوه إليه نفسه من مشتهياتها وفي مقابل هذا فإنَّ العفة من الفطرة المخمرة التي تتصل ببارئها وقداسته وجلاله عن مثل هذه الأمور فهي تقوي الروح وتجعل صفات الباري وأفعاله ميزاناً لصفاتها وأفعالها.

ثمّ اعلم أنَّ جندي العفة من النوع الذي يدخل بالتدريج ولكنّه يحتاج إلى التدريج من جهة، والإستيلاء والهيمنة من جهة أخرى.

أمّا الأول(التدريج): فإنَّ العفة تبدأ ومضة في عالم الروح المظلم المنغمس باللذات ثمّ يزداد ضوؤه شيئاً فشيئاً حتى يعفّ بالكامل، لذا ترى في الناس من يعفّ في جانب ولايعفّ في آخر كمن يعفّ بطنه ولايعفّ فرجه أو بالعكس وقد يعفّ في جانب من جوانب الفرج دون الآخر وهكذا، وليس ذلك إلا تبعاً لرغباته التي توجه إليها حال إعماء فطرته ومقدار الجهد الذي يبذله للتخلص منها وفي المقابل إنَّ جندي الجهل (التهتك والشره)يخرج بالتدريج أيضاً إلى أنْ يخرج بالكلية بإستيلاء العفة.

ولكن هناك نقطة مهمّة يجدر الإلتفات إليها: وهي إنَّ السالك في حال التخلص من التهتك وتثبيت العفة لايسمى عفيفاً لأنَّ العفة لاتتحقق إلا بالإستيلاء، وإنَّما هو سائر على الإصلاح والعفة فمادام في طريق الإصلاح فهو عفيف في الجملة، وقد تحدث مصيبة كبيرة من جراء لقمة واحدة وهذا المعنى يصوره مولانا في الأبيات التالية:

آفت اين در هوا وشهوت اَست

ورنه اينجا شربت اَندر شربت اَست

اين دهان بربند تابيني عيان

چشم بند آن جهان حلق ودهان

اى دهان خود دهانه ى دوزخي

وى جهان تو بر مثال برزخي

نور باقي پهلوي دنياى دون

شير صافي پهلوي جوهاى خون

چون در او گامي زني بي اِحتياط

شير تو خون مي شود اَز اِختلاط

يك قدم زد آدم اَندر ذوق نفس

شد فراق صدر جنت طوق نفس

همچو ديو اَز وى فرشته مي گريخت

بهر ناني چند آب چشم ريخت[1]

---

[1] مثنوي معنوي/ دفتر دوم الأبيات ١٠-١٦.

يعني:

آفـــة هـــذا البـــاب ليســـت إلا الهـــوى والشـــهوة

وإلا فهنـــاك مـــورد لاينضـــب مـــن شراب الـــروح

إنَّ الفـم والحلـق همـا الربـاط والحاجـب الـذي يحجـب عـن العـين ذلـك العـالم الروحـي

فلتُغلـــق هـــذا الفـــم لـــترى ذلـــك العـــالم الروحـــي عيانـــاً

أيّهـــا الفـــم إنَّـــكَ فوّهـــة الجحـــيم

أيّتهـــا الـــدنيا إنَّـــكِ لشـــبيهة بـــالبرزخ

النـــور البـــاقي ملابـــس لهـــذه الـــدنيا ذات الشـــأن الوضـــيع

فهـــو كالحليـــب يجـــري في الجســـد بجـــوار أوعيـــة الـــدماء

فـــإذا مـــا خطـــوتَ نحـــو هـــذا النـــور خطـــوة بـــدون احتيـــاط

صـــار حليبـــك دمـــاً جـــرّاء هـــذا الإخـــتلاط

لقـــد خطـــا آدم خطـــوةً واحـــدةً وراء ذوق الـــنفس

فأصـــبح لِزامـــاً عليـــه أنْ يفـــارق صـــدر الجنـــان

وأصـــبحت الملائكـــة تفـــرّ منـــه كـــأنّما هـــو الشـــيطان

ومـــا أكثـــر مـــا ســـكبَ مـــن الـــدمع والندامـــة لقـــاء لقمـــة

علاج الشره والتهتك

من المعلوم أنَّ لكل خلق سيء على خلاف الفطرة المخمرة علاجٌ، ومن العلاجات التي تذكر لهذا المرض:

١-معرفة مساويء الشره والتهتك والفجور وأنَّها من صفات الأراذل والكافرين ومعرفة نتائجة الموجبة للذم في الدنيا والعقاب في الآخرة.

٢- معرفة محاسن العفة ونتائجها وأنَّها من صفات تقديس الحق وأهل الحق.

وهاتان المعرفتان تتمّان عن طريق قراءة الروايات التي سنوردها آخر الفصل وكذلك من خلال قراءة سير الصالحين.

٣- أنْ يروض نفسه على الإعتدال في الطعام ومجانبة الشره جاهداً في ذلك حتى يزيل الجشع فإنَّ دستور الصحة الوقائي والعلاجي هو الإعتدال في الأكل وعدم الإسراف فيه كما وصفته الآية الكريمة ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[1].

٤ – معرفة الأمراض الجسدية المترتبة على الشره في البطن كالتخمة وفساد البدن وقد قيل: ﴿رب أكلة منعت أكلات﴾[2] و ﴿المعدة بيت الداء﴾[3]، وكذلك الأمراض المترتبة على شره الفرج كالسلس والآيدز والجنون وغير ذلك أجارنا الله وإياكم منها.

---

١ سورة الأعراف الآية ٣١.

٢ الخصال للصدوق ص٥١٢.

٣ المصدر السابق.

ويمكن ذكر بعض العلاجات الأخرى للمبتلى بالتهتك بمعنى شره الفرج بالأمور التالية:

أ- أنْ يتذكر المرء أخطار الإسراف الجنسي ومفاسده المادية والمعنوية.

ب- أنْ يكافح مثيرات الغريزة، كالنظر إلى النساء وإختلاط الجنسين وشرود الفكر في التخيلات.

ج- أنْ يضبط غريزته ويكفّها عن الإفراط في الطروقة ويجري الإعتدال فيها.

د- أنْ يعرف بأنَّ هذه أفعال الحيوانات فهو مثلها في هذا المجال.

هذا ما يُمكن أنْ يقال في العلاج من الشره في كلا نحويه ويبقى أنَّ كلّ إنسان يعرف علاجه بنفسه حسب شدة المرض فيه وأفضل علاج مع هذا كلّه هو ذكر الموت هادم اللذات وإدراك الصورة الملكوتية لهذا المرض وقد تعرض لها الإمام الخميني قدس سره ونحن نقتنص بعض عباراته لتوضيح المطلب.

الصورة الملكوتية للتهتك وتأثيراته الباطنية

لايخفى أنَّ لكل منا صورتين: **صورة ملكية وصورة ملكوتية.**

أمّا الملكية: فهذه التي تبدو للناظر بالعين الملكية الكثيفة الإعتيادية نتيجة صدور أشعة من الأجسام المرئية تنعكس على عين الناظر فيرى صور أجسام الأشياء.

أمّا الملكوتية: فهي تكون وراء هذه الصورة الملكية وهي حقيقة الأعمال والعلوم والأخلاق وهو منشأ التصرفات الخارجية في جميع الحالات، وأعني بذلك أنَّ الإنسان قد يبدو بتصرفات واقوال وحالات معينة قد يكون بعضها تصنعياً يتكلّف حصوله وفق وضع المجتمع الذي يعيش فيه وهذا مانجده في بعض تصرفات أصحاب الأتكيت أو بعض مايبدو من تصرفات وألفاظ الطلبة بإطراق الرأس عند المشي أو التصنع والتخضع في

الكلام، وقد يكون البعض الآخر ناشيء من سجيته الاعتيادية وهو مايظهر في البيت وعند الإرتياح مع الأصدقاء الذي يكون عادة خالٍ من التكلّف ومراعاة الظرف المحيط. وهذان النوعان من التصرفات والحالات يظهران منشأ الإختلاف بين الصورتين الملكية والملكوتية فالأول للأولى والثاني للثانية وهذا هو الإختلاف في تصرفات الشخص الواحد في الحالة الواحدة مع اختلاف الوقت بحيث لايتصف بالثبات مما يدلل على أنَّه قد تكلّف في أحد التصرفين ولمثل هذا الإختلاف يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى[١]:

ومهما تكن عند امرءٍ من خليقةٍ   وإنْ خالها تخفى على الناس تُعلمِ

والصورة الملكوتية التي نريد الإشارة إليها هنا هي حقيقة العلم والعمل والخلق الذي ينكشف لدى العارفين في الحياة والشكل المتجسد الذي ينزل إلى القبر في الممات وهو الذي سيحشر معه يوم القيامة والذي عبّر عنه القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٤].

---

١ ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٥٧.

٢ سورة آل عمران الآية ٣٠.

٣ سورة الزلزلة الآية ٦.

٤ سورة الكهف الآية ٤٩.

وهذه الصور الملكوتية تختلف باختلاف الخلق الذي تتصف به النفس، فالصورة الملكوتية للغضب هي السبعية، وللشهوة البهيمية، وللواهمة الشيطانية، وبعض الأخلاق تورث صورة القردة وبعضها الخنازير يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿والصورة الملكوتية الغيبية هي إمّا على صورة سبع من السباع المفترسة، إذا كانت الغلبة للقوة الغضبية، أو على شكل بهيمة من البهائم، إذا أصبحت الغلبة للشهوة، وأصبحت المملكة مملكة شهوية، أو على شكل شيطان من الشياطين، إذا كانت الغلبة للواهمة الشيطانية، ودخلت المملكة في تصرف الشيطان.

هذه هي الصورة الملكوتية البسيطة، وربما يكون لقوتين من هذه القوى الثلاث حكومة في المملكة. فالإنسان الذي يكون في الحال في كمال الغضب أيضاً. فمن ازدواج هاتين القوتين تظهر صورة ملكوتية مزدوجة ليست سبعاً محضاً ولا بهيمة ولا شيطاناً محضاً، ويحصل من تركيب كل اثنين من هذه القوة ثلاث صور، وربما تكون كل القوى الثلاث في الإنسان كاملة فيكون الباطن تابعاً للثلاث وتحصل منها صورة مركّبة من الصور الثلاث.

ويمكن للإنسان في ذلك العالم أنْ يكون له في آن واحد أثر من صورة واحدة أو يكون له في كل حال صورة، تارة سبُعية وأخرى بهيمية وثالثة شيطانية﴾[1]، والصورة الملكوتية للشهوة على ماتقدم كأنّها صورة حمار شبق لايراعى أين ومتى يظهر شبقه ولا من أين ومتى يأكل فهو يحمل شهوته على كتفه ينزلها كيف يشاء بدون مراعاة العدالة.

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٧٩.

وأعتذر أنْ أقول أنَّ الصورة الملكوتية لطالب العلم غير الملتزم بضوابط العلم والدين هي الصورة البهيمية أيضاً وتحديداً صورة الحمار، وذلك لعدة وجوه:

أوَّلها: هو الربط بين روح طالب العلم المقتضية لترك الدنيا وشهواتها وربطها بالصورة البهيمية للتهتك بتقريب: إنَّ طالب العلم يختلف عن باقي الناس في مسألة الشهوة والطعام، فإنْ كانتا بمقدار عند العامي يعدان من الإعتيادي فهما من التهتك على طالب العلم فضلاً عمّا إذا أعمل طالب العلم نظره في هذا المجال - كما هو الآن - والعياذ بالله.

ثانيها: قوله تعالى في وصف اليهود وعلمائهم: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ ﴾[1]، حيث شبه من يتسم بالعلم ولايعطيه حقه بالحمار.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾[2]، فمن يقترب من النبي ومن يمثله وهم أهل العلم، لذا ورد النهي عن رفع الصوت لأنَّ الصورة الملكوتية لرفع الصوت وهو صوت الحمير وهو ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[3].

رابعها: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[4]، بتقريب: إنَّ الذي يجعل همه المتعة والطعام كما هو معروف فصورته الملكوتية

---

١ سورة الجمعة الآية ٥.

٢ سورة الحجرات الآية ٢.

٣ سورة لقمان الآية ١٩.

٤ سورة محمد ﷺ الآية ١٢.

هي صورة الحمار، ولا يتوهمنَّ أحد أنَّنا جُرنا بكلامنا هذا أو تطاولنا على الأخوة الطلبة أوغيرهم لأنَّنا إنَّما نريد التنبيه أنَّ أفضل شريحة في المجتمع هذه صورهم فكيف بالأقلّ منهم؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن نرى خلال تواجدنا في المحافل العلمية أنَّ بعض الطلبة قد توجهوا إلى إشباع رغباتهم الجسمية أكثر من رغباتهم الروحية في التعلم لذا نريد التنبيه من جانب، ومن جانب آخر نضرب ضربة إستباقية لمن يحاول التفكير في أنْ يتوجه إلى غير علمه ودراسته.

علاجات واحتياطات وقائية

قد تلاحظون أنَّنا نظهر مخاوف كثيرة من مرض التهتك العضال وليس ذلك إلا لشناعته وقبحه عند أهل الملك والملكوت وإنعدامه في الجبروت والتنزه والجلال عنه في اللاهوت، لذا ترانا نحاول إستئصال سيّئه بالجملة ونبقي مايحتاجه الإنسان لإستمرار نوعه. ومن الإحتياطات الوقائية والعلاجات:

١- ترك الفحش من القول سواء من الجدّ أو الهزل وترك تبادل الأحاجي والنكات بهذه الألفاظ لأنَّه: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]، لما في ذلك من إستتباع الألفاظ للتصورات ثمّ المعاني.

٢- ترك التوجه وحتى الكلام في الزواج المنقطع، نعم هو مستحب ولكن لابدّ من مراعاة شروطه للعوام، أمّا طلبة العلم فلابدّ لهم من الإعراض عن هذا الطريق إلا للحاجة الماسة جداً، لما فيه من الإنشغال عن التحصيل.

---

[1] سورة ق الآية ١٨

٣-ترك تداول وتناول الكلام حول بعض المستحضرات الطبية المهيجة للشهوة الجنسية.

٤- التورع عن مشاهدة بعض القنوات الفضائية سواء كانت الأخبار أو المسلسلات والأفلام لإشتمالها على المتبرجات.

لايُقال: إنَّ الشرع أباح النظر بدون شهوة **فإنَّه يُقال:** صحيح ولكن هذه النظرات وإنْ لم تكن بشهوة الآن ولكنّها فيما بعد سوف تشكل المخزون البغيض الذي سيثير المرء في يقظته ونومه وربط بعض الصور ببعض مما سيوثر عليه سلباً بإثارة شهوته، وما تخيلات المتخيلين الذي تنتهي تخيلاتهم بالحرام من الإستمناء والزنا وغيرها - والعياذ بالله - إلا من هذا المخزون البغيض.

ثمّ إنَّ مسألة تجويز الفقهاء لهذا النظر هو أول الكلام، وأستغفر الله تعالى ليس الغرض هو الإعتراض على الفتوى وإنَّما لماذا هذا الجمود على النص وعدم مراعاة الإحتياط والنظر في إنحفاظ الدين في المجتمعات المنحلَّة والآيلة إلى السقوط، إذ أنَّ كثيراً من الفتاوى قد نظر الفقهاء فيها إلى الألفاظ من دون تدقيق النظر في ما سيترتب عليها من حالات في المجتمعات ومن أمثلة تلك الفتاوى التي تكون محل توقف وتأمل - كما هو مقتضى الإنصاف والهداية - مسألة جواز النظر غير المباشري وحلية الأجهزة اللاقطة (الدش أو الستلايت)فنحن نتفق أنَّ مرجع التقليد لم ينظر إلى مافي الستلايت لكي يجعله آلة مشتركة محللة، مع أنَّ الفقهاء في أغلب موارد الآلات المشتركة يفرقوا بين ما كان الغالب منه الحلال فيحلّ، وبين ما إذا كان الغالب منه الحرام فيحرم، ولعمري إنَّه لايختلف إثنان في أنَّ الغالب من الستلايت هو الحرام فكيف جوّزه الفقهاء أعزّهم الله تعالى؟.

٥- التريث في تعدد الزوجات من دون سبب وبلا حسابات.

٦- حل المشاكل التي تعترض الزوجين بصورة سلمية وطريقة إلهية وفق معطيات الشرع الأقدس.

٧- عدم تأخير الزواج مما فيه جعل الأعزب مصيدة للشيطان الرجيم.

٨- الإلتفات إلى أنَّ المطلوب هو الزواج من إمرأة ذات دين، فمن تزوج من إمرأة ليست ذات جمال عليه أنْ يعمل في داخله إنَّها جميلة، ومن لم يتزوج بعد فله أنْ يختار إمرأة جميلة لكي لايسعى إلى تحصيل غيرها أو النظر إلى سواها.

٩- كفُّ البصر[١]: إنَّ سبب المشاكل هو النظر، والروايات مشحونة بذلك سواء كانت الناهية عن النظر وإطلاقه، أم تلك التي ترغّب في كفّ النظر والموضّحة أنَّ الغاض لبصره قد سبقت لقلبه رؤية العصمة والجلال.

وما ذاك إلا لوجود الترابط الأكبر والوثيق بين النظر بالعين وتأثر القلب والفعل والإنفعال المتبادل بين القلب والعينين وقد صار هذا شغل الشعراء، فهذا شوقي يوضّح العلاقة بقوله: نظرةٌ؛ فابتسامةٌ؛ فموعدٌ؛ فلقاء.

ويقول آخر:

أعينّي كفّا عن فؤادي فإنّه ... من البغي سعي اثنين في قتل واحد

ويقول آخر:

هامَتْ بكَ العين لم تتبع سواك هوىً ... مَنْ أعلمَ العينَ أنَّ القلبَ يهواك

---

١ وهو العمدة في الإحتياط والعلاج.

روايات في تثبيت العفة وترك التهتك

مما تقدم يظهر أنَّ العفة متوسطة بين الخمود والتهتك فتحصيلها أمر صعب جداً ولكن بعد أنْ عرفت طرفي الإفراط والتفريط فيها تبيّن لك سهولة الطريق.

ويبقى أنْ نذكر كلام المعصومين عليهم السلام لتثبيت العفّة وترك التهتك وإثبات تشيعنا لهم عليهم السلام يكون عن طريق الإمتثال لكلامهم **ومن الروايات:**

١- قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ أكثر ماتلج به أمتي النار الأجوفان البطن والفرج ﴾[1].

٢- قال رجل للباقر عليه السلام: إنّي ضعيف العمل قليل الصلاة والصيام ولكني أرجو أنْ لا آكل إلا حلالاً ولا أنكح إلا حلالاً فقال له: ﴿ وأي جهاد أفضل من عفة بطن وفرج ﴾[2].

٣- عن الأصبغ بن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول لإبنه الحسن عليه السلام: ﴿ يابني ألا أُعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب؟ فقال بلى يا أبتِ قال عليه السلام: لاتجلس على الطعام إلا وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلا وأنت تشتهيه، وجوّد المضغ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء، فإذا إستعملت هذا إستغنيت عن الطب ﴾[3].

---

١ الكافي ج٢ ص٨٠.

٢ وسائل الشيعة الإسلامية ج١١ ص١٩٨.

٣ البحار ج٥٩ ص٢٦٧.

٤- في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد إبن الحنفية ﴿ومن لم يعط نفسه شهوتها أصاب رشده﴾[١].

٥- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه واشتدّ جهاده وعمل لخالقه ورجى ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر ﴾[٢].

٦- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلوب كالزروع، تموت إذا كثر عليها الماء﴾ [٣].

٧- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لايدخل ملكوت السموات قلب من ملأ بطنه ﴾[٤].

وننقل روايتين في مساويء النظر:

أ- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله اعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه﴾[٥].

ب- قال عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿إياكم والنظرة فإنّها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة﴾[٦].

---

١ من لايحضرة الفقيه ج٤ص٣٩١.

٢ الخصال ص٢٩٦.

٣ البحار ج٦٣ ص٣٣١.

٤ ميزان الحكمة ج١ ص٨٩١.

٥ البحار ج١٠٤ ص٣٨.

٦ المحاسن للبرقي ج١ ص١١٠.

حقيقة العفة

عزيزي: إذا اردت أنْ تكون إنساناً كاملاً وتسعى في تحصيله فأهم مرتكزات ذلك هو تحصيل العفة وترك الشره والخمود، وعبثاً يحاول من يحمل شهواته على كتفه ويسلك هذا الطريق.

يقول شبستري في وصف الإنسان الكامل:

به عفّت شهوت خود كرده مستور   شره همچون خمود از وى شده دور[1]

يعني:

قـــــدْ سَــــتَرَ شـــــهوَتَه بعفّتِـــــه

وأبعـد الشَـرَهَ عـن نفسـه كـما أبعـدَ الخمـود والخمـول

عزيزي: إنَّ ملاك العفة هي الهمّة، فبدونها لاتتحقق العفة لأنَّها مما تدعو إليه الطينة المخمرة، إذ الفطرة المغلوبة أنَسَتْ بالمادة، ولوازمها من رغباتها وشهواتها.

يقول مولانا:

او همى گويد مرادم عفّت است   از شما مقصود صدق وهمّت است[2]

يعني:

هو دائماً يقول مرادي العفّة   ومقصودك هو الصدق والهمّة

---

١ گلشن راز البيت ٦٠١.

٢ مثنوي معنوي دفتر چهارم البيت ٢٠٤.

الفصل الثاني

الحياء

الحياء: هو إنقباض النفس عن القبيح الشرعي والعقلي والعادي ومخالفة الذنب الأخروي والذم الدنيوي.

وهو اعم من التقوى لأنَّ **التقوى:** هي إنقباض النفس عن القبيح الشرعي.

والحياء عند المقربين هو ضابطة مقام القرب، فعلى مقدار الحياء يكون القرب فمن كان أكثر حياءاً كان أكثر قرباً ومن لا حياء له لا قرب له.

قال سهل بن عبد الله: ﴿أدنى مقام من مقامات القرب الحياء﴾[1].

والحياء على نوعين: عام وخاص.

والحياء العام: هو صفة أهل المراقبة الذين تستحي قلوبهم من هيبة إطلاع الرقيب وفي هذا المجال قال ذو النون ﴿الحياء، وجود الهيبة في القلب مع حشمة ماسبق منك إلى ربك﴾.

والحياء الخاص: هو صفة أهل المشاهدة وهم الذين تكون روحهم منطوية من عظمة شهود الحق[2].

---

١ فرهنگ اصطلاحات عرفاني دكتر گل بابا سعيدي ص٢٣٣ .

٢ تعبيرات عرفاني سجادي ص١٨٠ .

قال ناصر خسرو:

حيا اَصل است اَندر ذات اِنسان   كه دارد آدمى را آدمى سان

حيا وعقل واِيمانند باهم   زيكديگر نپردازند يكدم

يعني:

إنَّ الحياءَ أصلٌ في ذات الإنسان   الذي به الآدمي يصير آدمياً

الحياءُ والعقلُ والإيمانُ معاً   لاينفصل أحدهم عن الآخر للحظة

قال رسول الله ﷺ: ﴿إستحيوا من الله حق الحياء وتمامه، قالوا: إنّا نستحي يانبيَّ الله والحمد لله، قال ﷺ: ليس كذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلا، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء﴾[1].

وقد تسأل: لماذا نورد نصوص المعصومين عليهم السلام وكلمات العرفاء في البداية مع أنَّ المنهجية العامة هي تأخر ذكر الروايات؟ **وجوابه:** إنَّنا قد تعمدنا ذلك لأجل توضيح معنى الحياء ولأجل الترغيب فيه لأنَّ البعض قد يتعامل بالحياء مع الناس فقط ومنه مايكون صحيحاً نابع من نفس مستحية ومنه مايكون بتكلّف، وعلى كلا التقديرين لايعدو كونه حياءً من الناس، والمهم في الحياء أنْ يكون من الله عزّ وجلّ ومراقبته وإستشعار سبحات قدس ساحته تعالى.

---

١ شرح نهج البلاغة لابن حديد ج١١ ص٢١٤.

نقل إبن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج قائلاً ﴿ وفي بعض الكتب القديمة: ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي من أنْ أردّه، ويعصيني وأنا أراه فلا يستحي مني ﴾[1].

هذا وليُعلم أنَّ الحياء لوحده لايكفي لأنْ يفعل في نفس الإنسان إستشعار وجود الحق تعالى، بل لابدّ معه من الأُنس لكي يأخذ دوره كما هو، فالحياء والأُنس طارئان على النفس يخلّفان فيها إستشعار الحق، وموضوع النفس لابدّ أنْ يتصف بصفتين لكي تكتمل المعادلة وهما: الزهد والورع، فإذا إكتملت هذه المقومات تحققت النتيجة.

قال السري السقطي: ﴿الحياء والأُنس يطرقان القلب فإنْ وَجَدا فيه الزهد والورع حطّا وإلا رحلا ﴾[2].

والكلام في الحياء يقع ضمن قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[3].

وهذه الآية الكريمة تبيّن مطلباً مهماً وقاعدة أساسية في الأخلاق والأعمال وهي سبق العلم للخلق الحسن والحياء ينشأ من العلم والإيمان بأنَّ الله عزّ وجلّ يرى عبده.

يقول الخواجه عبد الله الأنصاري: ﴿الحياء من أوائل مدارج أهل الخصوص يتولّد من تعظيم منوط بودّ ﴾، وشرح القاساني هذه العبارة بقوله: ﴿فإنّه مالم يترقّ الإيمان إلى حد الإحسان لم يحصل الودّ الذي هو من أوائل المحبة، ولا التعظيم الذي هو من طرق أهل الخصوص، وإنّما يتولّد التعظيم المتصل بالودّ لأنَّ ملاحظة التعظيم وتحقق حضور الجميل وكونه رقيباً للعبد يقتضي الأمرين، أعني التعظيم والودّ، فتنشأ منهما الحياء،

---

١ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ص٢١٥.

٢ المصدر السابق ص٢١٤.

٣ سورة العلق الآية ١٤.

إذ لولاهما لم يبال بما يفعل عند من لايحتشمه ولايودّه فكأنَّه قال ألم تعلم بأنَّ الله يرى فتستحي منه؟ ﴾[١].

أقول: إنَّ الحياء المنوط بالودّ هو الذي عبّرنا عنه بالحياء مع الأُنس في عبارة السري السقطي المتقدمة.

هذا وقد يقال: بأنَّ الحياء يمكن أنْ لايقترن بالودّ، فأغلب الحياء لايكون مقترناً بالودّ.

وجوابه: نحن نسلّم وجود بعض الحياء بلا ودّ، ولكن هذا الحياء غير مثمر وغير ثابت، وهو وإن كان موجوداً ولكنّه متزلزل، بخلاف الحياء المقترن مع الودّ فإنَّه يثبت ويستمر ويمكن أنْ يترقّى أكثر فأكثر ليحقق القرب الأقرب وقد يصل إلى مقام ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[٢].

ألحياء والعفة

ومن هذا كلّه عرفت إنَّ روح الحياء هو مراقبة الحق تعالى وإدراك أنَّه تعالى مطّلع على الحال وأنَّ وجوده في كل مكان وأنَّه: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[٣]، فإذا تحقق هذا عفَّ الإنسان وترك كل ما لا يريده منه خالقه وبارئه، والحادي به بالهداية التكوينية إلى تحقق الوصل على الصراط المستقيم.

إنَّ للحياء مراتب تختلف حسب درجة السالك، وبالمقابل تترتب العفة على مقدار هذه المراتب، وقد ذكر تلك المراتب في منازل السائرين فراجع وإنَّما لم نتطرق لها لأنَّها خارجة من محل الكلام في هذه المرحلة.

---

١ شرح منازل السائرين للشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاساني ص٢١٧.

٢ سورة النجم الآية ٩.

٣ سورة سبأ الآية ٣.

ما يقابل الحياء

لم نذكر تسمية خاصة تقابل الحياء تقابُل الضد، وذلك لأنَّ مايقابل الحياء هو الأمر العدمي، وهو عدم الحياء وهو من الصفات الذميمة مع الخلق فضلاً عن كونه مع الخالق فهو باعث على فعل جميع الرذائل والذنوب لأنَّ الذي لايستحي يخرج من ذهنه رعاية وجود الحق تعالى فيعمل ما تأمره به نفسه، قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ إنْ لم تستح فاصنع ماشئت ﴾[1].

وهناك نزر من الأحاديث تبيّن آثار عدم الحياء نذكر بعضها:

١–عن الإمام العسكري عليه السلام: ﴿من لم يتق وجوه الناس لم يتق الله﴾[2].

٢–عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿من لم يستح من الناس لم يستح من الله سبحانه﴾[3].

٣– عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من لم يستح من الله في العلانية لم يستح من الله في السر﴾[4].

٤–عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿من لم يستح من العيب ويرعوي عند الشيب ويخشى الله في ظهر الغيب فلا خير فيه﴾[5].

وهذه الطائفة من الروايات تكفي في الدعوة للحياء والإنتباه إلى الصفات الذميمة في تركه.

---

١ عيون أخبار الرضا ج١ ص٦١.

٢ البحار ج٧١ ص٣٣٦.

٣ غررالحكم – الحكمة ٩٠٨١.

٤ كنز العمال للمتقي الهندي ج٣ ص١٢٤.

٥ البحار ج٧٥ ص٢٠٦.

فوائد وآثار الحياء

بالإضافة إلى ماتقدَّم من أنَّ الحياء يولّد استشعار وجوده تعالى وبالتالي الكون في ساحة القدس الإلهية فإنَّ عدة آثار وفوائد تترتب على الحياء ذُكرت في كلام المعصومين عليهم السلام:

١- ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إستحِ من الله إستحياءك من صالحي جيرانك فإنَّ فيها زيادة اليقين﴾[١].

٢- ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿الحياء من الله يمحو كثيراً من الخطايا﴾[٢].

٣- عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿حياء الرجل من نفسه ثمرة الإيمان﴾[٣].

٤- وعنه عليه السلام: ﴿الحياء يصدّ عن الفعل القبيح﴾[٤].

إلى غير ذلك من الروايات الشريفة.

الحياء والحياة الإجتماعية

لاريب ولا إشكال بأنَّ الخلق الرفيع كما أنَّه يبني العلاقة مع الله عزّ وجلّ كذلك يُقوِّم حياة المجتمعات ويجعلها تعيش بسلام في الدنيا وتفوز بالجنة في الآخرة، والحياء واحد من أهم تلك الأخلاق التي تحيي المجتمعات من خلال مايترتب عليه من تثبيت لدَعم الحياة الإنسانية وقد ورد في توحيد المفضل مثل هذا المعنى برواية الإمام الصادق عليه السلام في باب إختصاص الإنسان بالحياء دون باقي الحيوانات أنَّه عليه السلام قال: ﴿أنظر يامفضل إلى ماخُصَّ به الإنسان دون جميع الحيوانات من هذا الخلق الجليل

---

١ البحار ج٧٨ ص٢٠٠.

٢ غررالحكم/الحكمة ٣١١٢.

٣ المصدر السابق/الحكمة ٦٣٦٩.

٤ المصدر السابق/ الحكمة ١٣١٣.

قدره العظيم غناؤه اعني الحياء فلولاه لم يُقْرَ ضيف ولم يوفَ بالعداة ولم تُقضَ الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شي من الأشياء حتى أنَّ كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً يُفعل الحياء فإنَّ من الناس لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل دارهم ولم يؤد أمانة ولم يعفّ عن فاحشة ... أفلا ترى كيف وفي الإنسان جميع الخصال التي فيها صلاحه وتمام أمره ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآثار، وماذا يرجو من كان في ساحة الوجود الأعظم بسبب الحياء هذا، وأنَّ الحياء لابدّ أنْ يدخل بكلّه في ساحة النفس ويسيطر عليها سيطرة تامة، فهو مما لابدّ من إستيلاءه بالكامل، لكي يتحقق معنى الحياء، وهو بهذا يشبه العفة، وعلى هذا قِس باقي مايتعلق بالعفة كالورع آتي الذكر.

---

١ التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي ص٣٩.

الفصل الثالث

الورع

أُختُلف في معنى الورع لأنَّه قد يختلف وقد يتحد مع تعريف التقوى فالبعض قال: إنَّ الورع ترك المحظورات والتقوى هي ترك الشبهات والبعض الآخر قال بالعكس، والحقّ أنَّه ترك الشبهات والتقوى هي ترك المحظورات. وعليه يكون الورع مرحلة بعدية من التقوى فبعد أنْ يتَّقي الإنسان يترك المحرمات ويحتاج أنْ يرتقي درجة يتورع عن الشبهات ويشهد لـه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الورع الذي يدع الصغيرة مخافة أنْ يقع في الكبيرة﴾[1]، ويمكن تأييد ذلك من عن طريق الجمع بين الورع والتقوى، حيث: إنَّ أول وأدنى مراتب الورع هو ترك المحظورات وهو التقوى. قال الخواجه الأنصاري في منازل السائرين: ﴿الدرجة الأولى: تجنب القبائح لصون النفس، وتوفير الحسنات،وصيانة الإيمان﴾[2]. وهذا يدل على أنَّ التقوى أدنى مراتب الورع وبداياته، فتثبت الأثنينية وتقدم التقوى على الورع بالسبق ومن ثمّ يكون الورع. والورع هو: الوقوف عند الشبهات وتجنبها وهو مرحلة عالية يصلها السالك بعد أنْ سيطر على نفسه الأمّارة وكبح رغباتها في طلب الحرام حيث أنَّه بواسطة الورع سيترك مايحتمل كونه حراماً لأنَّ الأشياء في الخارج لاتخلو من حالات ثلاث: **إمّا حلال بيّن فيُرتكب أو حرام بيّن فيُجتنب وإمّا مشتبه بينَ الحلال والحرام فمقتضى الإحتياط وحقّ الطاعة الإجتناب عن هذا المشتبه به لإحتمال حرمته.**

---

١ الفردوس بمأثور الخطاب لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني ج٤ ص ٤٣٧.

٢ شرح منازل السائرين للشيخ عبد الرزاق القاساني ص١٢٥ ط.مؤسسة التاريخ العربي.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنَّ لكلّ ملكٍ حمىً، وإنَّ حمى الله حلاله وحرامه، والمشتبهات بين ذلك كما لو أنَّ راعياً رعى إلى جانب الحمى لم تثبت غنمه أنْ تقع في وسطه، فدعوا الشبهات﴾[1]. وهنالك قاعدة تقول: ﴿المحرمات حمى الله فمن حام حول الحمى يوشك أنْ يقع فيه﴾، وكذلك ﴿دع مايريبك إلى ما لا يريبك﴾[2].

هذا ويمكن أنْ يُقال بأنَّ من قال أنَّ الورع ترك المحرمات بنى على أنَّ الشبهات بحكم المحرمات وهذا واضح أكثر في لسان العرفاء، إذ أنَّهم يحرمون الشبهات طاعةً لله وقرباً له لكي يمتنعوا عنها ولاتنقطع صلتهم بحبيبهم الذي يرجون وصله باستمرار.

يقول إبن عربي:

ورع الطريقة في إجتناب محارمٍ ... مهما أتتك وماله وجهان

فإذا أتاك مخلَصاً بجلاله ... وتركته ورعاً فمن نقصان

لمّا جهلتَ الأمر قلتَ بعكسه ... وتبيّن النقصان في الإيمان[3]

وعبارته غامضة يحتمل فيها الوجهان ولكنّها إلى ماذكرنا أقرب والله العالم.

---

١ أمالي الطوسي ص٣٨١.

٢ البحار ج٢ ص٢٦٠.

٣ الفتوحات المكّية ج٢ ص١٧.

كلمات الأعلام في كيفية الورع وأقسامه

كثرت كلمات الأعلام في الورع حسب مذاق كل واحد منهم ولكن كلّهم اشتركوا في دونه ترك المحرمات والشبهات غايته إنَّهم يعدوه من الشريعة الظاهرة المؤدية إلى الحقيقة الباطنة ولاضير في ذلك، لأنَّها مراتب عروجية ونحن نتعرض لتلك الكلمات ويبقى كلام المعصومين مابعده كلام نورده في آخر الفصل.

أمّا كلمات الأعلام فهي مما يأنس به نذكر بعضها:

١- قال يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي المعروف بالشيخ المقتول: ﴿الورع على وجهين:

أ- **في الظاهر**: وهو ألاّ يتحرك لسانك إلا بالله.

ب- **في الباطن**: وهو ألاّ يدخل فيك سوى الله﴾.

وطبيعي المقصود من عبارته هذه هو أنْ لايسكن قلبك إلا الله بمعنى نفي الأغيار من بيت الجبار كما هو مضمون حديث الإمام الصادقعليه السلام: ﴿القلب حرم الله فلا تسكن في حرم الله غير الله﴾[١]، وهنا تورع عن إدخال الأغيار.

٢- قال عبد الله بن المبارك التميمي: الورع تصفية القلوب وحفظ اللسان وترك ما لايعنيك من الأمور.

٣- قال البيرجندي: ﴿الورع مراتب: أدناها الإجتناب عمّا نهى الله تعالى عنه وأعلاها الإجتناب عمّا يشغله عن ذكر الله﴾.

---

١ البحار ج٦٧ ص٢٦.

٤- جاء في مجمع السلوك ﴿واعلم أنَّ الورع ومعناه ترك المحظور ينقسم إلى أربعة أقسام: **ورع العدول**، **وورع الصالحين**، **وورع المتقين**، **وورع الصدّيقين**، والإلتزام به بإعتبار حال كل شخص، فترك المحظور بنسبة كل شخص هو الورع.

فورع العدول: هو إجتناب الأشياء التي يفتى بتحريمها، ومرتكبها ساقط العدالة ويُعَدّ عاصياً.

وورع الصالحين: هو إجتناب مايُحتمل كونه حراماً، ولكن المفتي قد يفتي بناءً على الظاهر بحلّه ويرخص بأكله. ولكن الإمتناع عمّا لا يوجد فيه إحتمال الحرمة فهو من الوسوسة لا الورع، **ومثال الأمر المشتبه:** كصيد يصيبه أحدهم ولكنّه لايهتدي إليه ثمّ يعثر عليه شخص آخر، فالإختيار أنّه ليس بحرام ولكن ترك ذلك هو من الورع لمقام الصالحين لأنّه يحتمل موته بسبب السقوط أو علة أخرى وليس سبب الإصابة. **ومثال الوسوسة:** مثل أنْ يجتنب أحدهم الصيد لاحتمال أنْ يكون الصيد مملوكاً لإنسان.

وورع الأتقياء: هو إجتناب ما لاحرمة فيه ولاشبهة في حلّه ولكن يُخشى أنْ يؤدي إلى الحرام، قال رسول الله ﷺ: ﴿لا يبلغ عبد أنْ يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس له به حذراً لما به من البأس﴾[1]، كما فعل أحد الأتقياء في تجارته فكان لايأخذ حقّه إلا بأنقص منه بحبة وكان يعطي الحق بزيادة حبة حتى يقاوم الحرص في نفسه.

وورع الصدّيقين: هو إجتناب كل ماليس بحرام وغير مشتبه ومالا يؤدي إلى الحرام، ولكن يجتنب كل ماكان ليس لله وليس فيه نيّة القوة على الطاعة﴾[2].

---

١ تحف العقول ص٦٠.

٢ مجمع السلوك في التصوف للشيخ سعد الدين الخير آبادي نقلاً عن كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهاوني ج٢ ص١٧٧٧.

الورع في كلام المعصومين عليهم السلام

فيما يلي طائفة من الروايات توضّح الورع وفوائده صادر من معدن العصمة والطهارة وأهل الورع والخفارة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

١- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿عليكم بالورع فإنّه الدين الذي نلازمه وندين لله به ونريده ممن يوالينا﴾[١].

٢- في حديث المعراج: ﴿يا أحمد: عليك بالورع فإنَّ الورع رأس الدين ووسط الدين وآخر الدين، إنَّ الورع كالشنوف[٢]بين الحلي، والخبز بين الطعام، إنَّ الورع رأس الإيمان وعماد الدين، وإنَّ الورع مثله كمثل السفينة كما أنْ في البر لا ينجو إلا من كان فيها، كذلك لا ينجو الزاهدون إلا بالورع﴾[٣].

٣- عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ﴿الورع نظام العبادة فإذا إنقطع ذهبت الديانة كما إذا إنقطع السلك أتبعه النظام﴾[٤].

---

١ البحار ج٦٧ ص٣٠٦ .

٢ حلي الأذن

٣ البحار ج٧٧ ص٢٦ .

٤ تنبيه الخواطر ج٢ ص٨٨ .

مايقابل الورع

الورع هذه المرة هو الأمر العدمي إذا قسناه على مقولة الفعل، ولكنّه أمر وجودي إذا إعتبرناه من مقولة الكيف.

فإذا كان الورع ترك الشبهات، فله نقيض وجودي وهو إرتكاب الشبهات وفعلها، والورع لابدّ أنْ يسيطر بالكلية أيضاً كالعفة والحياء وإلا لا يسمى صاحبه متورعاً أو ورعاً.

وكل من كان ورعاً كف بطنه وفرجه، ليس فقط عن المحرمات، بل حتى عن الشبهات، وأكثر مايكون الأكل في هذه الأيام من الشبهات إمّا من جهة عدم معرفة تذكية اللحوم، أو ما تعلق فيه الخمس، أو ما كان من مال تجارة غير معروفة، أو غير ذلك.

أمّا مسألة ورع الفرج فلابدّ من الإنتباه إلى قضية وطئ الشبهة، أو التمتع بمن لم تلتزم بالعدة، أو المشهورة ممّا هو مفصل في الرسائل العملية.

وبالجملة: الورع من ملحقات ومتعلقات العفة.

الفصل الرابع

الصمت وضده الهذر

الصمت: عبارة عن السكوت وعدم الكلام ولكن ليس السكوت المطلق، لأنَّ السكوت المطلق ليس من جنود العقل، وليس أفضل من الكلام بل الكلام في محلَه أفضل من السكوت، وعليه فالصمت من جنود العقل والسكوت المطلق من جنود الجهل.

الصمت: حالة من الإعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط، فطرف الإفراط فيه هو الصمت المطلق وطرف التفريط فيه هو الهذر، ويمكن أنْ يقال بالعكس فيكون طرف الإفراط هو الهذر وطرف التفريط هو الصمت المطلق، ولكن إذا جعلنا حدّ الإعتدال هو الكلام المقنن، فيكون إفراطه أيضاً كلام ولكنّه غير مقنن وتفريطه عدم الكلام وهو السكوت المطلق، وكيف كان فالهذر والسكوت المطلق كلاهما مذمومان ومن جنود الجهل والإعتدال إنَّما يكون بالصمت.

والصمت هنا: هو عدم الكلام إلا في محلّه، بأنْ يلتزم السالك طريق الإستقرار والتوازن وحفظ اللسان في كل أوان، وقد تكلمنا عنه في بداية بحثنا في التهيئة للتخلية ضمن النقاط الخمسة والعشرين فراجع.

والهذر: هو الكلام في كل محل والهذيان الكثير بأمور لافائدة فيها، وهو من جنود الجهل وهو من أمراض الخطباء والمتصدين من الرؤساء وغيرهم الذين يُطالَبون في كلِّ فترة بكلمة يلقوها على مسامع مأجوريهم، فيضطروا إلى التكلم بكل شي ويذهبوا يمنة ويسرة غير ملتفتين إلى حقيقة كلامهم، وهل أنَّ له واقع موضوعي أو لا؟.

وقد يترتب على هذا المرض البغيض كثير من الآفات القاتلة وأولها وأشدّها هو الكذب، إذ العلة الرئيسية للكذب هو كثرة الكلام.

يقول السيد الخميني قدس سره: ﴿ بل أنَّ إمساك اللسان وجعل هذه الحية الطاغية وفق الإختيار من أكبر الفنون، وقلّ من يوفق له ... لو كان لأحد هذه القدرة لكان محفوظاً من الآفات والأخطار الكثيرة، لأنَّ للّسان آفات ومخاطر كثيرة، وهناك من ذكر أنَّ له عشرين آفة ولعلها أيضاً تكون أكثر﴾.

والهذر علامة على قلة العلم وضعف العقل والتفكير فلو كان من أهل العلم لتكلم بما علم وهو محدود، أو قد عرف عن طريق العلم سوء الهذر ومذمته وبالتالي يسكت ويقلل من كلامه ويتخلص من الهذر.

علاج الهذر

١- كثرة التعلم وحضور الدرس: وفي ذلك فوائد كثيرة منها: إنَّه سوف يسكت فترة من الزمن وهي مدة إلقاء الدرس عليه من قبل الأستاذ، ومنها: إنَّه عن طريق العلم سيعرف إمّا من النصوص الشرعية أو من كلام الأستاذ أنَّ الهذر من جنود الجهل وأنَّه شي مذموم ومن الفطرة المحجوبة، حيث لو كانت فطرته باقية وكانت راجعة إلى أصلها الحق لراعت وجوده تعالى وماتكلمت في حضرته، والمتابع لكلام عيسى المسيح عليه السلام يلاحظ أنَّه دائماً كان يكرر: ﴿ والله الذي أنا في حضرته﴾ أو ﴿أكون في حضرته ﴾ أو ﴿ أخجل أنْ أتكلم في حضرته ﴾ وغير ذلك من عباراته عليه السلام[1].

---

١ نص إنجيل برنابا لسيف الله أحمد الفاضل ص٩٧.

ومنها: إنَّه سيتكلم بما يعلم أو بأقلّ مما يعلم كما هو مقتضى الروايات، مثل: ﴿ليس من المروءة أنْ يتكلم المرء بكل مايعلم أو بأقلّ مايعلم﴾.

ومنها: حفظ قدر نفسه في الدنيا والآخرة وذلك لقول الأمير عليه السلام: ﴿من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار﴾[1].

قال الإمام الخميني رحمه الله ﴿والحقّ أنّه لابدّ للإنسان في أوائل أمره وهو يشتغل بالتعلم والإستفادة من معاشرة العلماء والفضلاء ولكن مع شرائط العشرة ومع الإطلّاع على أحوال المعاشرين وأخلاقهم. ولابدّ أنْ يستفيد في بدايات السير والسلوك وفي أواسطه وأوائل نهاياته أيضاً من خدمة المشايخ وأعاظم أهل الحال فلابدّ له من المعاشرة﴾[2].

وهذه المعاشرة تبدأ بالصمت والإستماع له عند التكلم.

٢- النظر في سِيَر السابقين من الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين وأنَّهم لم يكونوا يتكلموا كثيراً إلا لضرورة، فهم عليهم السلام كانو لا يُكلّمون إلا في أوقات، فضلاً عن أنْ يتكلموا. قال الفرزدق في وصف مولانا زين العابدين عليه السلام:

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فلا يُكلّم إلا حين يبتسم

٣- قراءة الروايات الذامة للهذر والمادحة للصمت وتقنين الكلام، وسنوافيك في بها آخر الفصل.

---

١ وسائل الشيعة(آل البيت)ج١٢ ص١٨٧.

٢ جنود العقل والجهل ص٣٩٤ و ٣٩٥.

وأمّا السكوت المطلق: فهو أنْ لا ينبس ببنت شفة في أي موقف أو حالة، حتى في تقويم الحق ودحض الباطل، وهذا أذمُّ من الهذر وإيغاله في جنود الجهل أكثر وقد يصل فيه المرء إلى حد الكفر بتوهين الدين والمذهب.

يقول الإمام الخميني ﵀ ﴿فبالكلام تنشر المعارف والحقائق الدينية وبه تبسط المعالم وآداب الشريعة والله تعالى متصف بالتكلم ومن أوصافه الجميلة(التكلم)﴾[1].

علاج السكوت المطلق

١- أنْ يعرف بأنَّ الكلام مباح شرعاً بل قد يجب أو يستحب، وليس حراماً حتى يتركه متذرعاً باحتمالية الوقوع في الحرمة لو تكلم، وقطعية عدم الحرمة لو سكت. وهذا وإنْ كان له وجه من جهة، ولكن ليس على إطلاقه، إذ قد يحرم السكوت إذا توقف نصرة الدين وإعلاء كلمة المسلمين وحفظ النفس المحترمة على الكلام.

٢- فهم الإسلام وتفاصيله فهماً جيداً أصيلاً، لكي يتسنى له معرفة موارد الكلام ووجوبه وموارد السكوت وحكمها.

٣- قراءة ودرك الروايات الداعية إلى نشر الوعي الديني والذود عن حمى الإسلام وهداية الناس إلى الصراط المستقيم بالهداية الإرائية بل الإيصالية، ومعرفة أنَّ ذلك لايتمّ إلا عن طريق التبليغ والكلام في هذا المجال.

٤- العمل بثلاثة من فروع الدين المعطلة وفهم أنَّها واجبة كوجوب الصلاة والصيام، وهي: **الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وهذه الفروع الثلاثة يكون الكلام هو العنصر الرئيسي فيها والآلة القاطعة لأيادي إبليس وجنوده.

---

١ جنود العقل والجهل ص ٣٩٣.

٥ - قد يتحجج البعض بوجود روايات داعية إلى الصمت وأنَّ الصمت من علامات ومقدمات العرفان، وهذا لابدّ له أنْ يعلم بأن هذه الروايات إنَّما وردت في محلّها لا مطلقاً وأنَّها تدعو إلى الصمت الذي هو من جنود العقل لا إلى السكوت المطلق الذي هو من جنود الجهل.

الصمت من الفطرة المخمرة

بعد أنْ عرفت حد الإعتدال وهو الصمت وأنَّه وسط بين السكوت المطلق والهذر، تعرف أنَّ الصمت من الفطرة الإلهية المخمرة التي دعت إلى حفظ السر والأدب في حضرة الخالق الموجود في كل مكان لذا جعل الصمت من آداب المريدين.

والبعض يعرّف الصمت: بأنَّه حفظ السر وله معنى عالٍ جداً يتلائم مع صدور الطينة من بارئها.

هذا وإنَّ هذا الجندي الكريم مما لابدّ أنْ يدخل بكلّه ويستولي إستيلاءً تامّاً، فمن صمت في مورد وهذر في آخر لا يُعَدّ صامتاً ونؤكد أنَّ الصمت ليس السكوت المطبق، نعم هو يدخل بالتدريج لكن تدريجه لايكفي، فلابدّ من إستيلائه بالكلية.

ويؤكد ذلك المعنى العالي للصمت بعض كلمات الأعلام:

يقول ناصر خسرو:

نگبهان سرّت گشت اَسرار   اَگر سر بايدت روسر نگهدار[1]

يعني:

الأسرار صـــــــارت حافظـــــــةً لرأســــــك
وإنْ أردتَ أنْ تُبقـــي عـــلى رأســـك فـــاحفظ سرَّك

---

١ فرهنگ تعبيراتى عرفانى سجادى للسيد جعفر سجادي ص٣٥٦.

ويقول مولانا:

موسيا بسيار گويى درگذر　　　چند گويى رو وصال آمد بسر

يعني:

ياموسى كثيراً ما تقول أُعفُ

إذهب لقد أنفذ كثرة الكلام الوصالَ

قال إبن عربي:

الله قال على لسان عبيده　　　فالصمت الأكوان نعت لازم

ما ثمّ إلا من يكلم نفسه　　　فهو السميع كلامه والعالم

وهو الوجود فليس إلا عينه　　　هذا هو الحق الصريح الحاكم

روايات في الصمت

١ - رُوي أنَّ لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع، وقد ليَّن الله له الحديد كالطين، فأراد أنْ يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلمّا أتمّها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت فقال[1]: ﴿الصمت حكمة وقليل فاعله﴾ فقال له داود عليه السلام: بحقٍّ ما سُمّيتَ حكيماً[2].

٢- قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر: ﴿ألا أُعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل بالميزان؟ قال: بلى يارسول الله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك﴾[3].

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ إستمعوا مني كلاماً هو خير من الدراهم المدقوقة: لاتكلمنَّ بما لا يعنيك، ودع كثيراً من الكلام فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً، فربَّ متكلم بحق في غير موضعه فعنت، ولاتمارين سفيهاً ولاحليماً، فإنَّ الحليم يغلبك، والسفيه يرديك، واذكر أخاك إذا تَغيَّب عنك بأحسن ممّا تحب أنْ يذكرك به إذا تغيَّبتَ عنه، واعلم أنَّ هذا هو العمل، واعمل عمل من يعلم أنَّه مجزي بالإحسان مأخوذ بالإجرام﴾[4].

---

١ لقمان عليه السلام.

٢ البحار ج١٣ ص٤٢٥.

٣ جامع السعادات ج٢ ص١٤٧.

٤ الإختصاص للشيخ المفيد ص٢٣١.

٤- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه﴾[١].

٥- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يا أباذر، من صمت نجى، فعليك بالصمت﴾[٢].

---

١ تحف العقول ص٣٠.

٢ وسائل الشيعة(آل البيت)ج١٢ ص٢٥١.

الفصل الخامس

الصبر وضده الجزع

الصبر: صفه كريمة وخُلق حَسَن يمكن إدراجه تحت الفروع الثلاثة: الحكمة والعفة والشجاعة، وكذلك الفرع الرابع العدالة، فالكل يحتاج إلى الصبر، والصبر دعامة له وجزء له، وإنَّما نذكره هنا لأنَّ أشدّ ما يحتاج الإنسان إلى الصبر في هذا الفرع، وهو العفة.

الصبر: عُرِّف بتعريفات كثيرة أبْيَنها: هو قهر النفس على احتمال المكاره في ذات الله تعالى وتوطينها على تحمل المشاق وتجنب الجزع، ومن حمل نفسه وقلبه على هذا التذليل سهل عليه فعل الطاعات وتحمل مشاق العبادات وتجنب المحظورات.

والجزع: هو إطلاق دواعي الهوى الدال على ضيق الصدر بإظهار التبرم والتضجر، وهو ناتج من ضعف النفس وصغرها، وهو يقابل الصبر في باب العفّة والصبر في باب الشجاعة.

والجزع في المصائب من المهلكات، لأنَّه في الحقيقة إنكار لقضاء الله عزّ وجلّ وكراهة لحكمه وسخط على فعله تعالى، والجزع من جنود الجهل والفطرة المحجوبة، وبالمقابل الصبر من الفطرة الراضية بقضاء الله العارفة بالمصلحة المكنونة في فعله وإرادته.

وهذا الجندي(الصبر)ممّا يدخل بالتدريج فيراعى الترتيب والتدريج البطيء، ولكن بدخوله التدريجي يحرز المكان الذي يحتله ولا يتنازل عنه فيما بعد أبداً مهما كان.

علاج الجزع

١- التأسي بالمبتلين من المعصومين عليهم السلام وكذلك المرتاضين في طريق محاربة النفس كيف أنَّهم صبروا ولم يجزعوا.

٢- الوقوف على القصص والروايات الواردة عن أهل الحلّ والعقد والمعصومين عليهم السلام وستوافيك.

٣- معرفة أنَّ الأمر واقع والحرب مع النفس معلنة ولكن المنتصر هو الصابر الثابت، والمهزوم هو الجازع غير المتحلي بالصبر.

٤- زيادة العلم والدرس والإطلاع على حقائق الأشياء لما في ذلك من تسلية للفؤاد ومعرفة النتائج. قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾[١].

ولعل العلم هو السبب في ثبات أمير المؤمنين عليه السلام في الحرب وكونه ضحّاكاً بسّاماً في ساحات الوغى عندما تبلغ القلوب الحناجر، لأنَّه يعرف عاقبة كل شيء، فلِمَ الجزع والحزن؟.

يقول الناشيء الصغير:

هـوَ البكّـاءُ في المحرابِ ليلاً   هو الضحّاك إنْ جَدَّ الضِرابُ

---

١ سورة الكهف الآية ٦٨.

وهذه مجموعة من الروايات والأخبار نافعة في التخلص من الجزع:

١- قال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أحب قوماً إبتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط﴾[١].

٢- ورد في حديث قدسي: ﴿من لم يرضَ بقضائي ولم يشكر على نعمائي ولم يصبر على بلائي، فليطلب ربّاً سواي﴾[٢].

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿الصبر يُظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة، والصبر يدّعيه كل أحد ، ولا يبيّن إلا عند المخبتين. والجزع ينكره كل أحد وهو أبين على المنافقين﴾[٣].

٤- نقل أنَّه مات إبنٌ لبعض الأكابر فعزّاه مجوسي وقال له ينبغي للعاقل أنْ يفعل اليوم مايفعله الجاهل بعد خمسة أيام فقال أكتبوه عنه[٤].

الصبر هو مفتاح الفرج الإلهي

لايخفى أنَّ الإنسان خلال مدة حياته والتي ملاكها التكليف والمعرفة وبالتالي العبادة، يمرُّ بإختبارات على جميع مستويات قواه الغضبية والواهمة والشهوية فهو مطالب بالموازنة والإعتدال والبقاء على الجادة والصراط الواحد المستقيم والدعامة المساعدة على طول المسير هو الصبر في الإختبار لكي يحقق وصل الحبيب، وقد مرّ أنبياء الله عزّ وجلّ والأئمة عليهم السلام بهذه الإبتلاءات حتى قال نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ما أُوذي نبي مثل ما

---

١ كنز العمال ج٣ ص٣٣١.

٢ التحفة السنية في الأحاديث القدسية للحر العاملي ص٤٧.

٣ البحار ج٦٨ ص٩٠.

٤ جامع السعادات ج٣ ص٢٢٤.

أُوذيت﴾[1]، وأبرز حالات الأنبياء في الصبر مامرّ على النبيين الكريمين أيوب ويوسف عليهما السلام وكيف أُبتليا ببلاءات متعددة يمكن أنْ يُقال هي شاملة ومثال للقوى الثلاث.

ويصور مولانا الرومي حال النبي أيوب عليه السلام:

هفت سال أيوب با صبر ورضا　　در بلا خوش بود با ضيف خدا

تاچو واگردد بلاى سخت رو　　پيش حق گويد بصد گون شكر او

گفت حق أيوب را در مكرمت　　من بهر موى تو صبرى دادمت

هين بصبر خود مكن چندين نظر　　صبر ديدى صبر ده را هم نگر[2]

يعني:

لسبعِ سنواتٍ أيوب مع الصبر والرضا　　كان البلاءُ له ضيفاً

فكان رفيقاً حسناً لأنْ يرفع عنه ذلك البلاء الصعب　　يشكر أمام الحق بمئة وجه

فقال له الحق: لكرامة أيوب　　أنا أعطيتك بمقدار شَعْرِك

فلا ترى صبرك كثيراً　　بل انظر إلى من وهبك الصبر

---

١ البحار ج٣٩ ص٥٦.

٢ مثنوي معنوي دفتر پنجم الأبيات ٣٦٨٩-٣٦٩٢.

وفي معرض بيان الصبر وما جرى على يوسف الصدّيق عليه السلام يقول أبو بصير سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ﴿إنَّ الحرَّ حُرٌّ على جميع أحواله، إنْ نابته نائبة صبر لها وإنْ تداكّت عليه المصائب لم تكسره وإنْ أُسر وقُهر وأُستُبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصدّيق الأمين صلوات الله عليه لم يضرر حريته إنْ أُستعبد وقُهر وأُسر ولم تضرره ظلمة الجبّ ووحشته وما ناله أنْ منَّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان له مالكاً فأرسله ورحم به أمة، وكذلك الصبر يعقب خيراً فاصبروا ووطّنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا﴾[1].

إنَّ الصبر مقرون دائماً بالفرج وهو مفتاحه ولارَوْحَ ولافَرْجَ ولاظَفْرَ إلا بالصبر، والظفر بلا صبر لايكون ظفراً حقيقياً وليس له فخر بذلك الظفر لأنَّه لم يكن عن صبر.

يقول حافظ:

صبر وظفر هر دو دوستان قديمند — بر اثر صبر نوبت ظفر آيد[2]

يعني:

الصبر والظفر كلاهما صاحبان قديمان — والظفر يأتي بأثر الصبر

---

١ الكافي ج٢ ص٨٩.

٢ ديوان حافظ آخر الغزليات النسخة الحديثة وهو غير موجود في النسخة القديمة.

الشكوى إلى الله ودرجات الصبر

الشكوى قد تكون إلى الخالق وقد تكون إلى المخلوق، والشكوى إلى المخلوق تارة تكون إلى المؤمن وتارة إلى غيره، ولاشكّ أنَّ الشكوى لغير المؤمن أمر مبغوض بالإضافة إلى كونه خلاف الصبر، لأنَّ في ذلك إعطاء فرصة للمقابل للأعتراض على الله عزّ وجلّ وعدم الإيمان به، أمّا الشكوى إلى المؤمن وإنْ كانت أمراً سائغاً باعتبار ﴿إنَّ من شكى إلى أخيه المؤمن فقد شكى إلى الله ﴾[1]، إلا أنّه خلاف الصبر والتوكل وكان عليه أنْ يرضى بما إبتلاه به الله عزّ وجلّ وهذان النوعان واضحان.

وإنّما الكلام في الشكوى إلى الله عزّ وجلّ فهل أنَّ الشكوى إليه تعالى وإظهار الجزع خلاف الصبر خاصة بعدما عرفت من أنَّ معنى الصبر هو عدم إظهار الشكاية؟ فهل يتمسك بعمومه فيكون الشكوى إلى الله عزّ وجلّ خلاف الصبر؟.

والجواب هو: إنّ الشكوى إلى الله تعالى ليست خلاف الصبر وإنّما هو خلاف مقام الرضا، والعبد المتحن إذا أصابه مكروه وألّمت به مصيبة ولم يَشْكُه حتّى إلى خالقه فسيحصل على مقامين:

١- الأسرار الملكوتية ومعرفة الحقائق في قابل الأيام لأنَّ السرّ يحتاج إلى الصبر.

٢- أنْ يحلو في نظره وقلبه كل ماينزل من الله تعالى ويكون ذلك مقدمة لنيل مقام الرضا.

وهذا المعنى يتضح في حديث الإمام الباقر عليه السلام في أيام طفولته سأل جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: ﴿كيف تجد حالك؟ قال: أنا في حال الفقر أحبُّ إليَّ من الغنى والمرض أحبُّ إلي من الصحة والموت أحب إلي من الحياة، فقال الإمام عليه السلام: أمّا نحن

---

١ البحار ج٦٩ ص٣٢٥ .

أهل البيت فما يرد علينا من الله من الفقر والغنى والمرض والصحة والموت والحياة فهو أحبُّ إلينا ﴾[١].

والإمام الخميني رحمه الله يوضّح كلام جابر ويقول: ﴿ ولعل جابراً لم يكن مطمئناً في نفسه أنْ يملك قلبه في حال الصحة والسلامة والغنى والعافية بحيث لايقبل بقلبه على الدنيا ولايركن لهذه القرية الظالمة، فمن هذه الجهة قال ما قال ﴾[٢].

وعلى هذا فإنَّ الجزع ممقوت، والشكوى إلى غير المؤمن مذمومة، والصبر مع الشكوى للمؤمن هو صبر العوام، والصبر مع الشكوى إلى الله هو صبر المتوسطين، والصبر بلا شكوى مطلقاً هو صبر العالين والعرفاء الكمّلين. ولهذا الصبر درجات كلّها تكون للعارفين الكمّل وهم يتدرّجون في ذلك وهذه الدرجات يذكرها الإمام الخميني قدس سره وهي:

١- **الصبر في الله**: وهو الثبات في المجاهدة وترك ماهو متعارف لدى الناس ومألوف عندهم بل ترك نفسه في سبيل الحبيب وهذا المقام عائد لأهل السلوك.

٢- **الصبر مع الله**: وهو لأهل الحضور ومشاهدي الجمال حيث الخروج من جلباب الإنسانية والتجرّد عن ملابس الأفعال والصفات ولدى تجلّي القلب بتجلّيات الأسماء والصفات وتوارد واردات الأُنس والهيبة وحفظ النفس من التلونات والغياب عن مقام الأُنس والشهود.

٣- **الصبر عن الله**: وهو من درجات العشاق والمشتاقين من أهل الشهود والعيان عندما يعودون إلى عالمهم ويرجعون إلى عالم الكثرات والصحو.

---

١ جامع السعادات ج٢ ص٢٢٩.

٢ جنود العقل والجهل ص١٦٢(بتصرف).

وهذا من أصعب مراتب الصبر وأقسى المقامات وقد أشار إلى هذه المرتبة مولى السالكين وإمام الكمّلين وأمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الشريف الموسوم بدعاء كميل وفيه: ﴿يا إلـهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ وَرَبّي صَبَرْتُ عَلى عَذابكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ﴾[1].

ورُوي أنَّ شاباً من المحبّين سأل الشبلي عن الصبر فقال: أي الصبر أشدّ؟ فقال: الصبر لله فقال لا، فقال: الصبر بالله؟ فقال لا، فقال الصبر على الله؟ فقال لا، فقال: الصبر في الله؟ فقال لا، فقال الصبر مع الله؟ فقال لا، فقال ويحك فأي الصبر؟ فقال: الصبر عن الله فشهق الشبلي وخرّ مغشياً عليه[2].

٤- الصبر بالله: وهو لأهل التمكين والإستقامة حيث يحصل بعد الصحو والبقاء بالله وبعد التخلق بأخلاق الله ولانصيب إلا للكمّلين[3].

---

١ مصباح المتهجد ص٥٨٧.

٢ شرح منازل السائرين ص٨٨ باب الصبر.

٣ الأربعون حديثاً للإمام الخميني/ الحديث السادس عشر ص٢٩٦.

كيفية تحصيل الصبر

يمكن اجمال بعض نقاط العلم بها أو العمل يساعد في تحصيل فضيلة الصبر عمدتها هو إرادة الطريق للوصول إلى المعشوق الأوحد فإذا وضع السالك هذا نصب عينيه صبر على ما لايُحتمل صبره ومن تلك النقاط:

١- إدراك فوائد ونتائج الصبر من النفع والمنزلة في الدنيا،والثواب والزلفى في الآخرة.

٢- إدراك مفاسد ومساويء الجزع وأنَّه لا فائدة دنيوية ولا أخروية فيه، بل بالعكس إنَّه سيحصل على الذم والخسارة في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب .

٣- الإعتقاد بأنَّنا دائماً تحت نظر الحق تعالى والمعصومين عليهم السلام، وفي حال البلاء وإرادة الصبر تكون النظرة مركزة فنشمل بعنايتهم أكثر.

٤- إنَّ إيمان كل شخص ومستواه يقاس على مستوى صبره فمن كان أصبر عرف أنَّه أكثر إيماناً، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[1].

٥- تتبُّع سنن التاريخ والنظر في أحوال المعصومين عليهم السلام وما جرى عليهم أجمعين وحال أمير المؤمنين عليه السلام وما جرى عليه وهو أول مظلوم في الإسلام.

٦- إدراك واقع الحياة الدنيا من أنَّها سجن المؤمن وجنة الكافر وأنَّها دار زوال.

---

١ سورة العنكبوت الآيات ٢ – ٣.

قال أبو الحسن التهامي في رثاء ولده الذي قضى في السجن:

حكـــمُ المنيّــــة في البريّــــة جــــارِ ... مـــا هـــذه الـــدنيا بـــدارِ قـــرارِ

بينـــا يُـــرى الإنســـان فيهـــا مخـــبراً ... حتـــى يُـــرى خـــبراً مـــن الأخبـــارِ

طُبعـــتْ عـــلى كَـــدَرٍ وأنـــت تريـــدها ... صـــفواً مـــن الأقـــذارِ والأقـــدارِ

ومكلّـــف الأيـــام ضـــدَّ طباعهـــا ... متطلـــبٌ في المـــاءِ جـــذوةَ نـــارِ[1]

٧- إدراك أنَّ الصبر هو عنصر المقاومة في الحياة وأداء التكاليف الإلهية، والعمل به يعني ضمان السعادة في الدارين وفي هذا المجال.

قال السيد الخامنئي *مد الله ظله العالي*: ﴿فإذا إعتبرنا أنَّ الواجبات الدينية وسائل هذا المسير والمحرمات هي حركة إنحرافية فيه وأنَّ الحوادث المرّة والمؤلمة في الحياة تؤدي إلى عدم الإستقرار النفسي وفتور العزيمة يمكن أنْ نقسم الموانع عندئذٍ على هذا النحو:

أ- العوامل المانعة التي تؤدي إلى ترك الواجبات[2].

ب- العوامل التي تدفع نحو فعل المحرمات وإرتكاب الذنوب.

ج- العوامل التي تجلب حالة عدم الإستقرار وعدم الثبات الروحي.

أمّا الصبر فإنَّه يعني المقاومة وعدم الإستسلام في مواجهة هذه العوامل الثلاثة التي لاشكَّ بأنَّها تقف وراء الفساد والشر والسقوط﴾[3].

---

١ الوافي بالوفيات للصفدي ج٢٢ ص٧٨.

٢ وهذه موانع المسير.

٣ بحث حول الصبر للسيد الخامنئي ص٢٠.

الصبر والعفة

عرفت من مبحث العفة أنّها تكون للبطن والفرج وهذان العضوان لو أُطلق العنان لقوتيهما أصبح مقارعتهما ومقاومتهما أمراً صعباً ويحتاج إلى جهد وصبر، أمّا إذا أسرته شهوتـه فقد وقع المحذور لأنَّ أسـر الشهوة مبدأ لكلِّ أسير، يقول أميـر المؤمنيـن عليه السلام: ﴿في الموت راحة لمن كان عبد شهوته وأسير أهويته(أي اهواءه)لأنّه كلما طالت حياته كثرت سيئاته وعظمت على نفسه جنايته﴾[1].

وقال عليه السلام: ﴿عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرق﴾[2].

وقال عليه السلام: ﴿عبد الشهوة أسير لاينفك أسره﴾[3].

قال السيد الخميني رحمه الله: ﴿إعلم أنَّ الإنسان إذا أصبح مغموراً لهيمنة الشهوة والميول النفسية كان رقّه وعبوديته وذلته بقدر مقهوريته لتلك السلطات الحاكمة عليه ومعنى العبودية لشخص هو الخضوع التام له وإطاعته والإنسان المطيع للشهوات المقهور للنفس الأمّارة للسوء منقاداً لها﴾[4].

ويقول قدس سره: ﴿ومن العار حقيقة على الإنسان أنْ يتذلل وينحط في سبيل بطنه وشهوته ويتحمل الإمتنان من مخلوق فقير ذليل لاحول له ولاقوة ولا وعي﴾[5].

فإذا كان كذلك فالصبر مقياس العفة ودعامتها.

---

١ ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري ج٤ ص٢٩٦٢ .

٢ المصدر السابق ص٣٤٧٩ .

٣ المصدر السابق .

٤ الأربعون حديثاً/ ص٢٨٥

٥ المصدر السابق/ ص٢٨٦ .

معنى الصبر وحقيقته في النصوص

هناك مجموعة من النصوص سواءً كانت من المعصومين عليهم السلام أو عن بعض الأولياء من أهل الحلّ والعقد تبيّن فوائد وآثار ومعاني الصبر نذكرها إكمالاً للمطلب، منها:

١- عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان﴾[١].

٢- عن علي بن الحسين عليه السلام: ﴿الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان من لاصبر له﴾[٢].

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مضلّ عليه ويتنحى الصبر ناحية فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصلاة والزكاة والبر دونكم صاحبكم فإنْ عجزتم عنه فأنا دونه﴾[٣].

٤- عن سماعة بن مهران عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي ماحبسك عن الحج؟ قال قلت جعلت فداك وقع علي دَينٌ كثير وذهب مالي ودَيني الذي قد لزمني هو أعظم من مالي فلولا أنَّ رجلاً من أصحابنا أخرجني ماقدرت أنْ أخرج فقال لي: ﴿إنْ تصبر تغتبط وإلا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً﴾[٤].

---

١ الكافي ج٢ ص٨٨.

٢ المصدر السابق ص ٨٩.

٣ المصدر السابق ص٩٠.

٤ المصدر السابق.

٥- عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿من أُبتلي من المؤمنين ببلاءٍ فصَبَرَ عليه كان له مثل أجر ألف شهيد﴾[١].

٦- الصبر هو الأساس لبلوغ الإنسان مرتبة التمثيل الإلهية والخلافه الحقيقية، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾[٢].

٧- قال أبو محمد الجريري: ﴿الصبر أنْ لايفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيها والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة﴾.

٨- قيل: تجرَّعْ الصبر فإنْ قتلكَ قتلكَ شهيداً وإنْ أحياكَ أحياكَ عزيزاً.

٩- قيل: حبس دلف الشبلي وقتاً في المارستان[٣] فدخل عليه جماعة فقال من أنتم؟ فقالوا أحباؤك جاؤوك زائرين، فأخذ يرميهم بالأحجار وهم يهربون وكان يقول لهم: يا كذّابين لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي[٤].

---

١ الكافي ج٢ ص٩٢.

٢ سورة السجدة الآية ٢.

٣ أصلها بيمارستان وهي فارسية يعني المستشفى.

٤ قراءت ودرك مفاهيم متون عرفاني – تأليف محمد علي شريفيان ومحمد رضا محمد زاده رهني – أعضاء الهيئة العلمية في الجامعة الإسلامية/ منشورات دانشگاه واحد شيروان.

أقول: هذا التصرف الذي بدر من الشبلي هو من باب تعليم الصبر وإلا فهم يزورونه لإستحباب عيادة المريض.

١٠- قيل في قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾[1]، الصبر الجميل أنْ يكون صاحب المصيبة في القوم لايدري من هو[2].

١١- روى فضالة بن عبيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿المجاهد من جاهد نفسه ولا يتّم ذلك إلا بالصبر، والصبر ينقسم إلى فرضٍ وفضلٍ، فالفضل كالصبر على أداء المفترضات والصبر على المحرمات﴾. قال رسول الله ﷺ لابن عباس حين وصاه: ﴿إعمل لله باليقين في الرضا فإنْ لم يكن فإنّ الصبر خيراً كثيراً﴾[3].

قد ذكرت أقسام كثيرة للصبر سواء كانت في الروايات أم في كلمات الأعلام أعرضنا عنها والتقسيم الجامع للجميع أنْ يُقال:

---

١ سورة المعارج الآية ٥.

٢ الرسالة القشيرية ص١١٣.

٣ عوارف المعارف لأبي حفص السهروردي(بضميمة احياء علوم الدين)المكتبة التجارية بمصر ص٢٢٩.

أقسام الصبر

الصبر على أقسام: صبر على ماهو كسب للعبد وصبر على ماليس بكسب

فالصبر على المكتسب على قسمين: صبر على ما أمر الله تعالى، وصبر على مانهى عنه ، وأمّا الصبر على على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة مايتصل به من حكم الله تعالى فيما يناله في مشقة.

مكر شيطان است تعجيل وشتاب　　　لطف رحمن است صبر واحتساب

صبر آرد آرزو را نی شتاب　　　صبر كن والله أعلم بالصواب

يعني:

مكر الشيطان هو الإستعجال

ولطف الرحمن هو الصبر والإحتساب

الصبر هو الذي يجلب الأماني لا الإستعجال

إصبر والله أعلم بالصواب

وفي فضيلة الصبر يقول مولوي في أبيات متفرقة:

صبر را باحق قرين كرد اَى فلان　　　آخر والعصر را آگه بخوان

صد هزاران كيميا حق آفريد　　　كيمياى همچو صبر آدم نديد

هيچ تسبيحى ندارد آن درج　　　صبر كن الصبر مفتاح الفرج

گفت پيغمبر خداش اِيمان نداد　　　هر كه را صبرى نباشد در نهاد

يوسف حسنى واين عالم چو چاه　　　وين رسن صبر است بر اَمر اِله[1]

---

١ مثنوي معنوي دفتر دوم ودفتر سوم.

يعني:

جعـــل الله تعـــالى الصـــبر قرينـــاً للحـــق يـــافلان

إقـــرأ بتـــدبير آخـــر ســـورة العصـــر

خلـــق الحـــق تعـــالى مئـــات الآلاف مـــن الكيميـــاء

ولكـــن البشـــر مـــارأى كيميـــاء مثـــل الصـــبر

لاتســـبيح أعـــلى مـــن الصـــبر

فاصـــبر إنَّ الصـــبر مفتـــاح الفـــرج

قـــال النبـــي ﷺ: لم يعـــطِ اللهَ إيمانـــاً

لمـــن لم يكـــن في باطنـــه الصـــبر

أنـــت يوســـف في حســـنك وهـــذا العـــالم كـــالبئر

والصـــبر عـــلى أمـــر الإلـــه حبـــل نجاتـــك

الفصل السادس

الزهد

هذا الموضوع سنذكره في الرسالة السياسية من فرع الشجاعة حيث سنذكر هناك دور الزهد في الحكومة الإلهية وهنا نحاول تسليط الأضواء على بعض مباحث الزهد وتكملتها هناك فراجع .

الزهد لغة: هو ترك شي أو الإعراض عنه وعدم الميل والرغبة إليه.

وإصطلاحاً: هو عدم الميل الملازم للترك بمعنى اسقاط الرغبة عن الشيء بالكلّية.

والزهد: هو الإعتدال بين الرغبة وهي حد التفريط وبين التصوف وهو حد الإفراط.

والرغبة: ليس المقصود منها تلك الرغبة في الطاعات والقرب وغير ذلك، وإنَّما المقصود من الرغبة ما في مقابل الزهد وهي طلب الأشياء والميل إليها المصاحب لبذل الوسع في تحصيلها. وكيف ما كانت الرغبة فهي تعود إلى حب الدنيا وقد تكلمنا عنه فيما تقدم وعلاجها ترك الدنيا وقد عرفت ذلك في بحوث فرع الحكمة فراجع.

وأمّا التصوف: وهو حد الإفراط في الزهد الذي قوامه لبس الخشن وأكل الجشب فهو على خلاف طريقة الشريعة ولا نريد الدخول في توضيح ذلك إحترازاً من الفهم الخاطيء، لذلك نضرب عنه صفحاً والمهم في المقام أنْ يعلم بأنَّ الزهد هو حالة التوسط والإعتدال بين الرغبة والتصوف.

هذا وإنَّ الزهد من جنود العقل خاصة بعد ماعرف الإنسان أنَّ فطرته المخمرة متوجهة إلى الله تعالى الذي هو موجود مجرد لاربط له بأي تعيّن أو تعلق مادي، فالإنسان الزاهد كذلك يتوجه إلى الخالق المجرد والى كل المجردات التي دعا إليها حبيبه من باب إنَّ **الذي يحب شيء يحب جميع متعلقاته.**

وبالمقابل فإنَّ الرغبة من جنود الجهل والفطرة المحجوبة المتعلقة بالمادة

قال فرّوغي:

شيخ اگر شد بره زهد چنين پندارد

كه كسى باخبر از حيله وتزويرش نيست[1]

يعني:

إذا صار الشيخ على طريق الحق يجعل الزهد هكذا

إنَّه لايعرف أحداً الحيلة والتزوير إلا أمثاله

ويوجد بعض الأنواع من الزهد وهي ليست منه، ويسمى بالزهد الكاذب ستوافيك في الرسالة السياسية.

ومن هذا تعلم أنَّ هذا الجندي(الزهد)إنَّما يدخل بالتدريج ويسيطر شيئاً فشيئاً حتى إخراج آخر الرغبات عمّا سوى الله من حرم القلب الإلهي.

حقيقة الزهد

ورد في الحديث الشريف: ﴿ليس الزهد أنْ لاتملك شيئاً بل الزهد أنْ لايملكك شيء﴾[2]. وهذا الحديث يقطع الطريق أمام جميع معاني وتعاريف الزهد وكذلك يقطع الطريق أمام المدّعين والمخادعين ويبيّض وجه السلوك والعرفان ولايجعل الزهد وأهل هذا الطريق من أولئك غير المعتنين بأبدانهم وملابسهم وهذه القاعدة عامّة، والحقيقة الواضحة للزهد تبيح تملّك أي شي بمقدار ما تحتاج ولكن بدون الرغبة والتوجه إليه وبذل المال والجهد والوقت والإهتمام لتحصيله، وهذا هو عين التوازن وحقيقة الإعتدال،

---

١ ديوان فرّوغي بسطامي / غزل شماره ١٥ البيت ١١.

٢ ميزان الحكمة ج٢ص٢٩٩٠.

والزهد الحقيقي هو تساوي حالي الوجد والفقد عند الإنسان فما أُبيح له إمتلاكه وإستعماله لابدّ أنْ يكون وجوده وعدمه عنده سواء، فالنوم على الريش أو الحجر واحد، وأكل الحلو والمر واحد، مادام كل ذلك لله تعالى وضمن حدود الشرع. قال المولى النراقي: ﴿ فالزهد الحقيقي ترك المال والجاه، بل جميع حظوظ النفس من الدنيا وعلامة ذلك استواء الغنى والفقر والذم والمدح والذل والعز لأجل غلبة الأُنس بالله ﴾[1].

الزهد في كلمات الأعلام والزهّاد

تتبّع كلمات الزهّاد وأهل السلوك والعرفان مسألة مهمّة لمعرفة الزهد لأنَّ هذه الكلمات صادرة من واقع موضوعي للزهد فهم إنَّما ذكروا ذلك بعد أنْ زهدوا فعلاً وعرفوا معناه وهذا يصدق عليه(ماخرج من القلب يدخل إلى القلب وماخرج من اللسان لايتعدى الآذان)ولذا ستختبر قلبك وقلبه في قبول هذه الكلمات:

١- قال يحيى بن معاذ: ﴿ الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسخّم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها، والعارف بالله مشتغل بالله لايلتفت إليها ﴾[2].

٢- قال أبو طالب المكي: ﴿ إعلم أنَّ الزهد يكون بمعنيين: إنْ كان الزهد موجوداً فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه لايصح الزهد فيه مع تبقيته للنفس لأنَّ ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الأغنياء، وإنْ لم يكن موجوداً وكان العدم هو الحال فالزهد هو الغبطة به والرضا بالفقد وهذا هو زهد الفقراء. وكذلك القول في الزهد في ترك الهوى لايصح إلا بعد إبتلاء والقدرة عليه ﴾[3].

---

١ جامع السعادات ج١ ص٤١٦ ط جامعة النجف الدينية.

٢ اللمع في التصوف لأبي نصر السراج الطوسي تصحيح ئيكلنون ليندن ٤٧.

٣ قوت القلوب لأبي طالب المكي ط مصطفى البابي الحلبي – مصر ص٢٢٢٨.

٣- يقول حافظ الشيرازي:

زاهـد ظـاهر پرسـت از حـال مـا آگـاه نيسـت

در حـق مـا هرچـه گويـد جـاى هـيچ إكـراه نيسـت

يعني:

الزاهـد الـذي يعبـد الظـاهر لاخـبرة لـه بأحوالنـا

كـل شي يقولـه في حقنـا فهـو فيـه معـذور

٤- قال إبراهيم بن أدهم: ﴿الزهد فرض في الحرام وفضل في ترك الحلال إنْ كان أزيده لابدّ منه ومكرمة في ترك الشبهات فإنَّ ترك الشبهات سبب للكرامة﴾.

درجات الزهد

قال السيد الخميني رحمه الله: ﴿ليُعلم أنَّ للزهد كسائر الصفات النفسانية والمقامات الإنسانية مراتب ودرجات لا تُعدّ ولا تُحصى ولا تدخل ضمن نطاق الحصر بإعتبار الجزئيات.

ونحن نشير إلى بعض الدرجات بالقدرة المناسبة لهذه الأوراق.

الدرجة الأولى: زهد العامة: وهو عبارة عن الإعراض عن الدنيا للوصول إلى نعيم الآخرة. وهذه درجة في الحقيقة مكتسبة من الإيمان ببعض منازل الآخرة، وصاحب هذا المقام أسير الشهوة ولكن بحكم العقل ترك الشهوات الزائلة الحقيرة للوصول إلى اللّذات الباقية الشريفة.

فهذا ترك الشهوة للشهوة، ويُعَدّ الإعراض عن الدنيا خوفاً من عقاب عالم الآخرة من هذه الدرجة ولو كان هناك تسامح في أطلاق الزهد على هذا الترك والإعراض بسبب الخوف.

وإنْ كان قد ورد في الروايات المنقولة عن عيون أخبار الرضا عليه السلام عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل عن الزاهد في الدنيا قال: ﴿الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عقابه﴾[1].

ولكن بياناتهم عليهم السلام - وهم سادات الدين ومربّو النفوس - كانت تختلف بحسب إختلاف إدراكات السائلين المختلفة، بمعنى أنّهم بيّنوا لكل شخص من مراتب المقامات الإنسانية ما يناسب مقامه ومرتبته.

والعارف بمقامات النفس والسلوك وأسلوب أهل الله وفي كشف مراداتهم، لابدّ أنْ يتوجه إلى النكتة كي يجمع شتات كلمات الأنبياء والأولياء في هذه الأبواب.

الدرجة الثانية: زهد الخاصة: وهو عبارة عن الإعراض عن المشتهيات الحيوانية واللذائذ الشهوانية، للوصول إلى المقامات العقلانية والمدارج الإنسانية وهذه الدرجة تحصل بواسطة العلم والإيمان ببعض المراتب العالية من عالم الآخرة، فتكون المشتهيات الحيوانية والملذات الجسمانية بواسطة هذا العلم والإيمان محقرة وصغيرة في نظره. فيكون هذا مبدأً للإعراض ومنشأً لإنصراف النفس عنها. واللذات العقلية والروحانية، والإدراكات المرسلة المجردة - وإنْ كان دائماً موضوع إهتمام الفلاسفة وأعاظم أرباب العلم، والفيلسوف العظيم الشأن أرسطوطاليس المعلم الأول اعتنى بها في هذا الباب - إلا أنَّ هذه الدرجة أيضاً معلّلة عند أصحاب المعرفة والإيقان وأرباب الحقيقة والعرفان. وحيث أنَّ هذا الإعراض للذةٍ وإنْ كانت روحانية فالقدم النفسانية في الوسط وليس زهداً حقيقاً بل ترك شهوة ولذة لشهوة ولذة.

---

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق ج١ ص٢٤٣ ح٨١.

الدرجة الثالثة: زهد أخص الخواص: وهو عبارة عن الإعراض عن اللذّات الروحانية، وترك المشهيات العقلانية، للوصول إلى جمال الجميل الإلهي، وإلى حقائق المعارف الربّانية. وهذا أول مقامات الأولياء والمحبّين، ومن مراتب الزهد العالية.

فالزهد الحقيقي لصاحب هذا المقام يحصل بحسب أول مرتبة. والزهد الحقيقي عبارة عن الإستغناء عن اللذات وعدم الإلتفات إليها وبعد هذا مقامات أُخر للأولياء لايتسع المقام لذكرها. ونحن في هذا المقام نكتفي بذكر هذه الدرجات الثلاث التي هي من أمهات الدرجات﴾[1].

كلام المعصومين في الزهد وآثاره :

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿إنَّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا﴾[2].

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام :﴿كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط وإنَّما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة﴾[3].

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام :﴿الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو ترك كل شي يشغلك عن الله تعالى من غير تأسف على فوتها ولا إعجاب في تركها﴾[4].

٤- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿... قلت ياجبرائيل فما تفسير الزهد؟ قال الزاهد يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ويتحرّج من حلال الدنيا ولايلتفت إلى حرامها فإنَّ حلالها حساب وحرامها عقاب ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويتحرّج من

---

١ جنود العقل والجهل ص ٢٩١-٢٩٣.

٢ الكافي ج٢ ص١٠٤.

٣ المصدر السابق ص١٠٥.

٤ البحار ج ٦٧ ص٣١٥.

الكلام كما يتحرّج من الميتة التي إشتدّ نتنها ويتحرّج عن حطام الدنيا وزينتها كما يتجنّب النار أنْ تغشاه وأنْ يقصر أمله وكان بين عينيه أجله ﴾[١].

٥- عن أمير المؤمنين عليه السلام : ﴿ أفضل الزهد إخفاء الزهد ﴾[٢].

٦- وعنه عليه السلام :﴿ الزهد أنْ لاتطلب المفقود حتى يقدم الموجود ﴾[٣].

٧- عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ الزهد في زماننا هذا الدنانير والدراهم، وليأتيّن زمانٌ، الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنانير والدراهم ﴾[٤].

---

١ معاني الأخبار ص٢٦٢.

٢ البحار ج٦٧ ص٣١٩.

٣ ميزان الحكمة ج٢ ص١١٦٨.

٤ المصدر السابق ج١ ص٤٩٢.

خاتمة في ملحقات العفة في شجرة الأخلاق

توجد بعض الفروع الجانبية للعفة في شجرة الأخلاق الموجودة في تفسير الميزان وهي:

١-**الحياء**: وهو إنحصار الروح خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق.

٢-**الدعة**: وهي سكون النفس عن حركة الشهوات مطلقاً بمعنى أعمّ من الشهوة الجنسية.

٣- **الصبر**: وهو مقاومة النفس للهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات.

٤ - **الحرية**: وهي التمتع بقوة النفس في دائرة الحق وفعل وقول الأمر الإلهي بلا ريب وتوقف من دون أنْ يعتوره مايمنعه هذا من جانب، ومن جانب آخر: هي فضيلة للنفس بها يكتسب المال من وجهه ويعطي مايحب من وجهه ويمتنع من إكتساب المال من غير وجهه.

٥- **القناعة**: وهي التساهل في المأكل والمشرب والزينة.

٦- **حسن الهدي**: وهو محبة تكميل النفس بالزينة الحسنة ومعناه أنْ يتزين المرء بزيّ الصالحين ويتحلى بحلية المتقين.

٧- **الدماثة**: وهي حسن إنقياد النفس إلى ما يجمّل وتسرّعها إلى الجميل وعليه فإنَّ حُسن الهَدي حبٌّ ومقدمة، والدماثة حركة نحو الجميل وبالدماثة تخرج الآمال والأحلام والرغبات العالية من القوة إلى الفعل.

٨- **الإنتظام**: وهو حال للنفس يقودها إلى حسن تقدير الأمور وترتيبها كما ينبغي وهذه تدعو الإنسان إلى أنْ يرتب أموره الشرعية والدنيوية وأمور المعاش والمعاد لكي يخرج من القرار الدنيوي إلى اللاقرار في عالم الحق تعالى.

٩- المسالمة أو العفو: وهي أنْ يسهل على النفس ترك المكافأة، وهي موادعة للنفس عن ملكة لا إضطراب فيها وهذا الخلق لابدّ أنْ يكون على نحو الملكة وليس على نحو الطبع الزائل وهو يعني أنْ نتعلم ويرسخ في أنفسنا بأنْ نجازي الإحسان بالإحسان ولانقابل الغير بما يفعل من سوء.

وهذا إنَّما يكون نابعاً من إلغاء الذات أمام عيال الله عزّ وجلّ ورعاياه وفي دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين عليه السلام:﴿اللهم صلي على محمد وآله وسدّدني لأنْ أعارض من غشّني بالنصح وأجزي من هجرني بالبرّ وأثيب من حرمني بالبذل﴾[1].

١٠ – الوقار: وهو ثبات النفس عن الحركة في تحصيل المطالب بحيث لا تضطرب ولا يعتريها أي خلل أو مانع وفي الدعاء ﴿اللهم إنِّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة﴾[2].

١١- الورع: وهو لزوم الأعمال الجميلة محبة لتكميل النفس.

١٢- السخاء: وهو التوسط في الأخذ والإعطاء ويعني إنفاق الأموال فيما ينبغي على مقدار ماينبغي وعلى ماينبغي أي بالصورة الصحيحة في مواردها وبمقدارها وتقع تحت السخاء أفرع جانبية وهي:

أ- الكرم: وهو إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي.

ب- الإيثار: وهو فضيلة للنفس بما يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تخصه حتى يبذله لمن يستحقه قال تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[3].

---

١ الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.

٢ مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٥٨٣.

٣ سورة الحشر الآية ٩.

ج- **النبل**: وهو سرور النفس بالأفعال العظام وإبتهاجها بلزوم هذه السيرة، ونودّ الإشارة إلى أنَّ هذا السرور هو غير العجب والكبر وإنَّما هو حالة الأُنس بالله تعالى وأياديه فيه ومعرفة النفس أنَّها تطورت في معرفة ذاتها المؤدي إلى معرفة الله عزّ وجلّ.

د- **السماحة**: وهو بذل ما لا يجب من باب التفضل والتحميل على التكليف لما ينفع الناس ممّا يجعله يهتمّ بهم ويميل على نفسه للآخرين، فلفظ السماحة الذي يطلق على الأخوة الطلبة والأساتذة والعلماء يعني أنَّهم يميلون على أنفسهم وأوقاتهم ويبذلون جهودهم وأموالهم من أجل أنْ يؤدوا دورهم في تقريب الناس إلى الطاعة وإبعادهم عن المعصية من دون أنْ يسبب ذلك إزعاجهم بل إنَّهم يأنسون بذلك فهل هذا هو واقعنا نحن سماحات الطلبة السادة الأجلاء والمشايخ الأكارم؟.

هـ- **المسامحة**: هو ترك بعض مايجب، بأنْ يتنازل الشخص عن حقٍّ ثابتٍ له، ولكن لابدّ أنْ تُقنَّن المسامحة بحفظ الحقوق، وإلا قد يصل الأمر إلى سوء الأدب.

و- **المواساة**: وهو الشعور بما يشعر به الآخرون والتعايش معهم في جميع أمورهم مما يفيد في تهوين الخطب عليهم وهو تأدية الدور الإلهي في عيال الله تعالى.

هذا تمام الكلام في العفة ومايتعلق بها ومن الله العفة والسداد والكلام يقع في فرع آخر وهو الشجاعة.

المقصد الخامس – الجهة الأولى

الشجاعة

توطئة

تقدم أنَّ المسالك في الأخلاق متعددة ولكنّها بالأخرة مشربها واحد، والذي نريد أنْ نقوله هو أنَّ البعض يتكلم عن الشجاعة في مباحث الأخلاق ويقول بأنَّها أحد الفروع الرئيسية في شجرة الأخلاق وأنَّها مقابلة للقوة الغضبية السبعية في باطن الإنسان من دون أنْ يتطرق إلى مايتعلق بالشجاعة من بحوث عملية، ولايربط مايتعلق بالأخلاق ومسيرة العرفان بالحماسة والقيادة والثورة، وهذا هو السبب في فصل الدين عن السياسة والأخلاق والقيادة، ووصل حال الشعوب الإسلامية إلى ما هو عليه من التعطيل لأحكام الدين وتوهين المعارف الإسلامية، والمفروض نشرها وتطبيقها لذا فإنَّنا نرى - وحسب نظرنا القاصر - أنَّ الشجاعة لها أهمية كبيرة بحثاً وتطبيقاً وتفريعاً مع إقامة الأدلة عليها.

من البديهي أنَّ الحكيم العفيف يحتاج إلى الشجاعة، إذ كيف حصل على الحكمة وقهر وَهْمَهُ، وكذلك كيف حصل على العفة وقهر نفسه الأمّارة ما لم يكن شجاعاً وكيف يمكنه نشر الحكمة والعفة في المجتمعات وتصدير الإسلام مالم يتصف بالشجاعة على نفسه وعدوّه الخارجي؟.

إنَّ أغلب الديّانين والسالكين القشريين على هذا الطريق يفهمون الأخلاق والعرفان والسير والسلوك بما هو نظريات علمية تبحث في مجلس الدرس وتلقى على المنابر بأسلوب خطابي حسبما يتطلبه حال الملقي و المتلقي، من غير أنْ يلتفتوا إلى كيفية قيادة المجتمع نحو تطبيق الإسلام والإنتصار على طاغوت النفس والخارج.

لذا نرى إنَّ تطبيع هذا الفرع(الشجاعة)قد يتعسَّر على البعض أكثر من الفرعين السابقين لأنَّه يحتاج في البداية إلى إقناع المقابل بقبول النظرية السياسية الإسلامية. لذا إرتأينا أنْ نلحق هذا الفرع برسالة سياسية، نثبت عينية الدين والأخلاق والسياسة نثبت فيه رأي الإسلام في السياسة ونخلص فيها إلى أنَّه لايوجد عارف ليس بسياسي ولا يوجد سياسي ليس بعارف، ومنه يتضح لك السياسي والعارف الحقيقي وماعداه أكذوبة ودعاية، وإنَّما صرنا إلى هذا الطرح لسببين:

الأول: إنَّ هذا المطلب غير مطروح إلا نادراً وبسبب عدم طرحه طفح على الساحة الدينية فكرة فصل الدين عن السياسة ولعب الساسة بمصائر الشعوب تحت ذريعة إنَّهم رجال سياسة ولاربط لها بالدين سوى الوعظ والإرشاد المسيّس لمصالح البعض.

الثاني: إنَّ بعض الأخوة الطلبة وخلال المطارحات الأخلاقية والسياسية، عابوا علينا ما نذهب إليه، لإدعائهم صعوبة التطبيق وعدم مناغمة هذه النظرية لما هو موجود في زماننا، وهذا – على ما نرى – مطلب خطير بأنَّ طلبة العلم الواعين المعرضين عن الدنيا يغيّرون مسار الدين ويتنازلون عن مبادئه لأجل التماشي مع الوضع العام للشعب المتراجع، فهل نغير المجتمع وفق المنهج الديني؟ أو نغير الدين وفق معطيات المجتمع؟ إنَّه تغيير للثابت الإلهي وهذا هو الخطر الأعظم. وقد كتبت تلك الرسالة في أيام الحماسة والدين مابين الغدير والعاشور أي بمدة ٢٢ يوماً، وستوافيك في آخر مباحث الشجاعة، وهي الجهة الثانية من هذ المقصد(الخامس).

والشجاعة: وهي حالة في النفس تبعثها إلى التحرك لمقاومة كل مـا يخالف إرادة الحق تعالى وعلى جميع المستويات. فهي مِنْ أحلى الصفات وأبرزها عند جميع الشعوب ولايزال التاريخ مع كونه ظالماً على طول الطريق - ينقل أسماء وأخبار الشجعان ويبيّن تفاصيل مقاومتهم بغض النظر عن كون تلك الشخصيات واقعيه أو وهمية أسطورية، أو كونها مسلمة أو كافرة، أو كونها على الحق أو على الباطل، وهذا يدلل على إهتمام المجتمعات بالشجاعة والشجاع.

لفت نظر

أرجو أنْ لا تخرجوا من قدسية وروحانية هدوئكم الذي اعتدتم عليه في البحوث السابقة ولا يتوهمنَّ أحد أنَّنا سنخرج من روحانيتنا عندما نتكلم عن الشجاعة وتفاصيلها.

كلا بل إنَّنا سنشعر بالروحانية أكثر لأنَّنا سنفتح باباً جديداً لمعرفة الله وتطبيق إراداته عن طريق الشجاعة. وبالتالي سيكون الحقّ تعالى حاضراً عندنا بصورة أتمّ ووقت أكثر.

والكلام في الشجاعة يقع في فصول:

الفصل الأول

الشجاعة وضدها التهور

الشجاعة: هي ملكة السيطرة على القوة الغضبية السبعية المتوسطة بين التهور والجبن وهما طرفا الإفراط والتفريط[١].

والشجاعة: خلق جميل تحصل بتوسط الإقدام على الأشياء المفزعة و الإحجام عنها فهي عند أفلاطون إحدى الفضائل الأصيلة وهي فضيلة القوة الغضبية.

والتهور: هو طرف الإفراط في الشجاعة، وهو الإقدام على ما لا ينبغي فعله وقوله، (ويمكن أنْ يقال أيضاً إنَّ التهور هو عدم الإقدام على ما لا ينبغي التفكير به، وهذا مختص بأهل المقامات العالية)والخوض فيما يمنعه العقل والشرع من المهالك و المخاوف وهو المطاوعة في الإقدام وعدم المطاوعة في الإحجام.

وعليه فالتهور يكون على ثلاثة مستويات:

العمل، والقول، والتفكير.

أمّا مصاديق التهور في العمل فمنها:

أ- إرتكاب الحرام فهو يجازف في العناد والمبارزة مع الله عزّ وجلّ بمخالفة شرعه.

ب- إقحام النفس في الجهات الحزبية والتنظيمية والحركات السياسية في مقابل الإعتصام بحبل الله الواحد، فهو لجوء إلى عناوين إسلامية ولكنّه بالمقابل محاربة للمسلمين غير المنتمين لجهته.

---

١ فالتهور هو الإفراط، والجبن هو التفريط.

جـ– تقمص شخصية أكبر من القدر والتهور بالعنوان.

د–الإقتحام في الهلكات عند عدم الوقوف عند الشبهات، ونعني بالشبهات اعم من المشتبه الشرعي الذي ليس هو حلال بيّن ولا حرام بيّن، بل الأعم من ذلك فيشمل كل شبهة خارجية.

هـ– الدخول في سلك رجال الدين والحوزة العلمية بلا هدف أو بهدف ليس بإلهي، فهو يأكل أموال الإمام عليه السلام بدون إنتاج وتقوية للدين ولعله يثبت العكس وهو الإضرار بالدين كما يفعله بعض المدّعين.

و– الإستعراضات البدنية القائمة على بناء الأجسام وحسنها والتي تحمل وراءها عواقب لا تحمد، وهكذا.

و أمّا مصاديق التهور في القول فمنها:

أ– إلقاء محاضرة أو درس حوزوي أو غيره بدون السيطرة على معلوماتها بالكامل فيقع في ورطة الإضلال بدل الهداية.

ب– كثرة الكلام مطلقاً وبالأخص الكلام غير الإلهي وما لا شأن له فيه.

جـ– إستعمال الألفاظ النابية والمستقبحة عرفاً وشرعاً من دون أنْ يلتفت إلى أنَّ:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1].

---

[1] سورة ق الآية ١٨.

و أمّا مصاديق التهور على مستوى التفكير فمنها:

أ- أنْ يدور في خلده فعل المحرم ويفكر فيه، أو أي واحدة مما تقدم من مصاديق التهور في الفعل ولكن على مستوى التفكير والهمّ، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

إنْ قلتَ: إنَّما يُعَدّ ذلك تهوراً في الخواطر والأفكار الإختيارية دون الإضطرارية؟

قلتُ: نعم هو في بداية مجيء الخاطرة المتهورة إضطراري، ولكنّه في إستمرارية تلك الخاطرة وترتيب الصور والأحداث مختاراً إذ كان عليه أنْ ينتبه ويرجع.

يقول عزّ من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

ب- أنْ يسرح كثيرا في أوهامه وأفكاره الدنيوية ويهمل التفكير في شؤون الحق تعالى وأهله.

جـ- أنْ يتمنى أموراً غير إلهية بالرغم من إنَّه لا يمكنه فعلها ولا يوفر مقوماتها، فهو مفلس في جماعة المفلسين.

---

١ سورة البقرة الآية ٢٨٤.

٢ سورة الأعراف الآية ٢٠١.

علاج التهور على جميع المستويات

١- الإعقاد الجزمي بعواقب الأمور المتهور بها، سواءً كانت تلك العواقب في الدنيا أو في الآخرة أو بحسب الظاهر أو الباطن.

٢- تتبع سنن التاريخ القديم والحديث، والنظر في حال المتهورين والمدّعين والمتقمصين وما آلت أمورهم إليه.

٣- الحضور الدوري في المقابر والتأمل في ساكنيها، وبالأخصّ الحضور حالة الدفن وإهالة التراب والنظر في عواقب تلك التصرفات وأنَّها تدفن في القبر.

يقول بابا طاهر:

بقبرستان گذر كردم صباحی　　شنيدم نالهء وافغان وآهی

شنيدم كلّهء با خاک میگفت　　كه اين دنيا نمی ارزد بگاهی[1]

يعني:

مررتُ صباحاً بمقبرةٍ　　فسمعتُ ضجيجاً وآهات

وسمعتُ رأساً في الترابِ يقول:　　إنَّ هذهِ الدنيا لاتساوي قَشّة

٤- معرفته بأنَّه بتهوره قد خالف العقل الشرع و قد حاربهما علناً.

٥- إعتقاده بأنَّه ممقوت عند الحق تعالى وأهله بل عند عامة الناس فلم هذا التهور؟.

٦- إعتقاده أنَّ التهور و ما يتعلق به إنَّما صادر من شعور بالنقص، وإنَّه في الواقع جبان لكنّه يتظاهر بالشجاعة، فالتهور كاشف عن الجبن الكامن، لأنَّ كل شخص يتحرك صوب ما ينفعه.

---

١ دو بيتيهای بابا طاهر.

٧- وفوق كل هذا: الدعاء واللجوء إلى الله عز و جلّ والطلب منه بأنْ يخلّصه من هذا المرض، ولابدّ يكون دعاءه مقروناً بالإخلاص و الطلب الفعلي للتخلص من هذا الخلق الذميم.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق: ﴿اللهم خذ لنفسك من نفسي مايخلصها وأبقِ لنفسي من نفسي ما يصلحها فإنَّ نفسي هالكة أو تعصمها﴾[1].

---

١ الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.

هذا كلّه بالنسبه للتهور الذي هو حد الإفراط، وأمّا حدّ التفريط فهو:

الجُبن

وهو طرف التفريط في قوة الغضب فهو يلغيها بالكلية فهو خال من أدنى درجات الإقدام وهو سكون النفس عمّا يصلحها وعدم الإنتقال مما يلوثها ويشينها.

وهو من جنود الجهل والفطرة المحجوبة التي لم تطلّع على ما يريده الله عزّ وجلّ من نصره بين الناس ولم تطلع على عزة ومانعية الله عزّ وجلّ لجميع من دخل في خفارته.

وبالمقابل فإنَّ الشجاعة من جنود العقل وهو يحتاج إلى التدريج بالإتصاف حتى يبلغ الدرجة الكاملة من الشجاعة وإلا من كان شجاعاً بنسبة معينة أو في حالة معينة دون أخرى لم يكن متصفاً بالشجاعة وعلى أي حال فالجبن له مصاديق كثيرة وآثار.

أمّا آثاره: فما ذكره المولى النراقي: ﴿مهانة النفس والذلة وسوء العيش وطمع الناس فيما يملكه وقلة ثباته في الأمور والكسل وحب الراحة والحرمان من السعادات بأسرها وتمكين الظالمين من الظلم عليه وتحمّله للفضايح في نفسه وأهله، وإستماع القبائح من الشتم والقذف وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار، وتعطيل مقاصده ومهامّه﴾[1].

وأمّا مصاديقه:

١- عدم تبني النظرية الإسلامية الحقيقية.

٢- عدم العمل والتثقيف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلغائه من رأس، متحجّجاً بعدم توفر الشروط.

٣- عدم الإطلاع على العلوم بصورة عامة خاصة العلوم العقلية والعرفانية، والإقتصار على الفقه والأصول والنحو والبلاغة.

---

١ جامع السعادات ج١ ص ١٩٣.

٤- عدم السماح للذهن بأنْ يسرح في عالم الملكوت.

٥- الإكتفاء بزيارة مراقد أهل البيت عليهم السلام بالحضور المكاني فقط من دون الوقوف على معنى الزيارة والإرتباط بهم عليهم السلام.

٦- الرضا بالواقع المرير للحوزات العلمية و الجهات الحكومية المتصدية مع علمه بالتراجع الديني الذي تحقق على أيديهم من دون أنْ يتبنى أي تغيير ولو جزئياً.

علاج الجبن

بعد عرض آثار ومصاديق الجبن ومعرفة أنَّه من جنود الجهل وما يتصف به من الدناءة و اللادينية يمكن عرض بعض النقاط لعلاجه:

١- خلق الجرأة في النفس للحمية على الإسلام و المسلمين.

٢- فهم الدين الفهم الصحيح و الحقيقي والإعتقاد به و افهامه للناس على هذه الصورة.

٣- إستحقار الحياة ومعرفة أنَّ الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية وأنَّه لاحَياة بدون دين، وغير ذلك من العلاجات.

ولم أرَ في حياتي أجبن من هؤلاء الذين أعرضوا عن سلوك طريق الحقّ تعالى مخلّفينه وراءهم واستبدلوه بطريق الدنيا ﴿ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾[١]، تلافياً لتعب الطريق، فهم يخلقون عدواً بأوهامهم ويخافونه من دون أنْ يروه بأعينهم وهذا هو الجبن الحقيقي و المركب.

---

١ سورة التوبة الآية ٨٧.

كيفية تحصيل الشجاعة

١- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[١]، إنَّ الشجاعة تتطلب مقومات نفسية وخارجية وعمدتها: هو الخوف من الله عزّ وجلّ فقط كما هو واضح في الآية المزبورة.

وهذه الصفة(الخوف من الله فقط)قضية قد يصعب تحصيلها وتحتاج إلى مجاهدات كبيرة، ولعلَّ هذا هو الخلل الأكبر في قيادة بعض القادة حيث يحسبون الحسابات المادّية ممّا يضطرهم إلى اللجوء والتعامل مع ما لايرضى الله سبحانه وتعالى به وبذا يرتكبون المخالفات الشرعية مما يدلل على عدم خوفهم من الله عزّ وجلّ وبذا يوفروا لأنفسهم أسباب الفشل.

إذن دعامة الشجاعة الخوف من الله عزّ وجلّ وهذا العامل نفسي من جهة كونه إعتقاداً، وخارجي من جهة أنَّه تجنب فعل ما لايريده الله عزّ وجلّ، هذا الكلام له دائرة واسعة لا تناسب هذه الموجزة فتحققْ.

٢- الإعتقاد نفساً والعمل خارجاً على أنَّ الشجاعة إنَّما تكون في أي وقت وعلى أي فعل، ولا نعني بذلك اتخاذ مواقف حازمة حدية في جميع الحالات بل أنَّ إعمال حكم الله وتوجيه الشرع الأقدس في كل حادثة، والذي نقصده: هو التعلم والتدريب على الأشياء التي يخشى منها البعض وإنْ كانت صغيرة لأجل إختبار الشجاعة والتدريب عليها، قال رسول الله ﷺ: ﴿ واعلم أنَّ الله يحب البصر النافذ عند مجيء الشهوات،

---

١ سورة الأحزاب الآية ٣٩.

والعقل الكامل عند نزول الشبهات، ويحب السماحة ولو على تمرات، ويحب الشجاعة ولو على قتل حية ﴾[١].

٣- الهمّة العالية حيث أنَّ الهمّة تولِّد الشجاعة، فبدون الهمّة لا تتولَّد الشجاعة، وإنَّما قيّدنا الهمّة بالعالية لأنَّ مطلق الهمّة لا تنفع في تحريك الضمير والجسد بل تحتاج إلى همّة عالية، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ شجاعة الرجل على قدر همّته وغيرته على قدر حميَّته ﴾[٢].

٤- الصبر في المواقف الشديدة فهو مولِّد الشجاعة وأحد أركانها المهمّة، وقد نلاحظ أنَّ الصبر يدخل في كل خلق حسن وهذا واضح لأنَّنا ذكرنا بأنَّ الصبر هو الدعامة المصاحبة للطريق بأجمعه قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام – وقد سُئل عن الشجاعة –: ﴿ مواقفة الأقران والصبر عند الطعان ﴾[٣]. وغير ذلك من المقومات ومن أراد التوسعة وتثبيت الشجاعة فليراجع كتاب التعبئة في الكتاب والسنة لشيخنا الريشهري دامت بركاته.

---

١ مسند الشهاب لمحمد بن سلامة القضاعي مؤسسة الرسالة بيروت ج ٢ ص ١٥٢.

٢ غرر الحكم /الحكمة ٥٧٦٣.

٣ تحف العقول ص٢٢٦ وفي نسخة موافقة الأخوان.

تنبيه

تحتاج الشجاعة - لكي تكون كشجاعة النبي وأهل بيته عليهم السلام - إلى مقومات وصفات لا تختلف ولا تتخلف عنها فتكون دلالة كل واحدة منها على الشجاعة دلالة الأثر والمؤثر، وتلك المقومات من جنود العقل كلّها تدخل بالتدريج إلى أنْ تهيمن الهيمنة الكاملة وبالمقابل تكون مقابلاتها من جنود الجهل التي تحول من وجود جنود الجهل لمعرفة الحق وإنفاذ أمره في العالم. وهذه قضية سيّالة في جميع ما سنذكر من فصول هذا الفرع وهي:

الفصل الثاني

الرأفة والرحمة وضدهما القسوة والغضب

هذا الجندي(وهو الرأفة)إتحد مع جندي آخر وهو الرحمة فتألفت علاقة ومناسبة لإتحاد هذين الجنديين وباتحادهما وترتبهما يتحقق غرض واحد في بناء النفس وبالمقابل يتخلصان من جنديي الجهل وهما القسوة والغضب.

وهذه العلقة والمناسبة بين الرأفة والرحمة تكون من جهات:

الأولى: إنَّ الرأفة هي كمال الرحمة فعندما يكون الإنسان رحيماً بدرجة تامة وكاملة تتولَّد عنده الرأفة. وهي أرقّ من الرحمة وهذا معروف عند أهل اللغة.

الثانية: إنَّ الرأفة والرحمة متقاربان ومعناهما رقّة القلب، وبالمقابل فإنَّ القسوة والغضب متقاربان أيضاً ومعناهما غلظة القلب، وهذا معروف عند الفلاسفة.

الثالثة: إنَّ الرأفة حالة نفسانية قريبة إلى الأفق الجسماني من جهة تعلق النفس بالمادة والرحمة من صفات النفس من الوجهة الغيبية الملكوتية.

وهذا واضح لمن عرف تعريف النفس حيث أنَّ لها جهة ملكوتية تجردت عن المادة وهي مقام الذات وجهة مُلكية تعلقت بالمادة وهي مقام الفعل[١]، وقد ذهب إلى هذا الرأي السيد الخميني رحمه الله[٢].

وعلى أي حال فالمقصود هنا أنَّ الرافة والرحمة بمعنى واحد وكذلك القسوة والغضب.

الرحمة: هي رقة القلب وعطفه المقتضي للتفضل والإحسان، والرحمة التي نتكلم عنها هي رحمة الإنسان ولسنا بصدد التكلم عن رحمة الله تعالى ورأفته ولكن بعض ما يتعلق

---

١ أوضحنا هذه المباحث في الفتوحات العلوية فراجع.

٢ جنود العقل والجهل ص٢٢٠.

برحمة الله تعالى ورأفته يمكن أنْ يكون للإنسان، لكي يمارس دوره وحركته في المجتمع الإسلامي بعد بناء نفسه وممّا يمكن أنْ يلتفت إليه الإنسان في هذا المجال - على مبدأ: ﴿لافرق بينك وبينها إلا أنَّهم عبادك﴾[١] - في معرفة رحمة الله تعالى فيه من جهة وكيفية العمل بالرحمة في غيره من الموجودات وهي مسألة معرفة أقسام الرحمة.

أقسام الرحمة

الرحمة تكون على قسمين

١- **الرحمة الوجوبية**: وهي عبارة عن تلك الرحمة التي وعدها الله تعالى للمتقين والمحسنين وهي خاصة بهم ذكرها تبارك وتعالى في قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٢].

٢- **الرحمة الإمتنانية**: وهي اللطف الخاص الذي يصون العبد من إختلاف العقيدة.

٣- **الرحمة الخَلقية**: وهي الرحمة التي تشمل كل شيء من المخلوقات.

فالرحمة الأخيرة توجد المخلوقات، ثمّ يشمله لطف الهداية التشريعية، ثمّ الرحمة الثانية تصونه، من الإختلاف والحيود عن الصراط المستقيم، والأولى تميّزه عن غيره من الموجودات ومنها سينطلق ويكون رحيماً بغيره وهذا هو محل كلامنا في هذا الجندي.

الرأفة: هي جذب المطيعين إلى باب رب العالمين وتنبيه العاصين ووعظهم.

---

١ دعاء شهر رجب الوارد عن الناحية المقدَّسة عليه السلام.

٢ سورة الأعراف الآية ١٥٦.

فإذا توفرت الرأفة والرحمة إستقام سلوك السالك وسار في طريق الوصول إلى الإنسان الكامل فإذا وصل ورأف ورحم باقي العباد ودخل في عالم الإرشاد يكون قد أعلن نفسه هادياً لخلق الله وراعياً لمصلحتهم ودخل في إمَّعة المجتمعات لأداء دوره كما هو.

قال السيد الخميني رحمه الله: ﴿وهذه الرحمة والرأفة هما اللتان أوقعتا المعلمين الروحانيين والأنبياء العظام والأولياء الكرام والعارفين بالله في المشقات والمتاعب لسعادة نوعهم وسرور العائلة الإنسانية الدائم﴾[١].

معالم الرحمة الإنسانية:

لابدّ لكل منّا إلى جنب كونه شجاعاً بل ليكون شجاعاً أنْ تتوفر فيه مقومات الرأفة والرحمة وتظهر آثارها في عمله على جميع الأصعدة وللرحمة معالم كثيرة منها:

١- الرحمة على الفقراء الذين هم عيال الله تعالى ونحن - حسب الظاهر - عمّال الله فلابدّ لعمّال الله أنْ يرحموا عباد الله وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الخلق عباد الله فأحب الخلق إلى الله من نفع عباد الله وأدخل على أهل بيت سروراً﴾[٢]، وقيل: ﴿الفقراء عباد الله والأنبياء وكلاؤه وخير وكلائه أبرّهم بعياله﴾[٣].

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٢٣.

٢ الكافي ج٢ ص١٦٤.

٣ توضيح المقال الملا علي كني ص١٢.

٢- الرأفة على مصير الناس الأخروي والنظر في إلى ما سيؤول أمر الناس وحيث أنَّهم منغمسون في الدنيا ومتعلقاتها فمقتضى الرأفة والرحمة أنْ يُنبّهَهُم إلى كيفية معاشهم الإلهي ليضمن معادهم إلى الجنة ويتصور حالهم وهم يتقلقلون بين أطباق جهنم الدنيا فيرّق قلبه لحالهم ويسعى لإنقاذهم مادام في الحياة مدة وفرصة للتغير. يقول السيد الخميني رحمه الله: ﴿من كان قلبه خالياً من الرأفة والرحمة لعباد الله فلابدّ أنْ يخرج من سلك هذه الجمعية(الجمعية الإنسانية)ويحرم من حق الإنتماء إلى العائلة﴾[1].

٣- أنْ ترأف بنفسك وترحمها ولاتجعلها توغل أكثر من ظلمات الدنيا والمادة بل تنبهها لما فيه صلاحها وتعرفها لماذا خلقت ومن أين الطريق.

٤- أنْ ترأف بمن هم تحت حكومتك من الوالدين أو الزوجة أو الأولاد والطلاب وغير ذلك بإعطائهم حقهم المادي والمعنوي.

٥- شكر النِعَم، بتقريب: إنَّ شكر النِعَم يوجب إستمرارها إذ(بالشكر تدوم النعم)فعدم شكرها يؤدي إلى سلبها مما يؤدي إلى الحرمان من فيوضات الحق وهو خلاف الرأفة فالشكر من معالم الرأفة.

٦- إجراء الحدود وتفعيل نظام الديات لما في ذلك صلاح النفس والمجتمع والدين والقرآن الكريم اعتبر تفعيل نظام القضاء الإسلامي حياة حقيقية لجميع طبقات المجتمع قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[2].

فإقامة الحدود مقتضى الرأفة لكي تصلح الحياة الدنيا وتبعاً لها تصلح الآخرة.

---

١ جنود العقل والجهل ص٢٢٤.

٢ سورة البقرة الآية ١٧٩.

وهذا الجندي وهو الرأفة والرحمة من جنود العقل الذي يدخل شيئاً فشيئاً إلى أنْ يستحكم بالكلية وهو من لوازم الفطرة المخمرة الصادرة من رأفة الله تعالى ورحمته التي جذبت جميع خلقه إليه وجعلت صفة الرأفة والرحمة كالأم التي تحنو على جميع الموجودات وبالمقابل فإنَّ جندي القسوة والغضب من جنود الجهل والفطرة المحجوبة التي لا تمتّ للربّ الرحيم بصلة بل أنّها ترجع إلى طينة سفليين الإبليسية التي قوامها إغواء الناس وإبعادهم عن الطريق لا جذبهم كما هو فِعلُ الرؤوف، هذا كلّه بالنسبة للرحمة والرأفة، وعرفنا أنّه من الشجاعة أنْ يكون الإنسان رؤوفاً رحيماً.

والكلام يقع في:

القسوة والغضب.

أمّا القسوة: فهي غلظة القلب وشدّته وصلابته في علاقته مع الحق والخلق، فالقسوة مع الخلق واضحة، ومع الحق تعالى تكون بعصيان أوامره وعدم اتباع إرادته تعالى، وتشمل القسوة مع النفس بعدم إرجاعها إلى مبدئها الأعلى وليس ذلك إلا لأنَّ النفس ظل لله تعالى.

والغضب: حركة وحالة نفسانية يحدث بواسطتها في القلب غليان الدم للإنتقام فإذا اشتدَّت هذه الحركة تشتعل نـار الغضب فتمتليء الشرايين والدمـاغ من دخـان مظلم مضطرب ينحرف بسببه العقل ويتوقف عن الإدراك والرؤية .

قال إبن مسكويه: ﴿ مثل الإنسان في هذه الحال مثل كهف تشتعل فيه نار كثيرة بحيث يمتلئ من اللهب والدخان اللذين يحتبسان فيه ويخرج منه نفير وأصوات موحشة ويلتوي فيه لهب النار وتتزايد ثائرتها كل حين وفي هذه الحالة العلاج صعب جداً لأنَّه لا يمكن إطفاء تلك النار فكلما يلقى فيها لإطفاء لهبها يزيد في إشتعالها فتأكله وتجعله جزءاً منها وتزيد مادتها ولهذا يكون الإنسان في حالة إشتعال ثائرة الغضب أعمى عن الرشد والهداية وأصم عن الموعظة والنصيحة بل الموعظة في هذا الحال تكون سبباً لإزدياد غضبه ومادة لإشتعال ثائرته وليس لهذا الشخص في هذه الحالة علاج ﴾[١].

---

١ تهذيب الأخلاق لابن مسكويه(ط. طليعة النور)ص٢٨٥– ٢٨٦ بتصرف.

إنَّ حمرة الوجه عند الغضب إنَّما تكون من حرارة نار جهنم التي هي جزاء طاعة الشيطان وهذه واحدة من تجسد آثار نار جهنم الأخروية في الحياة الدنيا . يقول الإمام الباقر عليه السلام : ﴿ إنَّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف إبن آدم وإنَّ أحدكم إذا غضب إحمرَّت عيناه وإنتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه ﴾[1].

الرحمة والرأفة حدّ الإعتدال

إنَّ الرحمة والرأفة هي الطريقة الوسطى بين طرفي الإفراط والتفريط فطرف الإفراط هو القسوة والغضب وطرف التفريط هو الخضوع وهو من أفسد الأمراض إذ معه لايقوم للدين حكم وسيستولي أهل الشرك على بلاد المسلمين، وهذا يعني الدخول في باب ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾[2]، وما أكثر الخضوع في عصور الظالمين تحت حجّة السلام والمحبة والرحمة.

الغضب الممدوح والغضب المذموم

صحيحٌ إنَّ الغضب من الأخلاق الذميمة ولكن ليس كل غضب وإنَّما ذلك الذي يجعل النفس كالكلب المسعور الذي ينهش وينبح على كل من يمرّ به وسنذكر أسبابه وعلاجه. والذي نريد أنْ نقوله هنا هو: إنَّ هنالك غضباً ممدوحاً بل إنَّ بعض النصوص دعت إليه وذمت تركه لأنَّ العالم القائم على التضّاد والتنافر والتنازع والتصادم يحتاج لكي يستمر ويأخذ كل ذي حقٍّ حقَّه إلى القوة الغضبية لذلك عدّ البعض أنَّ القوة الغضبية من أعظم النعم الإلهية هذا على مستوى الفرد والمجتمع وأمور المعاش المادية.

---

١ البحار ج٧ ص٢٧٨.

٢ سورة التوبة الآية ٨٧.

أمّا على مستوى الأمور الإلهية فوجود القوة الغضبية مهم جداً لضرورة القساوة في إقامة الحدود وفصل القضاء في القصاص والديات وعدم الرحمة بأهل الفساد في المجتمع الدين وقد وصف القرآن المجيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه بأنّهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وفي البين روايات كثيرة من هذا القبيل مثل ما ورد عن باقر العلوم عليه السلام: ﴿وأوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيب النبي عليه السلام إنّي معذّبٌ من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: ياربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي﴾[2].

ومـا ورد عن إبـي عبد الله عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين عليه السلام قال: ﴿قال موسى بن عمران عليه السلام: يارب من أهلك الذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لاظلّ إلا ظلّك؟ قال: فأوحى الله إليه: الطاهرة قلوبهم والتَرِبَة أيديهم، الذين يذكرون جلالي إذا ذكروا ربهم، الذين يكتفون بطاعتي كما يكتفي الصبي الصغير باللبن، الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسور إلى أوكارها، والذين يغضبون لمحارمي إذا استُحِلَّتْ مثل النمر إذا حرد[3]﴾[4].

---

١ سورة الفتح الآية ٢٩.

٢ الكافي ج٥ ص٥٦.

٣ حرد: يعني غَضَب.

٤ المحاسن للبرقي ج١ ص١٦.

إذن هنالك غضب ممدوح وهو الغضب الذي يُذاد به عن حمى الدين ولكن لابدّ أنْ لا نخلط الأوراق في هذا المجال إذ لَرُبَّ أرعن يريد أنْ يلبّي رغباته تحت هذا الغطاء، فالمسألة تحتاج إلى دقة وتمييز ولكن لايصل إلى حد يتفشى الفساد قبل اتخاذ القرار وإلا لزِمَ نقض الغرض.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿إنَّ القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحدود والتعزيرات وسائر التعاليم السياسية الدينية والعقلية لايكون إلا في ظل القوة الغضبية الشريفة وعلى ذلك فإنَّ الذين يظنون أنَّ قتل غريزة الغضب بالكامل وإخماد أنفاسها يُعَدّ من الكمالات والمعارج النفسية إنَّما يرتكبون خطيئة عظيمة ويغفلون عن حد الكمال ومقام الإعتدال﴾[1].

أسباب الغضب:

هنالك أسباب بل مجاميع للأسباب كلّها تؤدي إلى تهيُّج الغضب نحاول ذكر أغلبها للإنتباه إلى ما حولنا من أسباب الغضب، إذ لعلنا نوفر مقتضيات وأسباب الغضب من حيث لانعلم، وبهذا نكون قد صرنا من مظاهر جهنم ونحن نسعى لتحصيل الجنة، هذا وإنَّ معرفة الأسباب يساعد على تسهيل العلاج ومن تلك الأسباب:

١- **أسباب فسلجية وصحية:** كأن يكون الإنسان يعاني من بعض الأمراض الجسدية مما يؤثر على وظائفه مثل عدم التوازن الحراري أو المرارة أو الإصابة بالجلطة القلبية أو الدماغية ممّا يؤثر على ضغط الدم أو تعسر الهضم والإسهال والقبض وغير ذلك وهذا يؤدي إلى إثارة غضبه في أغلب الأحيان.

---

١ الأربعون حديثاً/ الحديث السابع.

٢- **أسباب نفسية**: مثل الإجهاد العصبي والتوتر والإهتمام بالحسابات غير الإلهية في المواقف البسيطة.

٣- **أسباب وراثية**: ضمن طبيعته الخلقية كأن ينتمي إلى عائلة أو قوم تهيج قوتهم الغضبية بسرعة.

٤- **عوامل بيئية**: كحرارة الجو وجفافه لذا نرى سكان المناطق الباردة والرطبة أكثر هدوءاً.

٥- **توهم أنَّ الغضب من الكمالات**: وهذا من الأسباب العلمية التي يصعب إقتلاعها يقول السيد الخميني رحمه الله: ﴿ ومن الأسباب الأخرى لإثارة الغضب هو أنَّ الإنسان قد يظن الغضب وما يصدر عنه من سائر الأعمال القبيحة والرذائل السافلة كمالاً وذلك لجهله وقلة معرفته فيحسب الغضب من الفضائل ويراه بعض الجهال فتوة وشجاعة وجرأة فيتباهى ويطري على نفسه في أنَّه فعل كذا وكذا فيحسب هذه الصفة الرذيلة المهلكة شجاعة ﴾[1].

٦- **حب الدنيا**: التي هي أسّ الذنوب فكثير من حالات الغضب ترجع إلى هذا المرض العضال وحب الدنيا إذ أنَّ المرء بسبب حبه للدنيا وتعلقه بها يغضب ويزمجر إذا أحسّ بأنَّ شخصاً ما يريد أنْ يأخذها منه بأي شكل من الأشكال.

---

١ الأربعون حديثاً/ الحديث السابع.

يقول السيد الخميني رحمه الله: ﴿وينبغي أنْ تسمى بأم الأمراض لأنَّه يتولَّد منها أكثر بل جميع الأمراض النفسانية كما عرفت في الروايات أنَّ حب الدنيا رأس كل خطيئة وحيث أنَّ حب المال والجاه وحب القدرة والنفوذ وحب المطعم والملبس والمنكح وأمثالها من شعب حب الدنيا وحب النفس لذا لابدّ من إرجاع جميع الأسباب إلى حب الدنيا والإنسان إذا تعلق بهذه الأمور وتقلد بطوق حبها لو حدث له أدنى إشكال بسببها يغلي دم قلبه لدفع الإشكال وتتهيج القوة الغضبية كتهيج الكلاب على الجيفة فإذا رأوا أنَّ المعدة خالية يتسابقون ويدفعون غيرهم عنها﴾[1]، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿الدنيا جيفة وطالبها كلاب﴾[2].

٧- **الأنا وحب النفس:** وهذه من الدوافع القوية لإثارة القوة الغضبية فإنَّ المرء لأجل الإعتداد بنفسه والإنتصار لها يفعل كل شيء بواسطة الغضب.

يقول السيد الخميني رحمه الله: ﴿ومن تلك الأسباب حب الذات ويتفرع عنه حب المال والجاه والشرف والنفوذ والتسلط وهذه كلّها تتسبب في إشعال نار الغضب إذ أنَّ من كانت فيه هذه الأنواع من الحب يهتمّ بهذه الأمور كثيراً ويكون لها في قلبه مكان رفيع﴾[3].

---

١ الأربعون حديثاً/ الحديث السابع.

٢ مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام وشرح إحقاق الحق ص١٣٨.

٣ الأربعون حديثاً/ الحديث السابع.

يقول مولوي:

مــــــادر بتهـــــا بــــــت نفــــــس شماســــــت

ز آن كـــــه آن بــــت مـــار وايـــن بـــت اژدهاســــت[1]

يعني:

إنَّ أمّ الأصـــــــنام صـــــــنم نفســـــــك

ومنهـــا ذلـــك صـــنم الأفعـــى وهـــذا صـــنم التنـــين

إلى غير ذلك من الأسباب وبعد كل هذا لابدّ من المصير إلى العلاج .

علاج الغضب

يمكن ذكر طرق كثيرة للعلاج، وطبيعي إنَّ ذلك يتبع معرفة الأسباب ولكن يمكن طرح علاجات أكثر مما يتعلق بالأسباب المزبورة لأجل التخلص من هذا المرض خاصة وأنَّ أسبابه كثيرة كما عرفت، ومن العلاجات:

١- رفع جميع الأسباب المزبورة[2]: بأنْ يحاول علاج الأمراض الجسدية والإهتمام بالصحة العامة، والتخلص من العصبية القبلية والقومية والتطبع بالأخلاق الحميدة الجديدة، وملاحظة ذلك في أولاده بأنْ يتزوج إمرأة من ذوات الطبيعة الهادئة وأنْ لايسترضع المرأة ذات المزاج الحاد لأنَّ جميع الصفات تسري وتنتقل إلى الطفل من خلال اللبن وهذا مصرّح به في الروايات، وتغيير الجو بأنْ يسافر كثيراً إلى المناطق الباردة

---

١ مثنوي معنوي دفتر اَول بيت٧٧٢.

٢ ما سيذكر من العلاج في هذه النقطة يكون على نحو اللف والنشر المرتب لكل واحدة من الأسباب آنفة الذكر بسبب الترتيب.

والهادئة والكون في مراقد المعصومين عليهم السلام مما يبعث الطمأنينة والهدوء في النفس وفهم الإسلام الفهم الصحيح من جهة علم الأخلاق ومعرفة الصفات الحميدة والذميمة للتحلي بالأولى والتخلي عن الثانية وأنْ يكون لكل منا شيخ في طريقه يرشده إلى ماهو الصحيح من الأخلاق وترك حب الدنيا والنفس وقد تقدم كيفية التخلص منهما فراجع.

٢- قراءة وتطبيق الروايات الذامة للغضب والقساوة وقراءة وتطبيق الروايات المادحة للرحمة والرأفة وستوافيك بعد قليل.

٣- الإستغفار والتوبة والإستعاذة بالله من الشيطان الرجيم بمعنى أنْ يستعين بالله عزّ وجلّ وطاعته ويستعيذ به من طاعة الشيطان المسبب للغضب حيث يفرض حكومته عليه أثناء الغضب.

٤- عدم مصاحبة من يثير غضبه أو مصاحبة من يغضب بسرعة لكي لا يتعلم منه هذه الصفة الرذيلة، يقول المولى النراقي: ﴿ أنْ يتحرز عن مصاحبة أرباب الغضب والذين يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ﴾[1].

٥- أنْ يعتقد ويستحضر قدرة الله تعالى عليه وعلى كل شيء وأنّه تعالى أعرف منه بكل شيء.

٦- أنْ يغير وضعه الذي هو فيه بأنْ يتوضأ أو يصلي أو يقرأ القرآن ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2].

٧- أنْ يَمَسَّه رحم لما ورد من: ﴿ إنَّ الرحم إذا مُسَّتْ سكنتْ ﴾ وعندنا: مطلق الإمامي رحم[1].

---

١ جامع السعادات ج١ ص٢٦٠.

٢ سورة الرعد الآية ٢٨.

وهذه العلاجات قد ذكرها المعصومون عليهم السلام في رواياتهم مثل:

أ- ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ أوحى الله عزّ وجلّ إلى بعض أنبيائه يا ابن آدم اذكرني في غضبك أذكرك عند غضبي لا أمحقك في من أمحق وارض بي منتصراً فإنَّ إنتصاري لك خير من إنتصارك لنفسك ﴾[٢].

ب- ما نقلناه سابقاً عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿ إنَّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم وأنَّ أحدكم إذا غضب إحمرت عيناه وإنتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه فإذا خاف أحدكم ذلك فليلزم الأرض فإنَّ رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك ﴾[٣].

ج- عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿ إنَّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار فأيّما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنَّه سيذهب منه رجس الشيطان وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فإنَّ الرحم إذا مُسَّت سكنت ﴾[٤].

---

١ هذا من النظرة الأخلاقية والإجتماعية وإلا فلا فيترتب على ذلك أي أثر شرعي كما هو معروف.

٢ البحار ج١٣ ص٣٥٨.

٣ المصدر السابق ج٧٠ ص٢٧٨.

٤ المصدر السابق ص٢٧٠.

روايات في الحث على الرحمة والرأفة

١- الإمام الصادق عليه السلام يقول لأصحابه: ﴿إتقوا الله وكونوا أخوة بررة متحابّين في الله متواصلين متراحمين ، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه﴾[١].

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام قـــال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنَّ الله عزّ وجلّ رحيم يحب كل رحيم﴾[٢].

٣- عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿والذي نفسي بيده، لا يضع الله الرحمة إلا على الرحيم، قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: ليس الذي يرحم نفسه وأهله خاصةً، ولكن الذي يرحم المسلمين﴾[٣].

٤- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء﴾[٤].

---

١ الكافي ج ٢ ص ١٥٧.

٢ جامع أحاديث الشيعة ج١٥ ص٥٣.

٣ المصدر السابق ص ٥٣.

٤ المصدر السابق ص٥٣٩.

روايات في ذم الغضب

١- ورد عن أبي عبد الله عليه السلام إنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل﴾[١].

٢- عن أبـي عبد الله عليه السلام: في حديث لـه: كـان أبـي يقـول: ﴿أي شيء أشدّ من الغضب؟! إنَّ الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة﴾[٢].

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام قال الحواريون لعيسى عليه السلام: ﴿أي الأشياء أشدّ؟ قال: أشدّ الأشياء غضب الله عزّ وجلّ. قالوا: بم نتقي غضب الله، قال: بأنْ لا تغضبوا. قالوا: وما بدء الغضب؟ قال: الكبر والتجبر و محقرة الناس﴾[٣].

٤- عن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿الغضب ممحقة لقلب الحكيم، ومن لم يملك غضبه لم يملك عقله﴾[٤].

---

١ الكافي ج٢ ص ١٠٢.

٢ المصدر السابق ص ٣٠٣.

٣ الخصال ص٦.

٤ الكافي ج٢ ص ٣٠٥.

الفصل الثالث

الرفق وضده الخرق

من الصفات التي لابدّ أنْ يتصف بها الشجاع هو الرفق بمعنى المداراة: وهو حالة الإعتدال بين طرف الإفراط وهو التساهل المخلّ، وطرف التفريط هو الخرق.

الرفق: وهو المعاملة بلطف المستلزم للنفع والمعونة وهو من جنود العقل والفطرة المخمرة التي أخذت من بارئها هذه السمة التي شملت جميع المخلوقات.

الخرق: وهو العنف والشدة والمعاملة السيئة، والأخرق: هو سيء الخلق والطباع الممنوع معاشرته وهو من فطرة إبليس المحجوبة وجنود الجهل.

وجندي الرفق يدخل بالتدريج وبالمقابل يخرج الخرق بذلك المقدار فيتحسن خلق الإنسان واطباعه تدريجياً.

ولابدّ للأخرق أنْ ينتبه إلى أنَّه مذموم في الدنيا عند الناس ومعاقب في الآخرة لأنَّ أكثر شيء يبغضه الله عزّ وجلّ والناس هو سوء الخلق وهو الخرق وصاحبه متصف بالفضاضة والغلظة وقد مدح الله تعالى نبيه ﷺ لنجاحه في دعوته ووصفه بأنَّه لم يكن أخرق.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾[1].

---

١ سورة آل عمران الآية ١٥٩.

بل أنّه صلى الله عليه وآله قد نجح في تبليغه. فهو رفيق بالمؤمنين، فهو أكثر الأنبياء تحملَّ الأذى حتى صرّح بقوله: ﴿ما أُوذي نبي مثل ما أُوذيت﴾[١].

ولكنّه تحمل كل ذلك ورفق بمن معه حتى قال صلى الله عليه وآله: ﴿اللهم إغفر لقومي فإنَّهم لا يعلمون﴾[٢]. مع أنَّ نبي الله نوح عليه السلام صرّح بالدعاء ضد قومه إذ قال القرآن على لسانه: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[٣].

أهمية الرفق

يمكن أنْ يقال بأنَّ الحياة الدنيا فيها ثلاثة أنحاء بمعنى أنَّها يمكن أنْ تُلحظ بثلاثة لحاظات، لابدّ أنْ يكون الرفق فيها موجوداً واضحاً جلياً، وإلا أثّر ذلك على الحياة الأخرى وكان مصيره العقاب والعذاب الأليم. وهذه الأنحاء هي:

١ - الرفق في الحياة الإجتماعية: وله مجالات كثيرة منها:

المعاشرة الجيدة مع الخلق،وتوفير وسائل العيش الضرورية للعيال، وتدبير أمور العائلة، وتدبير أمور الدولة والسياسة. وهنا لابدّ أنْ يوازن بين مستويات الرفق، فبعض الأحيان يتطلب الأمر منه شيئاً من الشدة، والبعض الآخر اللين وكلاهما من الرفق مادام - الشدة واللين - من إهتمامه بإدارة الأمور إدارةً إلهيةً.

وهذا السيد الخميني رحمه الله الذي كان إمام الأمة وقائدها عمل بما يمليه عليه دينه وخلقه من الرفق بإدارة العالَم، والمتتبع لسيرته المباركة يلحظ ذلك جلياً.

---

١ البحار ج ٣٩ص ٥٦.

٢ ميزان الحكمة ج٣ ص٢٢٤٢.

٣ سورة نوح الآية ٢٦.

٢ – الرفق في الحياة الدينية والعلمية:

وهو واضح في دور رجال الدين – أعزّهم الله تعالى – في إرشاد الناس وتعليمهم وإيصالهم، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث أنّهم يمارسون مهامّهم الإلهية بداعي الرفق بعباد الله عزّ وجلّ.

وتختلف درجة الرفق بحسب حال المجتمعات، ولكن ينبغي أنْ لا تخرج عن ماحدّه الله تعالى.

ومن المؤسف أنّنا نجد بعض المحسوبين على العلم والدين والمبلغين لايلحظ هذه الصفة المباركة(الرفق)في عمله بأي مستوى من المستويات فتجد البعض يسيّس عمله وعلمه ويوظّفه إلى جهة، والبعض الآخر يكون شديداً في التعامل بحيث ينفر منه الناس، والآخر لايكون متحملاً لأعباء المهمّة والطريق بل تجده يتذمر أو يترك العمل، غافلاً عن أهمية هذا المجال وأنَّ في هذا العمل جنة اللقاء.

قطعت إليها كلَّ قفر ومهمّة
على الناقةِ الكوما والجملِ العود
إلى أنْ تراءى البرقُ من جانبِ الغضا
وقدْ زادَني مسراه وجداً على وجدي[١]

وعلى أي حال فأهل العلم تتفاوت نسبة عملهم بهذه الصفة المباركة.

---

١ فرهنگ اصطلاحات عرفاني محي الدين إبن عربي ص٥٦٣.

ولأهمية هذه الصفة في هذا المجال ذكرت الروايات مجموعة من الضوابط والحالات لأصحاب هذا المسلك لأجل التشديد في ضبط هذا الطريق مثل ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

﴿إنَّ من العلماء من يحب أنْ يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك في الدرك الأول من النار، ومن العلماء من إذا وُعِظ أنف وإذا وَعَظ عنف، فذاك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يرى أنْ يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف، ولا يرى له في المساكين وضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين، فإنْ رُدّ عليه شيء من قوله أو قُصِّر في شيء من أمره غضب، فذاك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به ويكثر به حديثه فذاك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يصنع نفسه للفتيا ويقول: سلوني، ولعلّه لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلّفين فذاك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة وعقلاً فذاك في الدرك السابع من النار﴾[1].

فمراعاة الرفق في العمل الديني مسألة مهمّة جداً في الهداية إلى طريق الحق.

قال تعالى للنبيين الأخوين موسى وهارون ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2].

وقال السيد الخميني رحمه الله: ﴿وفي باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الرفق وهذي المداراة هما من المهمات لأنَّ من الممكن أنَّه إذا أراد إنسان أنْ يمنع مرتكباً لمعصية

---

١ الخصال ص٣٥٣.

٢ سورة طه الآيات ٤٣ – ٤٤ .

او تاركاً لواجب بالشدة والعنف، فيمكن أنْ ينتهي أمره من المعصية الصغيرة إلى الكبائر او إلى الردّة والكفر﴾[1].

٣ - الرفق في الرياضات والسلوك إلى الله عزّ وجلّ:

وهذا من أهم الجوانب حيث أنَّ نتيجته تؤثر سلباً أو إيجاباً على الناس حيث أنَّ نجاحه في هذا الطرق يعني حسن عمله في الناس، وكذا فشله في نفسه فإنَّه يؤثر على الآخرين في هذا المجال فلا يرفق بهم، وفي هذا المجال لابدّ من مداراة النفس والرفق بها، والسير على منهجية مُعدّة وفق النصوص الإلهية في القرآن الكريم، وكذلك الواردة عن معدن العصمة والطهارة، ومن شيخ واصل كامل، وقد لاحظنا خلال مسيرتنا أنَّ عدم الرفق يوقع الكثير في الإنحرافات خاصة إذا كان مبتلى بعدم التدرّج في السير والسلوك فتراه يلتزم بما هو فوق مستواه، أو أنَّه يترك كل شيء دفعة واحدة من دون مراعاة التدريج في مهاوي النفس الرفيعة فيرجع إلى سابق عهده ولكن أفسد وألعن، وكل ما نحن فيه من كثرة المدّعين الذين يعتمدون على ذوقهم الخاص أو كشوفاتهم المريبة من دون الرجوع إلى القرآن والعترة، والصدر يضيق من ذكر هؤلاء وحالتهم.

---

١ جنود العقل والجهل ص٣١٧.

الرفق في كلام المعصومين عليهم السلام

١- عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى به الخضرُ عليه السلام موسى بن عمران عليه السلام: ﴿لا تعيرّن أحداً بذنب فإنَّ أحب الأمور إلى الله عزّ وجلّ ثلاثة: القصد في الجدة، والعفو عند المقدرة، والرفق بعباد الله. وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله عزّ وجلّ به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله تبارك وتعالى﴾[1].

٢- عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان الخرق في شيء إلا شانه﴾[2].

٣- وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿من حُرم الرفق حُرم الخير كلّه﴾[3].

٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في وصيته لابنه الحسين عليه السلام: ﴿يابني رأس العلم الرفق وآفته الخرق﴾[4].

٥- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ﴿إنَّ الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف﴾[5].

٦- عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ما أصطحب إثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه﴾[6].

---

١ الخصال ص١١١.

٢ تحف العقول ص٤٧.

٣ المصدر السابق ص٤٩.

٤ المصدر السابق ص٨٩.

٥ الكافي ج ٢ ص ٩٧.

٦ المصدر السابق.

٧- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لو كان الخرق خلقاً يُرى ما كان شيء مما خلق الله أقبح منه﴾[١].

الرفق في أشعار بابا طاهر رحمه الله

كثرت عبارات الرفق بالنفس في أشعار بابا طاهر الهمداني، ولكن طلبه للرفق بالنفس يكون إمّا بنفس النفس أو من فراق الحبيب، وذلك للألم الذي يحصل له من الشوق على الحبيب سواء حال الفراق أو حال الوصال، فنار العشق تشتعل في داخله على أي تقدير. ولكن في بعض الأحيان يؤكد على الرفق بالنفس في الدنيا لما في ذلك من تنبيه أنَّ الدنيا والعيش فيها يكون منتهياً على أي تقدير. فلابدّ أنْ يرحم الإنسان نفسه لكي يعيش بمقدار وكيفية تجعله يفوز بالدارين. فهو يقول رحمه الله:

اگــر شــيرى اگــر ميــرى اگــر مــور
گــذر بايــد كنــى آخــر لــب گــور
دلا رحمــى بجــان خويشــتن كــن
كــه مورانــت نهنــد خــوان وكننــد ســور[٢]

يعني :

إذا كُنــتَ أســداً أو أمــيراً أو نملــة
لابــدَّ أنْ تعــبرَ في الأخــير شــفيرَ القــبرِ
إرحــم نفســكَ أيهــا القلــبُ ولا تتكــبّرْ
فــإنَّ النمــلَ ســيجعلكَ ســفرةً للطعــامِ

---

١ الكافي ج ٢ ص ٩٧.

٢ دوبيتهاى بابا طاهر.

تنبيهات

١ — سعة وضيق الرفق والخرق:

لا يتصور أحدٌ أنَّ من يرفق لا يخرق دائماً، وكذا العكس أذ قد يجمعان عند شخص واحد غايته في حالات متعددة، أو في نفس الحالة ولكن في أوقات متعددة، ولكن هذا يدل على عدم توازن الشخصية.

وأفضل منه أنْ يُقال: إنَّ الرفق قد لا يكون صحيحاً في كل وقت فقد يحتاج الشخص إلى الشدة في بعض الحالات ولكن هذه الشدة لا تخرجه إلى حد الخرق لأنَّ الخرق مذموم على أي حال، ولكن يُصَعِّد من لهجة الموقف ضمن دائرة الشرع والأخلاق حفاظاً على أنْ تُداس كرامة المؤمن تحت تنازلات الرفق، وكذا الكلام في تطبيع وتطبيق أحكام الدين وعز المسلمين.

٢ — الفرق بين الرفق والمداراة:

قد يفهم من المداراة أنَّها بمعنى الرفق المذكور، ولكنّ المداراة تحمل معنى آخر وهو: ملائمة الناس وحسن صحبتهم، وإحتمال أذاهم، وهذا يعني أنَّ المداراة دون الرفق من الناحية الأخلاقية والنظرة الإسلامية، إذ الدافع في الرفق إلهي صرف من دون لحاظ أي شيء آخر، بينما في المداراة تلحظ — بالإضافة إلى الجانب الإلهي — الحالة الإجتماعية والتعايش السلمي، قال رسول الله ﷺ: ﴿المداراة نصف الإيمان﴾[١] بينما الرفق هو كل الإيمان ومن حاقّه.

---

١ جامع السعادات ج١ ص٢٧٠.

٣ – الخرق سوء الخلق:

ذكرنا فيما تقدم أنَّ الخرق يكون بمعنى سوء الخلق وقد أستخدم من عبارة سوء الخلق بدل الخرق في مواطن عديدة. فسوء الخلق – بلحاظ – هو التضجر وإنقباض الوجه وسوء الكلام وهو بهذه المقدار مقارب للخرق. وعلى أي حال فسوء الخلق أعم من الخرق لأنَّ الخرق أحد معالم سوء الخلق. فعن النبي ﷺ قال: ﴿أبى الله عزّ وجلّ لصاحب الخلق السيء بالتوبة. قيل: فكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنَّه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه﴾[1].

٤ – ترك الرفق والعزلة:

قد يتحجج من ليس له حرص على الدين بأنَّ الرفق لا ينفع في أكثر الموارد بل لعله في جميعها. وقد أُمرنا أنْ نتعامل بالرفق مع الناس. وهذا يؤدي إلى عرقلة وتعطيل العمل. لذا نلجأ إلى العزلة خير من أنْ نرتكب الخرق، خاصة مع وجود الروايات المادحة للعزلة. وهذا كما نرى وهم كبير وظلم عظيم لأنَّه بهذا سدَّ باب رحمة الله وهدايته، وأحتجب بالحق – حسب الظاهر – عن الخلق وهذا هو عين التفريط، فهو بهذا العمل قد حكم على نفسه بخروجه عن دائرة المؤمنين فضلاً عن العارفين، وسبّب باشتباهه هذا توهين الدين.

لذا من الضروري الإلتفات إلى موارد العزلة الصحيحة وموارد الرفق، وموارد الشدة والجمع بينها وفق المنظار الأخلاقي الإسلامي وطرح غيرها، وهذا ما يحتاج إلى دقة نظرية وممارسة عملية.

---

١ الكافي ج ٢ ص٣٢١.

الفصل الرابع

الرهبة وضدها الجرأة

قد يتصور البعض لأول وهلة أنَّ الرهبة ضد الشجاعة لأنَّها تعني الخوف والجرأة من الشجاعة، مع أنَّ المسألة بالعكس تماماً فالرهبة من الشجاعة والجرأة ضدها وتكون من طرف الإفراط وهو التهور - كما تقدم - وتوضيحه:

الرهبة: هي الخوف من الله عزّ وجلّ، وهي من فروع الشجاعة فالراهب شجاع. وهي من جنود العقل ومصلحات النفوس، بل هي لبُّ الشجاعة، لأنَّ من خاف الملك الجبار فهو أشجع الشجعان.

بتقريب: قول الصادق عليه السلام قال: ﴿من خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء﴾[1]. وغير ذلك من الأحاديث التي تدل على أنَّ خوف الله عزّ وجلّ قوة منه تعالى وطاعة له.

فالذي يخاف الله عزّ وجلّ الذي هو قوام كل شيء سوف يعطيه الله عزّ وجلّ هيمنة على كل شيء نتيجة خوفه منه تعالى، فصار يد الله التي يبطش بها وبذا يخاف منه كل شيء، أمّا إذا لم يخف الله عزّ وجلّ فإنَّه قد تطاول على مقام السلطنة الإلهية فلا يلحظ وجوده تعالى في الأشياء فيعتمد على حوله وقوته وقد أضعفه الله عزّ وجلّ نتيجة عصيانه له، فيكون خائفاً من كل شيء.

الجرأة: وهي عدم الخوف من الله عزّ وجلّ والجرأة عليه بارتكاب ما لايريده الله عزّ وجلّ وهي من جنود الجهل.

---

١ الكافي ج ٢ ص ٦٨.

والرهبة من الفطرة المخمرة حيث أحست بوجود الحق الصانع لها منذ ذلك العالم فلحظت وجوده وراعت قدرته، أمّا الجرأة فهي من الطينة المحجوبة التي لا ترى وجود الحق تعالى في الأشياء فتفعل ما تريد.

وجندي الرهبة يستشعر في حالات خاصة بمقدارها تخرج الرهبة، ولكنّه لا يتحقق إلا إذا إستولى على ساحة النفس بالكلية وأخرج جندي الجهل(الجرأة)بالكلية.

أنحاء الرهبة وأهلها

إنّما عبّرنا بأهل الرهبة تحفظاً عن مصطلح الراهب الذي قد يفهم معناها خطأً.

للرهبة أنحاء ذكرها الشريف الجرجاني في تعريفه للرهبة فقال: ﴿رهبة الظاهر في تحقق الوعيد، ورهبة الباطن لتغليب العلم، ورهبة لتحقق أمر السبق﴾[1].

وهذا يدلل على إستحضار الرهبة في جميع المستويات وأنْ لا يخلو الإنسان من هذه الحالة الإلهية في أي لحظة.

أمّا أهل الرهبة فهم على أشكال ستة يمكن أنْ تتداخل بعض الأشكال أو يمكن أنْ تتداخل كلّها إذا جمعها شخص واحد.

وقد ذكرت هذه الأشكال الستة للرهبة وأهلها في القرآن الكريم وهي:

١ – **رهبة التائبين:** وهي بمعنى الخوف. قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[2].

٢ – **رهبة العابدين:** وهي بمعنى الوَجَل. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾[1].

---

١ التعريفات ص١٩٨.

٢ سورة النور الآية ٣٧.

٣ – **رهبة الزاهدين:** وهي هنا تحقق معنى الرهبة. حيث قال تعالى: ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾[٢].

٤ – **رهبة العالِمين:** وهي بمعنى الخشية. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾[٣].

٥ – **رهبة العارفين:** وهي بمعنى الإشفاق. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴾[٤].

٦ – **رهبة الصدّيقين:** وهي بمعنى الهيبة. قال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾[٥].

---

١ سورة الأنفال الآية ٢.

٢ سورة الأنبياء الآية ٩٠.

٣ سورة فاطر الآية ٢٨.

٤ سورة المؤمنون الآية ٥٧.

٥ سورة آل عمران الآية ٢٨.

معنى آخر للجرأة

لم أكن مريداً لطرح هذا الأمر وأنا أقدم رجَلاً و أؤخر أخرى في طرحه، خشية الفهم الخاطئ والإستعمال من غير أهله له.

وحاصله: إنَّ هناك معنى متداولاً عند المتصوفة وبعض العرُفاء يسمى بالجرأة، غير المعنى الذي ذكرناه . فما ذكرنا من جنود الجهل هو الجرأة على الله تعالى وما نريد أنْ نذكره من معنى آخر هو الجرأة مع الله تعالى، بمعنى أنْ يصل العارف إلى مرتبة عالية جداً من المعرفة بالله عزّ وجلّ والتعامل معه حتى يأنس به فيخاطبه بعبائر لا يفهمها عوام الناس، ولكنّه يستأنس بها من قبيل: يا ربِّ إنَّ إعتقادي بك بأنَّك قادر على كل شيء وتستطيع أنْ تغفر كل ذنب، لذا فإنّي أذنب لأرى من أعظم ذنبي أو رحمتك؟ وما ذاك إلا إعتماداً على معرفة الله عزّ وجلّ.

ومن قبيل: وصول العارف إلى مرحلة عالية من المعرفة والكون في ساحة قدس الله عزّ وجلّ التي تسمى عادة في كتبهم بمرحلة السُكر فينتشي بها العارف بإلغاء نفسه أمام جمال المحبوب فيحس للحظة ويخاطب محبوبه ويقول له: هل أنت ثمل أيضاً؟ وغير ذلك مما ظهر في أشعارهم ومناجاتهم.

وقد ورد في بعض الرباعيات المنسوبة للحكيم الخيام مثل هذا المعنى:

انم كه بديد كشتم از قدرت تو   بروردہ شدم بناز در نعمت تو

صد سال بامتحان گنه خواهم كرد   تا جرم منست بيش يا رحمت تو[1]

يعني:

أنا ذلك الذي ظهر إلى عالم الوجود بقدرتك

وَرُبِّيَ بدلالٍ في نعمتك

سوف أُكثر من الذنوب مئة عام

لأعلم أيُّهما أعظم؟! ذنوبي أم رحمتك!

ويقول أيضاً:

اِبريق مى مرا شكستى ربى

بر من در عيش را ببستى ربى

بر خاک فكندى مى گلگون مرا

خاكم بدهن مگر تومستى ربى؟[2]

يعني:

إلهي حطَّمْتَ إبريق مُدامي

وأوصدتَ باب الأُنس في وجهي

سكبتَ على الأرض خمرتي الوردية

ترابٌ بفمي هل أنت سكرانٌ يا ربي؟

---

١ رباعيات الخيام/ الرباعية ٩٠ بتحقيق أحمد حامد الصراف/ مطبعة المعارف.

٢ المصدر السابق/ الرباعية ٤٥.

أقول: نحن لا نعلم كيف ولِمَ وممن صدرت هذه المعاني من الجرأة؟ فالقول بإمكانها وجوازها فرع معرفتها.

وكيف كان، فمقتضى مراعاة الأدب الإلهي عدم ذكر مثل هذه الأمور، حتى وإنْ وصل السالك إلى مقامات عالية فلابدّ من مراعاة الأدب بين الخالق والمخلوق.

والأحسن أنْ يقول ما قال الأئمة عليهم السلام في أدعيتهم من قبيل: ﴿ إلهي إنْ عظمت ذنوبي فأنت أعظم ﴾[1].

---

١ مصباح المتهجد ص٦٣.

مراتب الرهبة

ذكر السيد الخميني رحمه الله أربعة مراتب للرهبة مختلفة باختلاف مراتب الناس. وهذه المراتب قد تتحد وفي الجملة مع ما ذكرناه في البداية من أصناف أهل الرهبة. والمراتب من الأدنى إلى الأعلى وهي:

١ – **خوف العامة**: وهو خوف من العقاب والعذاب، وهذه المرتبة لا تعد خوفاً من الله تعالى، لأنّه يخاف من أحكام الله أي من إقامة الحدود والتعزيرات في الدنيا، وفي الآخرة من العقاب.

٢ – **خوف المتشرعة أو خوف الخواص**: وهو الخوف من الإبتعاد عن ساحة قدس الله تعالى، ويخافون أنْ يصرف الله عنهم عينه الرحيمة. ﴿فَهَبْني يا إلـهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ ورَبّي صَبَرْتُ عَلى عَذابكَ فَكَيْفَ اَصْبرُ عَلى فِراقِكَ﴾[1].

٣ – **خوص أخص الخواص**: وهو الخوف من الإحتجاب والخوف من ديمومته بين هؤلاء الخواص ومحبوبهم.

٤ – **خوف الأولياء**: وهم الطاهرون المصبوغون بصبغة الله تعالى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[2]، فهم يخافون أنْ تزول عنهم هذه الصبغة الإلهية واللون الكوني البرّاق.

---

١ دعاء كميل.

٢ سورة البقرة الآية ١٣٨.

يقول الشيخ حسن زاده آملي:

اِلهی همنشین اَز همنشین رنگ می گیرد خوشا آن که باتو همنشین است " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة "[1]

يعني:

إلهي الجليس يأخذ لوناً من جليسه، طوبى لمن كنت جليسه ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾.

---

١ اِلهی نامه للشيخ حسن زاده آملي ص ٧٢.

الفصل الخامس

الصفح وضده الإنتقام

الصفح هو من الصفات التي يتصف بها الشجاع لذا عُدَّ من فروع الشجاعة.

الصفح: هو العفو عن المسيء المقابل سواء كانت الإساءة بفعل أم قول أم تفكير، وهو من جنود العقل والفطرة السليمة والطينة المخمرة، لأنَّ أهل الله الذين كان الله عزّ وجلّ مبدؤهم وبقوا محافظين على ما وُهِبوا من المبدأ الأعلى. فهم عارون عن التكالب للإنتقام بل سبّاقون لنيل الخيرات والعفو والصفح.

الإنتقام: هو السعي لطلب أخذ الحق من المقابل. ومقابلة الإساءة بالإساءة إمّا مساوية أو أشدّ منها. وهو من جنود الجهل والفطرة المحجوبة الشيطانية.

لأنَّ الشيطان يمنيّهم بالإنتقام ويوعدهم على ذلك حسن التفاخر والذكر، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1].

وجندي الصفح يدخل بالتدريج إلى أنْ يشمل مستويات ودرجات النفس وهدوءها، ولكن هذا لايَعني أنَّ جندي الجهل(الإنتقام)قد خرج بذلك المقدار، فإنَّ النفس من هذه الناحية لها القدرة على الجمع بين هاتين الصفتين لتقلّبها وتأثّرها بالأوهام والعوامل الخارجية.

لهذا ينبغي الحذر من هذا الجندي ومراعاة تطبيع الصفح تدريجياً مع رفض أي دعوة للنفس للإنتقام، إذ الإستجابة لها بأدنى المستويات يُعَدّ تراجعاً كبيراً واتصافاً بهذا الجندي البغيض.

---

١ سورة النساء الآية ١٢٠.

الصفح كاسر الغضب

قد يعترض الإنسان وهو في حالة اعتيادية أو حتى هادثة عارض يثير نائرة نفسه كأنْ يخطيء شخص في حقه، فإنْ كان شخصاً عادياً - بمعنى إنَّه لم يُنَوَّر بنور أخلاق القرآن والعترة - فإنَّه يغضب، ومن ثمّ يشرع بفعل أو التخطيط للإنتقام، بل أنَّه يمكن أنْ يقع في جميع المفاسد التي يمكن أنْ يقع فيها الغاضب وقد عرفت قبح ذلك مما تقدم أمّا من دخل في دائرة السائرين على طريق الكمال لم يستجب لدعوة الشيطان وتسويلاته بالإنتقام، بل يتذكر ما عرفه من معدن العصمة والطهارة بأنَّه: ﴿ ليس الشديد بالصرعة وإنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ﴾[1].

ثمّ يفكر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2]، وهو قد عرف قبلاً من سيرة المعصومين عليهم السلام كيف كانوا يعملون بهذه الآية فتتبدل حاله بسرعة نتيجة إضاءة نور كلام أهل البيت عليهم السلام ﴿ كَلامُكُمْ نُورٌ ﴾[3] في نفسه فغيّر نائرته إلى هدوء وأمان بل تعدّى إلى العفو والإحسان فاتصل بذلك ببارئه واستحق عفوه وإحسانه وادخر ذلك له في أول ليلة له في قبره حيث سؤال منكر ونكير قال الإمام الخميني رحمه الله: ﴿ وإذا لم يكن للإنسان حظ من هذه الألطاف فلن يستطيع الإجابة عن المسائلة في القبر وهو وقت بروز السرائر بقوله: ﴿الله ربي﴾ عندما

---

١ تحف العقول ص٤٧.

٢ سورة آل عمران الآية ١٣٤.

٣ الزيارة الجامعة الكبيرة.

يُسأل مَنْ رَبُّكَ؟ لأنَّ إنتخاب هذا الإسم من بين الأسماء لعلَّه إشارة إلى أنَّك كنت تربية أي ربّ؟ ﴾[١].

وعندها لابدّ أنْ يكون الجواب أنَّك من تربية الطاهرين محمد وآله الميامين عليهم الصلاة والسلام فلابدّ أنْ يكون لسانك سريع الجواب بربوبية الله الحق، فتظهر آثار ولايتك لأهل البيت عليهم السلام والإستنان بسنّتهم القولية والفعلية.

الصفح والصفح الجميل

أمر الباري عزّ وجلّ بأنْ يكون الصفح صفحاً جميلاً بقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾[٢]، والصفح الجميل هو الذي دعا إليه القرآن وحملته من أهل البيت عليهم السلام المتضمن لأمور عديدة أبرزها:

١- **نسيان الإساءة:** بأنْ لا يذكّره بين الحين والآخر أنَّك قد فعلت كذا في زمن كذا.

٢- **الإحسان إلى المسيء:** بأنْ يجعل له هدية أو عطاء أو كلمة طيبة بالإضافة إلى العفو لتطمئن نفسه ويهدأ بالُهُ ويعرف فضلَ الله عليه، ويؤمن بالله أنَّه أهل للعفو مهما كان عن طريق إستجابة عباده للعفو في الدنيا فكيف لايعفو هو في الآخرة إذ يقبح الأمر بالعفو وهو تعالى لايعمل به، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٣-**عدم إتباع العفو والصفح بالمنّة:** بأنْ يقول له أنا متفضل عليك لأنّي عفوت عنك وإلا كان بمقدوري أنْ أنتقم منك وأعاقبك. فهذا قد يوقع المقابل في الإساءة مرة أخرى ولعلها تكون أشدّ من سابقتها فيكون هذا العفو الظاهري من جنود الجهل بعد أنْ توهم أنَّه من جنود العقل، وهذا كثير في حياتنا فالتفت.

---

١ جنود العقل والجهل ص٤٣٦ – ٤٣٧.

٢ سورة الحجر الآية ٨٥.

٤-عدم التبجح بالعفو أمام الناس وأمام المعفو عنه: مما يؤثر ذلك على نفسية العافي والمعفو عنه والآخرين لأنَّ سخافة الموقف قد تجعل الآخرين يأخذون صورة مشوهة عن العفو، إذ أنَّه قد بدأ على أهله كما يفعل هذا العافي.

هذا كلّه في الصفح الجميل، وأمّا الصفح الإعتيادي فهو أنْ يعفو إمّا من تلقاء نفسه وكفى بأنْ يتركه ويذهب، وإمّا تحت تأثير الآخرين الذين يتدخلون كمساعٍ حميدةٍ للإصلاح.

الصفح المطلق والمحدود

من الطبيعي إنَّ الصفح كأيِّ خلق من الأخلاق يكون له دائرة واسعة حقيقية ودائرة واسعة وهمية، فالدائرة الواسعة الحقيقية هي ماحدّدها الشرع الأقدس في الحالات المعروفة والمسماة من قِبَله المشروطة بشرط لا، وهو عدم تضييع حق الدين والمسلمين، وعدم تكرار الإساءة من المسيء إلى حد يخرجه عن كونه ممن ينفع معه الصفح.

أمّا الدائرة الواسعة الموهومة فهي أنْ تصفح على أي تقدير فهذا من الطبيعي يولد الجبن والتخاذل والخشوع فهو من جنود الجهل، وهذا يؤثر سلباً في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتضييع حق المؤمنين.

والمؤمن السالك الذي عاهد نفسه على مواصلة الطريق وفق منهج أهل البيت عليهم السلام، يسعى إلى أنْ يخلق حالةً وسطاً بين الإطلاق الموهوم والتحديد الشرعي - وإنْ كان المفروض أنْ يلتزم بالتحديد الشرعي الذي هو بحد نفسه إطلاق غايته إطلاق شرعي خاص - ويحاول قدر الإمكان أنْ يُسَرِّي ذلك الإطلاق في مقام التعامل ولكن لو عرضت حالة معينة في الخارج تتطلب عدم التسامح وفق ما بيّنه الشرع فالصفح في مثل هذه الحالة يُعَدّ من جنود الجهل، بل لابدّ له من العقاب والإنتقام الإلهي إنفاذاً لحكم الله وعملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتطبيقاً لحدود الله.

روايات في العفو والصفح وكظم الغيظ

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قــال: قــال رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿عليكـم بالعفـو فإنَّ العفـو لايزيد العبد إلا عزّاً فتعافوا يعزّكم الله﴾[١].

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة حيث أنَّ العافي متمكن من المسيء فهو قادر على أنْ يعاقبه ولقدرته عفا عنه ونال المدح في الدنيا والثواب في الآخرة﴾[٢].

٣- وعنه عليه السلام ﴿إذا قدرت على عدوِّك فاجعل العفو شكراً للقدرة عليه﴾[٣].

٤- عن الإمام الباقر عليه السلام: ﴿الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة﴾[٤].

٥- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة: ﴿ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك و الإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك﴾[٥].

٦- في وصيـة أميـر المؤمنين عليه السلام لولده محمد بـن الحنفيـة: ﴿لا يكوننَّ أخـوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءة إليك أقدر منك على الإحسان إليه﴾[٦].

---

١ الكافي ج٢ ص١٠٨.

٢ نهج البلاغة/ قصار الكلمات/ الكلمة ٥٢.

٣ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام لابن الدمشقي ج٢ ص ١٠٤.

٤ الكافي ج٢ ص١٠٨.

٥ المصدر السابق ص١٠٧.

٦ من لا يحضره الفقيه ج٤ ص ٣١٢.

هذا ما يتعلق بالصفح والعفو، وأمّا روايات كظم الغيظ فمنها:

١- عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من أحبّ السبيل إلى الله عزّ وجلّ جرعتان: جرعة غيظ تردُّها بحلمٍ، وجرعة مصيبة تردّها بصَبر﴾[1].

٢- قال الإمام الباقر عليه السلام: ﴿من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة﴾[2].

٣- عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من يكظم الغيظ يؤجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله﴾[3].

٤- في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: ﴿يا علي أُوصيك بوصية فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي، يا علي من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله أمناً وأماناً يجد طعمه﴾[4].

أقول: هذا الجندي﴿الصفح﴾من أسهل الجنود تعلّماً وإعتقاداً ولكنّه من أصعبها تطبيقاً خاصة في مجتمعاتنا الشرقية لذا ندعوا الأخوة إلى إلغاء القوميات والإنتسابات أولاً قبل تطبيع هذا الجندي المبارك.

---

١ الكافي ج٢ ص١١٠.

٢ المصدر السابق.

٣ وسائل الشيعة(الإسلامية)ج ٨ص٥٢٤.

٤ البحار ج ٧٤ ص ٤٦.

الفصل السادس

الحلم وضده السفه

قبل الشروع في توضيح هذا المطلب نودّ الإشارة إلى تنبيهين:

١- **قد يُتوهم** التشابه والتطابق بين اغلب جنود العقل خاصة هنا في فرع الشجاعة، كالرحمة والرفق والحلم والصفح، **ولكن هذا التوهم مدفوع** بأنَّ هذه الجنود إنَّما يقابل كلّ منها مرضاً من أمراض النفس وجنود الجهل ويكون هو جهته العلاجية بالإضافة إلى كونه صفه أخلاقية مستقلة.

٢- **قد يُقال، كما قيل:** إنَّ الحلم يقابل الغضب، وهنا الحلم يقابل السفه، وقد تقدم أنَّ الغضب يقابل الرحمة فلماذا هذا التداخل؟ **والجواب عنه:** كما في التنبيه الأول إذ مقتضى المقابلة مع بعض الصفات يوهم التداخل.

وكيف كان فقضية فهرسة الجنود والصفات حسب الفروع الأربعة قضية دقيقة جداً يضبطها الممارس لها.

الحلم: هو الطمأنينة عند سَورة الغضب وتأخير مكافاة الظالم.

وهو حد الإعتدال بحيث تكون النفس مطمئنة لايحركها الغضب بسهولة ولاتضطرب عند إصابة المكروه، بحيث لا تخرج النفس من الحوصلة ولا ينفلت زمامها.

والمقصود منه هنا: هو الإتزان في التصرفات الشديدة، وهو من جنود العقل والفطرة المخمرة المستمدة معرفتها وتمييزها للأمور من خالقها.

السفَه: هو عبارة عن خفة تعرض الإنسان من الفرح والغضب فيحمله على العمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع.

وأهم ما يمكن أنْ يقال في الحلم هو الإرتباط الوثيق الأزلي بين العلم والحلم، خاصة لطالب العلم الذي وظيفته الأساسية التعلم والتعليم، حيث لا بدَّ أنْ يتحقق منه ذلك الربط.

وقبل بيانه نُبيِّن كيفية تحصيل الحلم بعد أنْ حصلنا على العلم.

تحصيل الحلم

هو المطلب المقدم على تحصيل الربط بين العلم والحلم، وقد ذكر السيد الخميني رحمه الله في هذا المجال: ﴿ فليُعلم كما ثبت في الفلسفة العالية إنَّ النفس بواسطة شدَّة الإتصال مابين ملك البدن والروح، لها نشآت الغيب والشهادة وهي عالية في الدنو عينه ودانية في العلو ذاته وهي في وحدته كل القوى.

فبناءً على هذا جميع الآثار الظاهرية تسري في الروح والآثار المعنوية تسري في ملك البدن فإذا واظب الإنسان في الحركات والسكنات على العمل بالسكينة والهدوء والتصرف في الأعمال الصورية كذوي الحلم، فستتسرب هذه الصورة الظاهرية إلى الروح فتتأثر بها، كذلك إذا كظم الغيظ مدة وتكلّف الحلم فهذا التحلم ينتهي لا محالة إلى الحلم.

وهذا الأمر التكلّفي يتحول إلى أمر عادي بالنسبة للنفس وإذا واظب عليه الإنسان مواظبة كاملة لمدة معينة وراقب نفسه مراقبة صحيحة يحصل حتماً على النتيجة المطلوبة. وهذا العلاج مذكور في الآثار الشريفة لأهل بيت الوحي عليهم السلام ففي الوسائل عن نهج البلاغة أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿ إنْ لم تكن حليماً فتحلَّم فإنَّه قلَّ من تشبَّه بقومٍ إلا وأوشك أنْ يكون منهم ﴾[1]، وعن الصادق عليه السلام أنَّه قال: ﴿ إذا لم تكن حليماً فتحلَّم ﴾[2] ﴾[3].

---

[1] وسائل الشيعة: المجلد ١٥ باب ٢٦ من أبواب جهاد النفس.

[2] اصول الكافي: المجلد ٢ باب الحلم ح ٦.

[3] جنود العقل والجهل ص٣٨٦ — ٣٨٧.

الإرتباط بين العلم والحلم .

كثيرا ماترد توصيات سواء كانت عن طريق الروايات أو كلمات الأعلام حول إقتران العلم بالحلم، ولكن لم نعرف لحد الآن سبب ذلك، فهل لأنَّ العلم بمنزلة الغضب حتى يحتاج إلى الحلم أو ماذا؟ ولعلَّ الجواب يتلخص بالبيان التالي:

إنَّ العلم من الكيف النفساني، والنفس تكون محلاً للمعلومات تطرأ عليها، وهذا الطروّ يؤثر على النفس فيحدث فيها تغييراً على شكل هيجان لتلك النفس، غايته لا يعرف أحد صيغة محددة لذلك الهيجان، ولكن نتيجته أنَّ العالم سوف يرى نفسه غير الآخرين، إذ الهيجان بسبب العلم إمّا أنْ يجعل النفس في اضطراب أو أنْ ينمّيها فتكبر، أو يعلّيها فتصعد، وهذا إذا لم يكن تحت سيطرة العقل وحكومته من التواضع وبقية الصفات التي تتعلق بالعلم - كما تقدم في فرع الحكمة وتفريعاتها - فستُخلق حالة جديدة عند ذلك العالم تفقده السيطرة على بعض التصرفات والأقوال.

فتجد في بعض الأحيان أنَّ شرذمة من أهل العلم يشطحون نتيجة عدم تحمله لبعض المطالب التي نزلت على صفحة نفسه فهيَّجتها وأدّى ذلك الهيجان إلى الشطح، وترى شرذمة أخرى يتصفون بالغضب لإستعلاء نفوسهم وكبرها، أو يطلبون لما عرفوه من الخير فصاروا كالبئر، لايلحظ ما يرى فيها ولاينقصها مايؤخذ منها، لأنَّها تنبع من دون لحاظ عين نبعها، ومن أجل ذلك صار العلم سلاحاً ذا حَدَّين.

فإذا اقترن بالسيطرة على النفس حال نزوله فيها صار نافعاً، وإنْ حدث أي خلل في تلك السيطرة وقع في أمراض العلم المذكورة ولا أقلّ سوف يكون أغلظ الحجب بينه وبين ربه. وما هذه السيطرة إلا الحلم، غاية الأمر أنَّ السيطرة تتناسب طردياً مع مقدار العلم وسعته فالعالم زاخر العلم يحتاج إلى سيطرة وحلم أكثر من غيره.

ومن هنا يبيّن الفرق بين العالِم الحليم والعالِم السفيه، مع أنَّ كليهما عالم لذا سُئل النبي ﷺ عن زينة الرجل فقال ضمن ما قال: ﴿علم معه حلم﴾[١]، إذ العلم بدون الحلم شين كما هو واضح.

يقول سنائي:

علـــم داری بحلـــم بـــاش چـــو كـــوه مشـــو آز نايبـــات دهـــر ســـتوه

علـــم بـــی حلـــم شـــمع بـــی نورســـت هـــردو بـــاهم چـــو شـــهد زنبورســـت

شـــهد بـــی مـــوم رمـــز اَحـــرار اَســـت مـــوم بـــی شـــهد بابـــت نـــار اَســـت[٢]

يعني:

عنـــــدك علـــــم فكـــــن بـــــالحلم كالجبـــــل

فـــلا تصـــيرنَّ جزوعـــاً مـــن نائبـــات الـــدهر

العلـــم بـــدون الحلـــم كالشـــمع بـــلا ضـــوء

كلاهمـــا مـــع بعـــض يـــتلألأ كنحـــل المصـــابيح

العســـــل بـــــلا خليـــــة رمـــــز الأحـــــرار[٣]

والخليـــة بـــدون عســـل تكـــون مـــع أصـــنام النـــار

---

١ البحار ج٤٤ص١٩٧.

٢ ديوان سنائي غزنوي/ حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة.

٣ إشارة إلى التخلي عن البدن.

روايات في الحلم وذم السفه

١- عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمير المؤمنين عليه السلام في جملة وصيته: ﴿ يا علي ألا أخبركم بأشبهكم بي خلقاً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحسنكم خلقاً وأعظمكم حلماً وأبرّكم بقرابته وأشدّكم من نفسه إنصافاً ﴾[1].

٢- روي أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿ والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم ﴾[2].

٣-عن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ وجدت الحلم والإحتمال أنصر لي من شجعان الرجال ﴾[3].

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ فأمّا الحلم فمنه ركوب الجميل، وصحبة الأبرار، ورفع من الضعة، ورفع من الخساسة، وتشهّي الخير، ويقرّب صاحبه من معالي الدرجات، والعفو، والمهل والمعروف، والصمت، فهذا ما يتشعب للعاقل بحلمه ﴾[4].

---

١ من لا يحضره الفقيه ج٤ص٣٧٠.

٢ الخصال ص ٤-٥.

٣ ميزان الحكمة ج١ص٦٨٦.

٤ نفس المصدر ص٦٨٨.

الفصل السابع

الرضا وضده السخط

وهذا الجندي من علامات وصفات الشجاعة إذ أنَّ الشجاع هو من رضي بحكم الله ورضي عن الله مهما كانت الحالة فهو قد صرع أكبر عدو واقهر عدو وهو النفس.

﴿ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ﴾[1]. وانتصر عليها وإضافة إلى ذلك المستوى من الشجاعة فإنَّه قد رضي عن كل ما يصيبه فهذا مقام عال جداً سنتطرق له بشيء من التفصيل لا جميعه ولكونه من خواتم المباحث في الأخلاق ونتيجة لمسيرة طويلة من الدرس والمجاهدة والتطبيق.

الرضا: هو سرور العبد من الحق تعالى شأنه وإراداته ومقدّراته، ورفع الكراهة وتحمل المرارة. وهو من مقامات الوصول بالإضافة إلى كونه صفة وخلق، فهذا المقام يأتي بعد مقام التوكل.

وعند أهل السلوك الرضا: هو التلذذ بالبلوى، وإخراج النفس من رضاها إلى رضا الحق تعالى. حيث يقول إبن عربي:

إذا علـــم الله الكــــريم سريــــرتي | فلســت أُبـــالي مـــن ســـواه إذا ســـخط
وقـد صـح عنـدي منـزلي مـن مهيمنـي | فلسـت أُبـالي مـن دنـا اليـوم أو شـحط
فيـــا عجبـــاً مـــن عـــارف قـــال إنَّـــه | تولّـــع حبـــاً بالإلـــه ولم يُحـــط
ســوى ربــه عنــه وســاءت ظنونــه بنــا | فمتـــى يُـــدركْ فيســـتدرك الغلـــط
إذا كــان مــن أبــدى التخفــي بجــانبي | يغـــيّره قـــول الوشـــاة فقـــد ســـقط[2]

---

١ البحار ج٦٧ص٣٦.

٢ فرهنگ اصطلاحات عرفانى محي الدين إبن عربي ص ٣٠٨.

وعرفه البعض بأنه: سكون النفس عند الوارد، وطمأنينة القلب بأحكام الوارد، وخمود البشرية عند أمن القضاء.

السخط: هو الإكتئاب النفسي والإنفعال الحسي من طرد الحوادث، وهو من جنود الجهل والفطرة المحجوبة التي ما آمنت بربِّها إيماناً حقيقياً بل قالت(بلى)في عالم (ألست)وهي منشغلة بغير الله تعالى، فلو كانت آمنت كما شهدت لرضت بما نزل من ساحة المحبوب.

وبالمقابل فإنَّ الرضا من جنود العقل والفطرة المخمرة الإلهية التي أنِسَتْ فعل الحبيب بعد إستيناس وجوده، فقبلت ورَضَتْ بكل مايصدر منه فالذي يحب شي يحب جميع متعلقاته وآمنت بأنَّ كل فعل الله جميل.

وجندي الرضا يدخل بتدرّج عمودي وليس أفقياً، إذ أنَّه يدخل بمستوى دانٍ يعلو شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى مقام الرضا. والسخط يتضاءل كذلك.

الرضا المتبادل

إنَّ المعادلة الصحيحة للرضا هي التي يكون طرفاها متساويين كما هو الحال في جميع المعادلات. ومعادلة الرضا هكذا:

رضا الله عن العبد = رضا العبد عن الله

والطرف الأول من المعادلة - أعني(رضا الله عن العبد)- يمكن تحصيله بإمتثال العبد لكل ما يريده الله عزّ وجلّ من فعل الواجبات وترك المحرمات، وهذه المرتبة يتساوى فيها جميع طبقات البشر في التكليف غير أنَّ هناك طبقة تفعل المستحبات إلى جنب فعل الواجبات وتترك المكروهات إلى جنب ترك المحرمات، وهذه طبعاً تؤكِّد من رضا الله عزّ وجلّ عن العبد، وهذا كلّه مثبت في الرسائل العملية ولكن الكلام في تطبيقها

جميعاً من جهة، ومن جهة أخرى إمكان مراعاة الإحتياط في موارد الإحتياط تحصيلاً للواقع وطاعةً لحق المولى، فلابدّ للعبد أنْ ينتبه إلى ذلك لتحصيل رضا الله عنه.

وأمّا الطرف الثاني وهو(رضا العبد عن الله)فهو المقصود من بحثنا والمهم أنْ نعرف أولاً أنّ رضا العبد عن الله لا يتحقق إلا إذا رضي الله عن العبد، فهو من أولى مقدمات تحصيل مقام الرضا.

مبادئ الرضا ومقتضياته

لكي يمكن تحصيل هذا الجندي - وبالتالي هذا المقام - لابدّ من معرفة مبادئه والعمل على تحصيلها، وروح هذه المبادئ كلّها يرجع إلى الإعتقاد بالله عزّ وجلّ ومعرفته وقد ذكرها الإمام الخميني رحمه الله في كتابه المبارك جنود العقل و الجهل.

ونحن نحاول توضيحها وهي مرتّبة على مراحل أربعة:

الأولى: العلم بأنَّ الحق تعالى جميل ذاتاً وصفةً وفعلاً، ومن هنا سيدرك جمال الحق، وهذه المرتبة من أسهل المراتب إذ الأمر يتطلب العلم بالأسماء والصفات وأنَّ صفاته تعالى عين ذاته وهذا المطلب معقودة له الكتب الكلامية والمهم هو دراستها عند أهلها ومن يعرف الله عزّ وجلّ فعلاً.

الثانية: مرتبة الإيمان بصفات الحق تعالى، وهي أنْ يوصل جمال الحق وجمال أوصافه وأفعاله التي أدركها في المرحلة الأولى، أنْ يوصلها إلى القلب، بمعنى أنْ يؤمن ويعتقد بما علم، فيعقد ما عقده في المرحلة الأولى مع القلب.

ومن المعلوم أنَّ إحدى بل أبرز هذه الصفات هي الرضا.

الثالثة: أنْ يصل العبد السالك إلى درجة الإطمئنان، وهو كمال الرضا، فإذا حصل اطمئنان النفس إلى مقام جمال الحق تعالى رجعت نفسه إلى ربها راضية مرضية.

الرابعة: هي مقام المشاهدة، وهو مقام أهل المعرفة وأولو الألباب الذين صرفوا قلوبهم عن عالم الكثرة والظلمة، وهذا هو المقام الذي يسعى إليه السالكون وفي هذه المرحلة يحصل التجلي، وتنطبع الصفات ويكون مظهراً لها ومن تلك الصفات الرضا، فيصل العبد إلى مقام الرضا عن الله، وهذه المشاهدات في التجلي توجد على ثلاث درجات:

١- **مشاهدة تجلي الأفعال:** وبه يصل الإنسان إلى مقام الرضا بقضاء الله تعالى وهو ممكن وقد وصل إليه العرفاء والسالكون.

٢- **مشاهدة تجلي الأسماء والصفات:** بأنْ يكون الإنسان مظهراً لتلك الصفات فتتجسد الصفات في الخارج بهم وهو مقام الأئمة عليهم السلام.

٣- **مشاهدة تجلي الذات:** وهو ما لا ندركه ولا نعرف كنهه ويرد علمه إلى أهله وهذا المقام تلغى فيه جميع الكثرات حتى الأسماء والصفات ويمكن التمثيل لذلك بما قاله إبن عربي:

قد كان يطربني وجدي فأفقدني
عن رؤية الوجد من في الوجد موجود

الوجد يطرب من في الوجد راحته
والوجد عند شهود الحق مفقود

هذا مايمكن ذكره في مقدمات الرضا.

طريق تحصيل الرضا

بعد أنْ عرفت المقدمات لابدّ من معرفة الوسيلة والطريقة لتحصيل الرضا، وبناءً على ماتقدم فإنَّ تحصيله يكون بطريق واحد وهو المرور بالوسيلة إلى تحصيله، بتقريب مهم تحتاج معرفته إلى المراحل التالية:

١- إنَّنا نريد تحصيل الرضا عن الله، فلابدّ في البداية أنْ نعرف الله عزّ وجلّ وإلا لم يحصل الرضا لأنَّ تحصيل الرضا فرع معرفته تعالى.

٢- إنَّ معرفة الله عزّ وجلّ غير متيسرة بالمباشرة للفرق بين الممكن والواجب من جهة، والمادي والمجرد من جهة أخرى. فلابدّ من فرض واسطة تحمل الإمكان من جهة والوجوب من جهة أخرى، كذلك تحمل المادية والتجرد بلحاظين وهذا لم يكن إلا للوجودات المباركة للمعصومين عليهم السلام الذين هم الواسطة في الفيض والصادر الأول من الله عزّ وجلّ[1]، وهم عليهم السلام يمثلون دائرة الوجود بقوسيها﴿ النزول والصعود ﴾فقوس النزول قوس خَلقي وكان بهم، وقوس الصعود خُلقي وهو بهم أيضاً ﴿ بكم فتح الله وبكم يختم ﴾[2].

٣- إنَّ الأسماء والصفات الإلهية متعددة تعدداً حيثياً للذات الواحدة، وكذلك الوجودات المباركة والأنوار القدسية الأربعة عشر متعددة لحقيقة الخلافة الإلهية الواحدة، غاية الأمر أنَّ بعضهم عليهم السلام ظهرت بهم صفة معينة أبرز من غيرها من الصفات، وأوضح عنده من باقي المعصومين عليهم السلام وما ذلك إلا للوظفية الإلهية التي تطلبت في عصر حضوره الشخصي.

---

١ قد أوضحنا هذه المباحث بالتفصيل في بحوثنا الفلسفية في بحث الإمكان فراجع تغنم.

٢ الزيارة الجامعة الكبيرة.

٤- إنَّ صفة الرضا التي تدلّل على تحصيله في عالم الخلق عن طريق تطبيعها والسعي لتمثيلها إنَّما إختص بها الإمام الثامن الضامن علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء، وهو عليه السلام المعين في تحصيل هذه الصفة. والوصول إلى مقام الرضا عن الله لأنَّه صلوات الله عليه المثال الأكمل لهذه الصفة. وهذا ما نريده إثباته الآن.

رضوية الرضا عليه السلام ومثاليته للرضا تعالى

الكلام في هذا الموضوع ليس استطرادياً لكي يغفل عنه وإنَّما هو أساسي، لأنَّ الإمام الرضا عليه السلام مثال الله في هذه الصفة، والرضا عن الله عزّ وجلّ إنَّما يمرّ في البداية بالرضا عن الإمام عليه السلام ومعرفته، وكذلك الإستلهام من حياته المباركة لمعرفة كيف وصل إلى هذا المقام، فنطبِّق نحن ذلك لنحصل على المقام وإنْ لم يكن بالمستوى الذي وصل هو عليه السلام إليه، وكذلك التوسل به وزيارته لإستلام الفيض منه في ذلك والتقرب إلى الله عزّ وجلّ به. وطرح هذا المطلب يكون عن طريق ذكر أبيات للمحقق الإصفهاني رحمه الله: حيث قال:

في لـــوح نفســـه مقـــام للرضـــا عـــن وصـــفه تكـــلّ أقـــلام القضـــا

لقـــد تفـــانى بالرضـــاء بالقضـــا حتـــى تســـامى وتســـمّى بالرضـــا

بـــل في رضـــا البـــاري رضـــاه فـــانِ بـــل ذاتـــه بـــذلك العنـــوانِ

بـــل جـــاز عـــن أقصـــى مراتـــب الفنـــا حتـــى تجـــلى قـــائلاً(إنّي أنـــا)[1]

---

١ الأنوار القدسية للشيخ محمد حسين الإصفهاني ص٩٩.

قوله: ﴿في لوح نفسه مقام للرضا﴾ يعني في لوح نفسه مقامات متعددة، وهي عين تلك المقامات الإلهية، ولكن الأظهر من تلك المقامات كان مقام الرضا، وهذا المقام هو مقام عين رضا الله عزّ وجلّ لأنَّه ﴿عن وصفه تكلّ أقلام القَضا﴾ ومن المعلوم أنَّ أقلام القَضا لا تكلّ إلا عن الصفات الإلهية وكلماته ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1].

والبيت الثاني: يوضّح علة وصول الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه إلى هذا المقام، ولم تكن العلة إلا الرضا بالقضا، وهذا ما أشرنا إليه في بداية هذا الفصل من وجود معادلة متساوية الطرفين، فلأنَّ الإمام عليه السلام رضى بالله وعن الله عزّ وجلّ وصل إلى هذا المقام ومن المعروف إنَّ الإمام عليه السلام قد رضى الله عنه في البداية بإمتثاله لأوامره تعالى، كيف لا والإمام عليه السلام المظهر الأكمل لإرادة الله عزّ وجلّ ومن المعلوم إنَّ الرضا بالقضاء له مراتب[2] وقد وصل الإمام عليه السلام إلى أعلى هذه المراتب، بل أنَّه عليه السلام ترقّى في المراتب حتى صار عيناً للرضا.

البيت الثالث: يوضّح شدّة تفاني الإمام عليه السلام وفنائه بالرضا بقضاء الله عزّ وجلّ بحيث لم تبقَ أثنينية بينه عليه السلام وبين الصفة وصارت الصفة عين الموصوف فصارت ذات الإمام عليه السلام بالإضافة إلى كونها ولوية صارت رضوية، وكلمة(تسامى)في البيت الثالث تعني الإنتقال من حالة المادة إلى حالة التجرد مباشرة من دون المرور بأي حالة أخرى. فهو عليه السلام إنتقل من عالم إبتلاءات الدنيا بعد الرضا به وطوى عالم الملكوت وصولاً إلى عالم العقل والتجرد مباشرة بهذه الصفة، فهو عليه السلام وإنْ كان موجوداً مجرّداً من عالم

---

١ سورة الكهف الآية ١٠٩ .

٢ سيأتي ذكرها في المبحث التالي .

الأنوار والعقل ولكنّه حينما نزل إلى عالم الناسوت أبى إلا أنْ يتسامى ويرجع إلى عالمه فيكون سيد العالمين برضاه فرقى وتسامى حتى وصل إلى اللامكان. وهذا يدلنا على أهمية هذه الصفة وأيّ مقام يمكن أنْ يحرز بهذه الملكة العالية.

وأمّا البيت الرابع: ففي شطره الأول يوضّح إنَّ لله تعالى رضا وللإمام عليه السلام رضا أيضاً، وعلى هذا فهما رضاءان، ولكن رضا الإمام عليه السلام فانٍ في رضا الله عزّ وجلّ، والفناء هو آخر مراحل السالكين في منازلهم الإنتقالية وخاصة إذا كان الفناء فناء في الرضا، وهذا يعني أنَّه ليس في البين إلا الله ورضا الله، فيكون رضا الله هو رضا الإمام عليه السلام ورضا الإمام عليه السلام هو رضا الله عزّ وجلّ فلا تغفل في تحصيل رضا الإمام عليه السلام.

وفي الشطر الثاني: - لعلَّه والله العالم[١] - إنَّ ذات الله تعالى في مقام الأحدية التي لم تلحظ فيها الجنبة الأسمائية يكون الإمام الرضا عليه السلام فيها هو ذات الله المعنونة بعنوان الرضا، ولا يلزم النقض بأنَّ مقام الأحدية لا تلحظ فيه الصفات فكيف لحظ الرضا، فإنَّه يُجاب عنه: بأنَّ هذا الرضا فانٍ، وهذه الصفة ليس حيثية كباقي الصفات بل هي عين الذات، وعندما كان ما كان من الفناء قال عليه السلام(إنّي أنا)إشارة إلى قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾[٢].

---

١ إنّما ترددنا لصعوبة الكلام على أسماع الناس.

٢ سورة القصص الآية ٣٠.

درجات الرضا

ذكر الخواجه عبد الله الأنصاري في منازل السائرين درجات للرضا وهي:

١- **رضا العامة:** وهو الرضا بالله رباً، وسخط عبادة ما دونه، وهو قطب رحى الإسلام وهو يطهر من الشرك الأكبر.

٢- **رضا الخواص:** وهو الرضا عن الله تعالى وبهذا الرضا نطقت آيات التنزيل وهو الرضا عن كل ما قضى.

٣- **رضا خواص الخواص:** وهو الرضا برضا الله تعالى فلا يرى العبد لنفسه سخطاً ولا رضا .. على ترك التحكم وحسم الإعتبار وإسقاط التمييز لو أُدخل النار.

ولشرح هذه الدرجات ومعرفة شرائطها راجع منازل السائرين ص٢٠٦.

روايات في الرضا

١- عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿رأس طاعة الله الصبر، والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيراً له فيما أحب أو كره﴾[١].

٢- قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله عزّ وجلّ: ﴿عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرضَ بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصدّيقين عندي﴾[٢].

---

١ الكافي ج٢ ص٦٠.

٢ المصدر السابق ص٦١.

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام قال(الراوي)قلت له بأي شيء يعلم المؤمن بأنَّه مؤمن؟ قال: ﴿بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط﴾[١].

٤- قال عمار بن ياسر في يوم صفين: ﴿اللهم إنَّك تعلم أنِّي لو أعلم أنَّ رضاك في أنْ أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلتُ. اللهم إنَّك تعلم أنِّي لو أعلم أنَّ رضاك في أنْ أضع ظُبَّة سيفي في بطني ثمّ أنحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلتُ.

اللهم إنِّي أعلم ممّا علمتني أنِّي لا أعمل عملاً اليوم هذا هو أرضى لك منه من جهاد هؤلاء القاسطين، ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته﴾[٢].

---

١ الكافي ج٢ ص٦٣.

٢ البحار ج٣٣ص ٩.

الرضا في الشعر العرفاني

قال ناصر خسرو في سفرنامه:

دلا همواره تسليم رضا باش بهر حالى كه باشى باخدا باش

خدا را دان خدا را خوان بهر كار مدان تو ياورنرا به آز او يار

چو حق بخشد كلاه سربلندي تو دل بر ديگرى بهرچه بندى

خدا را باش اگر مرد خدايى مكن بيگا نگى گر اشنايى

ز تو جز بندگى كردن نبايد آز او خود جز خداوندى نبايد

يعني:

يا قلب كن دائماً مسلِّماً للرضا
وفي كلِّ حالٍ كُنْ مع الله

إعرف الله واذكره في كلِّ عملٍ
ولا تحسب أنَّ أصحابك يعينوكَ أفضلَ من عون الله

إنْ وهبك الحقّ تاج العزِّ والرفعة
فلماذا يرتبط قلبك بغيره؟

كن إلهياً إذا كنت رجلاً لله
ولا تفعل فعل من لا يعرف إنْ كنت تعرف

لا يجوز منك إلا العبودية
ولا يصدر من الله عزّ وجلّ إلا الإلوهية

وقال مولوي في أبيات متفرقة:

عاشقم بر لطف وبر قهرش بجد ‌ ‌ ‌ وين عجب من عاشق اين هر دو ضد[1]

والله ار زين خار در بستان شوم ‌ ‌ ‌ همچو بلبل زين سبب نالان شوم[2]

آن بدى كه تو كنى در خشم وجنگ ‌ ‌ ‌ باطرب تر از سماع بانگ جنگ[3]

آن جفاى تو ز راحت[4] خوبتر ‌ ‌ ‌ وانتقام تو از جان محبوبتر[5]

عاشقى زين هر دو حالت برترست ‌ ‌ ‌ بى بهار وبى خزان سبز وترست[6]

يعني:

أنا عاشق جداً للُطفه وقهره ‌ ‌ ‌ وأعجب من هذا أنا عاشق للضدين معاً

واللهُ إذ أخرجني من الشوك إلى الروض ‌ ‌ ‌ كالبلبل أطير متأوهاً لهذا السبب

ذلك السوء الذي تفعله في الغضب والحرب ‌ ‌ ‌ أطربُ عندي من سماع نداء الحرب الذي تحب

وذلك الجفاء منك أحسن من الراحة (والسلطنة) ‌ ‌ ‌ وانتقامك أحبّ إليّ من نفسي

العشق أعلى من هاتين الحالتين ‌ ‌ ‌ إذ يتحقق الخضرة والإمتلاء بلا ربيع ولا خريف

---

١ دفتر أول/ بيت ١٥٧٠.

٢ المصدر السابق/ بيت ١٥٧١.

٣ المصدر السابق/ بيت ١٥٦٥.

٤ في نسخة(دولت).

٥ دفتر أول/ بيت ١٥٦٦.

٦ المصدر السابق/ بيت ١٧٩٤.

فصل فيه وصل

العصبية

إحدى أمراض القوى الغضبية هي العصبية والتي يتوهم المتصف بها بأنَّه شجاع والحال أنَّها من أجهل جنود الجهل والفطرة الخبيثة. والمقصود بالعصبية ليس المعنى العامي المتداول، إذ ما يُتداول من معنى للفظ العصبية هو الغضب.

والعصبية هنا تعني: الحمية وهي الثوران ظلماً نصرةً للعصبة، ولها آثار مثل الدفاع عن الأقرباء والمرتبطين به بأي نوع من أنواع الإرتباط.

وهي من أذم الصفات وأنتنها ولها مفاسد كثيرة، لعل أبرزها الخروج عن ربقة المؤمنين قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿من تَعَصَّبَ أو تُعُصِّب له فقد خُلِعَ ربق الإيمان من عنقه﴾[1].

ومن المفاسد استحقاق النار والدخول فيها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: ﴿من تعصّب عصَّبه الله بعصابة من نار﴾[2]. بتقريب: إنَّ العصابة من نار فرع دخول النار.

ومن المفاسد هو حطّ المنزلة في الدنيا والفضيحة في الآخرة وذلك من خلال بيان الصورة الملكوتية للتعصب وهذا واضح في رواية الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿من كـان في قلبه حبة من خردل من عصبية، بعثـه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية﴾[3].

---

١ الكافي ج٢ ص٣٠٧.

٢ المصدر السابق ص٣٠٨.

٣ المصدر السابق ص ٣٠١.

قال الإمام الخميني رحمه الله في هذا المجال: ﴿ إنَّ الإنسان الذي فيه هذه الرذيلة، لعله عندما ينتقل إلى العالم الآخر يرى نفسه من أعراب الجاهلية من دون أنْ يؤمن بالله تعالى ولا بالنبوة وبالرسالة، ويرى أنَّه في الصورة التي يحشر بها أولئك الأعراب، دون أنْ يعلم أنَّه كان في الدنيا يعتنق العقيدة الحقَّة من الإيمان بالله وبرسوله وأنَّه من أُمَّة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في الحديث عن أهل جهنم ينسون إسم رسول الله، ولا يستطيعون أنْ يعرفوا أنفسهم، إلا بعد أنْ يشاء الحقّ سبحانه أنْ ينجيهم وبما أنَّ هذه السجيّة من سجايا الشيطان، كما ورد في بعض الأحاديث، فلعلَّ أعراب الجاهلية وأصحاب العصبية يُحشرون يوم القيامة على هيئة الشياطين ﴾[١].

في الكافي في الصحيح، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: ﴿ إنَّ المَلائِكَة كانُوا يَحْسَبُون أنَّ إبْلِيسَ مِنهُمْ وَكان فِي عِلْمِ اللهِ أنَّهُ مِنهُمْ فاَسْتخْرَجَ ما فِي نَفْسِهِ بِالحَمِيَّةِ والغَضَبِ، فَقالَ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[٢].

هذا وإنَّ العصبية لا تقتصر على عوام الناس بل أوضح ما تكون في أهل العلم حيث يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿ ومن جملة العصبيات الجاهلية هو العناد في القضايا العلمية، والدفاع عن كلمة سبق أنْ صدرت منه أو من معلمه أو شيخه، دون النظر إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل.

---

١ الأربعون حديثاً/ الحديث الثامن.

٢ أصول الكافي، ج٢ ص٣٠٨، كتاب الإيمان والكفر، باب العصبية الحديث ٦.

لا شك أنَّ مثل هذا التعصب أقبح من كثير من العصبيات الأخرى وأجدر بالذم من جوانب عديدة. فمن جانب المتعصب نفسه نرى أنَّ أهل العلم ينبغي أنْ يكونوا هم المربّين لأبناء البشر. بإعتبارهم فروع شجرة النبوة والولاية، وعارفين بوخامة الأمور وعواقب فساد الأخلاق.

فإذا إتصف العالم - لا قدَّر الله - بالعصبية الجاهلية أو بالصفات الرذيلة الشيطانية، كانت الحجة عليه أتمّ وعقابه أشدّ ﴾[1].

---

١ الأربعون حديثاً/ الحديث الثامن.

الفروع الجانبية للشجاعة في شجرة الأخلاق

١ – كبر النفس: وهي الإستهانة باليسار، والإقتدار على حمل الكرامة، والهوان وإعداد النفس للأمور العظيمة مع تأهلها لها.

والكبر هنا ليس هو الكبر المفهوم في مقابل التواضع، بل هو الكبر على استسهال العقاب فلو لم يحس بالكبر سوف لن يحرك ساكناً ويستصعب كل الأمور.

قال الشاعر:

لأستسهلنَّ الصعب أو أدرك المنى فمـــا انقـــادت الآمال إلا لصابر

٢ – عظم الهمَّة وعلو الهمَّة: وهي أنْ لا تكون النفس مستبشرة بالسعادة الدنيوية ولا متضجرة بها، غير خائفة من الموت.

وهذا يعني أنْ يصل الإنسان إلى شجاعة داخلية واستبسال نفسي لأجل ما ذكر، فتعلو نفسه عن تفاصيل الدنيا وهذه الصفة تفيد في سلوك طالب العلم وتبنيه لنشر الإسلام.

يقول بابا طاهر:

هـــر آنكـــس عاشـــق اســـت اَز جـــان نترســـد

يقـــين از كنـــــد واَز زنـــــدان نترســـــد

دل عاشـــــق بـــــود گـــــرگ گرســــنه

كـــه گـــرگ از هـــى هـــى چوپـــان نترســـد[١]

١ دو بيتى هاى بابا طاهر/ رقم ٦٧.

يعني:

كل من كان عاشقاً لا يبالي ولا يخشى إذا خرجت روحه من بدنه

إذ يقينه لا يجعله يخاف من القيود والسجن

إنّ قلب العاشق كالذئب الجائع

الذي لا يبالي من زجر الراعي

٣ — **النجدة**: هي ثقة النفس في المخاوف وعدم مخالطة الجزع لها الموجب للحركات المضطربة.

٤ — **الحلم**: هو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسرعة وسهولة، وقد تقدم الكلام فيه فراجع.

٥ — **الثبات(ثبات الهمّة)**: وهو قوة للنفس تكسبها سكوناً يعسر معه الحركة عند الخصومات في الخطوب، التي يُذبُّ فيها عن الحريم والشريعة وعند مقاومة الآلام والشدائد.

٦ — **عدم الطيش**: وهو قوة للنفس تعسر حركتها عند الخصومات.

٧ — **الشهامة**: هي الحرص على الأعمال العظيمة توقعاً للذكر الجميل.

٨ — **التحمل(إحتمال الكد)**: هو قوة تستعمل البدن بالتمرن وحسن العادة في الأمور الحسنة.

٩ — **التواضع**: هو أنْ لا تجعل لنفسك مرتبة على من هو دونك في الجاه أو العنوان.

١٠ — **الصبر**: هو مقاومة النفس على الأمور الإنتقامية لكي لا تصدر منه .

١١ — **الحمية**: وهي أنْ يحافظ الإنسان على ما يجب محافظته من غير تهاون. وهي غير الحمية آنفة الذكر ففرّق.

هذا تمام الكلام في الجهة الأولى من الشجاعة ويليه الجهة الثانية وهو الرسالة السياسية.

المقصد الخامس - الجهة الثانية

الرسالة السياسية

السياسة

تعريفها: صناعة يعرف بها تدبير الإنسان بما له من الشؤون الفردية والإجتماعية وبما له من العقيدة والخلق والعمل، بما له مساس بالطبيعة وما له من روابط خاصة مع أهله وقومه ومن يشاركه في النوع، مع ماله من ربط خاص بمبدئه ومبدأ الكل وهو الحق تعالى الخالق لكل شيء. وعلى هذا ستكون السياسة حكمة عملية متفرعة عن الحكمة النظرية وتختلف بإختلافها:

١- فمن كان رأيه أنَّ الإنسان موجود مادي صرف - بناءً على نظريتهم من أنَّ المتحقق محصور بالمادي - فإنَّ السياسة عنده هي كيفية تدبير الإنسان وإدارة شؤونه بحيث يأكل ويتمتع ويلبس ويتكاثر ويُنتج بما أنَّه أكثر مالاً وأعزُّ نفراً وأحسنُ أثاثاً ورئياً من دون أنْ يكون محكوماً بأحكام الشرع في تقنين حياته ومعرفة من أين كسب هذه الأشياء؟.

٢- ومن كان رأيه أنَّ الإنسان مؤلف من نفس ناطقة لا تبيد ولا تموت وإنَّما هي حقيقته الدنيوية والأُخروية، غاية الأمر أنَّه ينتقل من دار إلى دار ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾[١]، فالسياسة عنده هي صناعة تهذيب الإنسان وتصحيح روابطه الفردية والإجتماعية بحيث يقوم بالقسط ويأمر بالعدل ويؤثر غيره على نفسه وإنْ كان به خصاصة بحيث لا تغرّه الحياة الدنيا ولا يغرّه بالله الغرور.

---

١ سورة العنكبوت الآية ٦٤.

العناصر الأساسية للسياسة الإسلامية

إنَّ عناصر السياسة الإسلامية كالعلل الأربعة التي توفر المقتضيات لوجود المعلول[1] وعلى هذا فعناصرها هي:

١. **العنصر المادي:** وهو الإنسان بما هو أفراد متعايشة البعض مع البعض الآخر يُلحَظ من جهتين: بما له خصائص فردية وخواص إجتماعية.

٢. **العنصر الصوري:** وهو الدين الإلهي بما له من الحِكَم والأحكام وهو كرامة إلهية يُتصوَر بها الإنسان ويصير به كريماً في عقائده وأعماله وأخلاقه وكذلك في روابطه الفردية و الإجتماعية وعندئذٍ تتبلور سياسته في كرامته الشاملة المتأتية من الشرع الإلهي.

٣. **العنصر الفاعلي:** وهو الله تعالى الذي هو ربُّ الإنسان ورب كل شيء المدبر لأموره ومربيه وسائسه الحقيقي وهاديه إلى سوي الصراط.

٤. العنصر الغائي: وهو الكمال المحض والبهاء الصرف الذي لا كمال فوقه ولا بهاء وراءه. وهو غاية الإنسان الكادح في آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾[2] فغاية الإنسان هي الله تعالى الذي تصير إليه الأمور.

ومن كلِّ هذا يُعلَم: إنَّ من عرف حقيقة الإنسان وواقعية الإسلام وعرف خالقه الحق وسعادة الذي يتنهي إليه أمره فقد عرف السياسة الإسلامية.

وكذا نعلم أنَّ أعرف الناس بالسياسة الإسلامية أعرفهم بهذه الأمور المذكورة ومن جهلها فقد جهل السياسة الإسلامية.

---

[1] شرح ذلك في المنطق.

[2] سورة الإنشقاق الآية ٦.

وإنّ الساسة هم العلماء العرفاء، ولأجل هذا فإنّا نتبنى وحدة الدين والأخلاق والسياسة، وهذا ما يحتاج إلى إثبات، وقبل ذلك لابدّ من الكلام في العنصر المهم من بين هذه العناصر الأربعة وهو العنصر الصوري أي الكلام حول الدين وتفاصيله الذي يمثل الهيكلية العامة للسياسة والبناء الهرمي لتشكيل النظام الإسلامي ولكن لأجل أنْ يتضح ما نتبنى نتكلم أيضاً عن الإنسان(وهو العنصر المادي ولكن بإيجان)وأمّا العنصران الفاعلي والغائي فهما موكلان إلى مباحث الفلسفة والأخلاق.

الإنسان

لا يوجد تعريف جامع مانع للإنسان وبيان حقيقته، والقرآن الكريم صرّح بأهمية الإنسان وأثنى الخالق تعالى على ذاته بعد أنْ بَيَّنَ كيفية خلق الإنسان قائلاً: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[1]، وتَبَنّي تعريف معين دون آخر وترجيحه عليه يعني ترجيح مشرب معين ومذهب معين على آخر،فالمناطقة واللغويون والفلاسفة كُلٌّ له تعريفه الخاص به للإنسان بحسب نظرته وموضوع علمه، والذي نريد أنْ نبحثه هنا هو الإنسان بمفهومه العام وسمّه إنْ شئت بالإنسان الإسلامي الذي ذاته موضوع معالم الرسالة الإسلامية خاصة بعدما طرحنا مدّعانا من وحدة الدين والأخلاق والسياسة.

ويمكن إستخلاص معنى الإنسان من خلال ما ذكره الإمام الخميني قدس سره الذي يعتبر المصداق الواضح لوحدة الدين والأخلاق والسياسة تعليقاً على فصوص الحكم ومصباح الأُنس.

---

١ سورة المؤمنون الآية ١٤.

حيث نقل عبارة لشيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي بقوله: ﴿النفس وما فوقها إنيّات صرفة﴾ والإمام الخميني رحمه الله علق أنَّ هذا الذي ذكره يكون على النحو التالي بقوله: ﴿بل إختصاص آدم بعالم من العوالم العالية أو السافلة بلا وجه فإنَّ أهل يثرب الإنسانية لا مقام لهم[1] فهم بحسب النزول رتبة الهيولى القابلة بتجلي ربهم القابل وبحسب الصعود والأفق الأعلى والفناء في الحضرة الأحدية. ولهذا يقول شيخ الطائفة الإشراقية أنَّ النفس الناطقة لا ماهية لها فلها مقام الأحدية وجميع الحقائق الخلقية والأمرية﴾[2].

ولا يخفى على الطالب المتتبع معنى ما ذكره قدس سره خاصة لمن راجع بحوثنا الفلسفية والأخلاقية فالإمام رحمه الله ينظر إلى الإنسان بأنَّه وجودٌ عالٍ وأنَّ هناك حقيقة يريد إثباتها وهي: إنَّ الإنسان ليست له ماهية معينة وثابتة وبوسعه طيّ كل ميادين الوجود.

إنَّ الإنسان له طاقة وقدرة كاملتان يستطيع بهما تحقيق كل شيء، وهذا المبدأ الفلسفي العظيم يستخلص منه ثلاثة نتائج أخلاقية نتكلم عنها بإيجاز وهي:

١-إمكانية التربية في كل الأحوال:

وفي هذه النقطة نوضّح أنَّ حقيقة وجود الإنسان وخلقته إنَّما تكون في تكامل أخلاقه ومن لم يتخلق بالأخلاق الفاضلة لم يكتمل خلقه بعد وقد فصَّلنا الكلام في هذا المجال عندما تكلمنا عن الكمال في بحوث الأخلاق ومن هنا نعلم أنَّ لنا كمالين: كمال بشري، وهو كمال الخلقة وهذا متحقق. وكمال إنساني وهو كمال الأخلاق وهذا هو الذي يسعى

---

١ إشارة إلى آية ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب-الآية١٣].

٢ تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأُنس للإمام الخميني مؤسسة پاسدار إسلام.

الإنسان لتحصيله، لكي يكون به إنساناً، وهو محل بحثنا تحت هذه النتيجة الأولى وهي إمكانية التربية في كل الأحوال.

والظاهر أنْ هذا المبدأ ليس من مختصات المسلمين بل حتى علماء الغرب يُقِرُّون بذلك فقد جاء في كتاب human relations ﴿سأل معلم تلميذه من الذي خلقك؟ فأجاب التلميذ بشكل فاجأ المعلم حيث قال: لم يكتمل خلقي بعد﴾[١]، إذن لابدّ للإنسان أنْ يعترف أولاً بأنَّه غير مكتمل، نعم هو بشر كامل سوي ولكنّه ليس إنساناً كاملاً، فإذا عرف وإعترف بذلك في داخله قبل فكرة التربية -إذ الإقرار بفكرة التربية فرع الإعتراف بعدم كمال الإنسان- أمّا إذا لم يعتقد بهذا المبدأ فسوف ينقطع الطريق أمامنا لإجراء أي تغير وإصلاح في وجود الإنسان وبالتالي في المجتمعات والعالم.

نعم لابدّ أنَّ يكون هنالك قابلاً للتربية فنحن ننظر إلى من له القابلية نظرة أمل ومن ليس له القابلية ننظر إليه نظرة خيبة، وإنْ كان القنوط من فعل الله تعالى ورحمته مذموماً لكن هذا إنحياز إلى أمر غيبي ونحن وإنْ كنّا نتكئ على الغيب وإرادة الله في إصلاح المجتمعات وسياستها، ولكن من جهة نؤمن بأنْ تحقيق ذلك في الخارج فرع توفير مقدماته وهو التربية مع إمكانها لذا عنونّا هذه النقطة بإمكانية التربية.

وإلا:

عاقبت گرگ زاده گرگ شود   گرچه با آدمی بزرگ شود

يعني:

صغير الذئب يصير ذئباً   حتى وإنْ نشأ مع إنسان

---

١ Human relation . Recgy,Barry L. / Brandt,Ronda p54

نعم عامل الوقت لابدّ أنْ يأخذ دوره إذ معه تنصهر كثير من المشاكل وتُذلّ أغلب الصعاب ولكن لابدّ أنْ ننتبه إلى أنَّ الوقت قد يكون له تأثير سلبي فيأخذ العدو الخارجي أو الداخلي(طاغوت برون وطاغوت درون)أي الغرب والنفس دوره في الإفساد أكثر والإرجاع إلى نتائج سيئة.

والمهم في المقام أنْ يشدّ الإنسان العزم ما دام على قيد الحياة وما دام شاباً أو لم يبلغ سن الرشد لكي تكون نتيجة التغيير متحققة والعمر لم يأخذ منه مأخذاً يجعله ييأس من التغيير أو يتمسك بالدنيا أكثر.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿إنَّ جميع الملكات والخُلُق النفسانية قابلة للتغيير والتحول ما دامت النفس تعيش في هذا العالم، عالم الحركة والتغيير وتخضع للزمان والتجدد وتملك الهيولى والقوة ويستطيع الإنسان أنْ يُغيِّر خُلُقَه النفسي ويُحَوِّله إلى أضداده، ويدل على ذلك إضافة إلى البراهين والتجربة، دعوة الأنبياء والشرائع الحقة التي تدعو إلى التخلّق بالصفات الحميدة والإبتعاد عمّا يقابلها من الخُلُق السيء﴾[1]. ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته﴾[2] وهذا يعني أنّه كلّما تقدم عمر الإنسان تناقصت قدرته على التغلب على العادات الذميمة ويبقى رهن أخلاقه الرذيلة لأنّه كلما مرَّ عليه يوم تتجذر تلك الصفات في أعماقه وبالمقابل تضمحل مقدرته على التصدي لها.

---

١ الأربعون حديثاً للإمام الخميني/ ص٥١٠.

٢ نهج البلاغة/ الكتاب ٣١.

يقول مولوي:

خار بن در قوّت ودر خاشتن   خار كن در پيرى ودر كاشتن

خار بن هر روز وهر دم سبز وتر   خار كن هر روز زار وخشكتر

او جوانتر شود و تو پيرتر   زود باش وروزگار خود مبر[1]

يعني:

إنَّ الشوكة في نموّها وقوَّتها   والرجل في الشيخوخة والضعف

الشوكة تغدو كلّ يوم أشدّ   وهو يميل نحو الضمور والعجز

هي تزداد شباباً وأنت ضعفاً   فسارع ولا يفوتك الدهر

وحاصل ما يريده مولانا الرومي: إنَّ رجلاً زرع في طريق الناس شوكة فأخضرت ونمت وكبرت وصارت تسبب أذىً للمارة إلى أنْ إشتكوا إلى الحاكم،فإستدعاه وأمره بقطعها. فأذعن لأمر الحاكم ولكنّه بقي يسوّف ويوكل الأمر من يوم لآخر ولكن كلما كان يمضي يوم كانت الشوكة تقوى والرجل ينحدر نحو الضعف والشيخوخة.ومقامنا كذلك فالإنسان يشبه هذا الرجل، فكيف يمكنه تغيير حاله؟.

يقول الإمام الخميني ﵀: ﴿مادام الإنسان في دار الزوال وعالم التغير هذا من الممكن أنْ يتغير في جميع صفاته وأخلاقه ومهما تكن تلك الصفات مستحكمة في ذاته، فإنَّها قابلة للزوال مادام على قيد الحياة.

---

[1] مثنوي معنوي لمولانا جليل الدين محمد الرومي دفتر دوم الأبيات ١٢٣٧ إلى ١٢٤٠.

وإنَّما تختلف درجة القدرة على تنقية النفس وتزكيتها تبعاً لتجذّر تلك الصفات وسطحيتها،ومن الطبيعي إنَّ أيَّة صفة حديثة الظهور في النفس يمكن إجتثاثها بكل سهولة كالنبتة في أيامها الأولى حيث لا تزال جذورها ضعيفة لم تتأصل بعد في التربة ولكن إذا إستحكمت تلك الصفة في النفس وأصبحت من الملكات المستقرة فيها فإنَّه يمكن إزالتها ولكن بصعوبة فائقة ومثلها في ذلك كشجرة مُعمِّرة ضربت جذورها في أعماق الأرض، كلما لبثت زمناً طويلاً إستلزم إقتلاعها مزيداً من الجهد والمشقة ﴾[1].

والخلاصة:

إنَّ التربية الأخلاقية متاحة على الدوام وباقية مادام الإنسان باقياً على قيد الحياة ولكن كلما كان العمل أبكر كان أفضل وأسرع وإذا تأخر صعب عليه الأمر، هذا وينبغي الحذر من وساوس الشيطان بالتسويف أو بالتسويل،فمعه لا يمكن الإصلاح، فالموقف السليم الذي نتخذه هو إغتنام الفرصة وإستغلال الوقت.

٢- الموازنة بين الخوف والرجاء:

الخوف والرجاء مصطلحان متضادان لأنَّهما أمران وجوديان تقدم الكلام عنهما في أبحاث سابقة وهما من مباحث الأخلاق ومن الأمور الضرورية في حياة الإنسان، فالرجاء يجعله يريد كل شيء، والخوف يردعه عن عمل كل شيء ووجه فائدتهما أنَّه لولا الخوف لنسي الإنسان ذاته الترابية وإمكانه الماهوي ولادّعى الربوبية والألوهية ولولا الرجاء والأمل لما تحرك خطوة واحدة ولما قام بأي عمل.

---

١ الأربعون حديثاً للإمام الخميني / ص١١٠

يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ لولا الأمل لما أرضعت والدة ولدها ﴾[١] وكل إنسان منّا فيه أملان: **ظاهر وخفي**، لو إنعدم أحدهما أو كلاهما لفقدت الحياة معناها.

وكلا المعنيين الخوف والرجاء أشار إليهما القرآن المجيد، فتارة يحذرنا من الإغترار بأنفسنا ومن الأمان من مكر الله معتبراً ذلك من صفات الخاسرين وهو إشارة إلى الخوف حيث قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٢]

وتارة يدعونا أنْ نحيا بالأمل ولا نيأس وجعل اليأس أحد معالم الكفر ودواعيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٣].

ومادام القرآن قد ذَكَرَهُما ودَعا إلى الأمل والخوف مع أنَّهما متعادلان فلابدّ من معرفة نسبة كل واحد منهما في حياتنا، لكي لا تميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط لا في الخوف ولا في الرجاء.

والآيات والروايات وعلماء الأخلاق ذكروا ضرورة أنْ يكون للخوف والرجاء نسبتان متساويتان لكي يندفع الإنسان إلى العمل من جهة، وهذا يكون بواسطة الرجاء وكذلك يرتدع الإنسان عن العجب والغرور من جهة أخرى وهذا يكون للخوف.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء. ولو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا ﴾[٤].

---

١ ميزان الحكمة للشيخ محمدي الريشهري ج١ ص١٠٢.

٢ سورة الأعراف الآية ٩٩.

٣ سورة يوسف الآية ٨٧.

٤ البحار ج٦٧ ص ٣٥٢.

فإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة – وهي حالة مساواة الخوف والرجاء – إلتزم طريق الإعتدال في حياته وإجتنب أي نوع من الإفراط والتفريط.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿خير الأعمال إعتدال الرجاء والخوف﴾[1] وقد يسأل سائل: ما دَخْلُ الخوف والرجاء وكيف يمكن ربطه في السياسة والشجاعة ووحدة الدين والأخلاق والسياسة؟ وجوابه: إنَّ وجود الخوف والرجاء في حياة المرء مؤثر من حيث أنَّه يدفعه إلى كل فعل كريم وإنْ كان فيه خطر كالدفاع عن حرمة الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وينهاه عن كل قبيح وإنْ كان حقيراً وهيناً بنظر المرء كموالاة الظالمين، وإنْ كان أمراً اعتيادياً على الأغلب في عصورنا مع الأسف الشديد.

وهذا لقمان الحكيم يوصي ولده: ﴿خِفِ الله عزّ وجلّ خيفة لو جئت ببرّ الثقلين لعذّبك، وارجُ الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك﴾[2].

٣- تأجيل الحكم:

بعد أنْ عرفنا أنَّ الإنسان ليس له ماهية ثابتة وأنَّه في طريق إكمال ذاته، ومن جهة أخرى نعلم أنَّه أحداً لم يطّلع على الغيب فنتيجة ذلك هو: أنَّه ليس بمقدور أحد منّا إصدار حكم قاطع بشأن ذاته. نعم يمكنه إصدار حكم على ذاته إلى حد ما، ووقت ما، ولكن في حالة إلتفاته إلى ذاته، وعدم غفلته عنها ونظر إلى حقيقتها كما هي قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾[3].

---

١ ميزان الحكمة ج١ ص٨٢٦

٢ بحار الأنوار ج٦٧ ص٣٥٢.

٣ سورة القيامة الآية ١٤.

كما لا يخفى نحن لا نريد ذلك لأجل أنّنا نريد الأحكام على مستوى بعيد لأهمية الوظيفة التي نتكلم عنها. ومن المؤسف جداً أنّ بعضهم يغفل عن حقيقة أنّه لايمكن الحكم على ذاته فنراه ينزّه نفسه من المساوئ معتبراً أنّ مستقبله مضمون، إستناداً إلى ما له في ماضيه، والقرآن يرد على مثل هذه الأفكار ويقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ﴾[1]. وكذلك يفنّد القرآن تلك الأوهام التي توصي العبد بتصور مستقبله في ضوء سيرته الحالية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[2]، وإمامنا أبو عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السلام ذكر ذلك صراحة ونسب إلى نفسه المساويء مع أنّه معيار الجنة ومصدر التشريع، ذكر ذلك في دعاء عرفة الشريف: ﴿ إلهي من كانت محاسنه مساوئ فكيف لا تكون مساوئه مساوئ ﴾[3]، والتاريخ مليء بسِيَر أشخاص كانوا يعتبرون أنفسهم صالحين وبنوا على سيرتهم الأولى حتى اعتقدوا أنّ عاقبتهم ستكون إلى خير، إلا أنهم ضلّوا فيما بعد وكانت عاقبتهم هي الخسران. وكذلك كان هناك أشخاص يعتبرون أنفسهم من المفسدين غير أنّ عاقبتهم إنتهت إلى خير.

---

١ سورة النساء الآية ٤٩.

٢ سورة النور الآية ٢١.

٣ دعاء عرفة.

ومثال الأول: (بلعم بن باعورا)الذي كان من زهّاد بني إسرائيل وكانت دعوته مستجابة، ولكنّه استغل هذه الفضيلة المعنوية ضد نبي زمانه موسى عليه السلام وعلى نبيّنا وآله فكانت عاقبته إلى خسران وجعله القرآن عبرة للعالمين ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾[1].

يقول مولوي:

بلعم باعورا را خلق جهان
سغبه شد مانند عيسای زمان

سجده ناوردند كس را دون او
صحت رنجور بود افسون او

پنجه زد با موسی اَز كبر و كمال
آنچنان شد كه شنيدستی تو حال

صد هزار ابليس وبلعم در جهان
همچنين بوده است پيدا و نهان

اين دو را مشهور گر دانيد اِله
تا كه باشد اين دو بر باقی گواه[2]

---

[1] سورة الأعراف الآية ١٧٥.

[2] مثنوي معنوي لمولانا جلال الدين الرومي دفتر أول الأبيات ٣٢٩٨ - ٣٣٠٢.

وترجمة الأبيات:

إشـــتهر بلعـــم بـــن بـــاعورا بـــين النـــاس

كشـــــــهرة عيســـــــى في زمانـــــــه

فلـــــــم يســـــــجدوا لغـــــــيره

وكانـــت نفثاتـــه صـــحة لكـــل ســـقيم

خاصـــم موســـى كِـــبَراً وعلـــوّاً

هـــذا الـــذي حـــدث وســـمعته

يوجـــد في العـــالم مئـــة ألـــف إبلـــيس وبلعـــم

مـــنهم الظـــاهر ومـــنهم الخفـــي

لكـــن الله تعـــالى شـــهرهما

ليكونـــا مثـــالاً شـــاهداً عـــلى غيرهمـــا

ومثال الثاني: هو(الفضيل بن عياض)كان قاطع طريق ورئيس عصابة لصوص غير أنّه سمع ذات مرة آية من القرآن الكريم فتغّير إلى درجة أنه صار من مشاهير العارفين وقد روى قصته عطار نيشابوري وهي: إنَّ قافلةً مرت في إحدى الليالي وكان يريد سرقتها وكان في تلك القافلة شخص يقرأ الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] فجاءت الآية وكأنَّها سهم سُدِّد إلى قلب فضيل فقال: نعم لقد آن[2].

---

١ سورة الحديد الآية ١٦.

٢ تذكرة الأولياء لفريد الدين عطار النيشابوري ص ٩٠.

وبهذا يَتبيَّن أنَّه لايمكن لأحد أنْ يحكم على ذاته التي علمه بها حضوري، فبالأولوية لا يحكم على غيره الذي علمه به كسبيّ سواءً كان ذلك الغير كافراً أو مسلماً ولا يمكن أنْ يستخدم معطيات الماضي لذلك الشخص للحكم عليه كما عرفت مما ذكرنا.

نعم، نحن لا نقول بأنْ ماضي الشخص لا اعتبار له مطلقاً، بل نقول أنْ معرفة الماضي مهم جداً وله تأثير لا يُستهان به، غاية الأمر أنَّه لابدّ أنْ لا يطغى الماضي في الحكم إذ بوسع المرء تغيير مستقبله وصياغته صياغة جديدة وهذا ثابت عندنا نحن الإسلاميون بل وعند الغرب أيضاً.

يقول وليم جيمس: ﴿الإنسان هو الموجود الوحيد الذي يستطيع تغيير قدراته وصياغة مصيره من جميع الموجودات على الكرة الأرضية﴾[1].

وربط هذا بمقامنا هو: أنَّ الأحكام الإجتماعية والسياسية لابدّ أنْ تكون وفق تشريع إلهي، فالله تعالى يعلم كل شيء ولا يمكنه تأجيل الحكم لأنه الحاكم الحقيقي وقد عرفت من خلال التوحيد في الربوبية أنَّ حق الطاعة والتشريع والحاكمية التي هي شؤون الربوبية لا تثبت إلا لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام ونوابهم هذا من جهة ومن جهة أخرى تخلق عند القائد والمقود سعة الروح وقبول الآخر وإمكانية الإصلاح والتغيير وعدم الجزم بأنّا وصلنا إلى مرحلة الفساد الذي ليس وراءه إصلاح وهذا هو عين الدين والسياسة والأخلاق.

---

١ آينده خلاقيت وخلاقيت آينده(ستقبل الإبداع وإبداعية المستقبل)جورج لندوبت جارمن/ ترجمه إلى الفارسية حسن قاسم زاده ص٢٤٥

ينقل الإمام الخميني رحمه الله عن أستاذه الشاه آبادي: ﴿كان شيخنا الجليل العارف الشاه آبادي روحي فداه يقول: لا تعيبوا على أحدٍ حتى في قلوبكم وإنْ كان كافراً فلعلّ نور فطرته يهديه، ويقودكم تقبيحكم ولومكم هذا إلى سوء العاقبة. إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء والتعبير القلبي شيء آخر، بل كان يقول لا تلعنوا الكفار الذين لا يعلم أحدٌ بأنَّهم رحلوا عن هذا العالم وهم على الكفر فلعلّهم اهتدوا أثناء الرحيل فتكون تأثيراتهم الروحية مانعة لرقيّكم﴾[1].

الديـن

بعد المقدمة التي سقناها والكلام حول الإنسان الذي هو مادة السياسية، يأتي الكلام عن الصورة التي يعيش فيها ذلك الإنسان(وهي الدين): وهو مجموعة القوانين والتشريعات التي تحكمه في كلا عالميه الدنيوي والأخروي بما يضمن له سعادة الدارين. والكل يعرف أنَّه لابدّ من قانون يسير المرء تحت ظله. فالإنسان إمّا إجتماعي أو غير إجتماعي، ونقصد بالإجتماعي هو الخاضع لقانون المجتمع. وهذا إمّا قانونه إلهي أو غير إلهي، والإلهي إمّا إسلامي أو غيره، والإسلامي إمّا أنْ يكون ملتزماً بالشرائع الحقة وعارفاً بالخلافة الإلهية على سلسلتها وهي النبوة والإمامة ونيابة الإمام أو لا.

---

١ الأربعون حديثاً/ ص٦٧.

وما نعتقده في صورة السياسة هو القانون الإلهي الإسلامي الخلافتي بجميع صوره ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾[1]، لأنَّ فيه حقّانية الطريق وتمييز المصالح والمفاسد وهذا واضح من خلال تتبع عالمية الدين الإسلامي المأخوذ عن طريق معدن العصمة والطهارة عليهم السلام ووفق نظرية ولاية الفقيه[2].

وعلى أي حال فإنَّ الإنسان يحتاج إلى قانون إلهي يسير على منهجه ولابدّ أنْ يكون ذلك القانون معصوماً من الخطأ وإلا يلزم نقض الغرض لأنَّنا نريد من خلال إتباع القانون وتشريع السياسة وفق ذلك القانون نريد تنظيم حياة المجتمع للدين والدنيا والآخرة فلو لم يكن معصوماً فإنَّه سوف يزيد من فوضوية المجتمع في عالم الدنيا والحشر في جهنم في الآخرة.

وهذا القانون تظهر بعض تفاصيله من خلال النصوص التالية:

- ﴿ كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً ﴾[3].
- ﴿ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[4].
- ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[5].
- ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[6].

---

١ سورة النساء الآية ٥٩.

٢ لا نريد الخوض في اثبات الدليل على الطريق والمبدأ الذي نتبناه لخوف الإطالة وقد بحث ذلك في موارد عدة وقد وضّحت معالم هذه النظرية في الكتب التي بحثت في ولاية الفقيه فراجع.

٣ نهج البلاغة/ الخطبة رقم ٣ والخطبة رقم ١٣٦ والكتاب رقم ٤٧.

٤ سورة النساء الآية ١٠٥.

٥ سورة هود الآية ١١٣.

٦ سورة المائدة الآية ٢.

ذلك الإنسان الكامل الحافظ لحدود القانون، المفسّر له علماً المنفّذ له عملاً هو الإمام السائس للناس على ميزانه بحيث لا يحيف ولا يجور فيه ولا يفسره بالأهواء ولا يعمل فيه الآراء الخاصة.

وإذا عرفت القانون وحافظه وهو الإمام ونائبه في عصر الغيبة، وعرفت الإنسان فلابدّ من وجود رابطة بين الإمام والأمة وكيفية هداية الإمام وولايته وتدبيره للأمة والمجتمع الإنساني ولا تقتصر السياسة الإسلامية على إدارة الأبدان والأملاك بل إدارة القلوب والنفوس أيضاً حيث صرّح الإنسان الكامل ﷺ: ﴿من عرف نفسه فقد عرف ربه، وإنّ أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه﴾[1].

ولا يكتفي بهذا القدر أيضاً، بل أنّ الإمام والقائد يُشهد الإنسان على نفسه وينبهه ويحي ارتكازه النائم ويوقظه ويعلمه الكتاب والحكمة ويستدل له على أنّ له نفساً لا تنعدم ﴿ما خُلقتم للفناء بل خُلقتم للبقاء﴾[2]، وإنّ أعماله لاتزول ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[3]، وإنّ بين أعمال النفس وذاتها إرتباطاً خاصاً لا يزول ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾[4]، وأنّ العمل مختصٌّ بعامله ولا يُعاقب أحد عليه حسناً كان أو سيئاً ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[5] وعلى هذا فالسياسة الإسلامية ليست إلا

---

١ موسوعة العقائد الإسلامية للشيخ محمد الريشهري ج٣ ص٨٢و٨٣.

٢ بحار الأنوار ج٦ ص ٢٤٩.

٣ سورة آل عمران الآية ١٩٥.

٤ سورة الكهف الآية ٤٩.

٥ سورة الطور الآية ٢١.

تدبير الإنسان كائناً ما كان، وفي ضوء أي تربية نشأ وإرتقى بل أنَّها تعلمه كتابة كتاب نفسه وكتاب ربه ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1].

بعض معالم السياسة الإسلامية من خلال نصوص الدين

إنَّ السياسة الإسلامية الحقيقية التي تسوس الإنسانية وتدبرها وترزقها حياة طيبة لا مجال فيها للظلم والعصبية والقومية البغيضة وتخرج الإنسان من الظلمات إلى النور وتحرِّره من عبودية الشهوة وإليك بعض النصوص:

- ﴿ إنَّ عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرق ﴾[2].
- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾[3].
- ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾[4].

والسياسة الإسلامية تحطم التكاثر والتباهي بالكثرة والتفاخر فردياً كان أو جمعياً.

فالأول: من خلال الآية ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾[5]، **والثاني:** من خلال آية ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ

---

١ سورة الإسراء الآية ١٤.

٢ ميزان الحكمة ج٤ ص٣١٨.

٣ سورة النحل الآية ٩٠.

٤ سورة الأعراف الآية ٢٩.

٥ سورة القصص الآية ٧٩.

ٱللَّهُ بِهِۦٓ ﴾[1] و﴿ لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ... إلا بالتقوى ﴾[2]، الى غير ذلك من النصوص.

وقد **تسأل**: إنَّ هذه النصوص من تفاصيل الإسلام وما ربطها بالسياسة؟.

اجبنا: ومن قال أنَّ السياسة غير الدين بعد ما عرّفناها من أنَّها تدبير الخلق على جميع المستويات، وهي ليست إلا تطبيق التعاليم الإسلامية ومن هنا أطلق السيد عبد الكريم المدرس رحمه الله كلمته المشهورة: ﴿ سياستنا عين ديانتنا وديانتنا عين سياستنا ﴾.

لا سلطة على الإنسان إلا لله عزّ وجلّ

الإسلام دين الكرامة ودين حفظ كرامات الآخرين على إختلاف طبقاتهم والكرامة تقتضي أنْ لا يعبد الإنسان ولايطيع إلا خالقه الذي هو خالق كل شيء ولايخضع إلا له ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]، فحق السلطنة ثابت لله تعالى فقط ومن ثمّ أمر تعالى باتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم أسوة، وأمره مطاع من جهة كونه هو المطاع الحقيقي بقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4]، فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لأنَّه هو الذي أرسله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[5]، وحيث أنَّ: ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾[6]

---

١ سورة النحل الآية ٩٢.

٢ ميزان الحجمة ج٤ ص٣٦٢٩/ خطبة حجة الوداع.

٣ سورة الأنعام الآية ١٦٢.

٤ سورة الأحزاب الآية ٢١.

٥ سورة النساء الآية ٦٤.

٦ سورة الأحزاب الآية ٤.

فأمر الله تعالى بإطاعة الرسول مسبوق بأنَّ الرسول ﷺ حقّ أيضاً وقد جعله الله حقا وعلّمه الحق فكان ﷺ مثالاً لله ومظهراً للتوحيد الأفعالي له تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[١]، وكذلك ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[٢]. ثمّ في المرحلة البعدية نَقل سبحانه وتعالى الكلام – وبنفس الإعتبارات السابقة – وجوب الإطاعة إلى أولي الأمر من بعد الرسول ﷺ إذ لهم ما له بعد أنْ ثبت أنَّ ماله يكون لله عزّ وجلّ، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٣]. وتقريب الدلالة للآية: أنّه تعالى ثلّث الأمر أولاً وثنّاه ثانياً ووحده ثالثاً، لأنّه في أول قوله تعالى أوجب إطاعة الله وإطاعة الرسول وأولي الأمر، وفي الثاني جعل الحكم والمرجع الذي يرجعون إليه عند التنازع في أمرين: أحدهما نفسه تعالى والثاني رسوله ﷺ ولم يذكر لأولي الأمر إسم، لأنَّ جميع شؤون أولي الأمر إنّما هي مبرِزات شأن الرسول ﷺ ومظاهر سنّته وليس لغيره ﷺ شأن مستقل، وفي ثالث فقرة من قوله تعالى[٤] جعل المعيار والميزان في ذلك الطوع وهذا الرجوع أمر واحد لا ثاني له ولا شريك له: وهو الإيمان بأنَّ الله تعالى

---

١ سورة الفتح الآية ١٠.

٢ سورة الأنفال الآية ١٧.

٣ سورة النساء الآية ٥٩.

٤ وهو ذيل الآية الكريمة المتقدمة(الآية ٥٩ من سورة النساء).

هو الأول الذي يصدر منه كل شيء والآخر الذي ينتهي إليه كل شيء فليس لغيره تعالى شأن مستقل وهذا هو التوحيد وعياً وإرادةً فتدبر[١].

أقول: لعل الأمر بالتدبر إشارة إلى وحدة المطاع ورجوع الرسول والإمام اللذين هما ظل الحق إلى ذات الحق فيبقى هوَ هوَ، وحده وحده، والله أعلم.

وصلٌ في الخليفة (النبي والإمام والنائب)

بعد أنْ وصلنا إلى هذه المرحلة أدركنا أنَّ الحياة الإنسانية الإجتماعية لا تتحقق بدون النظام، إذ لابدّ من الرجوع إلى الحاكم الذي يرجع إليه في حل المشاكل وبيده أزمّة أمور المملكة وتنفيذها وحفظ ثغورها وجباية أموالها والذبّ عنها ودعوة الناس إلى النفر والحرب وغير ذلك. ويأتي الكلام هنا: إنَّ هذا الشخص الحاكم من هو في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام – كما هو في عصرنا إذ حرمنا من رؤية شخص إمام زماننا – فهل ينتقض غرضْ الله تعالى في جعل الخليفة وتقريب الناس إلى الطاعة وإبعادهم عن المعصية؟ أو يوجد شخص بمواصفات خاصة تشبه خواص الإمام المعصوم غاية الأمر أنَّها بدرجة أخف لأنَّه لا يصل إلى مقامهم عليهم السلام أحد، ويجب أنْ يتوفر في هذا الشخص العلم والعدالة ومعرفة الأمور والقدرة على الإدارة بما أنزل الله تعالى ومُعرِض عن حطام الدنيا؟.

وقد شُرِّع هذا المنصب – وهو مقام نيابة الإمام – المُعبّر عنه في عصرنا بولاية الفقيه والمرجعية بنصوص كثيرة ليس هنا محل ذكرها فراجع كتاب القضاء من أبواب صفات القاضي من وسائل الشيعة للحر العاملي. وأشهرها مقبولة عمر بن حنظلة وصحيحة أبي خديجة هذا إذا كان العمدة في الدليل هو الدليل النقلي والروايات. أمّا إذا توجهنا إلى

---

١ سرچشمه اندیشه للشيخ جوادي آملي ج٦ ص٣٥٤.

الدليل العقلي فقد ذهب جميع الأعلام إلى أنَّ ولاية الفقيه ثابتة بالدليل العقلي لكل أحد حتى صرّح شيخنا الإيرواني في مجلس درسه في درس المكاسب مبحث البيع أنّه لا يوجد عاقل لا يقول بولاية الفقيه، وقال شيخنا البهجت رحمه الله أنَّ الحكم بولاية الفقيه من ضروريات الدين والعقل التي لا تحتاج إلى إقامة دليل لأنَّ حاكمية الله تعالى وخليفته في كل عصر مما لا يشك فيه أحد وإلا حكومة من ستنفذ؟ وذكر أنَّ الدليل العقلي مقدم على الدليل النقلي. أمّا شيخنا جوادي آملي دامت بركاته فقد ذكر في مباحثه أنَّ الدليل العقلي فرع عن الدليل الشرعي،إذ جعل المقسم هو الدليل الشرعي وأقسامه هي الدليل العقلي والنقلي، فالدليل العقلي عنده دليل شرعي يمكن الإستنباط منه.

وحدة الحاكم وتعدده

وعلى أي حال ليس هذا محل إثبات نظرية ولاية الفقيه بعد ما ثبت لدينا أنّها بديهية، وإنّما الكلام في أنَّ هذا الحاكم هل هو شخصٌ واحدٌ جامعٌ لجميع الشرائط أو أنَّ هناك أشخاصٌ عديدون يتشاورون ويتبادلون وجهات النظر فيؤخذ بالمجمع عليه أو المشهور بينهم؟ ولكل من المسلكين تنظير ومزايا. لكن التحقيق والواقع -كما عليه أهله- إنَّ المسلك الأول أفضل[١]، ويمكن أنْ يستدل لذلك: بأنَّ سيرة الأنبياء جرت على أنّه لم تعهد نبوة إستشارية ولا رسالة بالشورى بل أنَّ تعدد الأنبياء في عصرٍ إمّا لإختصاص كل واحد منهم بقوم وقطر من الأرض، أو كان بعض منهم تابعاً لآخر نحو تبعية لوط لإبراهيم عليهما السلام قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾[٢]ونحو تبعية هارون لموسى عليهم السلام وإنْ كان شريكاً في أمره.

---

١ راجع لمعرفة التفاصيل الكتب المعقودة لذلك ككتاب: الإسلام ونظام الحكم للشيخ محسن أراكي وغيرها.

٢ سورة العنكبوت الآية ٢٦.

وهكذا جرت سيرة الأئمة عليهم السلام حيث لم تعهد إمامة إستشارية ولا خلافة وإمامة بالشورى[١]. وبما أنَّ ولاية الفقيه فرع الإمامة ونيابة عنها فهي تأخذ شؤونها لذا لا تكون نيابة الإمام وولاية الفقيه بالشورى.

إنْ قلتَ: قد وردت نصوص كثيرة تمدح الشورى وتدعو لها أمثال ﴿ما خاب مَنْ إستشار﴾ و ﴿من إستبدَّ برأيه هلك﴾ و ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[٢] و﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٣] فكيف لا يعمل بالشورى مع كل هذه النصوص الداعية إليها.

قلتُ: هذه النصوص بأجمعها لا تدل على لزوم كون القيادة بالمشورة والزعامة بالشورى فإنَّ النصوص دلت على أنَّ للقائد أنْ يشاور وليس يجب عليه المشاورة لأنَّ الأمر والعزم والتصميم بيده هو والحزم بقلبه وقد أشار إلى ذلك القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[٤]، حيث جعل العزم النهائي والتصميم النهائي بيده ومن هذا الباب قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لإبن عباس: ﴿لك أنْ تشير عليَّ وأرى، فإنْ عصيتك فأطعني﴾[٥]. وأصل ذلك كلّه في القرآن الكريم ولا كلام بعد كلام الله عزّ وجلّ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[٦]، ولا نريد إطالة الكلام أكثر.

---

١ سرچشمه اندیشه ج٦ ص٣٦٠.

٢ سورة الشورى الآية ٣٨.

٣ سورة آل عمران الآية ١٥٩.

٤ سورة آل عمران الآية ١٥٩.

٥ نهج البلاغة/ الكلمات القصار/ الكلمة ٣٢١.

٦ سورة الأحزاب الآية ٣٦.

نعم يبقى شيئان وهما:

١. **لزوم كون الأمة واعية في إنتخاب إمامها.**

٢. **لزوم كون الإمام جامعاً لشرائط الإمامة.**

وهذان أمران مهمان في السياسة الإسلامية نجمل الكلام فيهما.

وعي الأمة في إنتخاب إمامها

يلزم على الأمة أنْ تكون بدرجة من الوعي بحيث تكفيها لمعرفة شرائط الإمامة وفي إجتماعها فيمن يدعي الإمامة أو يريدون تعيينه لها وهذا الأصل هو الموجب لأنَّ يكون لرأي الجمهور قيمة وإلا فلا قيمة لرأي من لا يعرف الإمامة وشؤونها وشرائطها ولا لرأي الجمهور الجاهل بشأنها وإنَّما القيمة لرأي من يعلم الحق ويعرفه قال تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾[1].

جامعية الإمام للشرائط

وهنا يلزم أنْ يكون الإمام - مع كونه عادلاً - مطيعاً لمولاه الحق في جميع ما أمره إليه وندبه إليه بالإتيان به وفي جميع ما نهاه عنه وزجره عنه بالإمتناع والإنتهاء عنه بترك الأهواء والميول صائناً لنفسه مستقلاً في رأيه ومالكاً لوعيه وحراً في إرادته حتى لا يطمع فيه أحد ولا ينفذ إلى قلبه أحد ولا يمكر به العدو الداخلي ولا الخارجي ولا يستفزه القريب والغريب حتى يليق بزعامة الأمة وقيادة الملة ﴿التي يعمل فيها التقي بخلاف غيرها من الأنظمة الفاجرة التي يتمتع فيها الشقي﴾[2].

---

١ سورة سبأ الآية ٦.

٢ نهج البلاغة/ الخطبة رقم ٤٠.

وقد أشار القرآن المجيد إلى أنَّ الإمام المتبوع لابدّ أنْ يكون عالماً بالله وهادياً إلى سبيله وسائراً على صراطه حتى لا يُضِلَّ الناس ولا يمنعهم عن خيرهم المُقدَّر لهم بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[1]، يعني إنَّ المجادل في الله لو لم يكن جداله مستنِداً إلى برهان عقلي أو وحي سماوي بلا واسطة أو هداية مستفادة من الوحي مع الواسطة يكون ضالاً، ولو ادعى الإمامة والمتبوعية وهو على هذه الحالة فلا شأن له إلا الضلال الموجب لخزي الدنيا وعذاب الحريق في الآخرة.

وقد أوضح قائدنا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه صفات الإمام والقائد في عهده المبارك إلى مالك الأشتر حينما ولاه على مصر وقد أرسى معالم الدولة الإسلامية في عهده أيضاً والبحث فيها طويل ونرشد إلى كتاب الدولة الإسلامية في شرح هذا العهد المبارك لشيخنا الفاضل اللنكراني رحمه الله حيث أنَّه قد وضّح تفاصيل العهد وبيَّنَ معالم الدولة وقائد الدولة والبناء الهرمي لبناء الدولة فراجع تغنم.

السياسة أمانة أمينها الإمام

إنَّ السياسة الإسلامية تعتقد أنَّ الأمة أمانة وأنَّ أمينها الإمام لأنَّ الإسلام دين كرامة ومقتضى الكرامة الإسلامية أنْ تكون الأمة أمانة في يد الأمين الذي لا يخونها أصلاً بل يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد ويبيِّن لهم ما جرى لهم وعليهم ويحفظ كيانهم ويطرد عنهم الفقر الفكري والمالي ويذبّ عن حريمهم ويسد ثغورهم .قال الإمام الرضا عليه السلام: ﴿ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين.إنَّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي وفرعه السامي.

---

[1] سورة الحج الآية ٨و ٩.

بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف، الإمام يحلّ حلال الله ويحرّم حرام الله ويقيم حدود الله ويذبّ عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة ﴾[١].

هذه هي الإمامة وهذا هو الإمام السائس فلابدّ أنْ يكون أميناً على ما أمّنه الله تعالى وهي أعظم أمانة إذ أمور الناس كلّها بيده سواء كانت الدينية أو الدنيوية فهو الذي يلي أمور المسلمين والواجب عليه رعايتهم وعدم خيانتهم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ من إستهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم يُنزّه نفسه ودينه عنها فقد أحلَّ بنفسه الذلَّ والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذلُّ وأخزى، وإنَّ أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة ﴾[٢].

وقال صلوات الله وسلامه عليه: ﴿ أربعة من قواصم الظهر: إمام يعصي الله عزّ وجلّ ويطاع أمره، وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه، وفقر لا يجد صاحبه مداوياً، وجار سوء في دار مقام ﴾[٣].

هذا وإنَّ الخيانة والغلول[٤] وإنْ كانا من الكبائر الموبقة لكل أحد إلا أنَّهما للإمام السائس والذي يلي أمر المسلمين أشدّ وأدهى وأمر، ولذا قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٥].

---

١ عيون أخبار الرضا ص١٩٧.

٢ نهج البلاغة/ الكتاب ٢٦.

٣ جامع احاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١٦ ص ١٠٢.

٤ الغلول: لفظ آخر لمعنى الخيانة.

٥ سورة آل عمران الآية ١٦١.

السياسة الإسلامية حكومة الصالحين

من كل ما ذكر إتضح أنَّ البناء الهرمي للسياسة الإسلامية قائم على الإسلام وأنَّه حق يُتَّبَع وعليه فإنَّ عناصر هذه السياسة الإسلامية هي العناصر الإنسانية التي تكون من طبقة عباد الله الصالحين كما قد عَيَّنَ القرآن الكريم خطوطها السياسية بقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[1]

ولكي تتمّ معالم هذه السياسة أكثر نتعلم كيف يمكن أنْ يكون العباد صالحين؟.

إنَّ صلاح العباد ليس خوفهم مقام ربّهم وخوفهم وعيده تعالى فحسب، وليس فقط الإعتقاد بالعبادة من الصوم والصلاة وغيرها مما قد يُتوهم أنَّها كافية في إمتثالنا ما أمر الله به وفي حصول التهذيب، بل إنَّما هو إمتثال جميع ما أمر الله تعالى عباده الصالحين به من الجهادين الأكبر والأصغر والهجرتين الكبرى والصغرى من أي رجس ورجز، قال تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[2]. والهجرة الصغرى من أرض الشرك والظلم حينما يستشري ظلم الظالم لإخراج العباد من البلاد قد يستغل المؤمنون الفرصة لتهيئة العدة والعدد لتطهير الأرض من رجس البغاة وإرغام أنوفهم وقد بيَّنَ الله تعالى وظيفة الحكام المسلمين في مثل هذه الحالة: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

---

[1] سورة القصص الآية ٥ و ٦.

[2] سورة المدثر الآية ٥.

أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

فقد بيَّنَ سبحانه وتعالى أنَّ هؤلاء هم أهل الجهاد والمجاهدة وأهل العبادة والتهذيب والإصلاح لأنفسهم وذلك عن طريق إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإصلاح لغيرهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ما ثاروا على الطغاة وطردوهم ونجّوا بيوت الله من الهدم والخراب . والمهم هو أنْ يلتفت إلى أنَّ شكر نعمة التمكين هي إقامة الصلاة والأمر بالمعروف وبدونها سوف لا نضمن بقاء النعمة.

إنَّ الصالحين هم أطوع الناس وأكثرهم إنقياداً لله ولرسوله وأولي الأمر لأنَّهم يعلمون أنَّه الحاكم الحقيقي وهو أعلم مافيه صلاح دينهم ودنياهم وآخرتهم وأنَّ الحياة الحقيقية في الإستجابة لله، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2].

ولايتوهمنَّ أحد أنَّ الحياة هي ما نعيشه في مدة عمرنا فقد صرّح القرآن: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ ﴾[3] أي الحياة الحقيقية فإذا دعانا الله ورسوله وأولوا الأمر إلى الموت في سبيل الله أو قصاصاً فإنَّه حياة وإنْ كان موتاً ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[4]، فالموت الحقيقي هو العيش ذليلاً، والحياة الحقيقية هي الموت عزيزاً ولا نعني بهما العزة والذلة الشخصية بل عزة الإسلام فأنظر ما كتبه أمير المؤمنين

---

١ سورة الحج الآية ٣٩ – ٤١.

٢ سورة الأنفال الآية ٢٤.

٣ سورة العنكبوت الآية ٦٤.

٤ سورة البقرة الآية ١٧٩.

إلى أهل مصر حين ولّى مالكاً عليهم: ﴿ أَلا تَرَوْنَ إلى أَطْرَافِكُمْ قَدِ إنْتَقَصَتْ، وَإلَى أمصارِكُمْ قَدِ أُفْتُتِحَتْ، وَإلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى، وَإلَى بِلاَدِكُمْ تُغْزى! أنْفِرُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- إلى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلاَ تَثَّاقلُوا إلى الأرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوؤُوا بالذُّلِّ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الأخسَّ، وَإنَّ أَخَا الْحَرْبِ الأرِقُ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عنْهُ، وَالسَّلاَمُ ﴾[١].

فالتفت يا أخي العزيز إلى ساسة هذا الزمان وهل سماتهم سمات الصالحين؟ إنَّ مثل هذا النوع من الساسة لابدّ أنْ يُفضح ويُشهّر به لأنَّه ليس على الصراط السويّ لمقاومته وفضحه قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلاَةَ أَمْرِ الأُمَّةِ؟ بغيْرِ قَدَم سَابِق، وَلا شَرَف بَاسِق، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ لُزومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ، وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتمادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلاَنِيَةِ والسَّرِيرَةِ ﴾[٢] وهذه رسالة إلى جميع المؤمنين ليكونوا صالحين.

فرع في الهجرة

ومن باب الكلام يجرّ الكلام وما دمنا نتكلم في الهجرة الصغرى نريد دفع توهم وهو أنَّ المؤمن بمجرد تضايقه في بلاده يهاجر من بلده إلى بلد آخر فهل أنَّ هذا صحيح؟ متحججاً بآية ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴾[٣]، والكلام في الهجرة الصغرى لا يؤخذ على عواهنه وإطلاقه حيث لابدّ من التفرقة بين أنَّ المهاجر هل هو القائد أو من أحد الكوادر أو من عوام الناس؟ لأنَّ هجرة القائد تعني إفلات الساحة من يدنا وإضعاف

---

١ نهج البلاغة/ الكتاب ٥٢.

٢ المصدر السابق/ الكتاب ١٠.

٣ سورة النساء الآية ٩٧.

نفوس الأتباع، وهجرة الكادر يعني فقد حلقة الوصل بين القائد والناس. وبهذا تعرف أنَّ الدعوة إلى الهجرة ليست على إطلاقه. نعم لعوام الناس أنْ يهاجروا ولكن لابدّ أنْ تكون الهجرة نافعة من جهة الخلاص من الظلم أو إعداد العدة والإستعداد بشرط أنْ لا يتأثروا بثقافة البلاد التي يهاجروا إليها وحينما يرجعون تكون فجوة بينهم وبين إخوانهم في بلدهم الأصلي وتحدث الكارثة.

وعلى أي حال فالهجرة تأتي في المرتبة الأخيرة كحلٍّ وإنَّما يُضطَّر إليها كالإضطرار لأكل الميتة. وقدر الإمكان يرجع الإنسان إلى وطنه في أقرب فرصة تسنح له.

هذا كلّه في الهجرة الصغرى، وأمّا الهجرة الكبرى وهي الهجرة إلى الله ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[١] فقد عقدنا لأجلها مباحث الأخلاق المتقدمة من هذه الأوراق.

وحكومة الصالحين إدارة وشعباً لا تتحقق إلا بالهجرتين والجهادين، الجهاد في الله والجهاد في سبيل الله الذي نتيجته الهداية إلى سبيل الله وعليه يقدم الجهاد في الله ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[٢].

---

١ سورة الذاريات الآية ٥٠.

٢ سورة العنكبوت الآية ٦٩.

من هنا صار السائس والقائد عارفاً عالماً متديناً،والآن لابدّ أنْ نطرح المهم في بحثنا وهو:

العلاقة بين الأخلاق والسياسة

إنَّ العلاقة بين الأخلاق والسياسة من الأمور التي كثر الكلام والإختلاف فيها فكلٌّ ينظر لها بمنظار حسب رؤاه الخاصة وتبعياته السياسة ولا يخلو القول بنوع هذه العلاقة من جِهَوية،والمرجع عندنا الحكم الإلهي والنظام الإسلامي وكلام الله تعالى ومعدن العصمة والطهارة عليهم السلام.

وقد طُرحت رؤىً لهذه العلاقة، لكل منها معالم وإتجاهات نضرب عن ذكر جميعها صفحاً لخوف الإطالة ونبحث في متبنانا حتى لانُخرج هذه الموجزة عن غرضها.

ومن أراد التفصيل فليراجع كتاب(اَخلاق، سياست، اِنقلاب)لجوليانوا بونتارا ترجمة حميد غفاري ص٩٩.

والآراء الأربعة هي:

١-فصل الأخلاق عن السياسة.

٢-تبعية الأخلاق للسياسة.

٣-ثنائية الأخلاق والسياسة.

٤-وحدة الأخلاق والسياسية.

وهذا الرأي الأخير - وحدة الأخلاق والسياسة - هو الذي نتبناه وسنقيم عليه الأدلة، وهو الذي من أجله طرحنا السياسة في بحثنا الأخلاقي من هذا الكتاب.

وحدة الأخلاق والسياسة

هذه النظرية ونظراً إلى أنَّ كلاً من الأخلاق والسياسة تهدفان سويةً إلى توفير السعادة للإنسان ولا يمكن أنْ تنقض إحداهما الأخرى. فمن واجبات السياسة تربية المواطنين معنوياً وتطبيعهم على الحياة الإجتماعية وتعليمهم إحترام الآخرين ورعاية حقوقهم. وهذا ليس إلا القواعد الأخلاقية ويكون شاملاً للسلوك الفردي والسلوك الإجتماعي للشعب والحكومة. فهذه النظرية ترى وجود نظام أخلاقي واحد معتبر في مجالي الحياة الفردية والإجتماعية وأنَّ كل ما هو أخلاقي في الحياة الفردية فهو أخلاقي في الحياة الإجتماعية والسياسية ولدى رجال الحكم وكل ما هو غير أخلاقي لدى كل واحد من المواطنين فهو بالنسبة إلى الحكومة غير أخلاقي أيضاً وبناءً على ذلك إذا كان الكذب قبيحاً لفرد فهو قبيح للحكومة أيضاً، وإذا كان على المواطنين الإلتزام بالصدق فيجب على الحكومة أيضاً إنتهاج سبيل الصدق، فليس للحكومة أنْ تُبيح لنفسها إرتكاب أعمال غير أخلاقية في حقل السياسة وتدَّعي أنَّ عملها هذا يدخل في عداد مستلزمات العمل السياسي. إنَّ هذه القاعدة خالية من الإستثناءات، والأخلاق من هذا المنظار مقدمة السياسة ومدخل لها والسياسة وسيلة لتحصيل الفضائل الأخلاقية. ومثل هذه النظرية لم ينفرد بها العرفاء الإسلاميون والقادة الإلهيون فقط، بل أنَّ أفلاطون وأرسطو كانا ينظران إلى السياسة والأخلاق هكذا، لأنَّهما كانا يعتقدان بعدم وجود فارق بين الحكومة والشعب أو الإقتصاد والسياسة أو الأخلاق والسياسة أو الدين والسياسة أو الثقافة والسياسة فالإنسان هو المواطن ولكل عمل يقوم به المجتمع أو المواطنون صبغة سياسية ويحقق طاقاته في حيز الفعل عن طريق النشاط السياسي فقط.

وبفضل السياسة فقط يبلغ مرتبة الإنسانية[١]، وهذه النظرية هي ما إعتمده إمامنا الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني رحمه الله الذي غيَّر وجه التاريخ وترك بصمته في صفحة الإسلام لتثبيته - كما سيأتي - وهذه النظرية تثبت نفسها بنفسها ولا يمكن لأحد أنْ يردَّها أو يشكل عليها لأنَّها من حاقّ الكلام الإلهي والدستور المحمدي الكريم وأدلتها هي القرآن والسنة وسيرة المعصومين عليهم السلام.

نعم يمكن أنْ يتوجه إنتقادٌ واحد لهذه النظرية وهو : إنَّ هذا النوع من السياسة التي تكون قائمة على الأخلاق هل يمكن تطبيقها عملياً؟ أو أنَّها ستبقى نظريات مطروحة، وحبراً على ورق؟ خاصة بعد تدهور مجتمعاتنا في مستوياته الدينية والإجتماعية والأخلاقية، أو أنَّها لابدّ أنْ تتنازل عن بعض القيم وتتغاضى عن قسم من مبادئها الأخلاقية؟.

والجواب على هذا الإشكال هو: إنَّ هناك فرقاً بين الحساب المادي والحساب الإلهي، فالحسابات المادية تعتقد بأنَّ النصر هو هزيمة جيش العدو والإستحكام على مُلك البلاد والسيطرة على العباد.

ولكن الحساب الإلهي يعتقد بأنَّ النصر والإستحكام الحقيقي هو إنفاذ ونشر حكم الله تعالى في الأرض إعلامياً وتنفيذياً وعلى جميع المستويات، وإنَّ النظرة الإلهية تقدّم الدماء والأرواح وتسترخصها دون أنْ تتنازل عن أي واحد من أحكام الحق وتعد صمودها ومحافظتها على التعاليم الإلهية هو النصر الحقيقي، وأوضح مثال لذلك هو سيد الشهداء الحسين عليه السلام الذي لا يخفى على أصاغر الناس فضلاً عن أكابرهم، وكل من تتبع الحياة السياسية لقائد الإسلام العظيم علي أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يختلف فيه

---

١ آزادي وقدرت وقانون لفرانتس نيومان ترجمة عزت الله فولادوند ص٤٣-٤٤.

إثنان حتى أعداؤه حيث شهدوا له بالفضل والسبق في كل شيء، حتى الشيوعية الذين يقفون معنا على طرف ضد في هذه المسألة: ولنمرّ مروراً بسيطاً على بعض المحطات من سنن التاريخ ليتضح ما نروم إليه ولنر هل يمكن التنازل عن التعاليم الإلهية وهل أنّه عليه السلام طبّق تعاليم الإسلام بالكلية ولم يتنازل حتى عن صغائر الأمور في الإسلام وكانت سياسته وأخلاقه واحدة أو لا؟ وبه يتضح الجواب عن ما ذكره المستشكل:

١. بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمّت تنحيته عليه السلام عن الخلافة التي نُصِّبَ بها يوم الغدير خلافاً لما عهده إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآلَ زمام الأمور إلى شخص آخر تحت السقيفة في قضية معروفة لدى الجميع. وتقدم أبو سفيان الذي كان من أنصار تجريد السياسة من الأخلاق بإقتراح إلى الإمام عليه السلام يدعوه فيه إلى النهوض، وتَعهَّد أنْ يُجهِّزه بجيش لدعمه في هذه المعارضة، إلا أنَّ الإمام عليه السلام لم يكن من النوع الذي يسعى إلى الإستيلاء على السلطة بأساليب غير أخلاقية وبغير رضا الناس، ولذا رفض إقتراح أبي سفيان ودعا الناس إلى معرفة الحق والتعامل مع الأمور برويّة وتعقّل وهذا واضح في خطبته الخامسة ﴿أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الـمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الـمُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، هذا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الّثمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ﴾[1].

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٥.

٢. بعد مقتل عمر بن الخطاب عرض أعضاء الشورى المكلفين باختيار الخليفة على الإمام عليه السلام قبول الخلافة بشرط العمل بسيرة الشيخين(أبي بكر وعمر)فرفض ذلك العرض إنطلاقاً من عدم رغبته في الكذب لغرض المصلحة أو الوصول إلى الحكم بأسلوب غير أخلاقي وفي نفس الوقت صرَّح عليه السلام أنَّه لو آل إليه الأمر فسيحكم بكتاب الله وسنّة نبيه قال: ﴿ إنَّ كتاب الله وسنّة نبيه لا يُحتاج معهما إلى سنّة أخرى ﴾[1].

٣. كان من المتوقع أنْ يستغل الإمام عليه السلام أحداث الثورة على عثمان ومحاصرة داره أحسن إستغلال لكي يمسك بزمام الخلافة إلا أنَّه وخلافاً للمتوقع لم يرحِّب بالأوضاع التي حصلت وبقى على ما هو معروف من أخلاقه وشهامته ودعا الناس إلى الهدوء وحثَّ عثمان على اتخاذ سياسة صحيحة، بل أنَّه عليه السلام دافع عنه حيث قال لإبن عباس: ﴿ والله لقد دافعتُ عنه حتى خشيتُ أنْ أكون آثماً ﴾[2].

٤. بعد ما بايعه الناس على الخلافة لم يتأخر لحظة واحدة عن عزل ولاة وعمّال الخليفة السابق، حيث كان يعتبرهم غير صالحين ومناهضين للحق ولم يُصغِ لنصائح إبن عباس والمغيرة بن شعبة الذين أشارا عليه بإبقائهم في مناصبهم مؤقتاً ثمّ الشروع بعزلهم تدريجياً، وذلك ليس إلا أنَّه عليه السلام لا يريد حكومة غير الصالحين لأنَّهم إنْ لم يكونوا صالحين أفسدوا الأمة والأمور وأبى إلا أنْ ينفذ الخُلُق الإلهي طبقاً لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[4].

---

١ نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للشيخ محمد باقر المحمودي ج١ ص١٥٥.

٢ نهج البلاغة/ الخطبة ٢٤.

٣ سورة البقرة الآية ١٢٤.

٤ سورة الأنبياء الآية ١٠٥.

٥. رفض الإقتراحات التي عرضت عليه بشأن إستمالة طلحة والزبير عن طريق إشتراكهما في السلطة وتعيينهما ولاة على الكوفة والبصرة.

٦. عندما إعترض عليه كل من طلحة والزبير الذين كانا من أوائل المسلمين بسبب مساواتهما في العطاء من بيت المال مع سائر المسلمين والتلميح بطلب إمتيازات قال لهما: إنّ المساواة سنّة رسول الله ﷺ وإنّهما لا يختلفان عن غيرهما في هذا المجال، فراجع الخطبة رقم ٢٠٥ من نهج البلاغة تجد ذلك، وهذا عمل بخُلُق الإسلام.

٧. عندما إستأذنه طلحة للخروج من المدينة تحت ذريعة أداء العمرة لغرض التحريض عليه والإعداد للمعركة التي سميت بمعركة الجمل لم يتخذ الإمام عليه السلام أي إجراءات إحترازية ولم يمنعهما من السفر رغم إطلاعه على نواياهما وقال: ﴿والله ماتريدان العمرة، ولكنكما تريدان الغدرة، وإنّما تريدان البصرة﴾[1].

وهذا عمل بأخلاق الإسلام، بتنبيههما ووعظهما مع علمه بهما.

٨. بعد إنتصاره على متمردي معركة الجمل عفا عنهم جميعاً حتى مروان بن الحكم الذي كان المحرّض الرئيس لجميع الفتن والمسبب لقتل عثمان وأحد مثيري معركة الجمل.

---

١ الجمل للشيخ المفيد ص١٦٦.

٩. واللطيف أنّه عندما أخبروه أنَّ مروان يريد البيعة من جديد لم يقبل بيعته وأطلقه، بينما يستطيع معاقبته أو إتخاذ إجراءات قانونية لمنعه من القيام بأية أعمال أخرى مع علمه به وبأفعاله، قال عليه السلام: ﴿ لا حاجة لي في بيعته، إنَّها كف يهودية، لو بايعني بكفه لغدر بسُبَّته، أمّا أنَّ له أمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر ﴾[1].

١٠. وصل إليه عليه السلام إنَّ بعضاً من جيشه أثناء حرب صفين كانوا يسبّون أفراد جيش معاوية فنهاهم عن هذا التصرف غير الأخلاقي حتى ضد العدو وفي ساحة الحرب وقال لهم: ﴿ قولوا بدل السبِّ،اللهم احقن دماءنا ودمائهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم ﴾[2].

١١. عندما إستولى معاوية على الماء في معركة صفين منع الماء عن الإمام عليه السلام وبعدما أستعاد عليه السلام السيطرة على الماء لم يعاملهم بالمثل ولم يمنع جيش معاوية عن الماء.

١٢. إنَّه عليه السلام عندما اضطر إلى قبول التحكيم في تلك المعركة بفعل ضغط الخوارج ولما تبيَّنت لهم حيلة عمرو بن العاص طلبوا منه نقض ما إتفق عليه معاوية والعودة إلى قتاله، إلا أنَّه رفض ذلك. مع ما كانت له من مصلحة ودعا الخوارج إلى الإلتزام بذلك الإتفاق[3].

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٧٣.

٢ المصدر السابق/ الخطبة ٢٠٦.

٣ راجع نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ج٢ص١٧٦.

١٣. لم يبادر الإمام عليه السلام إلى أي عمل يتسم بالعنف ضد الخوارج الذين أخذوا يثيرون الفتنة في الكوفة ويحرضون الناس ضده وقابل مواقفهم الرذيلة وشتائمهم بمواقف كريمة وذلك عندما بيَّنَ عليه السلام قضية إخلاقية، حيث قال رجل من الخوارج: ﴿قاتله الله كافراً ما أفقهه﴾ فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: «رويداً، إنَّما هو سبٌّ بسبٍّ أو عفوٌ عن ذنبٍ»[1].

وفي نهاية المطاف عندما وقع ضحيَّة مواقفه الأخلاقية طلب من أهل بيته وهو على فراش الشهادة أنْ لا يتخذوا من قتله ذريعةً لتسوية الحسابات وإسالة الدماء، حيث قال عليه السلام: «يا بني عبد المطلب لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتِلَ أميرُ المؤمنين ألا لا تقتُلُنَّ بي إلا قاتلي»[2]، بل أنَّه عليه السلام أمر ولده الحسن عليه السلام أنْ يُكرم قاتله فترة الأسر حتى يقام عليه الحد.

بجز از علی که گوید به پسر که قاتل من

چو اَسیر تست اَکنون به اَسیر کن مدارا[3]

يعني:

مَنْ غير علي يقول لإبنه

إنّ قاتلي أسيرك الآن فلابدّ أنْ تداريه

---

١ نهج البلاغة/ الحكمة ٤٢٠.

٢ المصدر السابق الكتاب ٤٧.

٣ ديوان شهريار.

هكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام وهو الإنسان الكامل والشجاع الباسل يتعامل، وهذه هي سياسته فهل تنازل عن مبادئه أو هل أنَّه لم يستطيع تطبيق النظام الإسلامي وبهذا إندفع الإشكال الوحيد على نظريتنا الإسلامية وليس من الغريب أنْ يطرح مثل هذا الإشكال لأنَّه ليس وليد العصر، بل له جذور أيام إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان هناك الكثير يعترفون لأمير المؤمنين عليه السلام بالشجاعة الفائقة ولكن كانوا يظنون أنَّه غير ملمّ بفنون الحرب، وإنَّ معاوية كان أذكى منه وأكثر معرفة بأصول السياسة. فكان عليه السلام منقطعاً إلى الحفاظ على مبادئه الأخلاقية من جهة ولتبديد مثل تلك الأوهام من جهة أخرى فقال في كلام له يعبّر عن ألمه وشكواه من مثل هذه الأفكار ﴿حتى لقد قالت قريش: إنَّ ابن أبي طالب شجاع، ولكن لا علمَ له بالحرب﴾ بل أنَّه عليه السلام رد هذه التصورات الواهمة التي توحي بأنَّ معاوية أدهى منه بقوله عليه السلام: ﴿والله ما معاوية بأدهى منِّي ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة﴾[1].

إنَّ المهمّة العسيرة التي كان يواجهها الإمام عليه السلام هي أنَّه كان يحرص على الدوام على أنْ يكون سلوكه ذا منطلق أخلاقي ويكون مثالاً للعمل السياسي القائم على الأخلاق وليس الإستيلاء على السلطة بأي ثمن .

فلم يكن عليه السلام يتعامل بالميكافيليات وكان يؤكد مبدأ أنَّ(الغاية لا تبرر الوسيلة)ويفصل بين ما هو من حاقّ الدين وما هو من داخله ويعرف مقتضيات العمل الإسلامي وموانعه،فيوفر المقتضيات ويرفع الموانع ويوضّح معالم خط الإسلام أمامَ تابعيه لكي يجعلوا دستوره عليه السلام دستوراً لحياتهم وتحت أي ظرف،وقد وصف عليه السلام الموانع الذاتية

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٢٠٠.

التي يتصف بها على النحو التالي: ﴿ أيها الناس، إنَّ الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جُنَّة أوفى منه وما يقدر من علم كيف المرجع. ولقد أصبحنا في زمان قد إتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة مالهم! قاتلهم الله قد يرى الحُوَّل القُلَّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها وينتهز فرصها من لا حَريجة له في الدين ﴾[١].

لقد كان عليه السلام - وكذلك لابدّ أنْ نكون نحن تبعاً له - ملتزماً بالأصول الأخلاقية والروح المبدئية إلى درجة أنَّه لم يكن على إستعداد لنقض أي منها أو الحياد عنها لحظة واحدة.

أو أنْ يضحي بالحقيقة في سبيل مصلحة عابرة ولهذا يقول عليه السلام: ﴿والله لو أُعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أنْ أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلب شعيرة ما فعلته ﴾[٢].

وهنا نقول لو كانت حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تتصرف على نحو مصلحي وتتساهل في المبادئ الأخلاقية لكتب لها أنْ تدوم لسنوات طويلة تماشياً مع مصالح الناس وإبتعادهم عن الدين ولكنّه عليه السلام أبى إلا أنْ يجعل هذه الحكومة تُبذِر في الأذهان بذور الفكر الأخلاقي للحكومة وتبلورت على أساسها مئات الثورات على إمتداد التاريخ وبقيت حتى اليوم معياراً تقاس به الأصول الأخلاقية للدول . وهذا هو النصر الحقيقي لهذه النظرية التي تتكشف أحقيتها كلما مرَّ عليها الزمان.

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٤١.

٢ المصدر السابق/ الخطبة ٢٢٤.

خاتمة الجواب

لا شك أنَّ تطبيق هذه النظرية في غاية الصعوبة،إلا أنَّه ليس مستحيلاً. قد يرى البعض اليوم أنَّ هذا النمط من الفهم الأخلاقي للسياسة يعتبر نمطاً مثالياً بعيداً عن الواقع،وفي نفس الوقت الذي يؤمنون فيه بالأصول الأخلاقية فهم يعتقدون بعدم إمكانية تطبيق الأخلاق في السياسة. ويزعمون بأنَّ التعقيدات السياسية وصعوبة الحكم في العالم اليوم قد قطعتا الطريق على الأخلاق، والحقيقة أنَّه يوجد في العالم اليوم مفكرون يمضون قدماً في سبيل تحقيق هذه المبادئ ويتحملون المشقات على هذا الطريق ولكنّهم بالأخرة ينجحون في إنجاز هذه المهمّة.

وقد رأينا أنَّه في قرن واحد وهو القرن العشرين ظهرت أربعة شخصيات على الأقلّ في مناطق مختلفة من العالم سعت من خلال إعتقادها بأنَّ للسياسة جذوراً أخلاقية إلى العمل على أساس الرؤية التي تحملها وكان النجاح حليفها وهذه الشخصيات الأربع هي: فاسلاف هافل والمهاتما غاندي ونلسون مانديلا والإمام الخميني رحمه الله.

ومن أراد الإطلاع على سياسة وحياة ومنهجية هافل فليراجع(ياد داشتهاى در باب أخلاق، سياست تمدن در دوران تحول)لفاسلاف هافل، ترجمة محمد رفيعي مهر آبادي. وأمّا سياسة غاندي تجدها في كتاب مهاتما غاندي(همه مردم برادرند)ترجمة محمود تفضلي.

أمّا مانديلا فالتاريخ المعاصر لا يزال يذكره وسيرته في العمل السياسي.

وأمّا إمامنا الراحل السيد روح الله الموسوي الخميني قدس سره فقد أوضح معالم سياسته من خلال أقواله وخطاباته وكتبه وعمله وهي تظهر بصورة جلية في كتابه الذي يسمى بصحيفة الإمام وسنعقد بحثاً صغيراً عن سياسته الأخلاقية.

الإمام الخميني والسياسة الأخلاقية

أغلب من سبق الإمام الراحل لم ير إمكانية إنسجام السياسة مع الأخلاق، فقد حاول كودي في مقالة له تحت عنوان(السياسة والأيدي الملطخة)البرهنة على ذلك وذكر لابُدّية أنَّ الخائض في لُجَّة السياسة من تلقي سمات الرذالة والإجرام وسوء السمعة وكل ألوان الرجس والقبح وليس ذلك إلا لأنَّ متطلبات السياسة والأوضاع الحالية للبشر تجري على هذا المنوال وقال: ﴿ إذا كان هذا يعني الأيدي الملطخة فذلك ناجمٌ عن الوضع البشري لا غير﴾[1]، أمّا نظرة الإمام الخميني رحمه الله إلى هذا الموضوع فهي من نمط آخر، إذ أنَّه يرى بأنَّ السياسة يمكن بل يجب أنْ تكون أخلاقية وذلك لأنَّ السياسة ليست سوى إمتداد للأخلاق في ميادين إجتماعية أوسع وتحقيق المثل والأهداف الدينية ولهذا فهو يعتقد بنظرية وحدة الأخلاق والسياسة وهذا ما دار عليه بحثنا.

والإمام الراحل رحمه الله يثبت ذلك من خلال أربعة محاور وهي:

المحور الأول: شمولية الإسلام.

يقول رحمه الله: ﴿ الإنسان كمجموعة يحتاج إلى كل شيء وقد جاء الأنبياء ليبيّنوا له كل ما يحتاج إليه وإذا عمل بتعاليمهم يصل إلى كمال السعادة﴾[2].

وقال رحمه الله: ﴿لقد بيَّنَ لنا الأنبياء كل الأشياء ذات العلاقة بالروح وبالمقامات العقلية والآفاق الغيبية﴾[3]. ومن هنا نعرف شمولية الدين وأنَّ الله عزّ وجلّ الذي بيده زمام الوجود ومن خلال معرفته بكل حاجات الإنسان أنزل في كل زمان ديناً جامعاً وشاملاً

---

١ Politic and the problem of dirtiy hands/Cady C.A.J.

٢ صحيفة الإمام ج٤ص١٩٠.

٣ المصدر السابق ج٣ ص٢٣٧.

ليتسنى للإنسان أنْ يصل بواسطته إلى كماله المنشود. أمّا الإسلام فكان أشمل تلك الأديان والأنظمة لبيان مرَّ في محلّه[١]. قال رحمه الله: ﴿ الأمور المتعلقة بالواجبات الشخصية ذات العلاقة برقيّ الإنسان وتكامله بيَّنها الكتاب والسنّة وهكذا الحال بالنسبة لما يتعلق بالمجتمع والشؤون السياسية وكافة قضايا المجتمع وتنظيمه وتربية أفراده ﴾[٢].

وكذا قال رحمه الله: ﴿ إنَّ لدينا مثل هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه كل شيءٍ من المصالح الفردية والمصالح الإجتماعية والمصالح السياسية وشؤون إدارة البلاد وما شابه ذلك ﴾[٣].

والإمام رحمه الله يوضّح صورة الإسلام الحقيقية ويرفع عنه الصورة التي يتوهمها القشريون بقوله سلام الله عليه: ﴿ إنَّ من يلخصون الإسلام في أنْ يأكلوا ويناموا ويؤدوا صلاةً أو صوماً ولا يهتموا بمعضلات المجتمع ومشاكل الشعب،هولاء — حسب رواية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم — ليسوا مسلمين ﴾[٤] يشير إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم ﴾[٥] ويترقّى رحمه الله في كلامه إلى أنَّ الإسلام يبيّن المطالب الحكمية العالية بقوله: ﴿ الإسلام يعني بكل شؤون الإنسان وله مراتب إبتداءً من الطبيعة وحتى عالم الألوهية فالإسلام له أطروحته وله منهجه ﴾[٦] وقال: ﴿ للإسلام أحكام لكل حياة الإنسان إبتداءً من ولادته إلى يوم يدخل القبر ﴾[٧].

---

١ في شمولية الدين الإسلامي من جهة كمال شخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في مباحث الحكمة.

٢ صحيفة الإمام ج٣ص١٣٧.

٣ المصدر السابق ج١٨ ص٤٢٣.

٤ المصدر السابق ج ١٢ ص٥٢٧–٥٢٨.

٥ البيان في عقائد أهل الإيمان لشيخ الشريعة الإصفهاني ص ٢٠٥.

٦ صحيفة الإمام ج٤ ص٩.

٧ المصدر السابق ج١ ص٢٧١.

المحور الثاني: معنى السياسة ومكانة السلطة.

ذكرنا في ما تقدم تعريف السياسة ومعناها وهنا لا نزيد شيئاً سوى نظرة الإمام رحمه الله لذلك تبركاً بذكر كلامه النوري حيث قال: ﴿وهل تعني السياسة إلا العلاقة بين الحاكم والشعب والعلاقة بين الحاكم والحكومات الأخرى. وأقول إنَّ وظيفة السياسة هي التصدي للمفاسد السائدة وهذه الأمور كلّها من مصاديق السياسة﴾[1].

وقد جمع قدّس سرّه الإسلام والسياسة بقوله: ﴿الإسلام عبارة عن إدارة الحكم بواسطة أحكامه وشؤونه﴾[2]. وكان رحمه الله يؤكد أنَّ النبي وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم الساسة الحقيقيون إنطلاقاً من قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة ﴿وساسة العباد﴾ وكذلك سيرتهم عليهم السلام يقول رحمه الله: ﴿وهل مرَّ على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان فيه خارج إطار المسائل السياسية؟ فهو قد أقام دولة وحارب أعداء الإسلام الذين كانوا يضطهدون الناس﴾[3].

ولا يخفى على المتثبت إنَّ العنصر الأساسي في السياسة هو السلطة، وهذه السلطة لابدَّ أنْ تكون إلهية فإنْ كانت كذلك أخذت دورها وكانت مظهراً للإسلام وإلا فهي شيءٌ مرعبٌ يخاف منه حتى الساسة ولا يتصور أحد أنَّ الذي يجلس على كرسي الحكم يكون مرتاحاً، بل هو في صراع داخلي وخارجي لأنَّه لم يصلح بينه وبين ربه لكي يعينه على أمره بل إعتمد على قدرته الشخصية، فهذا الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران الذي أمضى شوطاً طويلاً من عمره للحصول على السلطة والحفاظ عليها يقول: ﴿أعتقد

---

١ صحيفة الإمام ج٣ص٢٢٧.

٢ كتاب البيع للإمام الخميني رحمه الله ص٤٧٢.

٣ صحيفة الإمام ج١٥ ص٢١٤.

أنّ السلطة مرعبة على الدوام ويجب على من تكون السلطة بيده أنْ يحذر – إنْ لم نَقُل يخشى– على الأقلّ وبشكلٍ خارقٍ للعادة من طبيعة ومجال الدور الخاص به ﴾[1].

وعلى ما أسَّسْنا لابدّ أنْ يكون العرفاء والأخلاقيون والعلماء هم أهل السلطة لكي لا يخافوا إلا الله تعالى وحده وهذه هي سمتهم لا أنْ يبتعدوا عن الساحة السياسية بحجّة أنَّ السياسة لا ربط لها بالدين وأنها تُبعِدُ عن الله تعالى، فهولاء يحتجبون بالحقِّ عن الخلق، وهذا تفريط في جانب الخلق وإفراط في جانب الحق، والكل يعلم أنَّ الإفراط والتفريط خارجان عن الأخلاق.

وهناك قصة بشأن زاهدٍ يُدعى(كي يويو)نقلت في كتاب(مائة حكاية من مذهب ذن) توضّح حال هؤلاء العرفاء القشريين وتعلمهم درساً، إنَّ عوّام الناس أعرف منهم بالدين وصاحب الدين. والقصة هكذا :﴿ قال أحد ملوك الصين القديمة ذات يوم لأحد معلمي مذهب ذن وإسمه كي يويو: إنَّكَ رجل عظيم وأنا أرغب في أنْ أسلمك الإمبراطورية بعد وفاتي، فهل تقبلها؟ فتألم كي يويو من هذا الكلام كثيراً وردَّ عليه بقوله: إنَّ هذا الكلام قد دنَّسَ أذني، ثمّ ذهب ليغسل أذنيه في أقرب نهر، وعندما كان يسير في إتجاه النهر كان يردّد مع نفسه ويقول: إنِّي سمعت اليوم كلاماً بذيئاً، وفي تلك الأثناء وصل إلى ضفة النهر صديق له يقود بقرة، وسأله لماذا غسلت أذنيك؟ فقال كي يويو: إنِّي اليوم منزعج كثيراً، فهناك إمبراطور يريد أنْ يستخلفني وقد عرض عليَّ أنْ أتسلم زمام الإمبراطورية من بعده، وقد دنّس بهذا الكلام أذني ويجب أنْ أغسلهما، فقال له صديقه: لقد جئتُ لأسقي بقرتي من هذا الماء الزلال، ولكن هذا الماء قد تلوث الآن﴾[2].

---

١ (خاطرات با دو صدا)آلي ديزل مع فرانسوا ميتران،ترجمة عباس آكاهي ص١٧١.

٢ صد حكايت ذن إعداد وترجمة دل آرا قهرمان ص١٤٣ و درسهاى از استادان ذن/ ترجمة نسرين مجيدى ص١٤٠.

سابقاً ولحد الآن في أغلب الدول كانت نظرة العلماء والعرفاء إلى السلطة نظرة سلبية حتى عصر الإمام الخميني رحمه الله حيث كسر هذا الطوق وحطّم هذا الصنم بيده العلوية وبيَّنَ على أنَّ السياسة لها وجه حسن وليس كما يتوهمه الآخرون. والمشكلة الأكبر الآن في مثل زماننا أنَّ العلماء يرون إنَّ الحل الأمثل للتعاطي معها هو الإعراض عنها والزهد فيها وأدركوا من خلال تأملهم في طبائع الناس أنَّه قلّما يتسنى لأحد الصمود أمام السلطة وعدم الإنبهار بها.

وقد نظم مولانا جلال الدين الرومي - على عادته - قصة في شعره يعكس فيها نموذجاً يدعم هذه النظرة للسلطة.

وهي: إنَّ صائداً للأفاعي بقي يلاحق حية إلى أنْ بلغت إقليماً بارداً فوجد في ذلك الإقليم البارد عفريتاً مرعباً ولكنّه كان ميتاً. تمكن الرجل من أنْ ينقل ذلك العفريت إلى بغداد التي تعتبر منطقة حارة وهناك تقع الواقعة العظيمة المهيبة، وذلك لأنَّ العفريت يستعيد نشاطه من جديد بفعل تأثير حرارة الشمس وراح يحطم أغلاله وقيوده ثمّ هجم على المتفرجين وعلى الرجل فأمسك به وإبتلعه. ثمّ يستنتج مولوي من هذه القصة أنَّ في أعماق كل إنسان عفريتاً يبدو ظاهراً وكأنَّه ميت ولكنّه ما إنْ يتزود بمقدار من حرارة السلطة والثروة حتى تؤول أموره نحو الدمار والزوال.

نفست اَژ درهاست او كى مرده اَست؟

اَز غم وبى آلتى افسرده اَست

گر بيابد آلت فرعون او

كه بامر او همى رفت آب جو

آنگه او بنیاد فرعونی کند

راه صد موسی وصد هارون زند

کرمک است آن اَژدها اَز دست فقر

پشه ای گردد زجاه ومال صقر

اَژدها را دار در برف فراق

هین مکش او را به خورشید عراق

تا فسرده می بود آن اَژدهات

لقمهٔ او ی چو او یابد نجات[١]

ولإمامنا الراحل قولاً يؤيد ذلك حيث قال: ﴿كان هتلر على إستعداد لقتل البشرية عن بكرة أبيها ويبقى هو على رأس السلطة في ألمانيا، فهو كان يعتبره العرق الأرقى والأفضل، والأفكار التي كانت تعمل في دماغ هتلر موجودة في أدمغتكم جميعاً. ولكنكم عنها غافلون﴾[٢].

ويقول شيخنا البهجت رحمه الله: ﴿إنَّ في داخلِ كلٍّ منّا صدّام﴾.

بالأخرة لابدّ من تمييز معنى السلطة بدقة ومعرفة ما هو معناها الحقيقي وفق المنظار الإلهي.

---

١ مثنوي معنوي دفتر سوم الأبيات ١٠٥٣ – ١٠٥٨.

٢ صحيفة الإمام ج١٤ص٣٧٩.

إنَّ الإمام الراحل قدس سره يرى أنَّ أساس القدرة أو السلطة صفة كمالية، والباري تعالى شأنه يتصف بهذه الصفة بشكل مطلق، حيث قال: القدرة في حد ذاتها كمال، والله سبحانه وتعالى قادر، ولهذا السبب يجب عدم الإبتعاد عنها، وإنَّما يجب فهمها وإستيعابها والإستفادة منها على نحو مدروس، وبما أنَّها قضية إلهية فلا يمكن الإستفادة المثلى منها، إلا عن طريق تهذيب الباطن وقد صرّح قدس سره كثيراً أنَّ السلطة ﴿إذا آلت إلى أشخاص فاسدين، فستضمحل صفة الكمال فيها وتتلوث بفسادهم﴾[1].

وقال قدس سره في موضع آخر مؤكداً على تطبيع السلطة والقدرة إلى الخط الإلهي لضمان حق الله تعالى وحق الشعوب: ﴿إنَّ جميع المفاسد التي تظهر في العالم تبرز أساساً من الأنانية وحب الجاه وحب التسلط وحب المال وما شابه ذلك،وهذه الأمور تعزى كلّها إلى حب النفس،وهذا الصنم - أي صنم حب النفس - أكبرها، وتحطيمه أكثر صعوبة من تحطيم الأصنام الأخرى﴾[2].

هذا هو معنى السياسة ومكانة السلطة، ولذا لا ينبغي التهرب أو الخوف منها، بل يجب ترتيبها وتهذيبها وإستخدامها إستخداماً صحيحاً والعمل على تقليم فروعها الإضافية الأجنبية عن حاقّ الدين لأجل الوقاية من إتخاذها طابعاً مركزياً مطلقاً.

---

١ صحيفة الإمام ج٨ص٢٠٦.

٢ المصدر السابق ج١٩ ص٢٥٠.

المحور الثالث: السياسة من مستلزمات تحقيق الإسلام.

بعد إنتصار الثورة الإسلامية وفي حياة الإمام الخميني في تلك الفترة تبادرت إلى الأذهان شبهات خطيرة ضد الإسلام وفاعليته وكانت إحدى الشبهات تدور حول العلاقة بين الإسلام والسياسة وموقف علماء الدين من السياسة وكانت النتيجة التي أفرزتها هذه الشكوك والشبهات إنتشار فكرة فصل الدين عن السياسة، وهذه الفكرة من الأفكار المستوردة من اليهود التي ذكرها القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1].

وتحولت هذه العقيدة اليهودية القديمة إلى أساسٍ علماني في فهم السياسة وتحليلها ومناقشتها وترقب النتائج السياسية والتنبؤ بها. ثمّ تسلل هذا المفهوم العلماني اليهودي عن السياسة إلى مجتمعنا الإسلامي وأصبحنا نتعامل معه كحقيقة ثابتة لا نقاش فيها.

وقد تصدى الإمام الخميني رحمه الله لهذه الأفكار واعتبرها حصيلة مخطط إستعماري ولذلك لم يدّخر وسعاً في حِلّه وترحالِه لبيان دور الإسلام في السياسة وأنَّ واجب جميع المسلمين الإهتمام بالشؤون السياسية، وأنَّ الإسلام والسياسة لا ينفصلان عن بعضهما، وكان يتأسف كثيراً على المتدينين الذين يصدّقوا مثل هذه الشبهات.

والذي ينبغي الإلتفات إليه من جميع الأخوة المسلمين - بل وحتى غير المسلمين - أنَّه لو فصَلْنا الأحكام الإجتماعية عن الإسلام لما بقى منه إلا هيكلاً بلا روح، إذْ أنَّ القسم الأساسي من كيان الإسلام يتمثل في شؤونه الإجتماعية، ويتوقف تطبيق هذا على سلطة الإسلام وحاكميته.

---

١ سورة المائدة الآية ٦٤.

فالإسلام لا يمكن إعتباره ديناً فردياً يعني بالدائرة الخصوصية للأشخاص، لأنَّ هذا الفهم الخاطئ ناشيء إمّا من دعايات المغرضين أو تحريفٍ للدين أو إستيرادٍ من اليهود كما أسلفنا. فالمرء منّا إذا إعترف أنَّ الإنسان كائن إجتماعي سياسي فلابدّ أنْ يُسلّم بأنَ الدين الإسلامي دين جامع وشمولي وله منهجه لكل أبعاد الإنسان.

يقول الإمام رحمه الله: ﴿ إنَّ القول بأن الدين يجب فصله عن السياسة وأنَّ علماء الإسلام يجب أنْ لا يتدخلوا في الشؤون الإجتماعية والسياسية إبتدعه ونشره المستعمرون ويردّده المارقون عن الدين.

فهل كانت السياسة بمعزل عن الدين في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل كان هناك في ذلك العهد جماعة علماء وجماعة غيرهم ساسة ورجال حكم؟ وهل كانت السياسة في عهد الخلفاء الحق[1] أو الخلفاء غير الحق وفي زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مفصولة عن السياسة؟ وهل كان هناك جهازان؟ هذا الكلام إبتدعه المستعمرون وعملاءهم السياسيون لإزاحة الدين عن التصرف في شؤون الدنيا وعن تنظيم شؤون المجتمع المسلم ﴾[2]، وكذا يعتقد الإمام الخميني قدس سره ﴿ إنَّ الإسلام مدرسة تهتمّ – وعلى خلاف سائر المدارس غير التوحيدية – بجميع الجوانب الفردية والإجتماعية والمادية والمعنوية والثقافية والسياسية والعسكرية والإقتصادية وله موقفه منها.

ولم يترك صغيرةً ولا كبيرةً لها تأثير في تربية الإنسان والمجتمع والتقدم المادّي والمعنوي ﴾[3]، ويقول قدس سره: ﴿ إنَّ قول من يقول: ما لَنا والسياسة؟ معناه أنْ نضع

---

١ أي الأئمة عليهم السلام.

٢ ولاية الفقيه للإمام الخميني ص١٦.

٣ صحيفة الإمام ج٢١ص٤٠٢و٤٠٣.

الإسلام جانباً وأنْ يُدفن الإسلام في غرفنا هذه وفي بطون الكتب ﴾[١] ويفهم من هذا كلّه أنَّ لجميع أحكام الإسلام تجسيداً سياسياً وأنَّ ﴿الدين الإسلامي دين سياسي، وكل شيء فيه – حتى عبادته – سياسية ﴾[٢] ويترقّى الإمام رحمه الله بقوله: ﴿إنَّ الأحكام الأخلاقية في الإسلام هي الأخرى سياسية ﴾[٣].

المحور الرابع: وحدة الأخلاق والسياسة في الإسلام.

إنَّ النظرية الإسلامية وعلماء المسلمين الذين فهموا الدين فهماً كاملاً، ومنهم الإمام الخميني قدس سره يرى أنَّ الإنسان إذا تُرك لحاله يبقى منقاداً لشهواته وحاجاته المادية، ويعجز أي نظام تربوي و سياسي- حتى إذا كان صحيحاً – عن تهذيب أبعاده المعنوية لأنَّ أساس كل شيء هو الجانب المعنوي، فإذا صلح هذا الجانب واستقام فستُحل جميع المشاكل الأخرى. وهو قدس سره يعتقد أنَّ معضلة العالم اليوم هي معضلة أخلاقية، فإذا لم تُحل هذه المشكلة فإنَّه سيبقى يسير نحو هاوية السقوط.يقول قدس سره: ﴿إنَّ ما يهدد العالم ليس الأسلحة والحرب والصواريخ وما شابه ذلك .. بل إنَّ ما يقود هذه البشرية ويسير هذه البلدان نحو الهلاك وبإتجاه الإنحطاط، هذا الإنحطاط الذي يتصف به زعماء البلدان ويجري على يد الحكومات، إنَّما يأتي بسبب الإنحطاط الأخلاقي ﴾[٤].

إذن فالمحور الذي يدور حوله الفكر السياسي والأخلاقي هو أنَّ السياسة إمتداد للأخلاق ويُنظر إلى الأخلاق في ظلِّ السياسة، وبعبارة أدقّ نحن متدينون وصبغتنا هو الدين

---

١ صحيفة الإمام ج٣ص٣٣٨.

٢ المصدر السابق ج١٠ص١٥.

٣ المصدر السابق ج١٣ص١٣٠.

٤ المصدر السابق ج١٦ص١٦١.

وإحدى تفاصيل الدين هي السياسة- إنْ لم تكن عينه - ولذا لايمكن تصور سياسة بدون دين وأخلاق، ولا أخلاق ودين بدون سياسة.

وهذه المحاور الأربعة تؤكد على مسألة مهمّة وهي: بما أنَّ هدف الإسلام هو تكامل الأبعاد المادية والمعنوية للإنسان بشكل متناسق ومنسجم فقد وضع هذا الدين أحكاما لحياة الناس. ومع أنَّ لبعض هذه الأحكام طابعاً فردياً ولبعضها الآخر طابعاً إجتماعيا وهناك قسم منها سياسي والآخر تربوي إلا أنَّها تصبّ بأجمعها في مسار هدفٍ واحدٍ.

وعلى هذا فلابدّ أنْ تكون الأحكام التي يحتاجها الإسلام متصفة بمجموعة من الخصال منها:

١. أنْ تكون شاملةً لكلِّ أبعاد الإنسان وآفاق وجوده.

٢. أنْ تكون جامعةً وشاملةً في مجالها.

٣. أنْ تكون بعضها مكملةً للبعض الآخر وغير ناقصة.

وهذه الخصال تتوفر في أحكام الإسلام فقط، وهذا واضح للمتتبع في أحوال الإسلام وتفاصيله، يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿ إنَّ الإسلام له أحكامه لحياة الإنسان منذ يوم ولادته إلى حين دخوله القبر ﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿ وللإسلام منهجه وأطروحته لهذا الإنسان الذي يمثل كل شيء، أي أنَّ له مراتب تمتّد من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة وإلى عالم الألوهية ﴾[2]، والإمام رحمه الله يذهب إلى أنَّ الإسلام له هيكلية واحدة في جميع مجالاته وأبرزها العبادة والسياسة،

---

١ صحيفة الإمام ج١ ص٢٧١.

٢ المصدر السابق ج٤ص٩.

يقول قُدِّسَ سِرُّهُ: ﴿ الديانة الإسلامية وسياستها مدغمة في عبادتها، وعبادتها مدغمة في سياستها، أي أنَّ الجانب العبادي نفسه يحمل طابعاً سياسياً ﴾[1].

من خلال ما تقدم يثبت لكل ذي لب ومنصف وحدة الدين والسياسة والأخلاق وأنَّها ذات ترابط ولا يمكن أنْ ينفك أبداً،وهذه هي نظريتنا ويوضّحها إمامنا الراحل ويعطي لها شواهد من القرآن العظيم ﴿ الأحكام الأخلاقية في الإسلام سياسية هي الأخرى، فالحكم القرآني الذي ينص على أنَّ أخوة المؤمنين حكم أخلاقي وهو في الوقت ذاته حكم إجتماعي وسياسي، فإذا كان المؤمنون ينتمون إلى طوائف متعددة،فإنَّ إنتمائهم إلى الإسلام وإيمانهم بالله ورسوله يجعلهم أخوة متحابّين كمحبّة الأخ لأخيه. فهذه الحالة تعكس أخلاقاً إسلاميةً نبيلةً ولها إنعكاسات كبرى، وفضلاً عن كل ذلك فهي تمثل أيضاً حكماً إجتماعياً مهماً وتنجم عنها نتائج إجتماعية كبرى ﴾[2]، وما ذكرنا من نظرية محل إعتبار كل عاقل ولسنا وحدنا من يؤمن بها، غاية الأمر أنَّ الإمام الراحل رحمه الله قد تبنّاها تنظيراً وعملاً.

فقد أدرك معظم المفكرين السياسيين اليوم بأنَّ البقاء يتسنى من خلال العمل بسياسة أخلاقية، بل وحتى ميكافيلي الذي يدعو إلى تحرر السياسة من الأخلاق يؤكد بأنَّ اللاأخلاقية أكثر ما ترتبط بنوع الحكومة لا بأصل السياسة، ويقول بأنَّ السياسة الأخلاقية في ظل الحكومة الجمهورية متاحة أكثر مما في ظل الحكومات الإستبدادية.

ثمّ يورد قصة طريفة لتدعيم وجهة النظر هذه، فعند كلامه عن إبرام العقد مع الحكومات يطرح السؤال التالي: ﴿ أي العقدين أكثر أماناً؟ العقد مع حكومة جمهورية،

---

١ صحيفة الإمام ج٤ص٤٤٧.

٢ المصدر السابق ج١٣ص١٣٠-١٣١.

أم مع ملكية مستبدة؟ ثمّ يؤكد على وجود أسباب متعددة لنقض العقود ومنها مصلحة الحكومة، ولكن الجمهوريين في هذه الحالة أطول إلتزاماً بعقودهم من الملوك، وهناك أمثلة كثيرة تشير إلى منافع ضئيلة دَفَعَتْ مَلِكاً إلى نقض عقد أبرمه، بينما لم ترغم الحكومة الجمهورية على نقض العقد حتى المصالح الكبرى فقد أخبر ثيميستوكليس مجلس نواب أثينا بأنّ لديه إقتراحاً فيه منافع كبرى لأثينا ... إلى أنْ قال: فصوت المجلس على إختيار أريستيد لسماع إقتراحه وعرضه على المجلس للعمل به. فقال ثيميستوكليس لأريستيد بأنَّ أساطيل جميع المدن اليونانية الواثقة بإتحادها مع أثينا مجتمعة كلّها في مكان واحد ويمكن تدميرها بسهولة. ولو بادر أهالي أثينا لتدميرها لتمكنوا من الإستيلاء على اليونان كلّه. وبعد سماع هذا الإقتراح قال أريستيد للمجلس بأنَّ إقتراح ثيميستوكليس مفيدٌ جداً ومناقضٌ للشرف جداً فصوَّت المجلس ضد ذلك الإقتراح ﴾[١]، إذن التجرد من الأخلاق ليس من ضرورات السياسة وإنَّما يخضع لنوع الحكم وأهدافه وطبيعة الحكام.

الأركان الأخلاقية الثلاثة للسياسة.

بعد أنْ إتضح أصل مبدئنا الإسلامي وأصل نظريتنا السياسية بنحو(هل البسيطة)نريد الآن وبإيجاز – بالإضافة إلى ما تقدم – أنْ نعطي معالم وحدة الأخلاق والسياسة بنحو (هل المركبة)، وقد أكد الإسلام ومثال الإسلام إمامنا الراحل رحمة الله بإستمرار على وحدة الدين والأخلاق والسياسة وأنَّ الإنسان دائماً يكون في حضرة الحق تعالى وأنَّ في داخل كل إنسان فرعوناً ونزعة تسلطية، ولهذا ينبغي الحذر لكي لا يطغى هذا الفرعون ولا تستفحل هذه النزعة التسلطية، فلكي يُدحر عدوّ الإسلام لابدّ أنْ يُدحر أيضاً عدوّ

---

١ كفتارها (الأقوال) لنيقولا ميكافيلي ص١٨٦.

الوعي الداخلي، وهو شيطان النفس وعبّر عنهما بـ﴿طاغوت درون﴾ و﴿طاغوت برون﴾ (أي الطاغوت الداخلي والطاغوت الخارجي)ولكي يبقى السياسي في دائرة الحق تعالى ويخرج عن طاعة الشيطان والنفس، نذكر ثلاث خصال أكد عليها إمامنا الراحل في نهضته المباركة، وقامت عليه دولته حتى ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف. وذكرُ هذه الخصال الثلاثة لا يعني إلغاء غيرها، وإنّما هذه الخصال هي المهمّة والأساسية وغيرها أيضاً محل إهتمام، ولكن ذكر كل الخصال يوجب التطويل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنَّ ما سنذكره هو محل عناد غير أهل الله.

وبهذه الخصال يُمتحن الناس ويتبيَّن من كان منهم على الخط الإلهي ومن لم يكن. وهي:

١. الصدق:

يعتبر الصدق فضيلةٌ أخلاقية حميدة لدى جميع الشعوب وعلى إمتداد التاريخ ونادراً ما تجد عصراً أو مصراً تُذم فيه هذه الخصلة، وعندما ذكر القرآن أنبياءه ذكر صفة الصدق هذه كواحدة من خصاله الذاتية، ولذا أكدنا عليه في القائد والسياسي، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[1]، وذكر القرآن مجموعة بإسم الصدّيقين إلى جانب الأنبياء فما هو معنى الصدق؟.

الصدق معناه صحة القول ولكن له بعد أشمل من هذا المعنى، فالصدق ضد الكذب ولكنّه يتضمن معنى – في مقامنا – وهو ضد الخيانة، فالصدق والخيانة يتعارضان، والصدق بهذا المعنى مرادف لمعنى الأمانة وبما أنَّ لكل لفظ معنى لغوياً ومعنى إصطلاحياً فالمعنى الإصطلاحي السياسي للصدق هو صحة القول إضافةً إلى الإستقامة مع الناس والوفاء

---

١ سورة مريم الآية ٥٤.

بالعهد والأمانة، والسياسي الصادق هو من يعمل في سبيل الحق والحقيقة وذلك لأن الصدق يعني إتباع الحق ومسايرته[١]، فالسياسي الصادق هو ذلك الشخص الذي يفي بعهدوده ويظهر للناس كما هو في الواقع ويتجنب المخادعة، ومن الطبيعي أنَّ الشخص الذي يُنمِّي هذه الملكة الأخلاقية في ذاته لا يستغل ثقة الناس به أبداً ولا يخشى الإعتراف بالخطأ ولا يعتبر ذلك ضعفاً بل يراه موقفاً ناجماً عن الثقة بالنفس.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿فإذا كنّا قد أخطأنا، يجب أنْ نصرّح بأنَّنا قد أخطأنا، وعدول الفقهاء من فتوى إلى فتوى أخرى يتضمن هذا المعنى... ويجب على فقهاء مجلس صيانة الدستور وأعضاء مجلس القضاء الأعلى أنْ يكونوا هكذا، بحيث إذا أخطأوا في مسألة ما عليهم أنْ يقولوا صراحةً بأنَّنا قد أخطأنا، ويتراجعوا عن كلامهم الأول، فنحن لسنا بمعصومين. فأنا قبل إنتصار الثورة كنت أتصور بأنَّ الثورة متى ما إنتصرت سيأتي أفراد صالحون ويسيرون الأمور طابعاً لما يريده الإسلام، ولكن تبيَّن لي أنّ أكثرهم غير صالحين، وأدركت أنَّ الكلام الذي قلته لم يكن صحيحاً، فبادرت إلى الإعلان صراحةً بأنَّني قد أخطأت﴾[٢]، وهذا المفهوم سيّال عندنا وعند غيرنا، فما بالنا قد ضيّعنا الطريق مع أنَّ غيرنا قد التزم به، فهذا بوبر يصور نمط الديموقراطية المثالية بقوله: ﴿أنا إذا كنت أحلم بيوتوبيا ديموقراطية فإنَّني أحلم بيوتوبيا يمكن فيها للمرشح لمقعد نيابي أنْ يأمل في الحصول على أصوات الناخبين عبر إعلانه بفخر عن كيف أنَّه إكتشف خلال العام المنصرم ٣١ خطأً في نفسه وسعى لتصحيح ١٣ من بينها، هذا بينما إكتشف منافسه ٢٧ خطأً وحسب، حتى ولو كان قد صرّح بأنَّه قد صحح بدوره ١٣

---

١ لمعرفة معنى الصدق من المنظار السياسي عندنا وعند غيرنا راجع كتاب المفاهيم الأخلاقية – الدينية في القرآن المجيد لتوشيهيكو ايزوتسو. ترجمة فريدون بدره أي ص١٩٧.

٢ صحيفة الإمام ج١٨ ص٢٤١.

خطأً منها ﴾[1]، وإمامنا الراحل قدّس سرّه يرى أنَّ الإستبداد يبدأ عندما يخطأ الإنسان ولا يبادر – بعد إكتشاف خطأه – إلى الإعتراف به وتصحيحه، وإنما يصرّ عليه ويبقى على إنحرافه، ويقول الإمام رحمه الله: ﴿هناك فرق بين أنْ يُخطيء المرء ويدرك خطأه ويكون على إستعداد للإعتراف به وبين أنْ يصر عليه حتى النهاية. فمن المفاسد التي ترافق الإستبداد هو أنَّ المستبد إذا تكلم بكلام وتبيَّن له خطؤه وتعارضه مع المصلحة العامة،لا يستطيع التراجع عنه،وهذا من أخطر ألوان الإستبداد التي يصاب بها الإنسان﴾[2]، إنَّ مسألة الوقوع في الخطأ مسألة إعتيادية لأنَّ المعصوم فقط هو الذي لا يخطيء، غاية الأمر نسبته تختلف، ولكن إذا ربّى الإنسان نفسه وحافظ على عدالته وترقى في معارج الكمال تاخَمَ مرتبة العصمة وهذه قضية ممكنة، وعلى أي حال لا يحاسب الإنسان على خطئه في حالة إعترافه به وتصحيحه وتداركه بل يحاسب ويعاتب ديناً ودنياً وآخرة إذا أصر على خطأه،يقول الإمام رحمه الله: ﴿ يجب أنْ تعلموا – وأنتم تعلمون طبعاً – بأنَّ الإنسان ليس معصوماً من الخطأ، وعليكم إنْ أخطأتم أنْ تتراجعوا عن خطأكم وتعترفوا به بمجرد علمكم بوقوعه، وهذا العمل ينمّ عن الكمال، وأمّا تبرير الخطأ والإصرار عليه فمنقصة ومن إيحاءات الشيطان﴾[3]، إنَّ أهم نقطة يُشار إليها في هذا المجال هو أنَّ بعض الساسة يتصور الكشف عن الأخطاء الذاتية ينتزع ثقة الناس به، لأنَّهم سيتصورونه عاجزاً عن أداء مهامه، ولهذا – بدلاً من الإعتراف بأخطائه – يعمد إلى التغطية عليها بأخطاء أخرى مع عدم التورع عن إرتكاب المزيد من الأخطاء وإنطلاقاً من الحرص على الإحتفاظ

---

١ التسامح والمسؤولية الفكرية، مجموعة مقلات التسامح بين الشرق والغرب دراسات التعايش والقبول بالآخر لكارل بوبر ترجمة ابراهيم العريس ص٩٩.

٢ صحيفة الإمام ج١٤ ص٩٢.

٣ المصدر السابق ج١٨ص٧.

بثقة الناس وإعتماداً على تلك الثقة. بيد أنَّ هذا التصور الباطل – حسب تعبير الإمام الراحل – من مكائد إبليس وألاعيبه، ومن الأساليب الدفاعية التي يستتر بها ضعاف النفوس خوفاً من مواجهة الحقائق. إضافةً إلى ذلك فإنَّ ثقة الناس إنَّما تأتي كحصيلة للصدق ولاوجود لها على نحو مطلق، وإنَّما يشترط فيها لمس صدق السياسي وتصرفاته.

إنَّ ثقة الناس لا يمكن إتخاذها كمبرر لخطأ الحكام وتخفيهم وراءها وإنَّما هي أشبه ما تكون بالمدخر العاطفي الذي يجب زيادته على الدوام من أجل مضاعفة إعتباره لا إنفاقه هدراً وتركه بلا رصيد[1]، والسياسي الصادق هو الذي يبقى في ميدان السياسة ما دام يشعر بأنَّ وجوده مفيد، ولكن متى ما تبيَّن له ولأي سبب كان لم يَعُدْ قادراً على أداء واجباته يجب عليه التنحي عن المسؤولية بكل شجاعةٍ بدلاً من الإستمرار على سيرته السابقة والتغطية على عجزه.

فهو بعمله هذا يضيف صفحة ذهبية إلى سجله ويترك فضيلة إلى جانب فضائله الأخرى.

والإمام رحمه الله يقول: ﴿ أي شخص وفي أي منصب كان يشعر بضعف ذاته سواء كان ذلك الضعف في الإدارة ام في الإرادة يجب عليه أنْ يستقيل من منصبه عند الصالحين بكل شجاعة وإعتزاز، فعمله هذا يعتبر عملاً صالحاً وعبادة ﴾[2].

٢. قبول الإنتقادات:

لا يخفى أنَّ النقد من الأمور التي يُتعامل معها تعاملاً مزدوجاً، فمن جهة يُرغب فيه ويُعتبر تقبل النقد فضيلةً وكمالاً، ومن جهة أخرى يُخاف منه أشدّ خيفة. وعليه فالنقد في الإعتبارات العامة لا يمكن أنْ يُحدد بضابطة معينة.

---

١ الإمام، الأخلاق والسياسة لسيد حسن إسلامي ص٢٢٦.

٢ صحيفة الإمام ج١٩ ص١٥٧.

أمّا في الفكر الديني فالنقد أشبه بهديةٍ تقدم على شكل عيوب وهو من أفضل الفضائل للإنسان الإلهي، إذ هو ما ينفك عن بناء ذاته وهذا أحد عوامل بناء الذات. ويقول إمامنا الصادق عليه السلام: ﴿ أحبّ أخواني إليَّ من أهدى إليَّ عيوبي ﴾[١]، إلا أنَّ الممارسات الإجتماعية تستهجن من توجيه الإنتقادات ولذا بدأت المجاملات البغيضة تطغى على مجتمعاتنا حتى من قبل بعض أهل الحل والعقد ممن وظيفتهم الإصلاح من مبلغين ورجال دين فيخففوا لهجتهم في الكلام إلى درجة أنَّ الكلام يفقد تأثيره.

ومن الملاحظ أنَّ أكسد بضاعة في سوق ثقافة شعوبنا هو النقد. ورغم كل ذلك فلابدّ من قبول حقيقة بأنَّ النقد شيء مفروض ولا مناص منه في الحياة، إذ لابدّ من البحث عن حل آخر على إعتبار أنَّه لايوجد ثمّة سبيل للقضاء على النقد كلياً، ولا يبقى أمامنا إلا أنْ نغير أسلوب نظرتنا إليه،وما دمنا على إتصال مع الآخرين فلابدّ أنْ نسمع الإنتقادات أو أنْ نوجه الإنتقادات.

وهذه الحقيقة تبدو بشكل أوضح في ميدان السياسة من الميادين الأخرى وغالباً ما يتعرض العمل السياسي للإنتقاد. وهذا ما يفرض على من يدخل في ميادين العمل السياسي أنْ يتعلم كيفية التعامل مع الإنتقادات والإستفادة منها. فالنقد وخاصةً في ميدان السياسة يكاد يكون أبسط سبل الإتصال بالمواطنين ورجال الحكم الذين يتسنى لهم عن هذا الطريق معرفة مدى نجاح أو فشل سياستهم وما لها من أصداء بين أبناء الشعب. وهذا يعني أنَّ النقد يمثل مرآة تنعكس فيها مردودات عملهم ومدى نجاحهم أو إخفاقهم في أداء مهامهم.

---

١ ميزان الحكمة للريشهري ج٣ص٢٢٠٧.

وإنْ إدعى شخصٌ عدم الحاجة إلى الإنتقاد فيمكن أنْ يُجاب بأنَّ هذا يعني الكمال وعدم وجود نقص، وهذا لا يتمّ إلا لله تعالى وأهل البيت عليهم السلام، وكل من يزعم لنفسه الكمال فكأنَّما يدّعي لنفسه الشراكة مع الله عزّ وجلّ وهذا ما يجعله رجيماً مطروداً من ساحة قدس الله ورحمته، يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿لا يوجد شخص أو جهاز يستطيع أنْ يدّعي لنفسه الكمال، وإذا إدعى أحدٌ الكمالَ فهذا يعتبر بحدِّ ذاته أكبر نقص فيه، وليس هناك من يدّعي بأنَّه لم يُعَدّ يوجد فيه أيُّ عيب ... لا يوجد في هذه الدنيا من هو منزّه من العيوب والنواقص، ويجب علينا أنْ نركز كلَّ إهتمامنا على عيوبنا﴾[1]. فالإمام رحمه الله يرى أساساً بأنَّ من ينشد الكمال يجب أنْ ينظر نظرةً نافذةً للعثور على عيوبه ولا ينظر إلى ما لديه من محاسن، وقد جاء في تعاليمنا وآدابنا الأخلاقية بأنَّ المطلوب من المرء أنْ يحسن الظن بالآخرين ولا ينظر إليهم نظرة نافذة.

وهذا المعنى واضح في شعر حافظ الشيرازي:

کمال سر محبت ببین نه نقص گناه   که هر که بی هنر نظر به عیب کند

يعني:

أنظر إلى الكمال الذي هو سرّ المحبة   فإنَّ التافه من ينظر إلى العيوب

ولكن لابدّ من الإلتفات إلى أنَّ هذه المسألة تختلف عن مقامنا ونرجو أنْ لا يحدث خلطٌ في المفاهيم، إذ إختلاف هذه المسألة عن مقامنا يكون في جانبين:

الأول: هو إجتناب النظرة النقدية إلى الآخرين.

والثاني: هو النظر إلى الذات نظرةً نقديةً خاصةً مع تقييمها ونقدها.

---

١ صحيفة الإمام ج١٧ص٨١.

ومثل هذا العمل يُعَدّ عملاً أخلاقياً فضلاً عن أنَّه شرطٌ لكمال الإنسان ورقيّه، فحينما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام صفات المتّقين ذكر ضمنها هذه الصفة، وهي أنَّهم لأنفسهم متّهمون وإياها على الدوام يحاسبون. يقول الإمام الراحل قدس سره: ﴿إذا أراد المرء العمل لله والوصول إلى مقام الإنسانية فلابدّ له من البحث عن عيوبه، لا أنْ يبحث عن محاسنه، لأنَّ الإنسان لو بحث عن عيوبه سيهتمّ بإصلاحها أمّا إذا إنشغل بالبحث عن محاسنه الذاتية فستتراكم على عينه غشاوة تحجب عنه رؤية عيوبه﴾[1].

هذا ويمكن الترقي أكثر بأنْ نقبل الإنتقادات حتى من الأعداء وذلك لأنَّ الأصدقاء غالباً ما يغفلون عن عيوبنا أو أنَّهم يجتنبون مواجهتنا بها حتى وإنْ رأونا عليها، أمّا العدو فلا يتورع عن ذكر المعايب. يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿يجب أنْ يذهب المرء إلى عدوه ويَسْتَكْنِه رأي عدوه فيه لكي يكون على بيّنةٍ من عيوب نفسه ومن الطبيعي أنَّ الإنسان لا يتعلم عادةً من أصدقائه ولهذا ينبغي أنْ يتعلم من أعدائه. فلينظر إلى ما يقوله الأعداء وليدرك بأنَّ الأعداء يلاحظون العيوب، أمّا الأصدقاء فلا يظهرون عيوبك أو عيوبي. ومهما كانت لدينا من عيوب فإنَّهم لا ينفكون يُطرون علينا ويقولون: ما أجمل ما تكلمت به ... أصدقاء الإنسان هم أعداؤه الحقيقيون وأعداؤهم أصدقاؤه الحقيقيون. وهذا ما يوجب عليه التعلم ممن يثيرون بوجهه الإعتراضات والمؤاخذات وليعلم بأن اللسان الذي يثني عليه ويمتدحه وخاصة في المواطن التي توجب النقد ماهو في الواقع إلا لسان الشيطان﴾[2].

---

١ صحيفة الإمام ج١٧ص٢٤٦.

٢ المصدر السابق ج١٤ ص٦وص١٤٥.

لفت نظر

وهنا نريد الإشارة إلى أمر مهم وهو أنَّ بعض الناس يتخذ من النقد وسيلة لتصفية حساباتهم الشخصية وتعمد الإنتقام بدلاً من الإنتقاد، وهناك أيضاً من يفرغ عقده النفسية متستراً بحجة النقد، وهناك أيضاً من يستهدف إيذاء الآخرين والنيل منهم بحجة توجيه النقد لهم.

ونحن بهذا نجد أنفسنا بين موقفين مختلفين:

الأول: إنَّ هناك من يسيء إستغلال سلاح النقد، وهنا ينصح الإمام الخميني ﵀ مثل هؤلاء بأنَّ لغة النقد يجب أنْ تكون مؤدبة وغرضها النصيحة، فيقول في هذا المعنى ﴿إنْ كان لديهم نقد فيجب أنْ يكون أخوياً ومعبّراً عن المصلحة﴾[1].

والثاني: إنَّ أيّاً من الحقائق المطروحة خلال النقد لا يبرر تهرب رجل السياسة من النقد وممارسته لأسلوب الإنتقائية وتصنيف الإنتقادات إلى صحيحة وغير صحيحة، وذات دوافع خيرة ودوافع مغرضة، وذلك لأنَّ طبيعته التي تدفعه نحو الحفاظ على شخصيته ودفع الإساءة عنها تجعله يرفض كل ما لا يحلو له تحت ذريعة كونها إنتقادات هدّامة أو ذات دوافع مغرضة.

إذن فالمسألة المهمّة هي فرز الإنتقادات السليمة عن السقيمة، وهذه العملية تستلزم تحكيم طرف ثالث وهو ما يتمثل بالرأي العام، فرجل الحكم يمارس عمله والمنتقد يؤدي واجبه أيضاً بتوجيه النقد. وواجب رجل الحكم الإصغاء إلى النقد والعمل به جهد الإمكان، أمّا صحة وسقم تلك الإنتقادات فالرأي العام هو الذي يحكم عليها ويحدد ماهيتها.

---

١ صحيفة الإمام ج٢٠ص٣٦.

٣- **بساطة العيش:** بساطة العيش على صعيد الحياة الفردية فضيلة أخلاقية، أمّا على صعيد السياسة فهي بالإضافة إلى ذلك ضرورة سياسية بالنسبة إلى رجل السياسة المسلم، والمراد من بساطة العيش هو ما يدخل تحت عنوان الزهد في المصطلحات الدينية. ولكي لا يقع التوهم في فهم هذه النقطة أو عدم التفصيل في معاني الزهد، نشير إلى شيء من معنى الزهد وإقترانه بالسياسة[١]، لأنَّ هذا المصطلح غالباً ما اقترن في كلماتهم بصيغة عاطفية سلبية، وكانت تقترن هذه الكلمة بالشخص الأشعث، الوسخ، الرثّ الثياب، الذي يفرُّ من الناس ويمقت المجتمع، وهو شخص ذو عقلية جامدة، وهو عاطل عن العمل، ولو طلبنا من شخص أنْ يصف الزاهد لَوَصَفَهُ هكذا: هو شخصٌ نحيفُ القامة، أصفر اللون، يرتدي ثياباً رثّة، شعره أشعث، يعيش في وادٍ بعيدٍ عن المسؤوليات الإجتماعية، ولا يهتمّ بمصير أبناء جلدته، ويؤثِرُ الإنزواء في زاويةٍ يلتمس فيها عافيةَ الآخرة.

ومن هنا ما دمنا من دعاة الزهد وجعله أحد أركان ودُعُم السياسة الإسلامية وفي المقابل نذمّ الزهد، ومن الطبيعي هذا لا يعني أنّا نكيل بمكيالين، وإنَّما نقول أنَّ للزهد معينين لابدّ من توضيحهما ثمّ إختيار ماهو متبنانا وربطه بالسياسة.

---

١ وإنْ كنا قد أشرنا إلى معانيه وتفصيلاته في بحوث تقدمت.

ومعنيا الزهد هما:

الأول: الزهد السلبي.

وهو ما أشرنا إليه من عدم إنتظام شكل وحال المرء. وأمثلة هذا النوع من الزهد كثيرة نذكر بعضها لتوضيح الصورة: مثل ما قيل لداود الطائي – وهو من أكابر الصوفية والزهّاد – ألا تُسَرِّحْ لِحيَتك؟ قال: إنِّي عنها مشغول[1]، ولا ندري بماذا كان مشغولاً؟! ولعلَّ أعلى ما شغله – لو كان هو الواقع – التفكير بالحق تعالى، ولكن الحق تعالى أمر بالنظافة وتسريح الشعر وجاء ذلك على لسان معدن العصمة والطهارة فراجع ذلك في آداب الحمام.

وقد نقل في كتاب كيمياء السعادة: ﴿أنْ جاءَ أحدهم لداود الطائي وقال له: عِظْنِي، فقال له: ... وَفُرَّ مِن الناسِ فَرارَك مِنَ الأَسدِ﴾[2]، فإذا كان الزهد الفرار من الناس، فمن يتولى أمور العباد؟ أو ليس الأقرب إلى الله أو ماذا؟.

ونقل الغزالي ﴿ أنَّ سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد كانا من كبار الصحابة، لزما بيوتهما بالعقيق ولم يكونا يأتيان المدينة للجمعة (أي لصلاة الجمعة) ولا لشيء آخر حتى ماتا بالعقيق﴾[3]، فهل يتركان ما فرض الله تعالى وفي مسجد رسول الله ﷺ مع ماله من فضل كبير؟.

---

١ تذكرة الأولياء ص٢٦٥.

٢ كيمياء السعادة للغزالي ج١ص٤٣٤.

٣ المصدر السابق ص٤٣٥.

وتوجد طائفة أخرى من الزهّاد يرون أنَّ الزواج دلالة على عدم الزهد وينمّ عن التعلّق بالدنيا، ولهذا السبب كانوا يعزفون عن الزواج ويفضلون حياة العزوبية وبهذا يكونوا قد أنكروا سنَّةَ رسول الله ﷺ وخرجوا عن أمّته كما دلّت عليه الأحاديث.

إنَّ هذا الإتجاه المتحجّر والمتعارض مع الحياة الإجتماعية إنعكست أصداؤه بشكل واسع على مفاهيمنا الإسلامية وعلى مرّ العصور وكانوا يمثلون الوجه السيء لِعُبّاد المسلمين.

وهناك شواهد كثيرة ظهرت في أدبنا الإسلامي.

كقول حافظ:

پشمينه پوش تندخو اَز عشق نشنيده است بو

اَز مستی اش رمزی بگو تا ترک هوشياری كند[1]

يعني:

إنَّ لابس الصوف يتصف بحدة الطباع ولم يشم رائحة العشق

ولو ذكرتَ له مجرد رمز من سكره لترك الصحو

ويقول أيضاً:

به زير دلق ملمّع كمندها دراند   دراز دستی اين كوته استينان بين

يعني:

لَهُمْ تَحْتَ الدَلَقَ المُلمّع مَصائِدٌ   أنظرْ كَمْ يَدُهُ طَويلَةٌ هذا القَصِيرُ الرِداءِ

ونحن إنَّما نورد هذه القصص والشواهد لأمرين وهما:

١. نبيِّن إنتشار مثل هذه المفاهيم في جميع العصور.

---

١ إنَّما لم يذكر رقم الصفحة في شعر حافظ وهو من ديوانه لاختلاف النسخ.

٢. إنَّ الشعراء العرفاء أمثال سعدي وحافظ ومولوي هم أهل المعرفة والعلم والزهد والتقوى والإرتباط بالحق تعالى وتراهم يذمّون هذا الضرب من الزهد.

وقد نقل سعدي قصة طريفة في هذا المعنى وهي: إنَّ زاهداً دُعي إلى وليمة مَلِك، وعندما حضر الطعام أكل أقلّ من حاجته[1]. وعندما قام إلى الصلاة صلى أكثر مما اعتاد عليه، لكي يزداد ظنهم بصلاحه ... وعندما رجع إلى داره دعا بالطعام ليسد جوعه، وكان له إبنٌ ذكي فقال لأبيه: ألم تأكل على مائدة الملك يا أبي؟ قال: لم آكل أمام الملك شيئاً ذا بال ... فقال الإبن: صلاتك يجب أنْ تقضيها أيضاً لأنّك لمْ تصلِّ شيئاً ذا بال[2].

أمّا مولوي فقد ذكر: إنَّ زاهداً كسر بفضوله كوز شراب الأمير وقد فرَّ من خوف العقاب وجاء جيرانه ليشفعوا له، مع أنّه أتلف مال الغير، وهذا مخالف للشرع، وخاف الأمير مع أنَّه كان من المفروض أنْ لا يخاف إلا الله تعالى.

او چه داند امر معروف از سگی ... طالب معروفی است و شهرگی

تا بدین سالوس خود را جا کند ... تا به چیزی خویشتن پیدا کند

کاو ندارد خود هنر الا همان ... که تسلّس می کند با این و آن[3]

يعني:

ماذا يَعرفُ عَن الأمرِ بالمعروفِ ... فَهوَ يطلبُ المَعروفيّةَ والشهرةَ

يُريدُ بهذا الخِداعَ إبرازَ نَفسه ... لِكَي يَعثرَ على ذاتِهِ بشيءٍ ما

وَلا يُجيدُ أمراً سوى ... أنْ يَخدَعَ بتَظاهُرِهِ هذا وَذاكَ

---

١ وذلك لكي لا يعاب عليه إذ أنّه زاهد.

٢ ديوان سعدي / كلستان / الباب الثاني.

٣ مثنوي معنوي دفتر پنجم الأبيات ٣٤٩٧ – ٣٤٩٩.

وعلى أي حال ووفق هذا التصوير نسأل – وعلى نطاق ضيق – لو أنَّ أفراد أسرة ما عملوا بهكذا معنى من الزهد، فهذا يعني إنهيار كيان تلك الأسرة وإضطراب حياتهم الإجتماعية فكيف لو عمل بهذا جميع أفراد المجتمع؟.

الثاني: الزهد الإيجابي:

عرّف أمير المؤمنين عليه السلام الزهد بقوله: ﴿الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن. قال الله سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1]﴾[2].

وعلى هذا الأساس فالزهد لا علاقة له بالفقر والتصوف وإنَّما هو حالة روحية ونوع من الإنعتاق الداخلي وهذه الحالة تكون حتى لشخص من الأثرياء، إذ أنَّه لا يفرح بما يأتيه ولا يتأسف فيما لو ذهبت كل ثروته. فالزاهد يملك زمام نفسه إلى درجةٍ لو أُعطى الدنيا كلّها لما اضطرب حاله من شدة الأمر ولا نسي ذاته. الزهد في حقيقته نوع من السيطرة على الذات والتحكم بالمشاعر وهذا لا فرق فيه بين الفقير والغني بل أنَّ الفقير قد لا يكون زاهداً لأنَّه لا يملك ما يفقده فحذار من الزهّاد الفقراء الذين تعرف صورتهم الحقيقية في حالة إستغنائهم. وهذا أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة الحقيقي في كلِّ زمان والسياسي البارع والزاهد العابد، فقد كان شخصاً منتجاً ولم يكفّ عن النشاط الإقتصادي حتى في عهد خلافته وكثرة مشاغله وهمومه، وكان طيلة حياته كما وصفه الإمام الراحل قدس سره: ﴿يعمل مثل أي عامل آخر، ولم يكن لديه مكاناً معيناً يعمل فيه، ولم يكن يعمل لكي يدّخر، بل كان يعمل ويقدم نتيجة عمله لتكون وقفاً، وفي اليوم

---

١ سورة الحديد الآية ٢٣.

٢ نهج البلاغة/ الحكمة ٤٣٩.

الذي بويع فيه حمل المسحاة والفأس وذهب ليعمل، وحفر بئراً وطلب دواةً وورقاً وأوقف ذلك البئر﴾[١].

والخلاصة:

إنَّ الزهد هو الإستفادة من الإمكانات على مقدار الحاجة لا أكثر،وهو التعامل مع النعم للوصول إلى الأهداف وليس جعل النعم بذاتها هدفاً.

وبالدقة: الزهد يقع في مقابل الإنهماك في الكماليات، يقول كولافسكي: ﴿ الكماليات معناها تهافت الناس على شيء لا يحتاجونه أبداً﴾[٢].

---

١ صحيفة الإمام ج٤ ص ٣٩٦-٣٩٧.

٢ درسهاى كوچك در باب مقولاتى بزرگ، لشك كولافسكي ترجمة روش وزيري ص ٨٥.

بعد أنْ إتضح لك ماهو معنى الزهد الحقيقي تسأل:

ماهو المردود السياسي للزهد؟.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لزياد بن العلاء عندما منعه أمير المؤمنين عليه السلام من العزلة وحرمان نفسه من الطيبات حين سأله زياد عن السبب الذي يدعوه هو إلى فعل ذلك فقال له عليه السلام: ﴿ويحك، إنِّي لست كأنت. إنَّ الله تعالى فرض على أئمة العدل أنْ يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يَتَبَيَّغ بالفقير فقره﴾[1]، لا يعتبر الزهد وبساطة العيش – من الوجهة السياسية – مجرد فضيلة أخلاقية بل يمثلان ضرورة سياسية أيضاً كما هو ظاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ومن يريد دخول مجال السياسة والتمسك بالسياسة الأخلاقية ينبغي أنْ لا يكون متعلقاً بالماديات، وعلى مقدار تعلق الإنسان بهذه الأمور تتناقص قدرته على الحركة والتقدم، ومثله كمثل المتسلق للجبل الذي يريد أنْ يبلغ القمة في يومٍ واحدٍ، فإنْ كان المتسلِّق ماهراً ولا يحمل ما يُثقله إلا ما يحتاجه لليلة واحدة، حصل على مراده، ولكنّه إذا زاد على ذلك صار ثقيلاً وصارت مهمّته أصعب وتأخر عن بلوغ مقصوده.

ومقامنا كذلك – أي في السياسة – فالخائض ميدان السياسة وإدارة الحكم وهو أكثر تعلقاً مالياً وعاطفياً وإجتماعياً.

وغالبا ما يكون أدنى مقدرة على موازنة زورقه في هذا البحر المضطرب بالأمواج الهادرة،وهذا بالإضافة إلى أنّه كلما إزداد المرء إنشداداً وإنشغالاً، تزداد في المقابل إمكانية الكيد به ونسيانه للغاية التي يعمل من أجلها.

---

١ نهج البلاغة/ الخطبة ٢٠٩.

وقد قيل: إنَّ السياسيين لا تقضي عليهم إطلاقات الرصاص وإنَّما إطلاقات السكر(أي حلاوة الحكم)، فكثير من السياسيين – وفي كل عصر يوجد شاهد ولا سيما عصرنا – إغتروا برؤية الذهب وأحلام السلطة وأُبَّهَتِها فخانوا أهدافهم وبلدانهم وشعوبهم.

وفي المقابل أثبت التاريخ أنَّ الساسة الناجحين هم فقط أولئك الذين إتخذوا بساطة العيش شعاراً وسلاحاً لهم.

ويمكن ملاحظة ذلك جلياً في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام الذي ذاع صيته وقبل حكومته حتى من لا يؤمن بالله[1] ومن عصورنا المتأخرة كان المهاتما غاندي من أولئك الساسة الناجحين، حيث إستطاع أنْ يحقق للهند استقلالها ويملأ الإمبراطورية البريطانية رعباً. وكان يلبس ما يسمى بالخادي الذي هو بضعة أمتار من الكرباس المنسوج باليد.

وكذلك كان السيد حسن المدرس الذي عجز رضا خان عن مواجهته حيث دكَّ حصون الشاهات حتى قال له رضا پهلوي: أيها السيد ماذا تريد مني؟ فقال له: أريد أنْ لا تكون.

وكان من أهل الزهد، فلو كان ممن يسعى وراء حلوى السلطة لغرَّه پهلوي بها.

والفرد الأكمل للزهد في عصرنا هو السيد روح الله الموسوي الخميني رحمه الله الذي وُلِد في بيت مُستأجر وعاش في بيت مُستأجر وهو البيت الملحق بحسينية جمران ولم يملك درهماً ولا ديناراً وقد رأينا ما فعل ونحن الآن بصدد إيضاح النظرية السياسية الإسلامية الصحيحة التي أرسى دعائمها هو قدس سره.

---

١ وهم الشيوعيون.

إذ تظهر الشجاعة السياسية والإسقلال الفكري والدراية والمبادرة عندما يكون السياسي ورعاً وغير خاضع لهواه، وهذا هو معنى الزهد في السياسة.

وهاهنا أمور:

١- إنَّ قضية بساطة العيش تعدُّ ركناً من أركان النظام الإسلامي عند الأمام الخميني رحمه الله، فبعد أنْ أشار إلى بساطة معيشة أمير المؤمنين عليه السلام ودعا إلى الإقتداء به عليه السلام قال: ﴿ هذا هو العهد الذي نبتغيه .... نريد أنْ نكون ... على نحو بحيث إذا نزل رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء بين أبناء الشعب لا يكون له أي إمتياز على غيره ويصيحون ويصرخون ويفسحوا له المجال ﴾[1].

٢- إنَّ بساطة العيش تضمن إستقلال المسؤولين السياسيين، بل وتضمن مستقبلهم السياسي أيضاً. ولو قُدِّر أنْ يتخلى المسؤولون يوماً عن بساطة عيشهم لرفضهم أبناء الشعب، وقال الإمام رحمه الله في كلمة موجهة إلى علماء الدين: ﴿ظاهرة الدخول في المسائل السياسية لم تعد اليوم عاراً، ولكن يجب عليكم الإلتفات إلى أنَّ جميع الأنظار متجهة إليكم وهذا ما يفرض عليكم الحفاظ على ما ترتدونه من زي أهل العلم.

عيشوا عيشة بسيطة مثلما كان عليه العلماء السابقون ... واعلموا أنَّكم لو غدت معيشتكم يوماً أفضل من معيشة الناس العاديين ستطردون عاجلاً أم آجلاً ﴾[2].

---

١ صحيفة الإمام ج٨ ص٤٢٩.

٢ المصدر السابق ج١٧ص٤٥٢-٤٥٣.

٣- الإلتفات إلى أنَّ بعض ما يسمى بظاهرة السلطة(Power symbols)من الكماليات والتي يعتبرها البعض ضرورة سياسية وإدارية مثل الطاولة والكراسي الثمينة المتوجة بالذهب والسيارات الفاخرة والقصور الفخمة لغرض الإستفادة منها لعرض قدرته الشخصية أو الوطنية، إنّه لابدّ من الإلتفات إلى أنَّ هذه الأمور وما شابهها من قواتل السياسي وأنّها من أوهام السلطة. وقد رأينا أنَّ كل من خاض لعبة القدرة وإستخدام رموزها تأثر بهذه الأمور تدريجياً. ولا يعتبرن أحد أنَّ هذه الأمور لا دخل لها وأنَّها لا تعدو كونها من الخيالات، كلا إنَّ مثل هذه الأمور تهيمن على روح الإنسان إلى أبعد الحدود وإنْ شئت جرب ذلك بنفسك[1]، ومن خلال هذه الرؤية يعتبر الإمام الخميني رحمه الله بساطة العيش فصل الخطاب للنجاح في ميدان السياسة وسرّ الموفقية والرفعة والشموخ في الدارين. يقول قدس سره: ﴿ إذا شئتم الوقوف في وجه الباطل والدفاع عن الحق بلا خوف أو وجل ومن غير أنْ تؤثر القوى الكبرى وأسلحتها المتطورة وشياطينهم و مؤامراتهم، ولا تخرجكم من الساحة، عوّدوا أنفسكم على بساطة العيش واجتنبوا ميل قلوبكم إلى المال والمنال والمنصب والجاه.

لقد كان أكثر الرجال العظام الذين قدموا خدمات كبرى لشعوبهم يعيشون حياة بسيطة بعيدة عن الإنشداد إلى زخارف الدنيا، أمّا المنقادون لأهوائهم النفسية الحيوانية الرذيلة، فعلى إستعداد لتحمل أنواع الذل والهوان في سبيل الحفاظ على تلك المآرب، أو الحفاظ عليها وهم يخضعون أمام الغطرسة والقوى الشيطانية ويمارسون الصلافة والجور

---

١ لمعرفة معلومات أكثر حول رموز القدرة وتاثير ذلك على النفس راجع كتاب human relation لمؤلفه Dalton hoyle p.216-219.

ضد الطبقات الضعيفة، وعلى عكسهم الأتقياء الورعون، لأنَّه لا يمكن المحافظة على القيم الإنسانية والإسلامية بالحياة الكمالية والنزعة الإستهلاكية ﴾[١].

وبهذا نعرف كيف يكون الزهد وبساطة العيش ركناً من أركان السياسة الإسلامية.

الكلمة الأخيرة

﴿كونوا معلمي أخلاق لافراد المجتمع ليكون الجميع ظهيراً لكم ... وإذا ظهرت إنحرافات – لا سمح الله – وبرزت الأطماع الشخصية ... فهذا ينّم أولاً عن إنحطاط أخلاقي فضيع، وضِعة عند الله، وثانياً يُخشى أنْ لا يتسنى لكم النهوض بهذا العبئ وإيصاله إلى غايته ﴾[٢]، ﴿ اليوم هو اليوم الذي يجب أنْ تصونوا فيه الإسلام،وصيانة الإسلام إنَّما تأتي بإصلاح أعمالكم وحسن سلوككم مع الناس وكونوا أخوةً لهم ولا تستخفوا بهم ﴾[٣].

هذا ما أردت ذكره في هذا المجال، وللسياسة معالم كثيرة ليست هي إلا معالم الإسلام والحمد الله أولاً وآخراً.

---

١ صحيفة الإمام ج١٨ ص٤٧١.

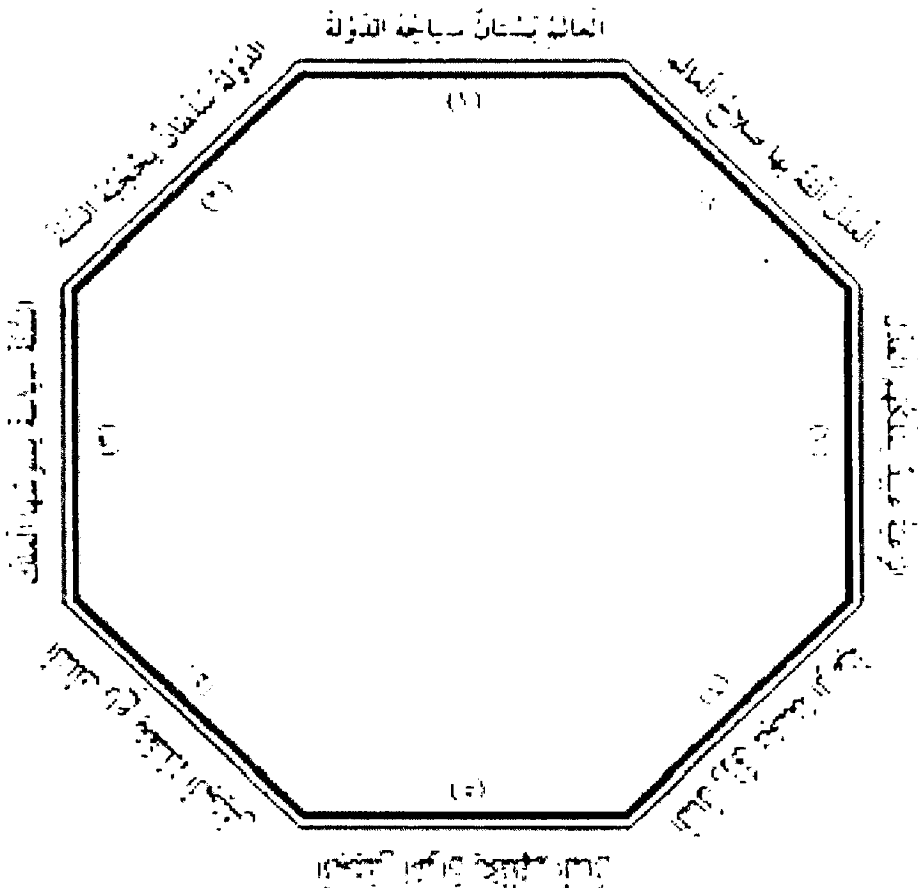
٢ المصدر السابق ج١٢ص٣٥١.

٣ المصدر السابق ج٨ص٣٧١-٣٧٢.

شكل مصالح الناس على رأي الحكيم أرسطو

وجدنا في بعض الكتب أنَّ الحكيم أرسطو أوصى أنْ يُدفن ويُبنى عليه بيت مُثمَّن، يُكتب في جهاته ثمان كلماتجامعات لجميع الأمور التي بها مصلحة الناس؛ وتلك الكلمات الثمان على هذا المثال:

يقال: ان ارسطاطاليس اوصى أن يدفن و يبنى عليه بيت مثمن . يكتب في جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الأمور التى بها مصلحة الناس : وتلك الكلمات الثمان هى على هذا المثال .



المقصد السادس

العدالـــــــة

وفيها فصول

العدالة

وهي الفرع الرابع من شجرة الأخلاق وهو الفرع المقوم والجامع للفروع الثلاثة المتقدمة وهي الحكمة والعفة والشجاعة. وقد عرفها الأعلام بتعاريف نذكر بعضها:

الأول: ما ارتضاه المولى النراقي من أنَّها: ﴿إنقياد العقل العملي للقوة العاقلة وتبعيته لها لجميع تصرفاته أوضبطه الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع الذي يحكم العقل أيضاً بوجوب إطاعته﴾[1].

وعرفها بتعريف آخر يوافق تعريف الغزالي بأنَّها: أصالة للنفس وقوة بها يسوس الغضب والشهوة ويجعلها على مقتضى لحكمة ويضبطهما في الإسترسال والإنقباض على حسب مقتضاها.

الثاني: ماذهب إليه إبن مسكويه: ﴿هي فضيلة للنفس تحدث لها من إجتماع هذه الفضائل الثلاثة التي عددناها وذلك عند مسالمة(إنقياد)هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة. حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على سوم طبائعها ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبداً الإنصاف من نفسه على نفسه أولاً، ثمّ الإنصاف والإنتصاف من غيره وله﴾[2].

---

١ جامع السعادات ج١ ص٥١ ط جامعة النجف الدينية.

٢ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لأحمد بن مسكويه ص١٠٠.

وهذه التعاريف كما ترى تصبّ في مجرى واحد وتنهل من عين واحدة وإنّما الإختلاف في الألفاظ. والأولى من كل هذا والجامع لها ماذكره أمامنا الراحل السيد الخميني قدس سره وهو: ﴿العدالة عبارة عن الحد الأوسط بين الإفراط والتفريط﴾[1].

إنَّ معنى العدالة يتجلى في المقدار الأخلاقي الإلهي لكل واحد من الصفات في مقامين:

أحدهما: مقام ذات الإنسان بما هو موجود كلي إلهي كادح إلى ربِّه.

والآخر: مقام الفرد وموقعه من مجتمعه ودينه ومايحمل مورِّثات جينية، أي بمقدار وجود الحكمة والعفة والشجاعة في جيناته الوراثية من عائلته وعشيرته بالإضافة إلى واقعه الإجتماعي.

خواص العدالة

توجد في هذا الفرع المهم الذي هو أقرب مايكون إلى كونه الفرع الرئيسي أو الداعم لباقي الفروع، توجد فيه خواص سامية نشير إلى بعضها:

١- إنَّ العدالة أقرب الصفات إلى الوحدة لشموليتها وتقويتها لباقي الصفات وشأن العدالة هو إخراج الواحد من الكثرات والتأليف بين المتباينات والتسوية بين المختلفات وردّ الأشياء من القلة والكثرة وكذا من النقصان والزيادة إلى التوسط الذي هو الوحدة، فتصير المختلفات في هذه المرتبة متحدةً بنوع من الإتحاد، وفي غيرها توجد أطراف متخالفة متكثرة، ولا ريب في أنَّ الوحدة اشرف من الكثرة، إذ كلما كان الشيء أقرب إلى الوحدة يكون أفضل وأكمل وأبقى وأدوم، ويكون أبعد من تطرق الفساد إليه.

---

١ جنود العقل والجهل ص١٣١.

فالمتخالفات إذا حصل بينها مناسبة وإتحاد وحصلت منها هيئة موحَّدة صارت أكمل مما كان. ولذا قيل: كمال كل صفة أن يقارب ضدها وكمال كل شخص أنْ يتصف بالصفات المتقابلة بجعلها متناسبة متسالمة[١].

ولذا نرى تلك الشخصية المتكاملة والإنسان الكامل محلاً لإلقاء أحاسيس الشعراء بعد تحيرهم بها وهي شخصية أمير المؤمنين عليه السلام. حين قال فيه الناشئ الصغير:

هو البكّاء في المحراب ليلاً　　　هو الضحّاك إنْ جدّ الضرابُ

ويقول السيد رضا الهندي رحمه الله في أمير المؤمنين عليه السلام:

ممكنٌ واجبٌ قديمٌ حديثٌ　　　عنك تُنفى الأندادُ والأشباهُ

هذا وأنَّ المولى النراقي يشير إلى مطلب أعلى بقوله: ﴿فأشرف الموجودات هو الواحد الحقيقي الذي هو موجد الكل ومبدؤهُ ويفيض نور الوحدة على كل موجود بقدر إستعداده كما يفيض عليه نور الوجود كذلك. فكل وحدة من الوحدات جوهرية كانت أو خلقية أو فعلية أو عددية أو مزاجية فهي ظل من وحدته الحقَّة، وكلما كان أقرب إليها يكون أشرف وجوداً، ولولا الإعتدال والوحدة العرفية التي هي ظل الوحدة الحقيقية لم تتمّ دائرة الوجود، لأنَّ تولُّد المواليد من العناصر الأربعة يتوقف على حصول الإتحاد والإعتدال، وتعلّق النفس الربّانية بالبدن إنَّما هو لحصول نسبة الإعتدال ولذا يزول تعلقها به بزوالها، بل النفس عاشقة لتلك النسبة الشريفة أينما وجدت﴾[٢].

---

١ جامع السعادات ج١ ص٧٤.

٢ المصدر السابق.

بل حتى الشمس التي تقدرت أماكنها ما بين المشرق والمغرب وما بينهما تميل وتسعى إلى الوحدة.

حيث قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[١].

٢- إنَّ العدالة لها موارد كثيرة ومصاديق متعددة وأحوال ونسب متباينة فهناك عدالة بالمنظار الإلهي ثمّ الإجتماعي ثمّ الشرعي وله أنحاء كعدالة المرجع والشاهد وإمام الجماعة. ثمّ الإقتصادي والسياسي والعقائدي وغيرها نعرض عنها خوف الإطالة وإنَّ ذكرها هنا ليس في محلّه، ومن أراد الإستزادة فليراجع كتاب جنود العقل للإمام الخميني ص١٣٢ وما بعدها وجامع السعادات ج١ ص٧٠-٧٩ ط.جامعة النجف الدينية.

٣- إنَّ العدالة هي مجموع الفضائل والصفات فهي تمثل جميع الفروع الثلاثة المتقدمة. الحكمة والعفة والشجاعة وما يقع تحتها ويعلل ذلك الإمام الخميني قدس سره بقوله: ﴿إنَّ العدل المطلق مستقيم على كل المستويات، سواء على مستوى تمظهر الأسماء والصفات والتحقق بها. وهو الإستقامة المطلقة ومختصة بالإنسان الكامل، وربه أسم الله الأعظم[٢]، ورب الإنسان الكامل وهو خاتم الرسل صلى الله عليه وآله على الصراط مستقيم وهو اعتدال تام﴾[٣].

---

١ سورة يس الآية ٣٨.

٢ إشارة إلى الوجود المبارك للحقائق المقدّسة والأنوار الإلهية محمد وعلي وفاطمة وآلهم الطاهرين وقد بحثنا هذا مفصلاً عند تفسيرنا للبسملة ضمن أبحاثنا التفسيرية واثبتنا فيها أنَّ لفظ الرب في القرآن الكريم إنّما هو إشارة إلى الحقائق المقدّسة المعصومين عليهم السلام.

٣ جنود العقل والجهل ص ١٣١-١٣٢.

وأنت خبير بأنَّ كل صفة من الصفات الحميدة تقابلها واحدة أو أكثر من الصفات الذميمة بل وكل الصفات الحميدة قد تكون لها طرف إفراط أو طرف تفريط، قد تكون ذميمة بالمعنى المقابل وقد تكون ذميمة من نوع خاص وكل هذه الصفات لها وسط وجادة وسطى تتصف بها الأمة الوسطى وهي ليست إلا العدالة لذا تكون لها تلك الشمولية.

قال أفلاطون الحكيم: ﴿العدالة إذا حصلت للإنسان أشرق بها كل واحد من أجزاء نفسه ويستضيء بعضها من بعض، فتنتهض النفس حينئذٍ لفعلها الخاص على أفضل ما يكون . فيحصل لها غاية القرب إلى مبدعها سبحانه﴾[1].

صلة التربية الإسلامية بالعدالة

يؤكد الإسلام دون غيره من الأنظمة على قضية مهمّة وهي التربية النفسية والروحية لبني البشر، لأنَّ صلاح المجتمعات لنيل سعادة الدارين هي التربية بمفاهيم الإسلام وتطبيقها فهي تضمن للشعوب حفظ الحقوق ومراعاة الآخرين وتضمن الجنة في الآخرة.

وقوام التربية هي كل ما تقدم من مباحث في الفروع الثلاثة وقد علمت أنَّ العدالة هي قوام تلك الثلاثة إذ العدالة تعني التربية والوسطية في كل الصفات وهي التي يصبو إليها كل الموجودات.

وكلّما تقدمت الشعوب في التربية وتحصيل ملكة العدالة بدرجة أكبر وبمدة أبكر، عاشت بسلام ورضي عنها الملك العلام تعالى شأنه.

---

١ جامع السعادت ج١ص٧٤.

لذا نرى العلماء والصلحاء والقادة الإلهيين يؤكدون على ضرورة التربية في طور الصغر ويدعون المجتمعات إلى إستغلال فترة الشباب، وهذا مايدعو إليه مصلح القرن العشرين وما بعده من القرون حتى ظهور المهدي عجل الله فرجه - إمامنا الخميني طاب ثراه - في خطاباته وكتبه الأخلاقية والسياسية والإجتماعية فهو قدس سره يؤكد على إستقلال الحياة الدنيا لتأدية ذلك الغرض بقوله: ﴿وما دام الإنسان في عالم الطبيعة فهو يستطيع أنْ يعدّل قواه المستعصية، ويلجم النفس المستنفرة بلجام العقل والشرع وهذا الأمر في أول الشباب سهل وميسور جداً لأنَّ نور الفطرة لم يُقهر بعدُ، ولم تفقد النفس صفاءها، ولم تترسخ بعدُ الأخلاق الفاضلة. والصفات المذمومة في النفس. ونفس الطفل في أول الأمر كصفحة قرطاس بلا نقش ولا صورة، فهو يتقبل كل نقش بسهولة ويسر، وإذا قبلها فزوالها ليس بميسور، كما هو شاهد حيث أنَّ المعلومات أول الأخلاق التي حصلت أول الصبا هي باقية وثابتة إلى آخر الكهولة، وقلَّما يتطرق إليها النسيان.

ولذلك، فإنَّ تربية الأطفال وتهذيبهم، من المهمات التي تُعهد إلى الأبوين، فلو حصل التساهل والفتور فربما ينجر الطفل المسكين إلى رذائل كثيرة، وينتهي أمره إلى الشقاوة الأبدية . وليكن معلوماً أنَّ تربية طفلٍ واحدٍ لا تُحسب تربية واحدة، وكذلك سوء تربية طفلٍ واحدٍ والتساهل في حقِّه لا يحاسب على أنَّه واحد، فربما يصلح بتربية طفل واحد جمع كثير بل ملة كاملة، بل مملكة، وبفساد شخص واحد تفسد مملكة وملة.

إنَّ نورانية شخص واحد كالفيلسوف الإسلامي الكبير خواجة نصير الدين الطوسي (رض) والعلامة الجليل الحلي قدس سره نورت مملكة وملّة، وتبقى تلك النورانية إلى الأبد.

وظلمات وشقاوات شخص كمعاوية بن أبي سفيان، وأئمة الجور، بذر للشقاوة والخسران لِملَل وممالك لآلاف السنين كما هو الشاهد.

وحيث أنَّ الأطفال هم دائماً أو غالباً مع الأبوين، فلابُدّ أنْ تكون تربيتهما عملية، بمعنى أنَّنا لو فرضنا أنْ الأبوين ليسا متصفين بالأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة فلابدّ أنْ يظهرا في نفسيهما الصلاح أمام الطفل. ليكون الأطفال عملياً مهذبين ومرَبَّين، ولعل هذا بنفسه يكون مبدأً لإصلاح الأبوين لأنَّ المجاز قنطرة الحقيقة، والتطبع طريق الطبع. إنَّ فساد الأبوين العملي يسري إلى الأطفال أسرع من أي شيء. فربما إلى آخر العمر، فلا يعود قابلاً للإصلاح رغم جهود المربّين وتعبهم. إنَّ الأبوين الصالحين الحسني التربية هما من التوفيقات القدَريّة والسّعادات غير الإختيارية التي تكون أحياناً من نصيب الطفل . كما أنَّ فسادهما وسوء تربيتهما أيضاً من الشقاوات، والإتفاقات القدريّة التي تلازم الإنسان من دون إختياره.

وهذا ينطبق على المراحل السّابقة للتربية، حيث يمكن أنْ يكون في تلك المراحل السابقة للتربية، حيث يمكن أنْ يكون في تلك المراحل قد بدأ بوضع بذور سعادة الإنسان أو شقاوته، كإختيار الزوجة الصالحة، وذات الأخلاق الحسنة والسعيدة، وإختيار الأغذية المناسبة والمحللة قبل زمان الحمل وفي أيامه والإرضاع وأمثالها، وتفصيلها يحتاج إلى رسالة على حدة. وأرجو توفيق الحق تعالى على استخراجها، واستقصاء بحث أطرافها بشكل مستقل إنْ شاء الله تعالى.

وبعد هذه المرحلة تأتي التربية الخارجية من المعلمين والمربّين غير الأبوين، وكفيل هذه التربية في أول الأمر، والصحة والفساد في هذه المرحلة متعلقة في ذمّة الأب، فإنتخاب المعلم الخاص الذي يأتي إلى البيت المناسب دينياً وأخلاقياً والمُهذب كلُّ ذلك له دخل تامّ وكامل في التربية الأولى للطّفل، فربما في هذه المرحلة ترسم خريطة الشقاوة والسعادة للطفل، والدواء المعطى من المعلمين هو إمّا شفاء للأمراض، أو سم قاتل، ومسؤوليته على الأب.

وإذا جاوز هذه المرحلة يحصل الرُّشد والبلوغ بالتدريج ويأتي استقلال الفكر والنظر في أيام الشباب، والإنسان في هذه المرحلة هو بنفسه كفيل سعادته وضامن شقاوته، وكُلّما كان أقرب إلى أيام الشباب وكانت نفسه حديثة العهد بالغرس كان تحصيل السعادة أيسر وأسهل واستقرارها أكثر، لأنَّ صحيفة النفس تكون خالية من النقوش وأقرب إلى البساط بحيث لو وصل صاحب الأخلاق السيئة إلى هذه المرحلة من العمر وعاداته وأعماله القبيحة لم تستحكم بعدُ في نفسه فهو يستطيع تصفية نفسه وتزكيتها بمقدار من المراقبة والمواظبة. فيقلع جذور الأخلاق السيئة كما يقلع شجرة حديثة الغرس ليس لها جذور في الأرض فتقلع بسهولة، ولكن إذا مضت عليها مدة من التساهل ولم يكن الإنسان في صدد الإصلاح وقطع مادة الفساد فإنَّ شجرة الفساد تنمو بالتدريج وتصبح شجرة عظيمة وتتأصّل جذورها في أرض القلب بحيث يندر أنْ يوفَّق الإنسان إلى تصفيات في الأزمان الطويلة والرّياضات الكثيرة. ولعلَّ العمر لا يفي والأيام لا تمهل لأنْ يصلح الإنسان نفسه لأنَّ الشّجرة الكبيرة التي رسخت جذورها في الأرض وصارت مستحكمة لا يمكن قلعها من جذورها حتى بالجهود الكبيرة.

كما يقول سعدي الشيرازي ما ترجمته:

شجرةٌ غُرست الآن تُقلع بقوة شخص واحد
وإذا تُركت مدة إستحكمت، ولا يمكن قلعها[1]

فربما يكون في الشاب خُلقٌ سيء كالبخل أو الحسد مثلاً وهو غير راسخ فيمكن إصلاحه بقليل من التعب، بل إبداله بالخلق الصالح المقابل له.

---

١ والشعر هو:

درختی که اکنون گرفت است پای — به نیروی شخص برآید زجای
ورش همچنان روزگاری هلی — به گردونش از بیخ برنگسلی

وإذا غفل عنه مدة ومضى العمر بالتساهل فيه فسيحتاج إلى الرياضات الصّعبة والمجاهدات الشّديدة الطويلة بحيث أنَّ الزّمان والأجل لا يعطيان الإنسان مهلة للإصلاح والتّصفية. فينتقل إلى عالم البرزخ والقيامة بتلك الأخلاق المظلمة والكدورات المعنوية التي هي مبدأ ومنشأ لضغطة القبر وظلمته وظلمة البرزخ والقيامة.

فعلى الشّباب و لازماً أنْ يكونوا في صدد التّصفية والتزكية ما دامت فرصة الشّباب حاضرة والصّفاء الباطني والفطرة الأصليّة باقيين على حالهما، فيقلعون جذور الأخلاق الفاسدة والصفات المظلمة من قلوبهم لأنَّه بوجود خلق واحد سّيئ تكون سعادة الإنسان في خطر عظيم. كما أنَّه في أيام الشباب تكون الإرادة قوية والتصميم محكماً وعلى هذا يكون الإصلاح أسهل. ولكن في مرحلة الشيب تكون الإرادة ضعيفة، والتّصميم أيضاً هَرِماً. وبالتالي التغلب على القوى يكون أصعب.

ولكن على الكهول أيضاً ألاّ يغفلوا عن إصلاح أنفسهم وتزكيتهم، ولا ييأسوا منها لأنَّه، رغم كل شيء. ما دام الإنسان في هذا العالم، وهو دار التَّبدُّل والتَّغيُّر، ومنزل الهيولى والإستعداد، فهو يستطيع أنْ يصلح نفسه ولو بتعب كثير، والأمراض النفسانية المزمنة حتى لو بلغت درجة كبيرة من الإستحكام فمع ذلك يمكن قلع مادتها، وليس منها مرض لايمكن إصلاحه، ما دام الإنسان في هذا العالم، حتى لو ترسَّخ واستحكم في النفس. وصار ملكة لها، غاية الأمر إختلاف في شدّة الرياضات النفسانية وكثرتها. فتكون أشدّ كلما كان الإنسان صعباً وصلباً ومحتاجاً إلى المشقة البدنية والرياضة الروحية. لأنَّ الإنسان في هذه النشأة يعمل الأعمال بإختياره كالعبادات وأمثالها. ولكن لا سمح الله لو إنتقل الإنسان مع الملكات الفاسدة والأوصاف الخبيثة إلى العالم الآخر فحتّى لو كان نور الفطرة والإيمان في باطن ذاته محفوظاً فسيكون إصلاح النفس وتزكيتها وتصفيتها أموراً خارجة عن إختياره، بل قبل خروج الروح من البدن أيضاً يُسلب

الإختيار، ويُجرى له طرق أخرى لتخليصه كالصُّعوبات والضغطات، في حال الإحتضار وقبض الرُّوح، والوحشة لرؤية الملائكة الموكلين بهذا العمل، وهم مأمورين للحق تعالى غلاظ وشداد ﴾[١].

العدالة والإنسان الكامل ﷺ

نُقل عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا عند النبي ﷺ فخطّ خطاً، وخطّ خطّين عن يمينه، وخط خطين عن يساره. ثمّ وضع يده في الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله . ثمّ تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ ﴾[٢].[٣]

قال الإمام الخميني قدّس سرّه بعد ذكر هذه الرواية: ﴿والإعتدال الحقيقي ليس مقدوراً وميسوراً إلا للإنسان الكامل الذي لم ينحرف ولم يمل من أول سيره إلى منتهى نهاية الوصول، وهو الخطّ المحمدي بتمام المعنى، وغيره من السائرين يسيرون بالتبع لا بالأصالة. وحيث أنَّ الخط المستقيم الواصل بين نقطتين ليس أكثر من واحد فإنَّ الفضيلة – بقول مطلق – والسير على طريق العدالة والإعتدال لا تزيد على واحدة.

ولكن للرذائل أنواع كثيرة بل غير متناهية، إلا أنَّ أجناسها الكلية قسمت إلى ثمانية أقسام. لأنَّ لكلّ من هذه الفضائل الأربعة طرفين، أحدهما: حد الإفراط، والآخر حد التفريط. ومن هنا صارت أجناس الرذائل ثمانية ﴾[٤].

---

١ جنود العقل والجهل ص١٤١ـ١٤٥.

٢ سورة الأنعام الآية ١٥٣.

٣ سنن إبن ماجة محمد بن يزيد القزويني ج١ ص٦.

٤ جنود العقل والجهل ص١٣٨ـ١٣٩.

الجور ضد العدالة

الخلق الذميم وجندي الجهل الذي يقابل العدالة هو الجور وهو كلا طرفي الإفراط والتفريط. **فطرف الإفراط فيه يسمى الظلم**: وهو التصرف في حقوق الناس وأموالهم بدون حق. **وطرف التفريط هو الإنظلام**: وهو تمكين الظالم من الظلم عليه وإنقياده له فيما يريده من الجبر والتعدي على سبيل المذلة هكذا يمكن أنْ يقال كما قيل.

والحق أنْ يقال: مايُقابل العدالة هو كلّ الصفات الذميمة لأنَّ العدالة - كما تقدم - كل الصفات الحميدة والجور أعمّ من أنْ يكون على النفس أو الغير، وأعمّ من أنْ يكون على البدن أو على الروح وغير ذلك. وعبّر عنه الإمام الخميني بأنَّه ﴿غلبة القهر على اللطف﴾[1] والجور من الطينة المحجوبة. والنعمة التي أضاعها الإنسان بسبب تعلقه بالدنيا.

العدالة والجور إختياريان

أورد إبن مسكويه رحمه الله سؤالاً عن إختيارية العدالة والجور بقوله: ﴿ في هذا الموضع مسألة عويصة سأل عنها الحكماء أنفسهم وأجابوا عنها بجواب مقنع، يمكن أنْ يجاب فيها بجواب آخر هو أشدّ إقناعاً، ويجب أنْ نذكر الجميع، وهو أنَّ لِشاكٍّ أنْ يَشُكّ فيقول: إذا كانت العدالة فعلاً إختياريّاً يتعاطاه العدل، ويُقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه والمحمدة من الناس، فيجب أنْ يكون الجور فعلاً إختيارياً يتعاطاه الجائر ويقصد به تحصيل الرذيلة ومذمَّة الناس. ومن القبيح الشنيع أنْ يُظَنَّ بالإنسان العاقل أنَّه يقصد الإضرار بنفسه بعد الرويّة وعلى سبيل الإختيار.

---

١ جنود العقل والجهل ص١٣٢

ثمّ أجابوا عن ذلك وَحَلّوا هذا الشك بأنْ قالوا: إنَّ من ارتكب فعلاً يؤدّيه إلى ضَرَر أو عذاب، فإنَّه يكون ظالماً لنفسه وضارّاً لها من حيث يقدر أنَّه ينفعها، وذلك لسوء إختياره وترك مشاورة العقل فيه. ومثال ذلك الحاسد، فإنَّه ربما جنى على نفسه لاعَلى سبيل إيثار الإضرار بها، بل لأنَّه يظن أنَّه ينفعها في العاجل بالخلاص من الأذى الذي يلحقه من الحسد، هذا جواب القوم.

وأمّا الجواب الآخر فهو: إنَّ الإنسان لما كان ذا قوى كثيرة يسمى بمجموعها إنساناً واحداً لم ينكر أنْ تصدر عنه أفعال مختلفة بحسب تلك القوى، وإنَّما المنكر أنْ يكون الشيء الواحد البسيط ذو القوة الواحدة تقع منه تلك القوة أفعال مختلفة، لا بحسب الآلات المختلفة ولا بقدر القابلات منه، بل بتلك القوة الواحدة فقط، فهذا لَعَمْري مُنكرٌ شنيعٌ. ولكنَّ الإنسان قد تبيّن من حاله أنَّ له قوىً كثيرةً فيعمل بكل قوة عملاً مخالفاً للعمل بالأخرى، أعني أنَّ صاحب الغضب إذا استشاط يختار أفعالاً مخالفة لأفعاله إذا كان ساكناً وادعاً وكذلك صاحب الشهوة الهائجة وصاحب النشوة الطروب، فإنَّ من شأن هؤلاء أنْ يستخدموا العقل الشريف في تلك الأحوال ولا يستشيرونه. ولذلك تجد العاقل إذا تغيرت أحواله تلك فصار من الغضب إلى الرضا ومن السكر إلى الإفاقة تَعجّبَ من نفسه وقال: ليت شعري كيف اخترت تلك الأفعال القبيحة؟ ويلحقه الندم وإنَّما ذلك لأنَّ القوة التي تهيج به تدعوه إلى إرتكاب فعل يظنه في تلك الحال صالحاً له جميلاً به، لتتمّ له حركة القوة الهائجة به، فإذا سكن عنها وراجع عقله رأى ذلك الفعل وفساده.

وقوى الإنسان التي تدعوه إلى ضروب الشهوات ومحبة الكرامات، وإنْ كان لا يستحقها كثيرة جداً، فهو بحسب قواه الكثيرة تكون أفعاله كثيرة، فإذا تعوّد الإنسان أنْ تكون سيرته فاضلة، ولم يقدر على شيء من أفعاله إلا بعد مطالعة العقل الصريح وبعد مراعاة

الشريعة القويمة كانت أفعاله كلّها منتظمة غير مختلفة ولا خارجة عن سنن العدل. أعني المساواة التي قدّمنا القول فيها .

ولهذا السبب قلنا:

إن السعيد هو من إتفق له في صباه أنْ يأنس بالشريعة ويستسلم لها، ويتعود جميع ما تأمره به، حتى إذا بلغ المبلغ الذي يمكنه به أنْ يعرف الأسباب والعلل طالع الحكمة، فوجدها موافقة لما تقدمت عادته به فاستحكم رأيه وقويت بصيرته ونفذت عزيمته ﴾[1].

وقد بحثنا السعادة والشقاوة وإختيارية ذلك في مبحث الطلب والإرادة وفصّلنا فيها الكلام هناك فراجع إن أردتَ الإستفادة.

العدالة في شجرة الأخلاق

ذكرت عدة فضائل تحت فضيلة العدالة وهي:

١- **الصداقة**: هي المحبة الصادقة التي يهتمّ معها بجميع أسباب الصديق وإيثار فعل الخيرات التي يمكن فعلها.

٢- **الألفة**: هي أتفاق الآراء والإعتقادات وتحدث عن التواصل، فيعتقد معها التظافر على تدبير العيش.

٣- **صلة الرحم**: هي مشاركة ذوي اللحمة في الخيرات التي تكون في الدنيا.

وعندنا: إنّ الرحم كل أتباع أهل البيت عليهم السلام لقول الصادق عليه السلام في جوابه لأبي حنيفة: ﴿ نحن أهل البيت النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد، وبنا ائتلفوا بعد أنْ

---

١ تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص٢١٤-٢١٦.

كانوا مختلفين، وبنا ألَّف الله بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بعد أنْ كانوا أعداء ...﴾[١].

فصلة الرحم بهذا المعنى الواسع تثبت لكل مؤمنٍ إثني عشري.

٤- **المكافأة**: هي مقابلة الإحسان بمثله أو بزيادة عليه.

٥- **حسن الشركة**: هو الأخذ والإعطاء في المعاملات على الإعتدال الموافق للجميع.

٦- **حسن القضاء**: هو مجازاة بغير ندم ولا منٍّ.

٧- **التودد**: هو طلب مودات الأكفّاء وأهل الفضل بحسن اللقاء وبالأعمال التي تستدعي المحبة منهم.

٨- **العبادة**: هي تعظيم الله تعالى وتمجيده وطاعته وإكرام أوليائه من الملائكة والأنبياء والأئمة عليهم السلام والعمل بما توجبه الشريعة، وتقوى الله تعالى تتمم هذه الأشياء.

٩- **اللطف**: هو ركوب المروة في جميع الأحوال.

واللطف معنى عقائدي وهو: تقريب العبد إلى الطاعة وإبعاده عن المعصية، هذا يكون من الله تعالى ويكون لخلفائه عليهم السلام ونوابهم وعمالهم.

١٠- **ترك الحقد**: هو مكافأة الشر بالخير.

١١- **النصيحة**: هي إرادة الخير للمنصوح له.

١٢- **المراقبة**: حالة توسطية بين المشارطة والمحاسبة، وتعني ملاحظة الرقيب وانصراف الهمّ إليه، بأنْ ينتبه إلى العمل والإتيان به على وفق ما شارطتَ عليه ربك وطلبهُ منك.

---

١ بحار الأنوار ج٢٤ ص٤٩.

١٣- المسالمة: وهي موادعة النفس عن ملكة لا اضطراب فيها. وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿المسالمة خبئ العيوب﴾[١]. لكن يشترط في المسالمة أنْ لا يكون فيها وهن للإسلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وجدت المسالمة مالم يكن وهن في الإسلام أنجع من القتال﴾[٢].

١٤- المروة: هي الترفع والإحتشام عن مواقعة القبيح حذراً من الذم والسب الصادق. وبمعنى آخر هي حفظ الرجل دينه واحترازه نفسه من الدنس وقيامه بأداء الحقوق وإفشاء السلام.

١٥- الزهد: هو العدول عن الدنيا والإعراض عن متاعها بما يُبعده عن الله والميل إلى ما يقربه إلى الله.

وقد حققنا هذا البحث في موردين أحدهما عند الكلام عن العفة والثاني في الرسالة السياسية الملحقة بالشجاعة فراجع.

١٦- إستقلال النفس: وهو عدم الحاجة إلى الآخرين ونفي مطلق التبعيات إلا التبعية الإلهية والخلافتية التي هي عين الإلهية لا غيرها.

١٧- كرم الطبع وعلوه: وهو الإباء الداخلي والخارجي أي النفسي والإجتماعي عن كل الرذائل. ويقع تحت هذين الأمرين عدة أمور منها:

أ- ترك المعاداة: وهي ترك الحكاية عمن ليس بعدل مرضي والبحث عن سيرة من يحكى عنه العدل.

ب- هو ترك لفظة واحدة لاخير فيها لمسلم فضلاً عن حكاية توجب حدّاً أو قذفاً أو قتلاً أو قطعاً.

---

١ ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري ج٣ ص٢٢٠٩.

٢ المصدر السابق ج٢ ص١٦٢٠.

ج- ترك قول من يستجري بين الناس ظاهراً أو باطنا أو يحلف في مسألة أو يلح بالسؤال، فإنَّ هولاء يرضيهم الشيء اليسير فيقولون لأجله حسناً، ويسخطهم إذا مُنعوا اليسير فيقولون لأجله قبيحاً.

د- ترك الشره في كسب الحلال وترك ركوب الدناءة في الكسب لأجل العيال.

هـ- الرجوع إلى الله وإلى عهده وميثاقه عند كل قول يتلفظ به أو لحظٍ يلحظُه أو خُطرةٍ في أعدائه أو أصدقائه.

و- ترك اليمين بالله تعالى وبشيء من أسماءه وصفاته رأساً.

ز- أكرام الزوجة وأهلها المتصلين بها وأهل المعرفة الباطنة بالمرء.

ح- إسداء الخير للأهل والعشيرة والمتصلين بك من الأخ والولد ومن أتصل بهما والغريب والنسيب والشريك والجار والصديق والحبيب.

العدالة والإزدواجية في الشخصية

هناك شخصيتان في عالم الإمكان لا ثالث لهما أحدهما على جادة الإسلام تسمى الشخصية الإسلامية وهي تمثل العدالة.

والأخرى منحرفة عن تلك الجادة إمّا إلى طرف الإفراط أو التفريط وهذه تمثل الجور.

وعلى أي تقدير تتصف تلك الشخصية المنحرفة بالحيود عن الوحدة فهي على هذا شخصية مزدوجة.

فالشخصية الإسلامية تمثل الإرادة الربّانية عن طريق إمتثال الأحكام الإلهية، فالحاكم في مثل هذه الشخصية هي الإرادة الربّانية فحسب.

أمّا الشخصية الأخرى فهي تقع تحت إرادة الله تعالى تارةً، وأخرى تحت إرادة الشيطان أو النفس الأمّارة وهذه الشخصية هي التي تكون على خلاف العدالة.

وعلى أي حال فالإزدواجية في الشخصية تكون على قسمين:

١- الإزدواج الفكري: وهو الصدور فكرياً عن منابع ثقافية مختلفة، ورؤى مذهبية متناقضة، فتراه مرة يفكر بطريقة الإسلام، ويتحدث بلغته ويتبنى مفاهيمه، وأخرى يفكر بطريقة التفكير الغربي. ويتبنى الكثير من مفاهيم الحضارة الغربية وقيمتها مع تغليفها بالغلاف الإسلامي وهو لا يشعر بذلك أو قد يشعر به ولكن تطبيق المفاهيم الإسلامية بالدقة وبصورة كلية لا يتلائم مع بعض تفاصيل حياته.

٢- الإزدواج النفسي والسلوكي: هو وجود عوامل ودوافع نفسية متناقضة الإتجاه متقاربة المستوى والدرجة، بحيث لا يتضاءل أحدهما مقابل الآخر، فهو صاحب مركز يفكر ويسعى إلى تكوين مركز إجتماعي أو ثقافي مرموق. ويحب الظهور في هذا المجال وذاك. وصاحب دين يخشى الله تعالى ويعمل له.

وهذا الإزدواج يمكن أنْ يسمى في علم الأخلاق بالشرك في العبادة. لأنَّ هذا الإنسان له معبودان: أحدهما الله تعالى، والآخر هو الهوى.

ويمكن أنْ يسمى الإزدواج الأول بالشرك الثقاف، ونعمم هذين الشركين إلى الشرك في الذات(الإيمان بتعدد الآلهة)، والشرك في الصفات ﴿الإيمان بمفارقة الصفات الإلهية للذات المقدَّسة﴾[1].

---

١ نظرات في الإعداد الروحي للشهيد حسين معن ص٢١١.

الإزدواج والنفاق

هنالك فرق بين الإزدواج والنفاق، فالنفاق واضح، لأنَّ المنافق ليس مزدوج الشخصية بين الكفر والإسلام لا من جهة عقائدية ولا من جهة ثقافية ولا من جهة سلوكية نفسية، وإنّما هو كافر خالص، يعلن إيمانه زوراً ومنافاةً، فالمتبنّى عنده هو شيء واحد، غاية الأمر أنّه غير ظاهر، فلا تُتَصوَّر فيه الإزدواجية، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾[2].

وأمّا الإنسان المزدوج فهو الذي تعيش في نفسه قوى متصارعة ليس لأحدها الغلبة على الأخرى. وهو الذي يعيش ساعة لربه بصلاة قشرية وعبادة ظاهرية – لو كانت –: وساعة لقلبه يمارس فيها ألوان الفجور وفنون الفسق والمحارم والشبهات ومن هذا النوع الأشخاص ذوو العاطفة الدينية التي تُستنفر في لحظات خاصة.

الإزدواج الصريح والإزدواج الخفي

ما ذُكر من إزدواج هو إزدواج صريح، وبه يعرف الإنسان بأنَّ السلوكين اللذين يتعامل بهما مختلفان وهو واضح لعامة الناس وغير خافٍ عنهم ومثل هذا الشخص يقال أنَّ عندهُ إزدواجية في الشخصية.

وهناك نوع آخر من الإزدواجية يسمى بالإزدواج الخفي وفيه يظهر الإنسان متديناً في كل شيء وهو في حقيقة أمره منشطر الذات إلى شخصيتين: شخصية متدينة وأخرى

---

١ سورة البقرة الآية ١٤.

٢ سورة المنافقون الآيات ١ – ٢.

منحرفة، وهذا يتمّ عن طريق إرتضاء كل من الجانب الشخصي الذاتي والجانب الديني والتوفيق الشكلي المظهري فيما بينهما.

وهؤلاء يقال عنهم بالإضافة إلى الإزدواجية أهم منافقون. وهذه أنكى الصور وأدهاها.

ومثال هؤلاء هم المتقاعسون الذين ذكرهم الإمام الباقر عليه السلام في قوله: ﴿ يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم مراؤون ويتقرّؤون ويتنسّكون، حُدَثاء سفهاء لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرُخَص والمعاذير، يتبعون زلاّت العلماء وفساد عملهم، يُقبلون على الصلاة والصيام وما لا يَكلَمُهُم[1] في نفس ولا مال، ولو أضرّت الصلاة بسائر مايعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها، إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، هنالك يتمّ غضب الله عزّ وجلّ عليهم فيعمّهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفجّار والصغار في دار الكبار. إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهج الصلحاء فريضة عظيمة. بها تقام الفرائض وتَأمن المذاهب وتَحِلُّ المكاسب وتُرَدُّ المظالم وتَعمُر الأرض ويُنتصف من الأعداء ويَستقيم الأمر، فأنكِروا بقلوبكم وألفِظوا بألسنتكم وصكُّوا بها جباههم ولاتخافوا في الله لومة لائِم ... ﴾[2]، أجارنا الله وإياكم من هذا وغفر لنا الزلل وسددنا في القول والعمل.

---

١ أي يضرهم.

٢ الكافي ج٥ ص٥٥.

الوسطية

من المباحث الإسلامية التي قام عليها ديننا وتعتبر من أغنى مواضيع الفكر الإسلامي وروح الأخلاق هي الوسطية. وهذه اللفظة وإنْ كانت متداولة على ألسنتنا ولكنّها ليست بمعناها الحقيقي وهي مبدأ سيّال في جميع موضوعات الدين والمجتمع ويقول بها علماء الإسلام والغرب وما قبل الإسلام وبعد الإسلام، وشموليتها هذه نتيجة حقّانيتها والسعي إلى تحصيلها وإنْ كانت قد طرحت جاهزة وبوضوح في الدين الإسلامي.

وهذه المسألة هي من مبحث العدالة بل هي عينها، لذا رأينا أنَّ ذكرها هنا شيئاً مهماً.

الوسط: هو المتخلّل بين الطرفين لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك. والوسط من كل شيء أعدله وأفضله.

لذا كانت الأحكام الشرعية والمجعولات الإلهية للإنسان المختار وفق إرادته تعالى في أمّته المجتمعة على الإيمان بمبدأ ديني واحد ومصالح مشتركة وأماني متحدة فصارت وسطاً بين سائر الأمم لا تعارضها أمة لخلل فيها ولا تسود عليها أخرى لعدم تماميتها.

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]. ومن اللطيف أنَّ هذه الآية الداعية إلى الوسطية لابدّ أنْ يراعى فيها الوسطية أيضاً. وهي توضّح كل [illegible] في الدين الناس من جهة متابعة النبي ﷺ لهذا العمل ومن جهة أخرى بيَّنت هذه الآية حد التبليغ الإسلامي الواقع بين النشر والمتابعة.

---

١ سورة البقرة الآية ١٤٣.

فجَعلُ أمتنا هي الأمة الوسط هو جعل الشرف السامي لها على سائر الأمم وكذا إنَّ من يتصف بالوسطية داخل أمتنا الشريفة يكون أشرف من الآخر.

وأهم قضية في هذا المبدأ(الوسطية)هو شمولها لجميع الموارد في الدين والدنيا والآخرة فهي لم تقيد ولم تحدد بأمر معين لذا تكون عامة شاملة لجميع مجالات الحياة وأحوال الخلق، أي في المجال الثقافي والديني والمجال السياسي والإجتماعي والإقتصادي على القائل بالفصل، أو على المجالات الدينية أجمع بشتّى تفاصيلها على من يقول بالوحدة كما أثبتنا سابقاً.

وشمولية الوسطية لمجالات الحياة كافة يوضّحها القرآن الكريم في عدة مواضع بالإضافة إلى الآية المزبورة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾[3].

---

١ سورة الفرقان الآية ٦٧.

٢ سورة الإسراء الآية ٢٩.

٣ سورة المائدة الآية ٨.

والروايات أيضاً دلت على ذلك كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما كان يحث أحداً من أصحابه في بعض أمره كان يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿بشّروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسّروا﴾[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إنَّ الله يحب أنْ يؤخذ برُخَصه كما يحُب أنْ يؤخذ بعزائمه، إنَّ الله بعثني بالحنيفية السمحاء دين إبراهيم﴾[2].

إلى غير ذلك من النصوص الواردة عن معدن العصمة والطهارة عليهم السلام.

---

١ صحيح مسلم ج٥ ص١٤١ نشر دار الفكر.

٢ كنز العمال ج٣ ص٦٦٩ ط مؤسسة الرسالة.

الوسطية والحاكم

مع أنَّ الوسطية أمراً يصبو إليه كل ذي لبّ وكل ذي إرادة حيث الإلتزام بالخط العام وهي من الأمور الواجب مراعاتها في كلِّ شيءٍ وشخص حتى في الحاكم نفسه. ولكن نحن نؤمن بوجود حاكم راع لتلك الوسطية يتولى مهمّة الإشراف على تطبيقها جيداً بحيث تبقى على مسار واحد مع إختلاف الأحوال. وهذا جيد لمن يريد الوسطية حيث ستكون بإشراف معّين ولكن قد يشكك فيها من جهة أخرى وهي إنَّه من يقول بأنّ الحاكم المشرف هو من الوسط أو مراعٍ للوسطية. فلابدّ من معرفة رعاة الوسطية من هُم وكيف هُم؟

والآية المزبورة وهي آية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[١]، ذكرت أنَّ الشاهد والشهيد والمشرف والراعي للوسطية هو النبي الأكرم ﷺ. لما يمتلكه ﷺ من قدرة وعلم حضوري ونفس عالية وطاعة مطلقة تهيؤه لذلك وفي هذه المورد لا يسعني ذكر كيف يكون للنبيّ ﷺ ذلك. ومن أراد تفاصيل ذلك فليراجع ماطرحناه في مباحث الحكمة في شرح الحقائق الثلاثة المحمدية والعلوية والفاطمية المباركة. وهذا الحق يسري لأهل البيت عليهم السلام على بيان تقدم. ومنه ينتقل إلى نوّاب الأئمة عليهم السلام وحكّام العدل المؤتمرين بأوامر الله تعالى، وأوضح مصاديقه الولي الفقيه. وبهذا يثبت مطلبان مهمان بعد الإيمان بالوسطية:

الأول: إنَّه لابدّ من أنْ يكون للوسطية راعٍ ومشرف.

الثاني: أنْ يكون الراعي للوسطية هو الله تعالى وأهل البيت من النبيّ والمعصومين عليهم السلام ونائب الإمام وقد تقدم منّا من هو نائب الإمام بالفعل.

---

١ سورة البقرة الآية ١٤٣.

أنواع الوسطية ومصاديقها

بما أنّ الوسطية مبدأ سيّال في جميع المجالات فلابدّ أنْ يكون لكل مجال نوع من الوسطية والذي يهمّنا هو الحياة العلمية والعملية الأخلاقية. ويظهر التوازن فيها بإلغاء الإرتباك في الحياة اليومية بالأمور التالية:

١- **التوازن في الإعتقاد**: ونعني به السيطرة التامة على العقيدة علماً واعتقاداً وعملاً، والخلل الذي قد يحدث هو أنْ ينشغل المرء منّا في التنظير العقائدي دون التطبيق، أو أنْ يوجه عقيدته توجيهاً دنيوياً بما يتلائم مع أمور معاشه هذا من جانب، وقد يُتصور الخلل في الإعتقاد بهَجره مطلقاً وتكريس الدراسة على غيره من العلوم، أو بالعكس بأنْ يلتفت إلى باقي العلوم ويهمل الجانب العقائدي.

وأقبح خلل على ما نرى هو التشدّق ببعض المصطلحات العقائدية والفهم الناقص لبعض الإعتقادات ممّا قد يودي بصاحبه إلى الشطح أو الكفر لاسمح الله .

٢- **التوازن في العلاقة**: بمعنى وجود جميع أنحاء العلاقة واستحضارها والتحرك على أساسها وهي على ثلاثة أنحاء: **مع الله تعالى، مع الذات، ومع الناس**. ويكون التوازن بهذه الأمور عن طريق الإعتقاد بوجود الله عزّ وجلّ في جميع هذه التفاصيل:

أ- **العلاقة مع الله عزّ وجلّ**: ويكون الخلل في هذا الجانب بترك العمل والدرس والعلاقات الإجتماعية والإختباء في مكان وإلصاق حجر الجوع على البطن والتفرغ للسجود و التسبيح. والحقّ أنْ يكون الإعتقاد بوجود الله معك أينما كنت.

ب- **العلاقة مع النفس**: وهي بأنْ أجعل مخافة الله في النفس دائماً وأينما أكون.

ج- **العلاقة مع المجتمع**: وهي بأنْ يكون التعامل مع المجتمع وفقاً للدستور الإسلامي وقد وضّح الإمام السجاد عليه السلام ذلك في رسالة الحقوق.

٣- التوازن مع الذات: وحدّه على الأبعاد التالية:

أ- الإلتفات إلى الذات: والمقصود به أنْ تراجع نفسك دائماً إلى أين وصلت؟ هل تقربت من الله عزّ وجلّ أو لا؟ وهل حققتَ الغرض المطلوب منك في أصل الخلقة؟

ب- معرفة صلة تلك الذات ببارئها.

ج- معرفة صفات تلك الذات.

د- مقايسة صفاتها بالنسبة للإسلام الحقيقي.

٤- التوازن في طلب العلم: بالنسبة لعامة الناس معرفة جميع تفاصيل الدين الإسلامي بما فيه الأمور الدنيوية لتجنب الوقوع في أخطاء تذهب بصاحبها إلى النار.

وبالنسبة لطالب العلم أنْ يتدرّج في طلب العلم ولا يعزف عن باقي الأمور كالعبادات والزيارات والمستحبات.

٥- التوازن في العبادة: العبادة لها معنيان: **أعمٌّ، وأخصّ**.

العبادة بالمعنى الأعمّ: هي كل أمر مقرّب إلى الله وهي أعمّ من أنْ تكون واجب أو حرام أو مستحب.

العبادة بالمعنى الأخصّ: وهي أداء التكاليف الإلهية من صلاة وصوم وأداء الخمس إلى غير ذلك من الأمور المقربة.

وتتحقق العبادة بتحقيق أمرين:

أ- الربط بين الله والعبد.

ب- أثر العبادة في الخارج.

والمقصود بتحقيق أثر العبادة هو أنْ تترك العبادة أثراً ملموساً على فاعلها، بحيث تنهى الصلاةُ المصلي عن الفواحش، وأنْ ينتهي الصائم عن إستغابة الناس – مثلاً – وزيارة مراقد المعصومين وتلقّي العلوم من أهل السلوك وغيرها من العبادات يجب أنْ تترك أثرها على العابد بأنْ لا يصيبه الغرور والتكبر ويصف نفسه بأنّه من المقرَّبين، بل أنْ يتّهمَ نفسه دائماً بالذنب والعصيان، وأنْ يعتقد بأنَّ لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

٦- التوازن في الخوف: وهو أنْ يكون الخوف من الله عزّ وجلّ فقط لا غيره.

وأن يراعي ذلك في كل مكان وزمان بتطبيق الأحكام الشرعية كما أمر بها وأداء الحقوق إلى مستحقيها ووضعها في محلّها.

٧- التوازن في الحبّ: وفيه قد يكون الإنسان معرّضاً للخطأ في التوجه إلى المحبوب الحقيقي، وإنَّ الحبّ موجود في قلب كل إنسان بالفطرة سواء كان مؤمناً أو لا، لكن يجب أنْ يكون الحبّ خالصاً لله وأنْ يكون القلب كذلك، لأنَّ القلب حرم الله ولا ينبغي إدخال غير الله فيه، ويجب أنْ يكون مصبوغاً بالصبغة الإلهية، ممنوعٌ دخول الأغيار فيه.

وعليه يجب أنْ يكون التقديس والحب الحقيقي والحركة الحبّية – التي يسير بها الإنسان قهراً في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾[1] – لله تعالى فقط.

---

١ سورة الإنشقاق الآية ٦.

٨- **التوازن في العمل الإجتماعي**: ونعني بالعمل الإجتماعي، هو حركة المبلِّغ الهادي بين الناس لتثبيت الدين ونشره، فالخلل الذي يمكن أنْ يحدث هو أنْ يتفرغ المتصدي للعمل الإجتماعي ويهمل تحصيله العلمي المتجدد من دون أنْ يلتفت إلى أهمية مواكبة العلم مطلقاً، أو أنْ ينزوي الطالب - أو من أُكِلَ إليه مهمّة الهداية - في صومعة عبادته أو مسند درسه من دون أنْ يلتفت إلى وظيفته الإلهية التي قلَّدها نفسَه.

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ويجب أنْ يكون للمتصدي للعمل الإجتماعي إذن شرعي بالعمل، وأنْ يكون عالماً بالأمور الشرعية وكيفية العمل حتى لا يكون عرضة للوقوع في المطبّات الشرعية في العمل، والأهم من ذلك أنْ يكون المبلِّغ قد أصلح نفسه أولاً قبل السعي لإصلاح الآخرين. كذلك يجب أنْ لا يؤثر العمل الإجتماعي على عمله أو إهتمامه بالعائلة أو التحصيل العلمي.

ولنا أنْ نقول أنَّ التوازن الحقيقي يتحقق عندما يشعر المتصدي بأنَّه هو المحتاج إلى من سيخدمهم لأنَّهم باتباعهم له وسماعهم منه يسقطون عنه التكليف.

يقول الإمام الخميني رحمه الله: ﴿ على أعضاء البرلمان أنْ يقبّلوا أيدي الفقراء لأنَّهم قد أوصلوهم إلى هذا المكان﴾.

---

١ سورة التوبة الآية ١٢.

٩- التوازن في التسلط : ونعني به أنَّ الأفراد الذين تكون لهم السلطة - إبتداءً من ربّ الأسرة إلى رئيس الحكومة - أنْ يراعوا من تحتهم على نحوين:

أ- أنْ لا يترك الحبل على الغارب فتصبح الأمور الواقعة تحت مسؤوليته فوضوية.

ب- أنْ لا يتسلط عليهم فيصبح جبّاراً مبغوضاً من قبلهم.

١٠- التوازن في السؤال: هو أنْ يسأل المرء فقط عن الشيء الذي يجهله، وأنْ يكتفي بإجابة المسؤول. لا أنْ يطيل ويُشقّق على الإجابة لغرض إبراز نفسه أمام أستاذه أو الحاضرين، نعم مقتضى الأدب أنْ يترك الطالبُ السؤالَ إلى حين إنهاء الأستاذ حديثه ثمّ يَسأل في حدود الموضوع الذي يَجهله.

١١- التوازن في الأكل والشرب: هناك نظام يجب أنْ يُتَّبَعْ في مسألة التغذية، حيث يوجد مايسمى بالنظام الغذائي الذي يُحَدَّد من قبل علماء الكيمياء الحياتية، يُحَدِّد هذا النظام حاجة الفرد إلى كل من العناصر الغذائية الرئيسية(الدهون، الكاربوهيدرات، الأحماض الأمينية، البروتينات)مع مراعاة الإختلاف من فرد إلى آخر بحسب طبيعة الإنسان و بيئته وطبيعة عمله.

١٢- التوازن في المنكح: قبل الشروع بهذا الموضوع علينا أنْ نحدد العمر الفسلجي للزواج، فكل شخص قد تجاوز هذه المرحلة بدون زواج لديه خلل في هذ الجانب.

والعمر الفسلجي للزواج في نظرة العلم من سن الثامنة عشر ومن الناحية الشرعية الخامسة عشر أو من بلغ الحد الشرعي.

ويكون التوازن في المنكح بحسب حاجة الزوجين بأنْ لا يكون حاله كحال البهائم - عملها الأكل و المنكح - ولا التقصير في إشباع رغبته ورغبة الطرف المقابل، فيحصل خلل في هذا الجانب.

١٣- التوازن في الملبس: بمعنى أنْ يكون الملبس معتدلاً مقبولاً عند أهل العقل ليس فيه تشبّهاً بالكفار أو تشبّهاً بالجنس المغاير، وأنْ لا يكون من لباس الشهرة، غير مائل إلى طرف الإفراط بالبهرجة والزخرفة والمبالغة، ولا إلى طرف التفريط حيث يكون لباس تقشف فيكون موضع لكلام وغيبة الآخرين.

وأنْ يكون الملبس متلائماً مع كل مكان يكون فيه الشخص وحاله أو طبيعة عمله، فلباس العمل غير لباس المنزل .

كذلك الكلام في مسألة التطيّب، فينبغي أنْ يكون العطر إعتيادياً ملائماً، والتعطر أمر مستحسن بشرط أنْ لا يُفهم ما ورد في بعض النصوص فهماً خاطئاً مثل ما ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ لا إسراف في الطيب ﴾[1].

١٤- التوازن في الطاعة: وفيه عدة أمور منها:

أ- معرفة المطاع بأنْ يعرفه بمقدار يلائمه وفعل الطاعة كما هي.

ب- معرفة دائرة الطاعة والعبادة.

ج- أنْ تحدد نوع الولاء بينك وبين المطاع، بمعنى هل هو ولاء الرِّق كما بين العبد وسيده؟ أو ولاء إداري كما في الموظف والمدير؟ أو شعبي كما بين رئيس الجمهورية وأفراد الشعب؟ أو إلهي كما بينك وبين الله تعالى ورسوله والمعصومين عليهم السلام والولي الفقيه.

د- التأكد من الصلة بين المطيع والمطاع إثباتاً وثبوتاً والعمل على دوامها.

هـ- أنْ يكون دوام تلك الصلة متجدداً يتّسِم بالمراجعة والمتابعة.

---

١ وسائل الشيعة(الإسلامية)ج٢ ص١٤٢ ب٨٩ من أبواب آداب الحمام.

مسك الختام لهذا المقام

من أحبَّ المال حبّاً مفرطاً لم يؤهل لهذه المرتبة – العدالة – فإنَّ حِرصه على جمع المال يُصدِرُهُ[١] من استعمال الرأفة وامتطاء الحقّ وبذل مايجب ويضطره إلى الخيانة والكذب والإختلاف والزور ومنع الواجب والإستقصاء واستجلاب الدانق والحبة والذرّة ببيع الدين والمروءة، وربما أنفق أموالاً جمّة محبّة منه للمحمدة وحسن الثناء ولا يريد بذلك وجه الله وما عنده بل يتخذها مصيدة ويجعل ذلك مكسبه ولا يعلم أنَّ ذلك عليه سيئة ومسبّة[٢].

هذا تمام الكلام في العدالة وقد ترى أنَّنا لم نُطل الحديث فيها وليس ذلك إلا لأنَّ كل ما تقدم من الأخلاق يُعَدّ من العدالة. وهذا يعطي طالب الطريق عزيمة إلى الإهتمام بالعدالة أكثر، لأنَّ العدالة رأس كل الصفات من جهة على اعتبار تفرعها منها، ومن جهة أخرى تكون نتيجة لكل الصفات على إعتبار من تحلى بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة حصل على ملكة العدالة ولم يكن جائزاً على أي مستوى.

نسأله تعالى أنْ يجعلنا من العاملين بما تعلمنا إنَّه أرحم الراحمين.

أيها العزيز: قد أكملنا البحوث الأخلاقية ولكنّنا نحتاج إلى قضية مهمة بين الفَينة والأخرى كلّما طَوَينا مرحلة لكي نلاحظ مستوى التقدم أو التراجع، وعلى أي تقدير هذه القضية هي المطلب الذي يُرجع إليه دائماً، وقد رأينا ذِكره في آخر مباحثنا مناسباً، ولكنّه مرجعٌ مستمرٌّ في جميع الأحوال ألا وهو العودة إلى الله.

---

١ أي يمنعه.

٢ تهذيب الأخلاق لإبن مسكويه ص ١٠٥-١٠٦.

العودة إلى الله تعالى

للعبد رحلتان إلى الله تعالى، الأولى رحلة الإقبال، والأخرى رحلة العودة، ولكلٍّ منهما آدابها. فلو فُقِدَ الأدب في أيٍّ منهما سوف لن يصل بل لن يرحل بأي من الرحلتين. وغرضنا الآن هو ذِكر آداب العودة لأنَّنا لم نسلم من الزلل على أي حال - إذ العصمة لأهلها - لذا نريد أنْ نسلِّط الأضواء على العودة، وتظهر آداب الإقبال في فقرتين:

١- زيارة أمين الله ﴿ اللَّهُمَّ إنَّ قُلُوبَ الْمُخْبِتِينَ إلَيْكَ وَالِهَةٌ ... ﴾.

٢-﴿ أتيتك طامعاً في إحسانك ﴾ وهي فقرة من المناجاة الخامسة من المناجاة الخمسة عشر للإمام زين العابدين عليه السلام.

وهاتان الفقرتان تبيِّنان أصل الرحلة الأولى - وهي الإقبال - ولا نطيل الكلام فيها لأنَّ هذه الرحلة قد بدأت منذ عالم الذرّ حتّى بلوغ سنّ التكليف والإبتلاء، وهذه مرحلة قد تحققت فعلاً، والذي نريد أنْ نركز عليه الكلام هو الرحلة الثانية - وهي العودة - وهي تحتاج إلى حالات ومقومات توضح حال العبد الآبق العائد إلى مولاه.

وعناصر أدب العودة إلى الله تعالى تبلغ الخمسة عشر عنصراً، كلّها متناولة في الأدعية المأثورة وهي:

١- **الإعتراف والإقرار**: وهو بداية البداية والخطوة الأولى، أو هو تهيئة القدم للعودة ووضعها في الخطوة الأولى وبدونها لاتتحقق العودة، وقد رسم لنا العبد الصالح ذو النون عليه السلام وعلى نبيِّنا وآله ذلك بقوله: ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] وهذه النقطة مهمة لأنَّ رأس مال الإنسان بين يديّ الله تعالى شيئان هما العمل الصالح والإعتراف بالسيئات، والأول واقع والثاني يُفعَل.

---

١ سورة الأنبياء الآية ٨٧.

ولابدّ أنْ يكون الإعتراف مقترناً بذلّ الإنكسار بين يديّ الحقّ تعالى وإستشعار الرغبة في العودة إلى الحضرة التي طُرد منها، فاليد الخالية من العمل الصالح لابدّ لها أنْ تُقدِّم الإعتراف والتذلُّل أمام ساحة قدس الحق ﴿إلهي إنْ كان قد دنا أجلي ولم يُدنني منك عملي فقد جعلتُ الإعتراف إليك بذنبي وسائل عللي﴾[1].

وأفضل فقرة يقرؤها للإعتراف هي ﴿وأنا المذنب الذي سترْتَه والخاطئ الذي أقلته ... ومن عقوبات المعاصي جنبتني حتى كأنَّك إستحييتني﴾[2]، وفقرة ﴿اللهم عظم بلائي وأفرط بي سوء حالي ... ومطالي ياسيدي﴾[3]، وفقرة ﴿إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلَّتي﴾[4].

٢- الإعتذار: وهو ما يقابل التبرير، والمهم أنْ يكون الإعتذار مقروناً بعدم المعاندة والمكابرة واللجاج وقد يتمّ الإعتذار بواسطة الإعتراف ﴿إلهي منِّي ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك﴾.

وما رَأَيْنا ولا سمعنا أنَّ الحق تعالى قد أرجع معتذراً عن بابه، وهنالك نوع من الإعتذار يسمى الإعتذار بكرم وجه الله، وهو اعتذار جميل يناسب وجه الله تعالى فيعتذر العبد إلى الله بأنَّه لم يعصه متمرداً عليه أو مستخفّاً بأمره بل لأنَّه واثق برحمته وفضله وستره. وهذا يظهر في فقرة: ﴿وما أنا يا ربِّ وما خطري .... ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته لا لأنَّك أهون الناظرين وأخفّ المطّلعين عليّ بل لأنَّك ياربِّ خير الساترين

---

١ دعاء أبي حمزة الثمالي للإمام زين العابدين عليه السلام.

٢ المصدر السابق.

٣ دعاء كميل.

٤ مناجاة التائبين للإمام زين العابدين عليه السلام.

وأحكم الحاكمين .... ويحملني ويجرؤني على معصيتك حلمك عنّي ويدعوني إلى قلة الحياء وسترك عليّ ويسرعني التوثب على محارمك معرفتي بسعة رحمتك وعظيم عفوك ﴾.

وفي هذه الفقرة من الدعاء أمور:

أ- تواضع وتصاغر بين يديّ الله تعالى ﴿ ما أنا يا رب وما خطري ﴾.

ب- إسترحام وإستغفار.

ج- إعتراف ﴿ فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته .... ﴾.

د- نفي شبهة الشرك.

هـ- الإعتذار بالعذر الجميل.

وغير ذلك من الأدعية.

٣- الإستحياء: بأنْ يعود العبد من رحلة الهوى والعصيان خجِلاً من الله تعالى فهو لا يجد عذراً يُقوِّمُه غير الإعتراف وهو لم يجد باباً يطرقه بعدما تجهّمه وأقصاه أهل الأرض جميعاً فلم يجد إلا باب الله تعالى ﴿فوا أسفاه من خجلتي وافتضاحي و والهفاه من سوء عملي واجتراحي .... ﴾.

٤- قبول العتبى: عندما يُغضِب العبد مولاه ويخشى أنْ ينفجر سخط مولاه فلابدّ أنْ يسعى إلى أنْ يخفِّفَ مِن حدَّة غضبه بالعتاب، فيعطي من نفسه لعتاب مولاه بأنْ يقول: يا ربِّ لك الحق في أنْ تعاتبني ﴿لك العتبى حتى ترضى﴾.

٥- حسن الظن: وهو عامل مهم جداً إذ بدونه لا يمكن العودة لأنَّه إلى من سيعود إذا لم يظنّ به خيراً. ﴿إلهي من ذا الذي نزل بك ملتمساً قِرآك قريته ومن ذا الذي أناخ ببابك مرتجياً نداك فما أوليته ... أيحسن أنْ أرجوك ...﴾، وفقرة أخرى: ﴿إلهي إنْ كان قلَّ زادي في المسير إليك فلقد حسُن ظني بالتوكل عليك ...﴾، وفقرة أخرى: ﴿يارب هذا مقام من لاذ بك وإستجار بكرمك وأَلِفَ إحسانك ونعمك .... أفتُراك ياربِّ تخلف ظنوننا أو تخيب أملنا؟ كلا يا كريم فليس هذا ظنّنا بك ولا هذا فيك طمعنا ياربِّ إنَّ لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً إنَّ لنا فيك رجاءاً عظيماً ...﴾.

٦- الذل والإنكسار: وهذا من أسرار العودة إلى الله تعالى لأنَّه إلغاء الذات أمام ساحة الحق وبه سيتحقق الحضور والقرب بل أنَّ هذا العامل هو المسرّع للعودة والكون في الحضرة. وهذا أحد الطرق للوصول إليه تعالى من خلال النفس وهو أيضاً أحد أسباب إستجابة الدعاء، ﴿وارحم ذلّي وفاقتي وفقري وانفرادي ووحدتي وخضوعي بين يديك واعتمادي عليك وتضرعي إليك أدعوك دعاء الخاضع الذليل ... دعاء من أسْلَمَتْهُ ثقته ورَفَضَتْهُ أَحِبتُه وعَظُمَتْ فَجيعته .... مستجير ...﴾.

٧- الطمع في رحمة الله تعالى: وهذا مهم أيضاً لأنَّ ليس في يد العبد شيء يقدّمه فلابدّ أنْ يكون مُفعماً بالطمع لرحمته تعالى التي وسعت كل شيء، ولابدّ للعبد أنْ يعترف بأنَّه ليس أهلاً للرحمة لأنَّه أخرج نفسه منها ولكن الله تعالى أهل لذلك: ﴿اللهم إنَّ عفوك عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي .... أطمعني في أنْ أسألك ما لا أستوجبه منك﴾.

٨- **الخوف من الله تعالى:** الخوف يكون مما جناه الإنسان على نفسه في مراحل الطريق، وإنْ لم يَخَف العبد من ربّه على نفسه فلن يعود إلى الله تعالى، إذ العودة ليست رغبة وأمنية في نفس العبد، وإنَّما حقيقة قائمة في داخل نفسه ومن عناصر هذه الحقيقة هو الخوف ﴿أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه ربِّ أناجيك بقلب قد أوبقه جرمه. أدعوك يا ربّ راهباً راغباً راجياً طائعاً إذا رأيتُ مولاي ذنوبي فزعتُ وإذا رأيتُ كرمك طمعتُ فإنْ عفوتَ فخيرُ راحمٍ وإنْ عذَّبتَ فغير ظالمٍ﴾.

٩- **العزم على العودة:** إنَّ مسألة العزم والإصرار عامل مهم في العودة لأنَّها رحلة شاقّة ومن طريق ذات الشوكة يتجاوز فيها الإنسان نفسه أولاً وهو أشقّ مافي هذه المرحلة ويثبُت فيها ثانياً بفضل الله تعالى ورحمته من دون استحقاق فبدون العزم والثبات سوف لن يحصل على ما يريد، فلابدّ من توطين النفس وإعدادها للعزم على العودة.

﴿فوَعِزَّتِك يا سيدي لو نهرتني مابرحت من بابك ولا كففت عن تملُّقك لِما انتهى إليَّ من المعرفة بجودك وكرمك وأنت الفاعل لما تشاء تعذبُ من تشاء وبما تشاء وكيف تشاء وترحمُ من تشاء بما تشاء كيف تشاء﴾، ﴿إلهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سبيلك من بين الأشهاد ودللت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحُلْتَ بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك وما صرفت تأميلي للعفو عنك ولا خرج حبك من قلبي﴾.

١٠- **الحزن والبكاء:** لابدّ للعبد العائد أنْ يكون كثير الحزن والبكاء لما فرّط في جنب الله تعالى وكثير ما فاته، لأنَّه اختار لذّة النفس على لذّة المحبوب الحقيقي، ومثل هذا لابدّ أنْ تبيضَّ عيناه من الحزن والبكاء.

﴿وأَعنّي بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري وقد نزلتُ منزلة الآيسين من خيري فمَن يكون أسوء حالاً منّي؟ إنْ أنا نُقلتُ على مثل حالي إلى قبر لم

أمّهده لرقدتي أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي ومالي لا أبكي ولا أدري إلى ما يكون مصيري وأرى نفسي تخادعني وأيامي تُحايلني وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت فمالي لا أبكي؟ أبكي لخروج نفسي .... ﴾.

وأنت خبير أنَّ مواصلة الذنب والمعصية تقسّي القلب فإذا قسى وتحجَّر القلب إمتنع عن أنْ تصيبه رحمة الله تعالى. البكاء مصاحب للعبد ما دام طالباً للطريق.

١١- الإسترحام: وهذا غير ما تقدم من الطمع في الرحمة لأنَّ ما نقصده هنا هو طلب الرحمة بالإضافة إلى الطمع فيها والحق تعالى لا يمنع أحداً من رحمته مادام يطلبها لأنّ فيضه فيها متصل فلابدّ للعبد أنْ يعرف محالَّ نزول رحمة الله تعالى لكي يطلبها ويتقصاها فينهل منها، وأهمّ محال نزول رحمة الله تعالى هي الحقائق المقدَّسة الأربعة عشر عليهم السلام، فلابدّ من التقرب بهم على طول الخط ولكن لابدّ للعبد أنْ يعيَ فقره إلى الله تعالى وبؤسه وشقاءه وعجزه ووحشته، وهذا يتناسب طردياً مع استنزال رحمة الله تعالى لأنَّه بقدر مايشعر بالعجز والضعف تشمله الرحمة أكثر ﴿إرحم في هذه الدنيا غربتي وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي .... ﴾.

١٢- الفرار إلى الله تعالى والإستعاذة به تعالى: وهذه النقطة هي عماد رحلة العودة، ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[1] على أنَّ يصاحب هذا الفرار حالة من الرعب والخوف واللجوء إلى الحق تعالى، وما الرعب والخوف إلا من ركام الذنوب وإرهاصات المعاصي، اللهم إليك فررنا من ذنوبنا فآونا تائبين وتب علينا مستغفرين.

---

١ سورة الذاريات الآية ٥٠.

١٣- الإستغفار: وهنا أُولى نهايات البداية حيث أنَّ جبل الذنوب وأكوار المعاصي والمخالفات قد حالت بينك وبين مواصلة المسير، فلابدّ من طلب المغفرة لتخفيفها لكي تستشعر أُولى درجات العصمة التي تهيئك لدخول الحضرة، ﴿اللهم إغفر لي الذنوب التي تهتك العصم اللهم إغفر لي الذنوب التي تنزل النقم اللهم إغفر لي الذنوب التي تُغيّر النعم اللهم إغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء الله إغفر لي الذنوب التي تُنزِل البلاء اللهم إغفر لي كل ذنب أذنبته وكل خطيئة أخطأتها﴾.

١٤- الإضطرار إلى الله: بأنْ يدرك العبد أنَّه لا مجال له إلا الله تعالى لكي يتلقاه ويغفر له ﴿فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافراً ولا أرى لكسري غيرك جابراً وقد خضعت بالإنابة إليك ...﴾.

١٥- الندم: وها هنا نهاية البداية لكي يُفتح لك باب الحضرة فلابدّ أنْ تظهر الندم لأنَّه لايمكن تصديق نية العودة والوقوف على الباب إلا إذا استشعرت الندم ﴿إلـهي هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الآبقُ اِلاّ إلى مَوْلاهُ أمْ هَلْ يُجيرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أحَدٌ سِواهُ إلـهي إنْ كانَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ تَوْبَةً فَإنّي وَعِزَّتِكَ مِنَ النّادِمينَ وَإنْ كانَ الإسْتِغْفارُ مِنَ الْخَطيـئَةِ حِطَّةً فَإنّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرينَ﴾.

آخر حرف

أيها العزيز الصبور، يا من تحمَّلْت كل هذه المدة في متابعة هذا الدرس أعتذر لك كثيراً إذا فاجأتك بأنَّ هذا ليس كل شيء وأنَّ الطلب لم يكتمل، نعم وأنّى لناقص أنْ يدَّعي كمال فعلٍ له صادر من ذاته الناقصة، وهل يُخرج مثلي إلا مثله؟!.

فهناك الكثير من الأخلاق الحسنة لابدّ من مراجعتها لتطبيقها، وأخرى ذميمة لابدّ من التخلص منها. ولعلَّ عدم تطرقي لها هو أنّي أحارب نفسي لحد الآن كي أُطبّع الحميدة فأرفع الخبيث، ولكنّي على علمٍ بأنَّك أفضل منّي، فإذا حصلت على كل ما درسنا وتعلمنا، حصلت على أمّهات المطالب وأصل الطريق وأغلب الفروع حتى الدقائق.

ومن خلالها تعرف كل شيء إنْ شاء الله تعالى. فكَمِّلْ ما نقص في هذا البحث من علماء الأخلاق الفعليين ولا كلامَ بعد كلامهم، فراجع جامع السعادات للمولى النراقي، وما لم نذكره من كتاب(الأربعون حديثاً)لشيخ بني الإنسان في عصر غيبة صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف الإمام روح الله الموسوي الخميني أفاض الله على تربته شآبيب الرحمة والرضوان، فهو الذي نوَّرَ الطريق أمام هذه الخلائق، وليس طريق الأخلاق فحسب بل كل شيء، وأنا ومن له صلة بي مدينون لهذا السيد الكريم بكلِّ ما جاد به علينا من علم وفيض وإشراق ورعاية في حياته وبعد وفاته، إذ أنَّه ووري التراب إلا أنَّ عرشه لا يزال منصوباً في عقولنا وقلوبنا فنفسي كمسجد جمران يتوسطها كرسي الإمام وذكراه العطرة بعبق السياسة والعرفان.

عزيزي: هذا آخر ما تسنّى لي طرحه في التخلية والتحلية وأمّا التجلية فاطلبها من أهلها، أو انتظرني وليكن انتظارك مع الدعاء لأنْ أُوَفَقَ لخدمة الحقِّ وأهله بحسن العاقبة ودوام التوفيق والعافية.

عزيزي: إنْ كان هناك فسحة من الدهر تلاقينا وإلا فترحَّمْ علينا.

والحمد الله أولاً وآخراً وصلّى الله على محمد وآل محمد الطيبين الطاهرين

مستجيراً بحرم الولي المطلق علي بن أبي طالب عليه السلام

الراجي فتح الله

ابو الحسن الموسوي الكاظمي

المصادر والمراجع

١- القرآن المجيد: كلام الله عزّ وجلّ.

٢- نهج البلاغة: كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣- الصحيفة السجادية: أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام.

٤- أخلاق فاضل (فارسي): آية الله العظمى الشيخ فاضل اللنكراني.
مركز فقهى ائمة اطهار.

٥- الأربعون حديثاً: الإمام الخميني رحمه الله.
مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

٦- أسرار الملكوت: السيد محمد حسين الطهراني.
نشر دار المحجة البيضاء.

٧- الإختصاص: أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد.
ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدّسة.

٨- الإستعاذة: الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب.
الدار الإسلامية، بيروت، لبنان.

٩- الإمام، الأخلاق والسياسة: السيد حسن إسلامي.
مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

١٠- الآداب المعنوية للصلاة: الإمام الخميني رحمه الله.
مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

١١- آزادي وقدرت وقانون: فرانتس نيومان، ترجمة عزت الله فولادوند.
إصدارات خوارزمي، طهران.

١٢- الآمالي: أبو جعفر بن محمد إبن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي.
قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قمّ المقدّسة.

١٣- الآمالي: أبو جعفر محمد إبن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق.
مؤسسة البعثة.

١٤- آينده خلاقيت وخلاقيت آينده: جورج لندوبت جارمن، ترجمة حسن قاسم زاده.
إصدارات ناهيد طهران.

١٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي.
مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

١٦- بحث حول الصبر: السيد علي الخامنئي.
مركز بقية الله الأعظم.

١٧- البيان في عقائد أهل الإيمان: شيخ الشريعة الإصفهاني.

١٨- تحف العقول: أبو محمد الحسن بن علي إبن الحسين إبن شعبة الحراني.
ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدَّسة.

١٩- تذكرة الأولياء: فريد الدين عطار النيشابوري.
چاب تهران.

٢٠- التسامح والمسؤولية الفكرية: كارل بوبر، ترجمة إبراهيم العريس.
دار الساقي، بيروت.

٢١- تعبيرات عرفاني: السيد جعفر سجادي.
اِنتشارات دانشگاه، تهران.

٢٢- التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني.
مؤسسة التاريخ العربي.

٢٣- تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأُنس: الإمام الخميني رحمه الله.
مؤسسة باس دار اِسلام.

٢٤- مفاتيح الغيب: الملا صدرا.
مؤسسة التاريخ العربي.

٢٥- تفسير إبن عربي: محي الدين إبن عربي.
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦- تفسير الآلوسي: الآلوسي.

٢٧- تفسير القرطبي: أبو عبد الله أحمد بن محمد الأنصاري القرطبي.
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٨- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.
ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدّسة.

٢٩- تنبيه الخواطر: إبن ورام.
دار التعارف.

٣٠- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: إبن مسكويه.
نشر طليعة النور.

٣١- التوحيد: إملاء الإمام الصادق عليه السلام على تلميذه المفضل بن عمر الجعفي.
مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٣٢- توضيح المقال: الملا علي كني.

٣٣- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: الشيخ الصدوق.
منشورات الرضا، قمّ، مطبعة أمير قمّ.

٣٤- جامع أحاديث الشيعة: السيد حسين الطباطبائي البروجردي.
المطبعة العلمية، قمّ المقدسة.

٣٥- جامع السعادات: الشيخ محمد مهدي النراقي.
طبعة جامعة النجف الدينية.

٣٦- جنود العقل والجهل: الإمام الخميني رحمه الله.
مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

٣٧- الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي.
مكتبة المهند، قمّ، إيران.

٣٨- حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي.
مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

٣٩- خاطرات با دو صدا: حوار آلي ويزل مع فرانسوا ميتران. ترجمة عباس آگاهی.
مكتب إصدارات الثقافة الإسلامية، طهران.

٤٠- الخصال: الشيخ الصدوق.
ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدَّسة.

٤١- الخصائص الفاطمية: الشيخ محمد باقر الكجوري.
إنتشارات الشريف الرضيّ.

٤٢- درسهای کوچک در باب مقولاتی بزرگ: لشك كولاكوفسكي، ترجمة روشن وزيري.
طبع طهران، طرح نو.

٤٣- دوبيتيهای بابا طاهر: بابا طاهر عريان الهمداني.

٤٤- ديوان حافظ: الخواجه حافظ الشيرازي.
إنتشارات ائمة عليهم السلام.

٤٥- ديوان سعدي: سعدي الشيرازي.
جاويدان.

٤٦- ديوان سنائي: سنائي غزنوي.
نشر طلوع.

٤٧- ديوان فرّوغي: فرّوغي بسطامي.
جاويدان.

٤٨- الرسالة القشيرية: أبو القاسم القشيري.
إنتشارات علمی وفرهنگی، طهران.

٤٩- رسالة في السير والسلوك: السيد بحر العلوم الكبير.
نشر دورة وعلوم معارف الإسلام.

٥٠- رسالة نور على نور في الذكر والذاكر والمذكور: الشيخ حسن زاده آملي.

دار الهادي، بيروت، لبنان.

٥١- رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا: إخوان الصفا.

الدار الإسلامية، بيروت، لبنان.

٥٢- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين: السيد علي خان المدني الشيرازي.

مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقمّ المشرفة.

٥٣- زبدة البيان: المحقق المولى أحمد المقدس الأردبيلي.

المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٥٤- زمزم عرفان(زندگی نامه شيخ بهجت): الشيخ محمد الريشهري.

مؤسسة دار الحديث.

٥٥- سرچشمه اَنديشه: الشيخ جوادي آملي.

نشر إسراء.

٥٦- سنن إبن ماجة: محمد إبن يزيد القزويني.

دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥٧- السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥٨- شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني.

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٥٩- شرح الأسماء الحسنى: الملا هادي السبزواري.

٦٠- شرح فصوص الحكم: محمد داود قيصري رومي، تحقيق سيد جلال الدين أشتباني.

شركت إنتشارات علمى وفرهنگى، طهران.

٦١- شرح منازل السائرين: الشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاساني.

دار المؤرخ العربي.

٦٢- الجامع الصحيح: أبو الحسين محمد إبن الحجاج إبن مسلم القشيري النيسابوري.

دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦٣- صحيفة الإمام: الإمام الخميني رحمه الله.

مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

٦٤- صد حكايت ذن: إعداد وترجمة دل آرا قهرمان.

اِصدارات ميترا، طهران.

٦٥- الصلاة في الكتاب والسنة: الشيخ محمد الريشهري.

مؤسسة دار الحديث.

٦٦- علم اليقين: الملا محسن الفيض الكاشاني.

٦٧- العلم والحكمة في الكتاب والسنة: الشيخ محمد الريشهري.

مؤسسة دار الحديث.

٦٨- عوارف المعارف: شهاب الدين السهروردي.

المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٦٩- عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق.

مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٧٠- غرر الحكم: قصار الكلمات لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

طبع النجف الأشرف.

٧١- الفتوحات المكية: محي الدين إبن عربي.

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٧٢- الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمداني.

المكتبة العلمية، بيروت.

٧٣- فرهنگ اِصطلاحات عرفاني اِبن عربي: دكتر گل بابا سعيدي.

إنتشارات شفيعي.

٧٤- فرهنگ إصطلاحات فلسفي ملا صدرا: السيد جعفر سجادي.

إنتشارات دانشگاه، تهران.

٧٥-فرهنگ معارف إسلامي: السيد جعفر سجادي.

إنتشارات دانشگاه، تهران.

٧٦- الفضائل والرذائل: الشيح حسين مظاهري.

شبكة أهل البيت للأخلاق الإسلامية.

٧٧- فلسفتنا: السيد محمد باقر الصدر.

دار الكتاب الأسدي.

٧٨- قراءت ودرك مفاهيم متون عرفاني: محمد علي شريفيان ومحمد رضا محمد زاده رهني.

دانشگاه آزاد إسلامى واحد شيروان.

٧٩- قوت القلوب: أبو طالب المكي.

طبع القاهرة.

٨٠- الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني.

دار الكتب الإسلامية، طهران.

٨١- البيع: الإمام الخميني رحمه الله.

ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدّسة.

٨٢- كسر أصنام الجاهلية: صدر الدين الشيرازي المعروف بـ(الملا صدرا).

مؤسسة التاريخ العربي.

٨٣-كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم: محمد علي التهاوني.

إنتشارات دانشگاه، تهران.

٨٤- كشف الغمّة في معرفة الأئمة: أبو الحسن الأربلي.

مجمع أهل البيت.

٨٥- گفتارها(الأقوال): نيقولا ميكافيلي، ترجمة محمد حسن لطفي.

مطبعة خوارزمي، طهران.

٨٦- گلشن راز: الشيخ محمود شبستري.

اِنتشارات إحياء كتاب.

٨٧- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: العلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي.

مؤسسة الرسالة.

٨٨- كيمياء السعادة: الغزالي.

شركت اِنتشارات علمى وفرهنگى، طهران.

٨٩- اللمع في التصوف: أبو نصر السراج الطوسي.

نيكلسون لندن.

٩٠- المبدأ والمعاد: محمد إبراهيم الشيرازي المعروف بالملا صدرا.

دفتر تبليغات اِسلامى.

٩١- مثنوي معنوي: مولانا جلال الدين الرومي المعروف بـ(مولوي).

نيكلسون لندن.

٩٢- المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة: السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي.

مطبعة العرفان، صيدا.

٩٣- مجمع السلوك في التصوف: الشيخ سعد الدين الخيرآبادي.

٩٤- المحاسن: الشيخ إبي جعفر أحمد إبن محمد إبن خالد البرقي.

دار الكتب الإسلامية، طهران.

٩٥- مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي.

مؤسسة النشر الإسلامي و ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدّسة.

٩٦- مسند الشهاب: محمد بن سلامه القضاعي.

مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٧- المصباح: تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي.
مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
٩٨- مصباح الشريعة: منسوب للإمام الصادق عليه السلام.
مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.
٩٩- مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي.
١٠٠- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس قمّي.
١٠١- المفاهيم الأخلاقية الدينية في القرآن المجيد: توشيهيكو ايزوتسو، ترجمة فريدن بدره اى.
مطبعة خرزان، طهران.
١٠٢- مفتاح الفلاح: الشيخ البهائي.
١٠٣- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق.
ط. جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قمّ المقدّسة.
١٠٤- منطق الطير: فريد الدين العطار النيشابوري.
الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
١٠٥- منية المريد في أدب المفيد والمستفيد: الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي.
مكتب الاعلام الإسلامي.
١٠٦- موسوعة العقائد الإسلامية: الشيخ محمد الريشهري.
مؤسسة دار الحديث.
١٠٧- ميزان الحكمة: الشيخ محمد الريشهري.
مؤسسة دار الحديث.
١٠٨- نص إنجيل برنابا: سيف الله أحمد الفاضل.
١٠٩- نظرات في الإعداد الروحي: الشهيد حسين معن.
مركز الإمام الباقر عليه السلام.

١١٠- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: الشيخ محمد باقر المحمودي.

مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان.

١١١- الوافي بالوفيات: الصفدي.

١١٢- وسائل الشيعة(آل البيت): الشيخ الحر العاملي.

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قمّ.

١١٣- وسائل الشيعة(الإسلامية): الشيخ الحر العاملي.

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١١٤- ولاية الفقيه: الإمام الخميني رحمه الله.

مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني رحمه الله.

115- Human relation: Reece . barry L.

Poston-brant Houghtonranda Mifflin company , U.S.A.

116- Political and the proplem of dirty hands: Coady C. A. J

الفهرست

الفهرست